بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربيـــة السعوديـــة
وزارة التعليم العالي
جامعـــــة أم القـــــرى
كليـــة اللغـــة العربيـــة
قسم الدراسات العليا

أَثَرُ كِتَاب الفَصِيح وَشُرُوحه في التَّنقِيَة والتَّوَسُّع

بحث مقدم لنيل درجة الدكتوراه

تخصُّص لغة ونحو

إعداد الطالب

زايد بن مُهلهل العتيق الشَّمري

إشراف

الأستاذ الدكتور / مصطفى عبد الحفيظ سالم ـــ رحمه الله ـــ

١٤٢٧هـــ / ٢٠٠٦م

بسم الله الرحمن الرحيم

أهتم اللغويون منذ أواخر القرن الأول الهجري بفصيح اللغة وإبرازه لارتباطه بلغة القرآن الكريم فاجتهدوا في دراسته وتحديد معالمه ووضع معاييره ، صيانة للسان العربي من الانحراف والاعوجاج وهذه الدراسة تهدف إلى بيان أثر كتاب الفصيح وشروحه في التنقية والتوسع فجاء البحث في بابين تسبقهما مقدمة بينت فيها اهتمام العلماء بالفصيح .

وفي التمهيد أوضحت فيه معنى الفصاحة والفصيح وشروح الفصيح المشرقية وكيفية تناولهم للفصيح وشروح الفصيح المغربية وكيفية تناولهم له .

أما الباب الأول التنقية اللغوية فاحتوى على ثلاثة فصول :

الفصل الأول : مصطلح التنقية اللغوية ، أعلامها ، الدوافع التي أدت إليها ، معالمها .

الفصل الثاني : دور كتاب الفصيح ، وأثر شروحه المشرقية والمغربية في تدعيم حركة التنقية اللغوية .

الفصل الثالث : موازنة بين الشروح المشرقية والمغربية .

أما الباب الثاني : التوسع اللغوي فاشتمل على ثلاثة فصول :

الفصل الأول : مصطلح التوسع اللغوي .

الفصل الثاني : مظاهر التوسع اللغوي في شروح الفصيح ، المشرقية والمغربية والموازنة بينهما .

الفصل الثالث : آثار حركة التوسع في الدرس اللغوي .

أما الخاتمة والنتائج فأوضحت فيها :

١) أن منهج ثعلب المتشدد في كتابه الفصيح قد فرضته عليه الظروف التي ألف الكتاب لأجلها ، كما أن فصيح ثعلب تبوأ مكانة عظيمة من بين الشروح وذاع صيته .

٢) أن علماء التنقية اللغوية اختطوا لأنفسهم مناهج فكان لها أثر في توجههم ما بين متشدد ومتوسع .

٣) أن علماء اللغة لم يتفقوا على مقاس الصواب اللغوي .

٤) أبان البحث عن تخطئه كثير من علماء التنقية لكثير من اللغات .

٥) أظهر البحث أن أبا زيد الأنصاري كان له أثر عظيم في حركة التوسع اللغوي هذا إلى جانب كثير من النتائج .

والله نسأل التوفيق والسداد .

المشرف

عليان محمد الحازمي

الباحث

زايد بن مهلهل العتيق الشمري

بسم الله الرحمن الرحيم

المُقَدِّمَة

الحمدُ لله ربِّ العالمين الذي شرَّف اللُّغة العربية وأهْلَها ، بأنْ أنزل بها خَيْرَ كُتبه ، فقال جَلَّ مِنْ قائل : ﴿ **إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآناً عَرَبِياً لَعَلَكُمْ تَعْقِلُون** ﴾ [1] . وكَفَلَ لها الحِفْظ والخُلود بحفظ هذا الكِتاب لها ، قال تعالى :﴿ **إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُون** ﴾ [2] . والصلاة والسلام على مَنْ أُوتي الفصاحة والبيان ، وجعل اللهُ تعالى مُعْجزته أفصح الكلام ، الذي تحدَّى به الخالق ــ جَلَّت قُدْرته ــ فصحاء العرب ، فلم يكن منهم إلا العجز والاستسلام أمام فصاحته الباهرة ، ومعجزته الظاهرة وعلى آله وصحبه أفضل الصلاة وأزكى السلام .

وبعد :

فقد كانت العربية ــ وما زالت ــ موضع عناية العلماء والأدباء والدارسين ، على مرِّ الأزمان ، كيف لا ! وهي لُغة العقيدة والشَّرْع القويم ، والحديث النبوي الشريف ، وفيها أودع الشعراء أكرم المعاني ، وأجمل الأساليب في شتَّى أغراض الشِّعر وقوافيه ، وقد أدرك علماء الأُمَّة هذا الارتباط بين العربية وكتابها الخالد ، فَشَمَّرُوا عن سواعد الجدِّ في خدمتها ، وكان من أهم مظاهر العناية بها الحرص على سلامتها من الخطأ واللحن والدخيل ، وتنقيتها مما يجري من الألفاظ بعيداً عن سُننها الصحيحة ، وقواعدها الأصيلة .

---

(١) سورة يوسف ، آية : (٢) .

(٢) سورة الحجر ، آية : (٩) .

فاللُّغة العربية ليست مجرد وسيلة للتخاطب والتفاهم فحسب ، بل هي رمز لوحدة أمة عريقة لها تاريخ يشهد بحضارتها ، وتراثها عبر القرون ، وهي لُغة القرآن الكريم الذي وعد الله سبحانه وتعالى بصونه وحفظه ، ومن هنا تتأكد الأهمية العظمى للُّغة العربية الفصحى التي أصبحت ذات مكانة متميزة بين جميع لُغات العالم ، ولم تأت هذه الأهمية ، ولا تلك المكانة من فراغ ، بل حازتهما من منطلقات عديدة ، ويكفيني منها دافعاً لاختيار موضوع بحثي هذا شرفها وقداستها المستمدان من كونها لُغة القرآن الكريم ، دستور الأمة الإسلامية ونبراسها ، حيث قال سبحانه وتعالى : ﴿ حَمِ * تَنْزِيْلٌ مِنْ الرَّحْمَنِ الرَّحِيْمِ * كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآناً عَرَبِياً لِقَوْمٍ يَعْلَمُون ﴾ [1] وقال تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآناً عَرَبِياً لِتُنْذِرَ أُمَّ القُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾ [2] .

اتفق معظم المفسرين على تفسير قوله تعالى : ﴿ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِيْنٌ ﴾ [3] وقوله تعالى : ﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍ مُبِيْنٍ ﴾ [4] : بأنه ذو بيان وفصاحة [5] ، وأراد باللِّسان القرآن ، والعرب تقول للُّغة لسان ، أي أفصح ما يكون من العربية [6] .

---

(١) سورة فصلت ، الآيات : (١ـ٣)

(٢) سورة الشورى ، آية : (٧) .

(٣) سورة النحل ، آية ، (١٠٣) .

(٤) سورة الشعراء ، آية ، (١٩٥) .

(٥) انظر : تفسير سورتي النحل ، والشعراء : أضواء البيان ٢/٤٥٤ ، ٤٥٥

(٦) انظر : تفسير سورة الشعراء ، تفسير القرطبي ١٠/١٧٩

كما أجمع علماء العربية على أنّ أعلى مستويات الفصاحة تمثل في القرآن الكريم ، كلام رب العالمين ــ جَلَّ وعلا ــ الذي لا يأتيــه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وأنّ نصوصه تعد أوثق الشواهد التي يرجع إليها ؛ لأنّه المُنَزَّه عن اللحن والخطأ .

ولقد كرَّم المولى ــ عزَّ وجلَّ ــ عبده ورسوله النبي العربي ، خاتم الأنبياء والمرسلين ، وسيِّد الأولين والآخرين ــ صلى الله عليه وسلم ــ بالفصاحة والبيان ، فهو أفصح الخلق أجمعين ؛ حيث قال ــ صلى الله عليه وسلم ــ في معرض ذكره لنعم الله عليه : " وأوتيت جوامع الكلم ... "[١] ، وقوله ــ عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم ــ : « أنا أفصح العرب ، بيد أني من قريش ، ونشأت في بني سعد بن بكر »[٢] .

ولمكانته ــ صلى الله عليه وسلم ــ وشرفه عند خالقه ومولاه ، فإن هذا الشرف امتد إلى القبيلة التي ينتمي إليها ، وهي قريش ، التي قال عنها ابن فارس في فقه اللُّغة ، في كلامه على باب : (القول في أفصح العرب) :" أجمع علماؤنا بكلام العرب ، والرواة لأشعارهم ، والعلماء بلغاتهم وأيامهم ، ومحالهم : أنَّ قريشاً أفصح العرب ألسنة ، وأصفاهم لُغة ... "[٣] .

وبهذا الإجماع من المفسرين واللُّغويين ، على علو لُغة القرآن ، وفصاحتها على لسان رسولنا ــ صلى الله عليه وسلم ــ وشَرَف قبيلته بهذه المكانة يتأكد الدافع لديَّ في اختيار هذه الدراسة لفصيح ثعلب وشروحه في التَّنقية والتَّوسُّع .

---

(١) صحيح مسلم ، باب المساجد ومواضع الصلاة حديث رقم (٨١٤ ، ٨١٥) .

(٢) والحديث في تلخيص التحبير ، كتاب النفقات برقم (٦١٥٨) ٤/ ٦ ، وفي خلاصة البدر المنير برقم (٢١٧٤) ٢/ ٢٥١ . انظر : المزهر ١/ ١٠٤ شرح وتعليق : محمد أحمد جاد المولى وآخرين .

(٣) ص : ٥٥

ومما دفعني لهذا الاختيار أيضاً أداء حَقِّ السلف نحو العربية لغة ، والارتباط الديني بها كلغة شرفها القرآن الكريم بالقداسة ، ولعل أبا منصور الثعالبي كان محقاً حينما قال في مقدمة كتابه : " من أحب الله تعالى أحب رسوله محمداً ــ صلى الله عليه وسلم ــ ومن أحب الرسول العربي أحب العرب ، ومن أحب العرب أحب العربية ، ومن أحب العربية عُني بها وثابر عليها ، وصرف همته إليها ، ومن هداه الله للإسلام ، وشرح صدره للإيمان ، وأتاه حسن سريرة فيه ، اعتقد أن محمداً ــ صلى الله عليه وسلم ــ خير الرسل ، والعرب خير الأمم ، والعربية خير اللُّغات والألسنة ، والإقبال على تفهمها من الديانة ، إذ هي أداة العلم ومفتاح التفقه في الدين " (١) .

وقد عُني اللُّغويون مُنْذ أواخر القرن الأول الهجري بالاهتمام بفصيح العربية وإبْرازِه ؛ لارْتباطه بِلُغَةِ القُرْآنِ الكَرِيمْ ، فاجْتَهدُوا في دراسته ، وتَحْديد مَعَالمه ، ووَضْع مَعَاييره ؛ صِيَانَةً للِّسَان العربي عن الانحراف والاعْوجاجِ في أُمُورِ الحياة عامَّة ، والنُّطْق بِآيِّ الذِّكْر الحكيم خاصَّة ، فأُلِّفتْ كُتُبٌ في التصويب اللُّغوي ــ كإصلاحِ المَنْطق لابْنِ السِّكِّيت ، وأدبِ الكاتب لابْنِ قُتَيْبَة ، والفَصِيْح لِثَعْلَب ، وغيرها ــ تناولها العلماء واللغويون المتقدمون والباحثون المحدثون بالدراسة والتحقيق ، فبرزت من خلال تلك المذاهب اللُّغوية بمناهجها المختلفة ، مناهجُ بين التشدُّد والتَّساهل ، وبيْن الأَخْذِ والرَّد ؛ ممَّا دَعَانَا لدراسة المنابع الأَصيْلَة في الفصيح من اللُّغة ، مُتَمَثِّلَة في كِتَابِ فَصِيْح ثَعْلَب ، وتَتَبُّع أَثَرِه ، وأَثَرِ شُرُوحه في التَّنقية ، والتَّوسُّع اللُّغوي .

وحين ظهر الزيغُ عن سنن العربية ، وشاع على ألسنة أصحابها أنواعٌ من اللحن والخطأ ، انبعثت في نفوس علماء اللغة منذ أواخر القرن الثاني الهجري

(١) مقدمة فقه اللُّغة وسر العربية ، للثعالبي ، تحقيق : فايز محمد ، وأميل يعقوب ، ص ٥ .

رغبة صادقة في المحافظة على فصاحة اللغة ونقائها ، فظهرت مؤلفات عديدة عرفت بلحن العامة .

وهذا البَحثُ محاولةٌ متواضعةٌ ، لِلْكَشْفِ عن عِدَّةِ ظواهر لُغوية أفْرَزَتْها تلك المؤلفات ــ في فصيح اللُّغة ، ولحن العامة ــ بمذاهبها اللُّغوية المختلفة ، من خلال تناولها لفصيح ثعلب ، وذلك لا يتأتّى إلا بتناول الفصيح وشروحه بشيء من الدراسة التحليلية المتأنية ، فبها نستطيع الوقوف على أبرز ملامح المعيار الذي احترناه ــ الفصيح ــ ثم إبراز منهج صاحبه ، ومقارنته بمناهج أعلام التَّنقية ، وإبراز مناهج الشُّراح لأهم أبوابه ومواده ، ومِن ثَمَّ يتسنى لنا عقد الموازنات اللُّغوية بين علماء التَّنقية ــ في شرح الفصيح ــ من جهة ، وبين علماء التَّوسُّع من جهة أخرى ، وفي ذلك ربط للفروع بالأصل ، وإيضاح لأثر الفصيح في معالم الشُّروح التي تناولته تنقيةً وتوسعاً .

وتكمن أهمية هذا البحث في الآتي :

ــ دراسته التفصيلية لفصيح اللغة لثعلب ، وبيان الأثر الذي أحدثه في منهج أولئك الشرّاح الذين تناولوه بالدراسة والتحليل ، ما بين متشدد في تنقية اللغة ومتوسع فيها ، يضاف إلى ذلك تعريفه بأعلام التنقية اللغوية ، ودراسته للمنهج الذي ارتضاه هؤلاء المنقون ، ومناقشة مذاهبهم في تنقية اللغة ، وأحسب أن هذه ميزة تفرد بها الباحث في هذه الدراسة عن غيره من الدارسين السابقين الذين قصروا دراساتهم السابقة ــ حسب ما اطلعت عليه ــ على شرح واحد من شروح الفصيح ، ووقفوا عند حدوده .

ــ توصيفه لأبرز الملامح اللُّغوية لكتب الشُّروح (المشرقية والمغربية) التي تناولت فصيح ثعلب ، بمذاهبها ومناهجها المختلفة .

ــ تصنيفه لكتب الشُّروح والشُّراح ، من حيث المكان : (مشارقة ، ومغاربة) ، ومن حيث المعيار : (علماء التَّنقية ، وعلماء التَّوسُّع) .

ـ تبيينه معالم التَّنقية اللُّغوية وأعلامها ومناهجهم ، ومعايير الفصاحة لديهم وتراجم شراح الفصيح الذين توافرت شروحهم ، وأعتمدهم الباحث .

ـ عنايته الخاصة بالألفاظ والقوالب اللُّغوية ، وضبط اللُّغات ـ الواردة فيه ـ بالحركات .

ـ جمعه لعدة مؤلفات شملت : فصيح اللُّغة ، والأقل فصاحة ، ولُغة عامتها ، ولحنها ، ودخيلها ، ومُعرَّبها .

ـ عنايته ببيان دور كتاب الفصيح ، وأثر شروحه المشرقية والمغربية في دعيم حركة تنقية اللغة .

ـ عقد موازنات لغوية بين الشروح المشرقية والمغربية الممثلة لحركة التنقية اللغوية ، وبيان نتائج تلك الموازنات .

ـ توضيحه لمعالم التوسع اللغوي في شروح الفصيح في المشرقين ، وعقد موازنات بينها ، والكشف عن نتائجها .

وقد اقتضت طبيعة الموضوع أن يتم تقسيمه على النحو التالي :

المقدمة ، وتضمنت :

أ / دوافع اختيار الموضوع .

ب / أهميته في الدراسات اللغوية .

التمهيد : وتناولت فيها :

أ / **الفصاحة والفصيح** : عرَّفتُ فيها الفصيح في اللغة والاصطلاح ، وعرَّفتُ بثعلب وكتابه الفصيح ، وتحدَّثتُ عن مكانته العلمية وعن شيوخه وتلاميذه ، وزعامته للمدرسة الكوفية ، وثناء العلماء عليه ، ثم ختمت ذلك بالحديث عن أهمية الفصيح ، وقيمته العلمية بين الناس ، وتعلقهم به ، وثناء اللغويين عليه .

ب/ شروحه المشرقية : وقد اعتمدت في ذلك على ما ذكرته كُتب التراجم ، مكتفياً بذكر اسم الشرح وصاحبه ، ورتبتُها حسب تاريخ الوفاة ، مُبيِّنا أمام كل

شرح المصدر الذي ذكره ، فذكرتُ تلك الشروح مجملة ، ثم ثنيتُ بذكر الشروح التي وصلت إلينا واعتمدناها في بحثنا هذا .

ج / **شروحه المغربية** : وفيها سلكتُ الطريقةَ نفسها التي اتبعتها مع الشروح المشرقية .

الباب الأول : التنقية اللغوية : وبنيتُه على ثلاثة فصول :

الفصل الأول : واشتمل على :

أ / **مصطلح التنقية اللغوية** : عرفتها في اللغة والاصطلاح وبينت أنَّ هذه المادة في مجموع تصاريفها تطلق على الجيد والرديء وتحدثت عن بوادرها الأولية .

ب / **أعلامها** : تحدثت فيه عن مجموعة من هؤلاء الأعلام ، فعرفتُ بهم ، ودرستُ مذهبهم في تنقية اللغة ، وفصَّلتُ القول في ذلك .

ج / **الدوافع التي أدت إليها** : ووضحتُ فيه أنَّ اللَّحن يُعدُّ الباعثُ الأول الذي بسببه هبَّ المعنيون بتنقية اللغة مما يشوبها ، وفصَّلتُ القول في اللحن الذي هو بمعنى الخطأ بعد أن أوضحت معناه في اللغة والاصطلاح .

د / **معالمها اللغوية** : وقد صنفتها بناءً على معايير لغوية واضحة رسمها أئمة اللغة المنقون .

الفصل الثاني : وتحدثت فيه عن دور كتاب الفصيح وأثر شروحه المشرقية والمغربية في تدعيم حركة التنقية اللغوية .

الفصل الثالث : عقدت فيه موازنات بين الشروح المشرقية ، والشروح المغربية الممثلة لحركة التنقية اللغوية ، من خلال تلك المواد المختارة من بعض أبواب الفصيح ومواده المتميزة التي تُبرز ما نسعى إلى تحقيقه وبيان نتائج تلك الموازنة التي نهدف من خلالها إلى معرفة أوجه الاتفاق أو الاختلاف بين هذه الشروح.

الباب الثاني : وبنيتُهُ على ثلاثة فصول :

الفصل الأول : التوسع اللغوي : وعرَّفتُه في اللغة والاصطلاح ، ثم تحدَّثتُ عن بعض ملامح التوسع اللغوي ، ومظاهر اختلاف لغات العرب ، وبداية التأليف في اللغات ، وبينت منهج البصريين المتشدد في الأخذ عن بعض القبائل العربية ، يقابله تسامح وتوسع من جانب الكوفيين .

الفصل الثاني : مظاهر التوسع في شروح الفصيح : تحدثت فيه عن بعض المصطلحات المتعلقة بظاهرة توسع العرب في لغاتها ، وجاء الكلام في ذلك على قسمين :

أ / الشروح المشرقية : وتكلّمتُ فيها عن بعض الظواهر اللغوية المتعلقة بظاهرة التوسع اللغوي ، بالإضافة إلى التوسع عن طريق ذكر أكثر من لغتين أو تساويهما من حيث الفصاحة ، أو عن طريق وسم لغات العامَّة بالجودة .

ب / الشروح المغربية : والتزمت الطريقة نفسها التي اتبعتها مع الشروح المشرقية

ج / موازنات بينهما : عقدت موازنات بين هذه الشروح الممثلة لحركة التوسع اللغوي في المشرقين ؛ بهدف معرفة أوجه الاتفاق أو الاختلاف بين هذه الشروح من خلال تلك المواد المختارة من بعض أبواب الفصيح .

د/ نتائج الموازنة : وعرضْتُ تلك النتائج التي توصلت إليها ، وبيَّنتُ التفاوت بين الشروح المشرقية والغربية فيما يتعلق بتلك النتائج .

الفصل الثالث : آثار حركة التوسع في الدرس اللغوي : تحدثتُ فيه عن جهود أئمة اللغة المتوسعين من أصحاب التصويب اللغوي ، وما أفرزتْهُ بعض المعاجم اللغوية من خصائص توسعية عامة أثَّرت مظاهر تلك الحركة التوسعية في الدرس اللغوي .

وفي نهاية هذا البحث جاءت الخاتمة التي تضمنت أبرز النتائج التي توصل إليها الباحث .

وبعد : فإذا كان السعي للكمال أمرٌ محمود فإن بلوغه أمرٌ متعذر ، وهأنذا أقدم هذا الجهد المتواضع ، ولا أريد أن أُبيِّن ما كابدتُ فيه من مشقة وعناء في سبيل إخراجه وتقديمه بالصورة المرضية ، وأحسب أنني لم أدخر فيه جهداً ولا وقتاً ولا مالاً ، ولم أتردد في أي أمر يعود علي بالنفع فيه ، فإن أكُ وفقت فهذا فضل من الله علي ومنّة منه ـــ جلّ وعلا ـــ وإن تكُن الأخرى فحسبي أني بشر وعمل البشر يعتريه النقص والتقصير ، ولكني أخلصتُ النيةَ وبذلت ما أمكنني من جهد ، وما أبرئ نفسي من السهو والغلط .

وفي الختام فإنني أشكر الله أولاً وآخراً المنعمُ والمتفضل ـــ تقدست أسماؤه وتعالت صفاته ـــ إذ أنعم علي بإتمام هذا الجهد المتواضع بفضله ومنته ، وامتثالاً لقول سيد الخلق صلى الله عليه وسلم : " ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله " وتأسياً بهذا الهدي النبوي الكريم فإنني أتقدم بالشكر للقائمين على هذا الصرح العلمي الشامخ في جامعة أمِّ القرى وفي مقدمتهم معالي مديرها ووكلائها الكرام . والشكر والتقدير لكلية اللغة العربية ممثلة في سعادة عميدها أستاذنا الأستاذ الدكتور عبدالله القرني ، فله مني جزيل الشكر وعظيم الامتنان .

والشكر موصول أيضاً لقسم الدراسات العليا بالكلية رئيساً وأعضاءً وإداريين . والله المسؤول ـــ جلت قدرته ـــ أن يغفر لشيخي الأستاذ الدكتور مصطفى عبدالحفيظ سالم ، الذي تفضل ـــ يرحمه الله ـــ بالإشراف على هذا العمل وقد عاجله هادمُ اللذات ومُفرق الجماعات ، بعد أن شارفت على الانتهاء من هذا البحث ، سائلاً الله تعالى أن يغفر له الذنوب ، ويُكفر عنه الخطايا ، ويجزل له المثوبة .

كما أخص بالشكر والثناء شيخي وأستاذي الأستاذ الدكتور / عليان بن محمد الحازمي ، الذي هوّن علي مُصابي بفقد مشرفي ، آخذاً بيدي ، متفضلاً بإكمال

الإشراف على الجزء اليسير والمتبقي من هذا البحث ، فغمرني بحسن الرعاية والاهتمام ، وفتح لي داره ومكتبته ، ولم يبخل علي بجهد ولا وقت ، فكان نعم الناصح ونعم الموجه ، علمني بخلقه وصبره وفضله وتواضعه الجم خلق العلماء قبل علمهم ، فجزاه الله عني خير الجزاء وبُورك له في علمه وعمره ونفع به .

كما أتقدم بوافر الشكر والثناء لعضوي لجنة المناقشة الأستاذ الدكتور/ عبدالمنعم النجار ، والأستاذ الدكتور / رياض حسن الخوام ، على تفضلهما بمناقشة هذه الرسالة ، مقدراً لسعادتيهما ــ سلفاً ــ ما سيبذلاه من جهد ووقت في قراءة هذا البحث وتقويمه ، فلهما مني جزيل الشكر وعظيم الامتنان . كما لا يفوتني أن أشكر سعادة عميد كلية المعلمين بحائل فضيلة الدكتور مسلم الخيرالله الذي ذلل كثيراً من الصعاب التي اعترضت طريقي أثناء دراستي ، والله المسؤول أن يجعل ذلك في موازين حسناته يوم يلقاه .

والشكر يمتد لسعادة الأستاذة الدكتورة / ثُريا لهي من المغرب الإسلامي والتي أمدتني ببعض المصادر حول الفصيح وشروحه ، فبارك الله فيها ونفع بعلمها وأثابها على ما قدمت . كما لا يفوتني أن أشكر كل من قدم لي عوناً أو نصحاً أو توجيهاً من أساتذة وزملاء وأخص بالذكر أخي وصديقي الدكتور بندر الحمدان رئيس قسم اللغة العربية بكلية المعلمين بحائل ، كما أشكر أخي أبي عبدالرحمن عصام البريك والذي تفضل بطباعة هذا البحث وإخراجه إلى النور ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين . وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

البـــاحث

زايد بن مهلهل العتيق الشـــمري

حائل ١٣/٣/١٤٢٧هـ

التمهيد :

- الفصاحة والفصيح
- شروح الفصيح المشرقية
- شروح الفصيح المغربية

أ ـــ الفَصَاحَةُ وَالْفَصِيحُ

الفَصِيْحُ فِي الُلغَةِ :

للفصيح في اللُّغة عدة معانٍ ، نذكر منها ما يلي :

ـــ الدِّلالة على خلوص الشيء مما يشوبه ، وأصل ذلك في الَّلبَن ، يُقال : فَصُحَ الَّلبَنُ :إذا أُخِذَت عنه الرُّغْوَةُ . وفَصُحَ الصُّبْحُ إذا أسفر.

ـــ ومنها فَصُحَ الَّلحَانُ إذا جَادَتْ لُغَتُهُ ، وخَلُصتِ من الَّلحْنِ .

ـــ وفَصُحَ الأَعْجَمِيُّ ، أي جَرى لسانُهُ بالعربيَّة .

ـــ ومنها الإعْرابُ عَمَّا في النفس ، والإفصاح عن مكنونات القلب.

ـــ ومنها أَفْصَحَتِ الشَّاةُ : إذا انقطع لَبَؤُها ، وخَلَص لَبَنُها .

وقد فَصَّلَ اللُّغويون القَوْلَ في هذه المعاني اللُّغوية، وأَبَانَ عنها أصحابُ المعاجمِ في مؤلفاتهم ، فمَنْ أراد الاسْتِزادة فَلْيَعُدْ إليها في مظانها[1].

الفَصِيْحُ وَالفَصَاحَةُ فِي الاصْطِلاحِ :

قبل أنْ نُعَرِّفَ الفَصَاحةَ في الاصْطِلاحِ ، يجدُر بنا الإشارة إلى الأُسُسِ والمعايير التي وضعها لها علماءُ العربيَّة [2] ، فمنها ما يلي :

---

(١) انظر : الغريب المصنف لأبي عبيد ، تحقيق محمد المختار العبيدي ٥٨٨/٢ ، وإصلاح المنطق ٢٥٤ لابن السكيت ، تحقيق أحمد شاكر ، وعبد السلام هارون ، وأدب الكاتب ٣٥٤ تحقيق محمد الدالي ، والعين ١٢١/٣ تحقيق مهدي المخزومي ، والجمهرة ٥٤١/١ تحقيق رمزي منير بعلبكي، والصحاح ، ومقاييس اللغة تحقيق عبدالسلام هارون ، و المحكم ١٨١/٢، واللسان ، والتاج (فصح) .

(٢) انظر: المزهر للسيوطي١٨٥/١ وما بعدها ، والإيضاح ، للقزويني ٢١وما بعدها ، شرح وتعليق محمد عبد المنعم خفاجي ، والبُلغة في أصول اللغة ١٤٩ ، للقنوجي ، تحقيق نذير محمد مكتبي .

ـــ أنْ تخلو الكلمة من تنافر الحروف ، أي لا يكون اللفظ عسيرًا في النطق ، ثقيلاً على اللسان ، كلفظة (الهُعْخُعْ) ، ومنه ما هو دون ذلك كلفظ (مُسْتَشْزِرات) ، وكذلك لفظة (صَهْصَلق) ، وغير ذلك مما ذُكر في كُتب اللُّغة .

ـــ ألا تكون الكلمةُ غريبة ، وحشية لا يُفْهم معناها ، إلا بالعودة إلى البحث عنها في كُتبِ اللُّغة المبسوطة ، ومن أمثلة ذلك ما رُوِي عن عيسى بن عمر النحوي :

" مالَكُمْ تكأْكأْتُم عليَّ تَكأْكُؤكُمْ على ذي جِنّة افْرنْقِعُوا عنّي " .

ـــ ألا تُخالف القياس اللُّغوي ، فمخالفة القياس تتّضحُ في قَولِ الشّاعِرِ :

الحمدُ للهِ العَليِّ الأجْلَلِ ، فالقياس : الأجَلُّ بالإدغام

ـــ وأن تكون الكلمة معتدلة متوسطة بين قلة الحروف وكثرها ، والمتوسطة ثلاثة أحرف وعلى هذا جاء أكثر كلام العرب .

ـــ وأن تكون جارية على العرف العربي الصحيح ، غير شاذة ، ويدخل في هذا القسم كل ما يتكره أهل اللغة ويرفضه علماء النحو [(1)].

ومِمَّا سبَق نَخْلُص إلى أنَّ الفَصَاحَةَ تعني : البَيَان ، وأنَّ الكلامَ الفصيح : هو الظَّاهِرُ البَيِّنُ من حيث وُضُوح ألفاظه وسهولة فَهمِها .

ولَعَلَّ في هذه الإشارة الموجَزة إلى بعض أسس ومعايير الفصاحة ، ما يغني عن الإطالة ، فما هي إلا مقدمة نَهْدفُ من خلالها إلى النَّفَاذ إلى مَدار بَحْثنا ، وهو معْنى الفَصِيح في الاصْطِلاحِ.حيث ذَكَرَ اللُّغويون أنَّ معنى الفصيح في الاصطلاح :

---

(١) انظر : فصيح ثعلب تحقيق عاطف مدكور ، ٦٣-٦٤

هو ما كَثُر استعمالُهُ على ألسنة العربِ الفصحاء الموثوق بعربيتهم ، وكان استعمالهم له أكثر [1] .

والمفهوم من كلام ثعلب في فصيحه أنّ مَدارَ الفصاحة في الكلمة على كَثْرة استعمالِ العرب لها ، كما قرر ذلك في أول فصيحه [2] .ولا أدل على ذلك مما صرَّح به الفرّاء : من أنّ عمر ــ رضي الله عنه ــ قرأ ﴿ **جِمَالات** ﴾ وهذا الوجه أحَبُّ إليه من ﴿ **جِمَالَة** ﴾ لأن جِمَالات أكثر من جِمَالة في كلام العرب [3] .
وانطلاقاً من هذا التعريف الاصطلاحي ألّفَ أبو العباس ثعلب إمام الكوفيين في اللُّغة والنحو كِتَابَ (الفصيحِ) وهو مَدارُ حديثنا في المبحث التالي :

---

(١) معاني القرآن للفرّاء تحقيق محمد علي النجار وآخرين : ٣ / ٢٢٥ .

(٢) الفصيح ٢٦٠ .

(٣) معاني القرآن ٣ / ٢٢٥ .

ثَعْلَبٌ وكِتَابُهُ الفَصِيْح :

هو أبو العباس أحمد بن يحيى بن زيد بن سيار الشيباني ــ بالولاء ــ النحوي ، المشهور بثعلب ، والذي أثْبَتَ سنةَ مَوْلده بنفْسه قَائلاً : " ابْتدأتُ النظرَ في العربيَّة والشِّعْرِ في ستَ عشرةَ ، ومولدي سَنَةُ مائتين ، في السَّنة الثانية من خلافة المأمون " [1] .

مَكَانَتُهُ الْعِلْمِيَّة :

اخْتَلفَ ثعلبٌ إلى عَدَدٍ من كِبارِ العُلَمَاءِ في عصرِه ، فأخذَ عُلومَ الأوائلِ من أشْعَارٍ ، وقِرَاءَاتٍ ، وأخبَارٍ ونوادرَ ولُغَة ، فاخْتلفَ إلى دُرُوسِ هؤلاءِ العلماء [2] وهو في السادسةَ عشرةَ من عُمْرِه، وفي ذلك يَقولُ : " طلبتُ العربيَّة واللُّغة في سنة ست عشرة ومئتين ، وابتدأتُ النَّظر في حُدود الفرَّاء وسني ثماني عشرة سنة ، وبلغتُ خمساً وعشرين سنةً وما بقي عليَّ مسألةٌ للفرَّاء إلا وأنا أحْفظُها ، وأحْفظُ موضعها من الكِتَابِ ، ولم يبق شيءٌ من كُتُبِ الفرَّاء في هــذا الوقــت إلا وقَدْ حَفِظْتُهُ " [3].

وفي هذه السن المبكرة أصْبحَ ثعلبٌ أستاذاً يختلفُ الناسُ إلى مجْلسه للسماعِ عليه ، فكان أبرزَ علماء الكوفة في عصْرِه ، وإليه انتهتْ رئاسةُ المدرسةِ الكوفيَّة في بغْداد ، وفي عصْرِه قلَّتْ الفوَارِقُ بيْن المذهبين ، قالَ عنه المفضل بن سلمة ابن عاصم الضبي :" رَأسَ أبو العباس أحمد بن يحي بن ثعلب النحوي ، واختلف

---

(١) انظر ترجمته في: معجم الأدباء ١٠٢/٥-١٤٦ ، ووفيات الأعيان ١٠٢/١-١٠٤ تحقيق حسين عباس وإشارة التعيين في تراجم النحاة واللغويين : ٥١ تحقيق عبدالمجيد دياب ، والبغية ٣٩٦/١-٣٩٨ تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم.

(٢) ستكون الفقرة التالية عن هؤلاء العلماء .

(٣) إنباه الرواة ، تحقيق :محمد أبو الفضل إبراهيم ، ١٣٩/١ .

الناسُ إليه في سنة خمسٍ وعشرين ومائتين " [1]. ولم يقتصرْ ثعلب على عِلْمِ الكوفيين ، بل رَوَى كُتُبَ أبي زيد الأنصاري عن ابن نجدة ، وكُتُبَ أبي عبيدة عَنْ ابن المغيره الأثرم ، وكُتُبَ الأصمعي عَنْ أبي نصر أحمد بن حاتم ، فاجْتمعَ له بذلك عِلْم البلدين[2].

اشتهر ثعلب بالثِّقَة والحُجَّة وقُوَّة الحفظ ، وصِدْق اللَّهْجة، والمعْرفة برواية الشِّعر القديم حتى كان مَرْجعاً لشيوخه على حداثة سِنِّه ، فكان أبو عبد الله الأعرابي إذا شَكَّ في شئ يَسْأله عنه لغزارة حِفْظه [3] ، ويكفيه فخراً أن يشهد له خَصْمُه المبرِّد بقوله :" أعْلمُ الكوفيين ثعلب " [4]. أخذ العِلْمَ عن علماء عصره ، ومنهم : أبو عبد الله بن زياد الأعرابي ، وأبو نصر أحمد بن حاتم ، أخذ عنه علوم الأصمعي ، وعلي ابن المغيرة الأثرم ، أخذ عنه علوم أبي عبيدة ، و محمد بن سلام الجمحي ، وسلمة بن عاصم ، والزبير ابن بكّار [5] .

وتتلمذ على يديه عددٌ من العلماء ، أمثال : محمد بن العباس اليزيدي ، وعلي بن سليمان الأخفش ، ونفطويه ، وأبو بكر بن الأنباري ، وأبو عمر الزاهد ، المشهور بغلام ثعلب وغيرهم . توفي أبو العباس ثعلب سنة ٢٩١ هـ ، ودفن ببغداد[6] .

وقد ألَّف أبو العبَّاس ثعلبٌ كتابَ (الفصيح) ، وجعل منه مثالاً يحتذى لمذهب التَّنقية اللُّغوية ، وهادياً لمؤيديه الذين يُؤْثِرُون الفصيح ويُقدِّمُونَهُ على غيره مما يوصف باللُّغات التواني والثَّوالث ، فضلاً عن القليل والنادر ، والردئ ،

---

(١) نفس المرجع : ١٤٢/١ .

(٢) انظر: الأعراب الرواة ، عبد الحميد الشّلقاني ، ٨٦.

(٣) انظر : وفيات الأعيان ١/١٠٢-١٠٤ .

(٤) إنباه الرواة ١٤٢/١ .

(٥) انظر معجم الأدباء ١٠٢/٥ – ١٤٦ ، ووفيات الأعيان ١ / ١٠٢ والبغية ٣٩٦/١ – ٣٩٧ .

(٦) نفس المصادر السابقة .

والمتروك ، وقد قدَّم ثعلب لفصيحه قائلاً : " هذا كتاب اختيار الفصيح مما يجري في كلام الناس وكتبهم ، فمنه ما فيه لُغة واحدة والناس على خلافها ، فأخبرنا بصواب ذلك ، ومنه ما فيه لُغتان وثلاث وأكثر من ذلك فأخترنا أفْصَحَهُنَّ ، ومنه ما فيه لُغتان كثُرتا واستُعْمِلتا فلم تكن إحْداهُما بأكثر من الأخرى فأخبرنا بهما " [1].

ولهذا الكتابُ فائدةٌ عظيمةٌ ، ومنفعةٌ جليلةٌ عِنْد أهل العلم ، وقد وصفه المستشرق الألماني (يوهان فك) بقوله : " وكِتَابُ الفصيح الذي يحتوي في ترتيبٍ واضحٍ ، وأسلوبٍ مُختصرٍ على طائفة كبيرة من قوالب اللُّغة التي كانت تهددها إذ ذاك قوالبُ أقلُّ منها فصاحة ، أو قوالبُ أخرى من لُغة العَامَّة ، وهو من أكثر الكُتبِ الأساسيَّة في مبدأ تنقية اللُّغة العربية تداولاً بين القُرَّاء ، وكان له تأثيرٌ باقي الأثر بعيد الخطر " [2].

وظلَّت للفصيح أهمية عظيمة في تعليم العربيَّة عِدة قرون ، وقد لقي من الشُّهْرَة وَذُيوع الصِّيت ما لم يلْقَه أيُّ كتابٍ آخرٍ في التصويب اللُّغوي ، ولعَلَّ ذلك يعود لسببين : أولهما : صِغَرُ حَجْمه ، وثانيهما : سُهولة حفْظه .وتتحددُ قيمةُ الكتابِ فيما حواه من مادةٍ لُغوية ، تكاد تكون شاملة لما كان شائعاً في عصرِ المؤلفِ ، وقد راعى فيه مؤلفه ألا يوسعه باللغاتِ وغريبِ الكلامِ . وكان جمهورُ النَّاسِ الذين يؤدبون أبناءهم ، ومن يعنون بأمْرهم يحفظونهم كتابَ (الفصيح) ؛ لما فيه من الألفاظ السهلة المستعملة ؛ ولأنَّ العَامَّةَ تُخطئ في كثيرٍ منها .

وكان علي بن محمد الاستراباذي ولوعاً بكِتَابِ (الفصيح) إلى الحدِّ الذي لُقِبَ من أجله بالفصيحي[3] . ونُقِلَ عَنْ أحدهم أنّه لَقِي أحَدَ الفقهاء وتحدَّث

---

(١) مقدمة الفصيح : ٢٦٠ .

(٢) العربية (يوهان فك) : ١٤٩ .

(٣) ترجمته في معجم الأدباء١٥/٦٦-٧٤،وبغية الوعاة ٢/١٩٧ .

معه في الفقه ، فردَّ عليه الفقيهُ كلمةً مَلْحُونَةً ، فلما افترَقَا سَأَلَ أصْحابَهُ : بم يُدْرَكُ هذا ؟ فقالوا : بمعرفةِ كتابِ الفصيحِ ،فَذُكِرَ أنّه حَفِظَه في ليلةٍ واحدةٍ [1] .

ونلمس في مُقدِّمات الشُّرُوحِ ـــ التي أُلِّفت حوله ـــ قيمة الكتاب العلمية بين النّاس ؛ فابن دُرُسْتَويه يشير في مقدمته إلى أنّ النّاس كانوا يعتقدون أنّ مَنْ حفظ ألفاظ الفَصيح فقد بلغ الغاية في البراعة وجاوز النهاية في التأدب ، وأنّ مَنْ لم يَحْفظْه فهو مُقصرٌ عن كُلِّ غرضٍ [2] ويَقولُ عَنْه ابن هشام اللّخمِي [3]: " وكِتابُ الفصيحِ – أعزَّك الله – وإنْ صَغُرَ جِرمُهُ ،وقَلَّ حَجْمُه فَفائدته كبيرةٌ عظيمةٌ ،ومنفعته عند أهْلِ العِلْمِ خطيرة جسيمةٌ ". وذكر أبو القاسم بن حمزة البصري [4] في مُقَدِّمةِ كِتَابِه:(التنْبيهاتُ عَلَى أغْلاطِ كِتَابِ فصيحِ ثَعلبٍ) ، قائلاً : " لما رأيتُ كتابَ اختيار فصيح الكلام كثير المنفعة ورأيته على قلة عدد ورقه أنفع من أضعاف عدده وأنه جمع على قلة لفظه ما لم يجمع كَثيرٌ من الكُتب الكبار ، ورأيت أن أجعل له جزءاً من عنايتي " . وقال أبو العباس التدميري [5] : " بيد أنّ بحار اللُّغة قد أصبحت عميقة القعر ، و لكن كِتَاب الفصيح على اختصار عِلْمه ، واستصغار حجمه قد أمْسَى مَدْخلاً إلى لججها ،ومركباً إلى معظمها ... حتى صار مفتاحاً لباب الأدب ، ومبدأً لحفظ كلام العرب ".

ولأهمية الفصيح فقد ضمّنه أصحاب المعاجم اللُّغوية مصنفاتهم ، فذكروا نُقُولاً كثيرة منه في ثنايا مؤلفاتهم ،فمن ذلك ما نقله ابن سيده في محكمه ،

(١) انظر :الفصيح :٤٢ .

(٢) تصحيح ابن درستويه .

(٣) مقدمة الشرح .

(٤) ص ١٧٧ .

(٥) مقدمة شرح غريب الفصيح .

بالإضافة إلى ما تضمنه اللّسان ، والتّاج ، والأخير من المكثرين النقل عنه ، وعن شروحه .

وتبرزُ أهميته أيضاً على لسان بعضهم شِعْراً ، كَقَوْلِ أحدهم :

كِتَابُ الفَصِيحِ كِتَابٌ مَلِيْحٌ يُقالُ لِقَارِئِهِ مَا أَبْلَغَهْ

عَلَيْكَ أُخَيَّ بِهِ إِنَّهُ لُبَابُ الُّلبَابِ وَصَفْوُ الُّلغَه [1]

وتذكر المصادر أنّ أحمد بن كُليب النحوي الأندلسي[2] أرسل بنسخة من الفصيح هدية كَتَبَ أعلاها :

هَذا كِتَابُ الفَصْيِح بِكُلِّ لَفْظٍ مَلِيْح

وَهَبْتَهُ لَكَ طَوْعَاً كَمَا وَهَبْتُكَ رُحِي [3]

ولأهمية محتوى الفصيح ؛ فقد أثار حملة تأليف واسعة ما بين شرح ونظم ونقد ، و استدراك لعلماء المشرق والمغرب الإسلامي ، والذي يَعْنِيَنا هي تلك الشروح التي صنَّفَها نخبة من كبار علماء المسلمين في المشرقين ، و الذين عكفوا على تدريسه زمناً ، فكان لا بد من التعرض لشرح غريبه ، و تفسير معانيه ، وذكر أوجه استعمالها ، و التعرض للقواعد اللُّغوية ، و تحقيق نسبة الأشعار والأراجيز إلى قائلها ، وقد تباينت مناهج الشُّراح في تناول الفصيح ؛ فمنها المسهب المطيل ، ومنها المختصر الوجيز . وهذا ما سنتحدث عنه في المبحث التالي .

---

(١) انظر مقدمة شرح ابن هشام اللخمي للفصيح.

(٢) ترجمته في : معجم الأدباء ١١٦/٤، وإنباه الرواة ٩٦/١ .

(٣) انظر :الفصيح : ٤٢ .

ب ـ شُرُوحُ الْفَصِيحِ الْمَشْرِقِيَّةِ

واعتمدتُ في ذلك على ما ذكرته كتبُ التراجم، مُكْتَفِياً بذكر اسم الشَّرْح وصاحبه ، ورتبتها حسب تاريخ الوفاة ، مثبتاً أمام كل شرح المصدر الذي ذكره ، فذكرتُ هذه الشروح مجملة ، ثم ثَنَّيْتُ بذكر الشروح التي وصلت إلينا واعتمدناها في هذا المبحث ، على النحو التالي :

- شرح المُبَرِّد (ت ٢٨٥ هـ) (كشف الظنون ١٢٧٢/٢) وقد تفرد وحده بذكره .

- شرح أبي عمر الزاهد المُطَرِّز (ت ٣٤٥ هـ) (الفهرست : ٨٣ ، البغية : ١٦٦/١، إناه الرواة : ١٧٧/٣) . كما نقل عنه أبو جعفر اللبلي نقولاً كثيرة في تحفة المجد [(١)] .

- تصحيح الفصيح لابن دُرُسْتويه (ت٣٧٠ هـ) (وسيأتي ذكره) .

- شرح ابن خالويه (ت٣٩٢ هـ) . (الفهرست : ٣٤٢ ، وقد نقل عن السيوطي في المزهر[(٢)] .

- شرح ابن جني (ت ٣٩٢ هـ) (كشف الظنون : ١٢٧٢/٢ ، الفهرست ٨٧ ، البغية : ١٣٢/٢)

- شرح أبي هلال العسْكَري (ت ٣٩٥ هـ) (ذكره صاحب الشرح نفسه في كتابه جمهرة الأمثال ٣٠٤/٢) .

- شرح أبي القاسم الزَّجاجي (ت٤١٥هـ) (معجم الأدباء ٦١/٢٠ ، كشف الظنون ٢٢٧٢/٢ ، البغية ٣٥٧/٢) .

---

(١) انظر الصفحات ٢٥ ، ٢٨ ، ٣٧ ، ٤٧ ، ٥٥ ، ٦١ ، ٦٥ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ٧١ ، ٧٤ ، ٧٨ ، ٨٠ ، ٨٥ ، ٩٨ ، ١٠٠ ، ١٠٦ .

(٢) انظر الصفحات ٢٠١/١ ، ٢١٣ ، ٢٢٠ ، ٢٢٥ ، ٣٠٣ ، ٣٤٠ ، ٣٧١ ، ٩٣/٢ ، ٢٤٣ ، ٤٢٧ ، ٤٧٥

- شرح أبي منصور محمد بن علي بن الجَبَّان (ت ٤١٨) (وسيأتي ذكره) .

- شرح أبي علي المرزوقي (ت٤٢١ هـ) (وسيأتي ذكره) .

- إسفار كتاب الفصيح لأبي سهل الهروي (ت٤٣٣ هـ) (سيأتي ذكره) .

- التلويح لأبي سهل الهروي . (سيأتي ذكره) .

- شرح أبي القاسم بن ناقيا (ت٤٨٥ هـ) (وحققه عبد الوهاب محمد العدواني ، جامعة القاهرة سنة ١٣٩٣ ، ولم نتمكن من الحصول عليه) .

- شرح الزمخشري (ت٥٣٨ هـ) (وسيأتي ذكره) .

- شرح ابن الدَّهان اللُّغوي (ت ٥٦٩ هـ). ولعله الحسن بن علي والذي نقل عنه أبو جعفر اللبلي في تحفته [1] ، وكذلك نقل عنه البعلي في زوائد الأفعال [2] .

- شرح أبي البقاء العُكْبَرِي (ت٦٠٦ هـ) (إشارة التعيين /١٦٣ ، البغية ٣٨/٢ ، كشف الظنون ١٢٧٢/٢) .

- شرح أبي علي بن أحمد الاستراباذي (ت ٧١٧ هـ) (معجم الأدباء ٥/٨ ، البغية ٢١٨/١ ، معجم المؤلفين ١٩٦/٣) .

- شرح أبي القاسم الأصفهاني ت (٤٣٢) (تاريخ الأدب العربي ٢١١/٢ ، تاريخ التراث العربي ٢٥٦/٨) .

فهذه الشروح ، هي التي تحصلت على تَرَاجم أعلامها ــ فيما اطلعت عليه من مصادر ــ ولا أَزْعَمْ أنّي أحصيتُ جميع ما ذَكَرتْهُ كُتب التَّراجم من شروح ، ولكن هذا ما توصلتُ إليه . ولا أدعي بأنني أوردتُّها كاملة وافية كما جاءت في كتب التراجم ، كما أنني لا أَزْعَمُ أنَّ كتب التراجم قد ذكرتها كلَّها ؛ فربما هناك شروح لم تُذْكرْ ، بالإضافة إلى الشروح المجهولة .فأما الأخيرة ، فلم أَقَعْ إلا على

(١) انظر تحفة المجد الصريح الصفحات : ١٤، ٣٥ ، ٤١ ، ١٨٨ ، ٢٣٠ ، ٢٣١ ، ٢٨٢ .

(٢) ص ١٣١ .

شَرْحٍ واحدٍ منها ، ذَكَرَه عاطف مدكور،حين قال :"إنَّه كُتِبَ في القرن السابع الهجري ، ومنه نسخة بالمدينة المنورة برقم (٥٠٧) [١]

أما ما تيسر لنا من هذه الشروح واعتمدناها في بحثنا هذا ، فبيانُها في الآتي :

ـــ تصحيح الفصيح لابن دُرُسْتويه [٢] (ت ٣٤٧ هـــ) .
ـــ شرح أبي منصور محمد بن علي بن الجبَّان الأصفهاني [٣] (ت ٤١٨ هــ) .
ـــ شرح أبي علي المرزوقي [٤] (ت٤٢١هــ) .
ـــ إسفار كتاب الفصيح لأبي سهل الهروي [٥].(ت ٤٣٣ هــ).
ـــ التلويح لأبي سهل الهروي [٦] .
ـــ شرح الزمخشري [٧] (ت ٥٣٨ هــ).

---

(١) انظر الفصيح : ١٩٢

(٢) طُبع جزؤه الأول ببغداد ، تحقيق : عبد الله الجبوري سنة ١٣٩٥هـــ ١٩٧٥م، مطبعة الإرشاد ـــ بغداد ، وحققه كاملاً محمد بدوي المختون ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية ، وزارة الأوقاف المصرية، ١٤١٩ هـــ.

(٣) حققه : عبد الجبَّار جعفر القزَّاز درجة ماجستير ، جامعة بغداد طبع بالمكتبة العلمية في لاهور، باكستان، ١٤٠٦هــ/ ١٩٨٦ م .

(٤) فرغ من تحقيقه الأستاذ الدكتور : سليمان العايد ، كلية اللغة العربية ، جامعة أم القرى .

(٥) حققه : أحمد بن سعيد قشّاش، درجة الدكتوراة ، كلية اللغة العربية ، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ، ١٤١٦هــ.

(٦) اعتنى به : محمد عبد المنعم خفاجي ، فطبعه مع مجموعة من المؤلفات باسم (فصيح ثعلب والشروح التي عليه) ، القاهرة ، ١٣٦٨ هــ/ ١٩٤٩م.

(٧) حققه : إبراهيم بن عبد الله بن جمهور الغامدي ، درجة دكتوراة ، كلية اللغة العربية ، جامعة أم القرى .

ج ـ شُرُوحُ الْفَصِيحِ الْمَغْرِبِيَّةِ

ـ شرح مكي بن أبي طالب القيسي (ت ٤٣٧ هـ) (ذكره أبو جعفر اللبلي في تحفته ونقل عنه نقولاً كثيرة)[1] .

ـ شرح ابن السِّيد البطليوسي (ت ٥٢١هـ) (كشف الظنون ٢/١٢٧٣ ، البلغة في أئمة اللغة ٤٣٥ ، كما ذكره السيوطي في المزهر ونقل عنه نقولاً كثيرة)[2] .

ـ التصريح بشرح غريب الفصيح للتدميري (ت ٥٥٥ هـ) (سيأتي ذكره) .

ـ شرح ابن هشام اللخمي (ت ٥٧٧ هـ) (سيأتي ذكره) .

ـ شرح أبي بكر بن صاف اللخمي الاشبيلي (ت ٥٨٥ هـ) (إشارة التعيين / ٣١٠ ، البغية ١/١٠٠ ، معجم المؤلفين ٩/٢٨٥) .

ـ شرح أبي حفص القضاعي (ت ٥٩٦ هـ) (البغية ٢/٢٢٣ ، كشف الظنون ٢/١٢٧٣ ، البلغة في أصول اللغة ٤٣٥) .

ـ شرح أبي بكر بن طلحة الاشبيلي (ت ٦١٨ هـ) (ذكره أبو جعفر اللبلي في تحفته ونقل عنه في مواضع)[3] .

ـ التَّبيِّن والتنقيح لما ورد من الغريب في كتاب الفصيح ، لإبراهيم بن علي الفهري الشريشي (ت ٦٥١ هـ) (ذكره السويطي في المزهر ١/٢٠١ ، الأعلام ١/٤٥ ، معجم المؤلفين ١/٦٣) .

ـ تحفة المجد الصريح في شرح كتاب الفصيح ، السِّفْر الأول ، لأبي جعفر الفهري اللبْلي (ت ٦٩١ هـ) (سيأتي ذكره) .

---

(١) انظر الصفحات ٢٣ ، ٢٤ ، ٤٥ ، ٥٢ ، ٥٥ ، ٥٧ ، ٦٤ ، ٧٧ ، ٩٥ ، ١٠١ ، ١١٣ ، ١٣١ ، ١٥٣ ، ١٧٣ ، ١٩٩ ، ٢١٢ ، ٢٦٥ ، ٥٧٩ ، ٣٠٧ ، ٣٣٥ ، ٣٥٠ ، ٤٠٣ ، ٤٢٦

(٢) انظر المزهر ١/٢٠١ ، ٢١٥ ، ٢٢٤ ، ٢٧٢ ، ٣٠٨ ، ٤٧٤ ، ٤٧٥ ، ٤٩٩ ، ٢/٩٣ ، ١٠٧ ، ١٩٥ ، ٢٠١

(٣) انظر الصفحات ٢٧ ، ٣٩ ، ١٤١ ، ١٤٥ ، ١٦٦ ، ٢٢٢ ، ٢٣٦ ، ٢٥٧ ، ٢٩٩ ، ٤٢٩ .

ـــ لباب تحفة المجد الصريح ، لأبي جعفر الفهري اللبّلي . (سيأتي ذكره) .

أما ما تيسر لنا من هذه الشروح المغربية ، واعتمدناه في بحثنا ، ما يلي :

ـــ التصريح بشرح غريب الفصيح للتدميري [1] .
ـــ شرح ابن هشام اللخَمي [2] .
ـــ تحفة المجد الصريح في شرح كتاب الفصيح [3] .
ـــ لُبَابُ تحفة المجد الصريح [4] . وهذا الأخير قد أغْنت عنه تحفة المجد الصريح ، فما اللُّبَابُ إلا شَرْحٌ وجيز مختصر عن التحفة .

(١) حققه : عبد الرحمن الحازمي ، درجة دكتوراة ، كلية اللغة العربية ، الجامعة الإسلامية ، ١٤٢١ هـ .
(٢) حققه : عبيد جاسم ، درجة دكتوراة ، بغداد ، ١٩٨٨م .
(٣) حقق السِّفْر الأول منه — والذي ينتهي عند الباب السادس — عبد الملك بن رَدَّاد الثبيتي ، مكتبة الآداب ، القاهرة ، ١٤١٨ هـ .
(٤) انتهى من تحقيقه ووضع فهارسه شيخنا الأستاذ الدكتور : مصطفى سالم ـــ رحمه الله ـــ

الْبَابُ الأَوْلُ

التَّنْقِيَةُ اللُّغَوِيَةُ

الْفَصْلُ الأَوْل

مُصْطَلَح التَّنْقِيَة اللُّغَوِيَة

أ ـ التَّنْقيةُ اللُّغويَّةُ لُغةً واصْطلاحاً

يَقولُ الجوهريُّ [1] : " نُقَاوَةُ الشيء خياره ، وكذلك النُّقَايَةُ بالضم فيهما ، كأنه بُنِيَ على ضدِّه وهو النُّفَاية . يُقَالُ : نَقِيَ الشيء بالكسر ، يَنْقَى نَقَاوَةً بالفتح ، فهو نَقيٌّ ، أيْ : نَظيفٌ . والتَّنْقِيَةُ التَّنْظِيف ، والانْتقاءُ : الاخْتِيار ، والتَّنَقِّي : التَّخيُّرُ . وقالَ بعضُهم : نَقَاةُ كُلِّ شيءٍ رَديئهُ ، إلا التَّمْرُ فأن نَقَاتَهُ خِيَارُه " . ونُقَاوَةُ الشيء : ما يُنْتَقَى منه [2] . ونَقِيَ الشيء نُقَاوَةً ونَقَاءً ، فهو نَقِيٌّ ، والجميعُ : نِقَاءٌ . وانْتَقَاهُ وتَنَقَّاهُ وأنْقَاه : اخْتَارَهُ . ونَقْوَةُ الشيء ، ونُقَاوَتُهُ ، ونُقَايَتُهُ ، ونَقَاتُهُ : خِيارُهُ [3] . ويُقَالُ : شيءٌ نَقِيٌّ .ونَقَّيْتُ الثوبَ ، وأنْقَيْتُهُ حتى نَقِي نَقَاءً وانْتَقَيْتُ العَظْمَ : أخْرَجْتُ نِقْيَهُ ، ومن المجاز : انْتَقَيْتُ أجْوَدَها [4] .

ومن اللغويين من فرَّق بين : النَّقَاوَة ، بالواو ، والنَّقَايَة ، بالياء ، فجعل النَّقَاوَةَ للجيِّد ، والنَّقاةَ والنَّقَايَةَ للرَّديء [5] ومنهم من يَرىَ أنهما بمعنى واحد ، يُقالُ : هي النُّقَايَةَ والنقاوةُ : خِيَارُ كُلِّ شيءٍ [6] . ويُقَالُ : النُّقاوَةُ ، بالفَتْحِ والضَّم ، والضَّمُّ : الأفضل . والنَّقيُّ : الخُبْزُ الحُوَّارى [7] .

ومِمَّا تَقدَّم نَلْحَظُ الآتي :

ـــ أن هذه المادة في مجموع تَصاريفها تُطْلق على الضربين : الجيِّد والرَّديء .

ـــ هذه المادة تأتي بالواو والياء ، فَيُقَالُ : نَقَاوَةٌ ونَقَايَةٌ .

---

(١) الصحاح (نقا) .

(٢)الجمهرة ٩٧٩/٢ . (نقا) .

(٣) المحكم ، والقاموس المحيط ،والمصباح (نقا).

(٤) أساس البلاغة (نقا) ، والمشوف المعلم ٧٨٥/٢ تحقيق ياسين محمد السواس .

(٥) اللسان ، والقاموس المحيط (نقا) .

(٦) المشوف المعلم ٧٨٥/٢ .

(٧) المصباح (نقي) .

ـــ جاءت دلالة (نَقَاوَة) بالواو للجيِّد من الأشياء ، أما النَّقَايَةُ بالياء فللرَّدِئ .
ـــ جاءت هذه المادة في أغْلَبِها بمعنى : الجَوْدَة والاختِيَار .

أما التَّنْقية في الاصْطِلاحِ فيُقْصَدُ بها : تخليص اللُّغة من الخطأ والفساد ، وتقويم اللِّسان عن الانحراف والإعوجاج ، والذي بدأ منذ نهاية القرن الأول الهجري ، جاعلاً لغة البدو مثلاً أعلى ، التي كانت في مستوى من الخلوص والنقاء لا تدانيه لُغة الزُّرَّاع والحضريين حيث كانت ألسنتُهم لا تزال محتفظة بمظاهر الإعراب والتصريف القديمة [1] . وكانت العناية الأولى باللُّغة استجابة إلى ما توجبه المحافظة على القرآن الكريم ، وتفهم معانيه من حفظ مادته اللُّغوية وما ترمي إليه من صحيح المعنى . وكانُوا يَعُدُّون هذا العمل أمراً دينياً ويمتثلون قولَ الهادي البشير ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ عندما لحن شخصٌ بحضرته : " أرشدوا أخاكم فقد ضل " [2].

وقدْ جاءَ الإسلامُ والعربيَّةُ مُسْتَكْمِلَة لأدوات التَعْبِيرِ ، ولها تراثٌ أدبيٌّ حافلٌ ، و العربُ أمَّةُ فصاحةٍ وبلاغةٍ ، ولا أدلُّ على ذلك من أسواقِهم الأدبية في الجاهليَّةِ ، والتي قامت بالاصطفاءِ من لغاتِ القبائلِ وكانت العربُ تَنْطِقُ على سجيتِها في الجاهلية وصدر إسلامها ، يقول الزُّبيدي : " و لم تزل العربُ تنطق على سجيتها في صدر إسلامها وما مضى من جاهليتها حتى أظهر اللهُ الإسلامَ على سائرِ الأديانِ ، فدَخَلَ الناسُ فيه أفواجاً ، وأقبلوا إليه أرسالاً ، واجتمعت الألسنُ المتفرقة ، واللُّغات المختلفة ففشا الفساد في اللُّغة " [3]

(١) العربية ، ليوهان فك : ١٦٠ .
(٢) الخصائص ٢/٨ ، تحقيق محمد علي النجار. و لم أقف على سند الحديث .
(٣) طبقات النحويين واللغويين : للزُّبيدي ، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم .

وباتساعِ رقعةِ الدولة الإسلامية إلى مناطق غير عربية ، انضم تحت لواء الإسلام شعوبٌ تعددت لغاتُهم وأذواقُهُم ، واضطروا إلى إتقانِ العربيّةِ ، ولكن بعضهُم لم تستقمْ ألسنتهُم ففشا اللّحْنُ بين المتعربين كالعبيد والموالي الذين كانوا يخدمون في معظم البيوت العربية . فقد سمع أميرُ المؤمنين علـــي بن أبي طالـــب ـــ رضي الله عنه ـــ قارئاً يقرأ : " لا يَأْكُلُهُ إلاّ الخَاطِئِين " ؛ مما دفعه إلى أن يطلب من أبي الأسود أن يضع في اللُّغة ما يُصلِحُ أَلْسِنَةَ العجم ، ومن هنا كان نشوء النحو العربي في القرن الأول الهجري [1] ولم يستعمل اللّحْنُ في معـــني الخطـــأ إلا عندما اختلط العرب بالأعاجم .

يقول (يوهان فك) : " ولا يزال ينقصنا بعدُ كُلُّ دليلٍ يبيِّن متى تم نقل لفظ اللحنِ إلى معنى الخطأ في الكلام وأغلب الظّن أنه استعمل لأول مَرَّةٍ بهذا المعنى عندما تَنَبَّهَ العربُ بعد اختلاطهم بالأعاجم إلى الفرقِ ما بين التعبير الصَّحِيْح والتعبير الملحون " [2] .

وقد نبه ابْنُ فارس إلى ذلك قديماً بقوله " أما اللّحْنُ ، بسكون الحاء ، فإمالة الكلام عن جهته الصحيحة في العربية ، يُقال : لَحَنَ لَحْنًا ، وهذا عندنا من الكلام المولّد ؛ لأنَّ اللّحْنَ مُحْدَثٌ ، لم يكن من العرب العاربة ، الذين تكلموا بطبائعهم السليمة " [3] .

وفي ظل هذه النظرة ، بدأ الاهتمـــام باللُّغَةِ العربيـــة ، وتنقيتهـــا وتخليصها مما يشوبها ، وإقامة القواعد لفصاحتها وإعرابهـــا وتصاريفهـــا . فَميزَةُ العرب ـــ كما يقول الجاحظُ ـــ في لغتهم ، وقد بلغوا في ذلك الغاية [4] . فَهَبَّ الغُيُرُ

---

(١) نشأة النحو ، الشيخ محمد الطنطاوي : ١٦،١٧ .

(٢) العربية : ٢٤٥ .

(٣) المقاييس (لحن) .

(٤) البيان والتبيين ١/٣٨٤ ، ٣/٢٨-٢٩ تحقيق عبد السلام هارون.

للمحافظة على لغتهم نقية خالصة من الشوائب ، و كانوا يُحبُّون أن يكون الرّجلُ مُبيناً إلى جانب عدم اللحن ، حتى إنَّ معاوية بن أبي سفيـــان نُقِل عنه أنه لم يتكلم على مِنْبرِ جمَاعَة مُذْ سقطت ثنيتاه [1] . وهناك مَنْ طَلّق امرأته حين وجدها لثغاء ؛ مَخَافة أنْ تجيئَ بولد ألْثغَ [2] . وربما مدح الشعراءُ مَمْدُوحيهم بالفصاحةِ والإعْرابِ ، وذمّوا مَهجويهم باللحن والأخطاء اللغوية [3] .

وقد كان لهذه التّنقية اللُّغوية بوادر أولية ، فرضتها السليقة العربية ، قبل ظهور هذا المصطلح بمفهومه الحالي ، وقبل تداعي دواعيه منذ نشأته ، نوجزها في الآتي :

١-إرسالُ الأطفال إلى مواطن القبائل الفصيحة ؛ كي تُصبح الفصاحة طبيعةً لهم ، كما هو الحال في أفصح الخلق – صلى الله عليه و سلم – إذ أُرْسِلَ إلى البادية في طفولته ، كي يَسْتَقِي الفصاحة من مصادرها ، إلى جانب النشأة البدوية، و الهواء الطّلق. و قد عَلّلَ – صلى الله عليه و سلم – هذه الفصاحة بقوله : " أنا أفصحُ العربِ ، بَيْدَ أنّي من قريش ، و أنّي نشأتُ في بني سعد بن بكر " [4]. و يتضح من خبر هذه الرَّضَاعة أنها لم تكن خاصة بالرسول ـــ صلى الله عليه و سلم ـــ و إنما عامة في أبناء مكة المكرمة ، و قد واصل الخلفاء و الكُبراءُ ما اعتادوا في الجاهلية من تنشئة أبنائهم في البادية ، حيثُ تذكرُ الرِّوايات أن عبد الملك بن مـــروان أرسل ابنه سليمان إلى الباديـــة ،

---

(١) البيان والتبيين ٦٠/١ .

(٢) نفس المرجع ٥٧/١ .

(٣) المعجم العربي ، نشأته وتطوره ، حسين نصار : ٢١ .

(٤) انظر المزهر ١٠٤/١ . والحديث خُرج في ص ٣ من هذا البحث .

ولم يفعل ذلك مع ابنه الوليد ، فَشبَّ الأخير لَحَّاناً ، فقال أبوه : " أضَرَّ بِنَا حُبُّنا للوليد فلم نرسله للبادية " [(١)].

٢- نَقْطُ أبي الأسود الدؤلي (ت ٦٧ هـ) الإعرابي :

رَأَى المسلمون حفاظاً على لُغة القرآن الكريم من اللحن أن يُصَانَ الكتابُ العزيز بالضَّبْطِ ، و أُسندت تلك المهمة الجليلة إلى أبي الأسود الدؤلي ، فوضع نَقْطه الإعرابي ؛ وهو عبارة عن علامات تُساعدُ علي اللفظ الصحيح ، فوضع نقطةً فوق الحرف المفتوح ، وأخرى أسفله إذا كان مكسوراً ، وثالثةً بين أجزائه إذا كان مضموماً ، ونقطتين حين يلحق الكلام غُنَّةٌ [(٢)] .

٣ - نَقْطُ نصر بن عاصم (ت ٨٩هـ) ، ويحي بن يعمر (ت١٢٩ هـ) الإعْجَامي :

عندما صادف المسلمون من غير العرب صعوبة في قراءة القرآن الكريم ؛وهي عدم التَّمييز بين الحروف المتشابهة في الرسم الكتابي ، نَدب الحجاجُ بن يوسف ـــ عندما كان والياً علي العراق ـــ نصر بن عاصم وصاحبَه ، وطلب منهما أن يعملا على حَلّ هذا اللَّبْس ، فوضعا نُقَطاً جديدة على حروف المصحف الشريف ، للتميز بين المتشابهة منها . وبهذا النَّقط ـــ الإعجامي ، ونقط أبي الأسود الإعرابي ـــ استطاع المسلمون أن يُحَصِّنُوا لغة القرآن الكريم من عوادي اللحن والخطأ [(٣)].

---

(١) انظر :العقد الفريد ٢/ ١٤٢ ، والعربية لـــ (يوهان فك) ٣٧ .

(٢) انظر : تاريخ النحو العربي ،لسعيد الأفغاني ، ٢٧، والدراسات اللغوية عند العرب ، حسين آل ياسين : ٥٤ .

(٣) انظر : تصحيح التصحيف و تحرير التحريف ، لصلاح الدين بن أيبك الصفدي، تحقيق السيد الشرقاوي ص : ٤١٣ . وانظر : الدراسات اللغوية عند العرب ص : ٥٥ .

٤- توضيح الخليل بن أحمد (ت ١٧٥ هـ) لنقط أبي الأسود الإعرابي ، وذلك بتفسيره إلى علامات أكثر دلالة على الإعراب ؛ حيث جعل للفتحة ألفاً مائلة فوق الحرف ، وللضم واواً صغيرة فوق الحرف ، وللكسرة ياءً تحت الحرف ، و للتشديد شيناً صغيرة ، وللتخفيف خاءً صغيرة أيضاً [١] .

٥ – حِرْصُ العرب على تنشئة أبنائهم على سلامة اللُّغة ، وفصاحة الألْسُن ، ولا سيما أبناء الخلفاء منهم ، حيث كانوا يدفعونهم إلى أُدبائهم وشُعرائهم ؛ ليعيشوا معهم ، وينشأوا على تفوقهم اللُّغوي ،كما هو حال الكسائي في تأديب أولاد الرشيد ، وابن السكيت في تأديب المتوكل ،وكما هو حال الكثير من العلماء البارزين .

٦ – الحرص على الإصهار إلى القبائل الفصيحة : وقد جرى على هذه السُّنة في التزويج الكثير من سُراة الناس وأمراء الدولة ؛ فاتخذوا لهم أزواجاً من نساء القبائل الفصيحات الألْسُن ؛ لينشأ أبناؤهم على الفصاحة ، كما فعل معاوية بن أبي سفيان في الزواج من ميسون الكلبية [٢] .

٧ – اهتمام الخلفاء والأمراء بعلوم العربية ، وأهَمُّها : الأدب واللُّغة ، وضوابط النحو ، وعقد المجالس والأسمار والمناظرات في ذلك [٣].

ويرى أصحاب مذهب التَّنقية أنَّ العربية الفصحى ، هي العربيَّةُ النَّقيةُ من الشوائب التي لم تخالطها لُغَةٌ أخرى ، فَرَأَوْا أنَّ أفصح اللُّغات هي لُغة البدو ، البعيدين عن الاختلاط ؛ وقد حَدَّدُوا البيئة التي يَصح أخذ اللُّغة عنها ، فحصروها في المناطق البدوية من شبه الجزيرة العربية ، مُعَلِّلين ذلك بأنَّ الحواضر

---

(١) انظر : العربية (يوهان فك) : ٢٢ .

(٢) الدراسات اللغوية عند العرب ، آل ياسين ٤٣ .

(٣) نفس المرجع والصفحة .

وأطراف الجزيرة لا تمثل لُغتها لُغة العرب تمثيلاً صحيحاً ، لتعرضها لمؤثرات أجنبية ، ينقل السيوطي عن الفارابي أنه : لم يؤخذ عن حضري قط ، ولا عن سُكّان البراري ممن كان يسكن أطراف بلادهم التي تجاور سائر الأمم ... [1] .
وقد بَوَّب (ابن جني) باباً بعنوان : " في ترك الأخذ عن المدر كما أُخِذَ عن أهل الوبر " فيه تعليلٌ وإيضاحٌ لهذه المسألة [2] .

لِذَا ظهرت جماعةٌ من العلماء هدفها الاتصال باللُّغة في أنقى صورها ، فارتحلوا إلى البادية التي تعيش فيها القبائل العربية الفصيحة التي لم تَخْتَلِطْ بالأعاجم ، فأخذوا اللُّغة من أبنائها الأقْحَاح ، الذين احتفظوا بسلامة ألسنتهم من اللحن والخطأ ، والعجمة ، وتمثل ذلك في تلاميذ أبي الأسود الدؤلي ، كيونس بن حبيب الضبي (ت ١٨٣ هـ) ، والخليل بن أحمد الفراهيدي (ت ١٧٥ هـ) ،وخلف الأحمر (ت١٨٠ هـ) ، والكسائي (ت ١٨٩هـ) .

والنضر بن شميل (ت ٢٠٤ هـ) ، وأبي زيد الأنصاري (ت ٢١٥ هـ) ، والأصمعي (ت ٢١٥ هـ) ، والفرّاء (ت ٢٠٧ هـ) ، وغيرهم من أئمة اللُّغة ، الذين كانوا يختلفون إلى البادية طلباً للفصاحة [3] .

وكان هؤلاء الأئمة مدفوعين بغيرتهم الشديدة ، حرصاً على سلامة لُغة القرآن ، فيتلقونها من مصادرها الموثوق بها ، ويختلفون إلى الأعراب يسمعون عنهم ، ويُمايزون بينهم بمعيار الفصاحة ، ونقاء اللُّغة ومن هؤلاء الأعراب من علا قدرُه في الفصاحة ، من أمثال أبي الدُّقَيش وأبي خَيْرة ، وأبي المنتجع ، وأبي مَهْدِيَّة ، كما احْتَلَّ الأعرابي شُبيل بن عَذْرة الضُّبَعي ، مكانة مرموقة لدى شيخ

---

(١) الاقتراح للسيوطي : ٢٢ .

(٢) الخصائص : ٢/٥ .

(٣) انظر : مقدمة تهذيب الصحاح ، عبد الغفور عطار : ٣١.

الرواة أبي عمرو ابن العلاء ، ومن الأعراب أيضاً أبو الجاموس ثور بن يزيد ، وأبو حازم العكْلِي ، وأبو مالك عمرو ابن كِركِرَة ــ الأعرابي صاحب النوادر ــ وأبي زياد الكلابي ، وعمرو بن عامر البهدلي ،والذي أخذ عنه الأصمعي (١)

كما شارك في رواية اللغـــة أعرابيــات ، أمثـــال : أمُّ الهيــثم ، وشمّاء ، وغَنيَّةُ أم الحمارس ، وقُرْينة أم البهلول (٢) . وكان هؤلاء الأئمة المُنَقُّون كثيراً ما يخرجون إلى البوادي ، ويمضون الأعوام فيها ، يخالطون أولئك الأعراب ويؤاكلونهم ويشاربونهم ، ويسمعون منهم ويُدَوِّنون . فهم يسمعون الرَّجُلَ والمرأةَ والغُلامَ ، ويُصْغُون إليهم وينقلون عَنْهم . يَقولُ الأصْمَعــيُّ : " سَمِعْــتُ صِبْيَةً (بحَمى ضَرِيَّةٍ) يتراجزون فوقفتُ وصَدُّوني عن حاجتي وأقبلت أكتبُ ما أسمعُ ، فأقْبلَ شَيْخٌ ، فقالَ : أتكتب كلامَ هؤلاءِ الأقْزَاعِ الأدْنَاعِ " (٣) .

فعَمَدَ هؤلاء اللغويون الغَيَارى إلى جمع اللُّغة ، و كانت مصادرهم متعددة ، فأولها القرآن الكريم ، ففيه مفردات واستعمالات كانت أصح مصدر لعلماء اللُّغة ، كما يُقَرِّر ذلك (الراغب الاصفهاني) ، بقوله : " ألفاظُ القرآنِ هي لُبُّ كلام العرب ، وزُبْدَتُهُ وواسطته وكَرَائِمُه ، وعليها اعتماد الفقهاء والحكماء في أحكامِهم وحُكْمِهم ، وإليها مَفْزَعُ حُذَّاقِ الشُّعراء والبُلغاء في نظمِهم ونثرِهم .. " (٤) .

فاللُّغة التي ورد بها القرآنُ أفصح مما في غيره ، فقالوا : (أَوْفَى بالعهْدِ) أَفْصَحُ مِنْ (وَفَى بالعهْدِ) لأن الأولى لغة القرآن (٥). ومن مصادرهم ــ أيضاً ــ ما وَرَدَ من الشِّعرِ الذي يُحْتَجُّ به من جاهلي ، وإسلامــي ، وقَدْ نُقِلَ عَــنْ ابن عباس ــ رضي الله عنهما ــ قولُه: " الشِّعْرُ ديوانُ العربِ ، فإذا خفي علينا

(١) انظر : الأعراب الرواة : ٩٥-٩٦ .

(٢) نفس المرجع والصفحة .

(٣) انظر : ضحى الإسلام ، لأحمد أمين ، ١٩٦/٢ .

(٤) نقلاً عن ضحى الإسلام ٢ / ١٩٦.

(٥) انظر : المزهر ١ / ٢١٣ ، وضحى الإسلام ١٩٨/٢ .

الحرف من القرآن الكريم الذي أنزله اللهُ رجعنا إلى الشعر ، فالتمسنا معرفة ذلك منه " [1] . ومن مصادرهم كذلك : سماع الأعراب في البادية ـــ كما مرّ بنا ـــ وقد رتّبوا ما ورد من اللُّغة ترتيب أهل الحديث ، فقالوا فَصِيحٌ وأفْصَح ، وجيِّد وأجْود ، وضعيف ومُنْكر ، ومَتْرُوك [2] .

قال في الجمهرة : البُرُّ أفصح من قولهم القَمْحُ و الحِنْطَةُ [3] . وأنْصَبَهُ المرضُ أعلى من نَصَبَهُ [4] وغَلَبَ غَلَبَاً ، أفصح من غَلْباً [5] . واللُّغُوبُ أفصح من اللَّغْب [6] . وفي الغريب المُصَنَّفُ : قَرَرْتَ بالمكان ، أجود من قَرِرْتُ [7] . وفي أمالي القَالي : الأَنْمُلَةُ و الأُنْمُلَةُ لغتان : طرفُ الأصبع ، والأَنْمُلَة أفْصح [8] . وجاء في الصِّحاح :ضَرْبَةُ لازِبٍ أفصح من لازِمٍ [9] . وبُهِتَ أفْصَح من بَهُتَ وبَهِتَ [10] .

والضَّعيفُ : ما انحَطَّ عن درجة الفصيح ، والمُنكر : أضعف منه وأقَلّ استعمالاً ، وسُمِّيَ منكراً لإنكار بعض أئمة اللُّغة له ، فلم يعرفوه ، و المتروك : ما كان قديماً من اللُّغات ، ثم ترك واستُعمل غَيْرُه ، وأمثلة ذلك كثيرة في كتب

---

(1) انظر : الإتقان في علوم القرآن ١ / ١٥٧ .

(2) انظر : ضحى الإسلام ١٩٨/٢ .

(3) الجمهرة ١/ ٦٧ . (برر) .

(4) نفس المصدر ١ / ٣٥٠ (نصب) .

(5) نفس المصدر ١ / ٣٦٩ (غلب) .

(6) نفس المصدر ١ / ٣٧٠ .(لغب) .

(7) ٢ / ٥٨٥ .

(8) ١ / ٧٢ .

(9) الصحاح (لَزَبَ) .

(10) نفس المصدر (بهت) .

اللُّغة [1] . قال في الصِّحاح : يَلْغَبُ لغة ضعيفة في لَغَبَ يَلْغُب[2] . والإعْرَاسُ لُغة قليلة في التَّعْرِيس [3] .

وفي شرح الفصيح لابن دُرُسْتَويه : العامَّة تقول : اعْنِ بحاجتي على لُغة مَنْ يقول : عَنَيْتُ بالحاجة ، وهي لُغة ضعيفة [4] . وفي الجمهرة : قال قومٌ : بَلَقَ الدَّابة ، وهذا لا يعرف في أصل اللُّغة [5] . وجاء في الصِّحاح : جَرَعْتُ الماءَ ، بالفتح ، لُغة أنكرها الأصمعيُّ ، والمعروف جَرِعْتُ الماء ، بالكسر [6] .

وكان هدف أولئك الأئمة من دأبهم في جمع اللُّغة ؛ حفَظ لُغة القرآن الكريم صافية نقية ، ولهذا نراهم قد وضعوا معايير ساروا عليها ، يمكن النظر إليها من عدة أوجه :

١ - مقاييس وضعت في مرحلة جمع اللُّغة قبل وضع القواعد : وتتمثل في تحديد القبائل التي تُرْوَى عنها اللُّغة ، وتحديد الشُّعراء الذين يُحْتَجُّ بشِعْرِهم ، وتحديد الرُّواة الذين يأخذ عنهم اللُّغويون ، فقد نقل السيوطي عن أبي نصر الفارابي قوله : " والذي عنهم نُقلت اللُّغة العربية ، وبهم اقتدى ، وعنهم أُخذ اللِّسان العربي من بين قبائل العرب ، هم : قيس وتميم ، و أسد ، فإن هؤلاء هم الذين عنهم أكثر ما أخذ ومعظمه ، و عليهم أُتكل في الغريب . وفي الإعراب والتصريف ، ثم هُذيل ، وبعض الطائيين ، وبعض كِنانة ، ولم يؤخذ من غيرهم من سائر قبائلهم ، وبالجملة فإنه لم يؤخذ عن حضري قط ، ولا عن سُكّان البَرَاري ممن كان

---

(١) انظر المزهر ١ / ٢١٤ .

(٢) الصحاح (لغب) .

(٣) نفس المصدر (عرس) .

(٤) ص : ٩٢ .

(٥) الجمهرة ١ / ٣٧١ . (بلق) .

(٦) الصحاح (جرع) .

يسكن أطراف بلادهم المجاورة لسائر الأمم الذين حولهم " (١) . ويشير سيبويه في مواطن كثيرة من كتابه إلى الذين سَمِعَ عنهُم ممن يوثقُ بعربيتهم ، فالحجازية عنده هي اللُّغة الأولى المقدَّمة (٢) . ويقول : " سمعنا العرب الموثوق بهم " (٣) . " وسمعنا فصحاء العرب " (٤) . " وأنشدنا من نَثِقُ بعربيته " (٥) . " وأنشدنا هكذا أعرابيٌّ من أفْصحِ الناس " (٦) . وأجمع علماءُ العربيَّةِ على الاحْتجَاجِ بِقَوْلِ مَنْ يُوثَقُ بفصاحته وسلامة عَرَبِّيته . أما إذا خالطَ البدويُّ أهلَ الحضرِ امْتنعوا عن الأخْذ عنه ؛ لأنَّه قد لانَ جلدُهُ ؛ فهذا أبو عمرو بن العلاء ، حين قالَ لأبي خَيْرَة : كَيْفَ تقول : أستأصَلَ اللهُ عِرْقَاتَهم أو عِرْقَاتِهم ؟ ففتح أبو خيرة التَّاءَ ، فقال له أبو عمرو : هَيْهات يا أبا خَيْرَة .. لانَ جِلْدُك (٧) . والبدوي إذا اختلط بأهل الحضر قلَّ الأخذ عنه ، كما يرى الأصمعي عندما رفض الأخذ ببيت لذي الرُّمة اشتمل على كلمة (زوجة) فَيَصِرُّ الأصمعي على أنها خطأ ، والصَّواب : زوج (٨)

أما الشُّعَراء الذين يُحتَجُّ بشعْرِهم فهم : الجاهليون والمخضرمون بلا خلاف ، وأما الإسلاميون المتقدمون فالصحيح صحة الاستشهاد بكلامهم . وأما المولدون (المحدثون) وعلى رأسهم بشار بن برد فالصحيح أنه لا يستشهد بكلامهم مُطْلَقاً ، وقيل : يُسْتشهد بكلام مَنْ يوثقُ به منهم ، واختاره الزمخشري (٩) .

---

(١) المزهر ١ / ٢١١ - ٢١٢ ، والاقتراح : ٢٢ .

(٢) الكتاب ، تحقيق : عبد السلام هارون : ٢ / ٤١ .

(٣) نفس المصدر ١ / ١٩٨ .

(٤) نفس المصدر ١ / ٤٧٧ .

(٥) نفس المصدر ٢ / ٥٩ .

(٦) نفس المصدر ، السابق ٢ / ٥٢ .

(٧) الخصائص ٢ / ١٣ .

(٨) طبقات النحويين واللغويين للزبيدي : ١٩٠ ، والموشح ، تحقيق : علي حسين شمس الدين : ١٨٠ .

(٩) انظر مقدمة البغدادي لخزانة الأدب . قدم له وضع فهارسه محمد نبيل طريفي ، إشراف أمين بديع يعقوب .

٢ – مقاييس وضعت بعد أن تم وضع القواعد : فعند المتشدِّدين ، هو الأفصح ، وما عداه لحن ، وعند المتوسعين كُلُّ ما تكلمت به العرب وما قيس على كلامها فهو صواب . يقول ابن هشام اللَّخْمِي : " روى الفرّاء أن الكسائي قال : على ما سمعت من كلام العرب ليس أحدٌ يلحن إلا القليل . وقال الأخفش عبد الحميد ابن عبد المجيد : أنْحَى الناس من لم يلحن أحداً وقال الخليل : لغةُ العرب أكثر من أن يُلَحَّن فيها مُتكلم " [١] .

٣ – مقاييس وضعت بعد قيام حركة تنقية اللُّغة : وقد اختلف فيها العلماء ، فالأصمعي وابن قتيبة ، والأزهري والزُّبيدي ، يأخذون بالأفصح ، ويَدَعُون ما سواه . فالأصْمعيُّ مثلا خطّأ من قال : شتَّان ما بينهما ، وذكر أنَّ الصَّوابَ : شتَّان ما هما [٢] . ويَرفضُ الأصْمعيُّ الأخْذَ ببيْتٍ لذي الرُّمة ـ كما ألمحنا سابقا ـ على أن (زوجة) خطأ ، وصوابها (زوج) ، وينعت ذا الرُّمة بأكله للمالح والبقل في حوانيت البقّالين [٣] . ويَرْفضُ أيضاً الاحتجاج بشعر (الكميت ابن زيد) فهو في نظره ليس بحجة لأنه مُولّد [٤] .

والأصمعي أنْكرَ أشياء كثيرة كلها صحيح ، فلا وجه لإدخالها في لحن العامَّة من أجل إنكار الأصمعي لها [٥] . وأما ابن قتيبة فإنه ـ وكما يُقررُ (يوهان فك) ـ قد احْتَضن مذهب الأصمعي المتطرف في تنقية اللُّغة ، دون أن يُعنَى بمذاهب الثقات الآخرين من علماء اللُّغة [٦] . ومن الأمثلة على تشدده نذكر شيئاً مما جاء في كتابه (أدب الكاتب) ، إذ يقول: "ويُقال : زُهي فلانٌ ، ولا يُقال :

(١) المدخل إلى تقويم اللسان : ٢٨ ، تحقيق : مأمون بن محي الدين الجنّان .

(٢) انظر : مقدمة تهذيب الصحاح : ٣٢ .

(٣) انظر : طبقات النحويين واللغويين للزبيدي : ١٩٠ ، والموشح : ١٨٠ .

(٤) فعلت وأفعلت لأبي حاتم السجستاني ، تحقيق : خليل العطية : ١٥٠ .

(٥) انظر : الاقتضاب لابن السيد البطليوسي ، تحقيق : مصطفى السقا ، وحامد عبد المجيد : ٢/٢٢٢ .

(٦) العربية : ٩٩ .

زها " (١) . " ونُتِجَت النَّاقةُ ، ولا يُقال : نَتَجَتْ " (٢). ويُقال : " هذا ماء مِلْحٌ ، ولا يُقال : مَالِحٌ " (٣) . ومثل هذا التَّشَدُّد جاء في بعض ثنايا كتابه (٤) — وسَيَأْتِي تَفْصِيلُ ذلك في موضعِه إنْ شَاءَ الله تعالى — . وعلى نقيضٍ من هذا المنهج المتشدد ، نَجِدُ أبا زيد ، وابن الأعرابي ، وغيرهم يُجِيزُونَ أيَّ لُغة من لُغاتِ العربِ ، فَسَارَ على نَهْجِهم ابن السِّيْد البطليوسي (٥) وابن هشام اللخمي(٦) ، وغيرهم ممن سيأتي ذكرهم في موضعه إن شاء الله تعالى .

وقدْ رَوى ابنُ خالويه في شرح الفَصيح عن أبي حاتم أنَّ الأصمعي كان يقول : أفصح اللُّغات ، ويُلغي ما سواه ، وأبو زيد يجعل الشاذ والفصيح واحداً ، فيُجيز كُل شيءٍ قيل(٧) .

أما ابن الأعرابي فقد رُوِيَ عنه قولُه في كَلمةٍ رواها الأصمعي ، ورفض ما عداها : سَمِعْتُ مِنْ أَلْف أعرابي خلاف ما قاله الأصمعي(٨) .

مِقْيَاسُ الصَّوَابِ اللُّغَوِيِّ فِي لَحْنِ الْعَامَّةِ :

لِكُلِّ لُغة مستوى صوابي خاص بها ، يقوم على أساسه الحكم بالصحة أو الخطأ عليها ، وإذا كان تحديد هذا المستوى الصَّوابي ضرورياً في كل لغة ، فهو أكثر

---

(١) ص ٤٠١ — ٤٠٢ .

(٢) ص : ٤٠٢ .

(٣) ص :٤٠٤ .

(٤) انظر الصفحات : ٤٠٨ ، ٤١١ ، ٤١٥ .

(٥) ويُمَثِّل ذلك كتابه الاقتضاب .

(٦) ويمثل ذلك في كتابه : المدخل إلى تقويم اللسان .

(٧) انظر : المزهر ١ / ٢٣٣ .

(٨) انظر : العربية (ليوهان فك) : ٩٨ ، ولحن العامة ، رمضان عبد التواب : ٦٦ .

ضرورة بالنسبة لما أُلِّف ، ونُسِجَ على منواله في (لحن العامة) . إلا أن علماء اللُّغة العربية لم يتفقوا حول مقياس الصَّواب اللُّغوي ؛ إذ برز منهم فريقان متناقضان ، يتعذر معهما ، تحديد مِقْياسٍ صوابي وَاضِح فيما يتعلق بلحْنِ العَامَّة . فريقٌ متشدد — لا يقبل إلا الأفصح ، وَيَعُدُّ ما دُونَه خطأ — وعلى رأسه الأصمعي ومن سار على مذهبه . وفريقٌ متساهل يقبل كلَّ ما ورد عن العرب ، فكلُّه عنده حُجَّة ، وعلى رأسه أبو زيد ، ومن سار على مذهبه . ونتيجة لهذا ؛ فإنَّ أغلب ما يخطئه بعض اللُّغويين ، يصوبه البعض الآخر ؛ وما ذلك إلا لاختلاف مقياس الصَّواب اللُّغوي عند كل منهما .

وقد مرَّ بنا ما رواه ابن خالويهِ عن أبي حاتم من أنَّ الأصمعي كان يقول : أفصح اللُّغات ويُلغى ما سواها ، وأبو زيد يجعل الشاذ والفصيح واحداً ، فيجيز كل شيء قِيْل ، قال : ومثال ذلك أنَّ الأصمعي يقول : حَزَنَني الأمرُ يَحْزُنُني ، ولا يقول : أَحْزَنَني . قال أبو حاتم : وهما جائزان ؛ لأن القُرَّاء قرأوا :﴿ **لا يَحْزُنُهُمُ الفَزَعُ الأكبرُ** ﴾ و ﴿ **لا يُحْزِنُهُمْ** ﴾[1] .

وهذا أبو حاتم يصرِّحُ بأنه سمع أبا زيد وكان يتسع في اللُّغات حتى ربما جاء بالشيء الضعيف فَيُجْرِي ذلك مُجْرى القوي ، وأنَّ الأصمعيَّ كان مُولعاً بالجيِّد المشْهورِ ، ويضيق فيما سواه[2] . ويصرِّحُ ابن السِّيد البطليوسي أنَّ الأصمعيَّ أنكر أشياء كثيرة كُلُّها صحيح فلا وجه لإدخالها في لحن العَامَّة من أجْلِ إنكار الأصمعي لها[3] .

---

(١) فَعَلْت وأفْعلتُ للسجستاني : ٨٨ ، وانظر : المزهر ٣٢٢/١ ، والقراءة في البحر المحيط ٤٧١/٧

(٢) فعلت وأفعلت للسجستاني : ٨١ — ٨٢ .

(٣) الاقتضاب : ٢ / ٢٢٢ .

ويُنكر ابن قتيبة على بعضهم قولهم : هذا مَاءٌ مالحٌ ، إذ إنّ الصواب عنده أن يقال : مَاءٌ مِلْحٌ ، فينبّه ابن السّيد البطليوسي بأن ما قاله الأول قد قال مثله يعقوب ، وأبو بكر بن در يد ، وغيرُهما ، ورواه الرُّواة عن الأصمعي ، وهو المشهور من كلام العرب ، ويصرِّحُ بأنّ قَولَ العَامَّة لا يُعد خطأً ، وإنما يجب أنْ يُقال : إنَّها لغةٌ قليلة [1] .

ورَدَّ الحريري كلمات ذكر الخفاجي أنها خلاف الأفصح ، فيصرِّحُ الأخير بأنّ ما أنكره الأول مسموعٌ على رداءته ، و كفى به سنداً لمن استعمله[2] .

ولعَلّ خيرَ ما يُمثل رأي المتوسعين ما صَرَّح به ـــ إمام الرواة ـــ أبو عمرو ابن العلاء عندما سأله أحدُهم قائلاً : أخبرني عمَّا وضعت مما سميّته عربية ، أيدخل فيه كلامُ العرب كُلُّهُ ؟ فقال أبو عمرو : لا . فقالَ السائلُ : كيف تصنَعُ فيما خالفتك فيه العربُ وهم حُجَّة ؟ قال : أعمل على الأكثر ، وأسمي ما خالفني لُغات [3] .

(١) الاقتضاب ٢ / ٢٢٣ .

(٢) شرح دُرَّة الغواص للخفاجي:ص ٥١٤،تحقيق عبدالحفظ فرغلي القرني،مكتبة التراص الإسلامي بالقاهرة.

(٣) انظر : طبقات النحويين واللغويين : ٣٤ .

مِقْيَاسُ الصَّوَابِ اللُّغَوي عِنْدَ المُحْدِثِين :

المحدثون من اللُّغويين ــ العرب ــ لهم ملاحظات على الأساس الذي جرى عليه وَضْعُ القواعد ، وتحديد الزَّمان للاحتجاج ومكانه ، وتحديد مستوى الصَّواب والخطأ ؛حيث يرى الدكتور إبراهيم أنيس أن اللُّغويين العرب لم يَقْصُروا تقعيدَهم لقواعد العربية على مصدر واحد ، هو لُغتها النموذجية الأدبية ؛ بل أقحموا معها اللهجات العربية بصفاتها وخصائصها المتباينة [1] . ويوافقه في هذا الرأْي الدكتور تمام حسان [2] .

ومن ناحية أخرى يرى الدكتور أنيس أنَّ اللُّغويين العرب قَصَرُوا السَّلِيْقَةَ اللُّغَوية على قومٍ معينين ، وقَصَرُوها على زمنٍ مُعَّينٍ ، وعلــى بيئــةٍ مُعينة [3] . أما المستوى الصَّوابي فيَقُولُ فيه : وللحُكْمِ على ما يُسمى بالصوابِ والخطأ في اللُّغةِ يجدر بنا أنْ نقول : هل هذا الاستعمال مألوفٌ معهودٌ في اللُّغةِ ، أو هو يوافق قواعد النحاة واللغويين كما استَنبطُوْها لنا ؛ بل الواجب حين نسمع قولاً أو نريد أنْ نحكم عليه ، أنْ نتساءل : هل استخرج هذا المتكلمُ مثل هذا القول من حافظته ، أو كَوَّنَهُ هو بنفسه ، وعلى أي قول قاس هذا [4] .

ويُعَرِّفه الدكتور حسان بقوله : " المستوى الصَّوابي معيارٌ لُغويٌ يرْضَى عن الصَّواب ، ويرفُضُ الخطأ في الاستعمال ، وهو كالصوغ القياسي لا يمكن النظر إليه باعتباره فِكْرة يستعين الباحثُ بواسطتها في تعْيين الصَّواب والخطأ اللُّغَوِيَين ؛ وإنما هو مقياس اجتماعي يفرِضُه المجتمع اللُّغوي على الأفراد ، ويرجع الأفرادُ إليه

(١) من أسرار اللغة : ٢٩ .

(٢) اللغة بين المعيارية والوصفية : ٢٥ .

(٣) من أسرار اللغة : ٣١ .

(٤) نفس المرجع ، والصفحة

عند الاحتكام في الاستعمال ، والمستوى الصَّوابي لا يوجد في اللُّغة فحسب ؛ وإنما يوجد في كُلِّ شؤون الثقافة " (١) .

قلت : إنَّ المستوى الصَّوابي لم يكن مَوْضِعُ اتفاق تام عِنْدَ جَامِعي اللُّغَةِ ، وَلا عِنْدَ اللُّغويين والنحويين ، وَلا عِنْدَ أصْحَابِ كُتُبِ لَحْنِ العَامَّة ، ولهذا رأينا أكثر خلافهم ونقاشهم يدور حول الأساس الذي لم يتفقوا عليه ، وهو مِقْياس الصواب اللُّغوي .فالذي أرتضيه ـــ حسب اطلاعي المتواضع ـــ : أنَّ استعمال ما يجوز استعماله ، وإن كان خلاف الأفصح والأكثر ليس بخطأ ، إلا أن مستعمله قد خالف الأفصح أو الأكثر ، ولا يُخطَّأ ما دام استعماله له وجه في العربية يُجيزه ، ولذا كان قول ابن جني فيصلا في هذه القضية ؛ حيث يقول متحدثاً عن اللُّغة الضعيفة والرديئة : " وعلى هذا فيجب أن يَقِلَّ استعمالها ،وأن يُتخيَّر ما هو أقوى وأشيع منها ؛ إلا أنَّ إنساناً استعملها لم يكن مخطئاً لكلام العرب ، لكنه كان مخطئاً لأجود اللُّغتين " (٢) .

وبالعودة إلى أصحاب مذهب التشدُّد نراهم قد منعوا استعمال ألفاظ فصيحة بِحُجَّة أنهم لم يقفوا عليها ، فظنوها ملحونه فأنكروها ، و الأصمعيُّ خيرُ مَنْ يُمَثِّل ذلك . فكان مثل هؤلاء الأئمة المتشدِّدين لا يَسأمون من النقد والتمحيص ، وتنبيه الناس إلى الخطأ ليجتنبوه ، و إرشادهم إلى الأفصح كي يَلْزموه ، و كانت ثمرة هذه الجِهود الخيِّرَة والإسهامات النيِّرة أنْ أُلِّفت كتبٌ في لحن العَامَّة تهدف إلى التصويب اللُّغوي وتنقية اللِّسان العربي مما قد يشوب نقاءه .

وقبل الشروع في ذكر تلك المؤلفات ، وبالعودة للمعاجم اللغوية ؛ لمعرفة المقصود بالعامة ، والخاصة ، والدهماء ، فإننا لم نجد بغيتنا في تلك المعاجم ، حيث

---

(١) اللغة بين المعيارية والوصفية : ٦٩ .

(٢) الخصائص ٢ / ١٢ .

لم تزد على القول : والعامة خلاف الخاصة ، والخاصة خلاف العامة ، والدهماء : الجماعة من الناس ، ودهماء الناس : جماعتهم وكثرتهم [١] .

ولكن الجاحظ يبين عن هذا الغموض بقوله : " وإذا سمعتموني أذْكُرُ العَوَامَ ، فإني لستُ أعْني الفلاحين ، والحُشْوَة والصُّناع ، والباعة ، ولست أعني الأكراد في الجبال ، وسكان الجزائر في البحار ... وأمَّا العَوَامُ من أهْلِ مِلَّتنا ودعْوَتنا ولُغَتنا وأدَبِنا وأخْلاقنا ،فالطبقة التي عقولها وأخلاقها فوق تلك الأمم ، ولم يبلغوا منزلة الخاصة منَّا ، على أنّ الخاصة تتفاضل في الطبقات أيضاً " [٢] .

ويرى الزُّبيدي هذا بقوله : " فألْفَيْتُ جُملاً مما أفسدته العَامَّة عندنا فأحالوا لفظه ، أو وضعوه غير موضعه ، وتابعهم على ذلك الكثرة من الخاصة ، حتى ضمنه الشُعراءُ أشعارَهم ، واستعملهَ جِلَّةُ الكُتّاب وعِلْيَةُ الخَدَمة ، في رسائلهم ، وتلاقوا به في محافلهم ، فرأيت أنْ أُنَبِّه عليه ، وأُبيِّن وجه الصواب فيه ... " [٣] .

وبالعودة إلى أقوال الباحثين المحدثين نجدهم قد اختلفوا في المقصود بالعامة على قولين :

يرى الدكتور رمضان عبدالتواب أن لفظة العامة ليس المقصود بها الدهماء وحُثَارة الناس ؛ إنما المقصود بها عند هؤلاء هم المثقفون الذين تسربت لغة التخاطب والحياة اليومية إلى لغتهم الفصحى في كتابتهم أو أحاديثهم في المجالات العلمية والمواقف الجدلية . ووافقه الدكتور عبد العزيز الأهواني عندما صرَّحَ : إنهم طبقة المثقفين الذين تسربت إليهم أخطاً من هؤلاء الدهماء ، أو من تصحيفات النُّسَّاخ ، ومن بين هؤلاء شُعراء وكُتاب[٤] .

---

(١) انظر : الصحاح ، واللسان (عمم ، خصص ، دهم)

(٢) البيان والتبين ١ / ١٣٧ .

(٣) لحن العوام ، تحقيق رمضان عبد التواب : ٣٦ .

(٤) انظر : لحن العامة ، عبد العزيز مطر : ٣٥ .

والرأي الثاني ما ذهب إليه الدكتور عبدالعزيز مطر بقوله : " والخاصة هم علماء اللغة والشعراء والكتاب والفقهاء والقراء والخطباء والمحدثون ، ومن في مستواهم . والعامة هم عدا هؤلاء من طوائف الشعب، وهم طبقات ، كما أن الخاصة طبقات[1] " . وبهذا قال عبدالفتاح سليم [2] .

---

(١) لحن العامّة : ٤٠ .

(٢) اللحن في اللغة : ١/١٤٢ .

أشْهَرُ المُؤلّفاتِ فِي لحنِ العَامّةِ :

حين ظهر الزَّيْغُ عن سَنَنِ العربيَّة ، وشَاعَ على ألْسنة أصحابها أنواعٌ من اللحن والخطأ ، انْبعثت في نفوسِ عُلماء اللُّغة مُنْذُ أواخر القرن الثاني الهجري رغبة صادقة في المحافظة على فصاحة اللغة ونقائها ، وردٌّ الناطقين بها إلى الاستعمال الصائبِ ؛ فظهرتْ مؤلفاتٌ عديدةٌ في كُلٍّ من المشرقِ والمغربِ الإسْلاميين ، هدفها مُعَالجة الخطأ ، والذي اُصْطلِحَ على تسميته باللحن ، فعُرِفت تلك المؤلفات بلحن العامَّة ، والتي كوّنت تُراثاً لُغوياً ضخماً ، وقد درج مؤلفوها على جمع طائفة من الألفاظ التي يخطئ الناسُ فيها في زمانهم ، وفي القطر الذي يعيشون فيه ، ويُدَلّلون على خطئها ، ويبيِّنون الصَّواب الذي يجب أن يحلّ محلها في الاستعمال ، ذلك هو الهدف العام الذي توخاه المؤلفون في هذا الباب ، ولكنهم تفاوتوا في الخطة والمنهج ، فكان لكل منهم مَنْهَجُهُ في جمع المواد وتصنيفها ، و مقياسه الذي يحكم به على الصَّواب والخطأ .

وقد ذكر عدد من الباحثين أسماء تلك المؤلفات وتناولها بالدراسة والبحث والتحليل ومنهم الدكتور رمضان عبدالتواب في كتابه (لحن العامة والتطور اللغوي) ، والدكتور عبدالعزيز مطر في كتابه (لحن العامة في ضوء الدراسات الحديثة) ، والدكتور عبدالفتاح سليم في كتابه (اللحن مظاهره ومقاييسه) ، والدكتور الشريف عبدالله بن علي الحسيني محقق كتاب (درّة الخواص في أوهام الخواص) والدكتور عبدالرحمن بن عيسى الحازمي في كتابه (جهود اللغويين الأندلسيين في التصويب اللغوي إلى نهاية القرن السادس الهجري ، مع دراسة وتحقيق كتاب التصريح بشرح غريب الفصيح) .

وقد اخترتُ قائمة الدكتور رمضان عبد التواب [1] والتي اشتملت على كتب لحن العامة نوردها كما جاءت :

١ — ما تلحن فيه العوام للكسائي (ت ١٨٩ هـ) . وهناك من ذكره تحت عنوان : ما تلحن فيه العامة ، ولعَلّه منسوب للكسائي .

٢ - ما يلحن فيه العَامَّة ، لأبي الهيذام ، من علماء القرن الثالث الهجري (مفقود) .

٣ — البهاء فيما تلحن العامة ، للفرّاء (ت ٢٠٧ هـ) (مفقود) .

٤ — ما تلحن فيه العامة لأبي عبيدة (ت ٢٠٨ هـ) (مفقود) .

٥ — ما يلحن فيه العامة للأصمعي (ت ٢١٦ هـ) (مفقود) .

٦ — ما خالفت العامةُ فيه لغات العرب ، لأبي عبيد (ت٢٢٤ هـ) (مفقود) .

٧ — ما يلحن فيه العامة ، لأب نصر الباهلي (ت٢٣١ هـ) (مفقود) .

٨ — إصلاح المنطق ، لابن السكيت (ت ٢٤٤ هـ) .

٩ — ما يلحن فيه العامة للمازني (ت ٢٤٩ هـ) (مفقود) .

١٠ — ما تلحن فيه العامة ، لأبي حاتم السجتاني (ت ٢٥٥ هـ) (مفقود) .

١١ — النحو ومن كان يلحن من النحويين ، لابن شبة (ت ٢٦٢ هـ) (مفقود) .

١٢ — أدب الكاتب ، لابن قتيبة الدينوري (ت٢٧٦ هـ) .

١٣ — ما يلحن فيه العامة لأبي حنيفة الدينوري (ت ٢٨٠ هـ) (مفقود) .

١٤ — لحن العامة ، لأبي علي الدينوري (ت ٢٩١ هـ) (مفقود).

١٥ — الفصيح ، لأبي العباس ثعلب (ت ٢٩١ هـ) .

١٦ — تقويم اللسان ، لابن در يد الأزدي (ت ٣٢١ هـ) .

١٧ — فائت الفصيح ، لأبي عمر المطّرز (ت ٣٤٥) .

---

(١) لحن العامة والتطور اللغوي ، ١٠٥ وما بعدها . وكان الاختيار لسببين : ١- أنه أورد مجموعة من قوائم لحن العامة : كقائمة (توربيكه والمعلوف ، ورزيتانو) ، انظر ص ٧٢ — ٩٤ . ثم مايز بينهما ٢- احتواء قائمته على أكبر عدد من مؤلفات لحن العامة

١٨ – تمام فصيح الكلام ، لابن فارس اللغوي (ت ٣٩٥ هـ) .

١٩ – لحن العوام ، لأبي بكر الزبيد (ت ٣٧٩ هـ) .

٢٠ – تثقيف اللسان وتلقيح الجنان ، لابن مكي الصقلي (ت ٥٠١ هـ) .

٢١ – ما تلحن فيه العامة ، للكفرطابي (ت ٥٣٣ هـ) .

٢٢ – اللحن الخفي لهارون بن أحمد الحلبي (ت ٥٣٧ هـ) .

٢٣ – التَّكْمِلة فيما يلحن فيه العامة ، للجواليقي (ت ٥٣٩ هـ) .

٢٤ – المدخل إلى تقويم اللسان ، لابن هشام اللخمي (ت ٥٧٧ هـ) .

٢٥ – تقويم اللسان لابن الجوزي (ت ٥٩٧ هـ) .

٢٦ – لحن العوام فيما يتعلق بعلم الكلام ، لأبي علي التونسي (٧١٧ هـ) .

٢٧ – الفوائد العامة في لحن العامة ، لأبن جزي الكلبي (ت ٧٤١ هـ) .

وقد اشتملت قائمةُ الدكتور رمضان ، على أسْماءِ مُؤلفاتٍ أُخْرى ، رَأَيتُ أنها لا تخص لحن العامَّة مباشرة ؛ فلم أذْكُرْها . وقد اختَرتُ من بين هذه المؤلفات – المذكورة آنفاً – كتباً مثَّلت أبرز المصادر التي اعتمدت عليها في مبحث أعلام التنقية اللغوية وهو مدار حديثنا في الفقرة التالية ، إلا أنني – وقبل الشروع في الحديث عن هؤلاء الأعلام – أشير إلى بعض عيوب كتب اللحن التي بين أيدينا ، ولعَلَّ من أبرزها :

أ– اقتصارها على ذكر ما أصاب المفردات المجَرَّدة من خلال تفسير مؤلفيها لجوانب محددة ، شملت فيما شملت : الصوت ، أو الصيغة ، أو الدلالة ، و إهمال الإشارة إلى ما أصاب الجُمل والعبارات من خلل .

ب – اقتصارها على تسجيل الخطأ الدائر على الألْسُنِ ، ووَضْع ما يقابله من الفصيح ، ولم تتجاوز ذلك إلى الكشف عن العوامل التي تدفع إلى الخطأ ، أو الأسباب التي ينجم عنها اللحن .

وثمّةَ اختلاف بَيْن اللُّغويين في أسباب تلحين الألفاظ ، فمن أبرزها :

١ – عدم تحديد المستوى الصَّوابي . وقد مرَّ بنا ما رواه ابن خالويهِ عن أبي حاتم من تَشَدُّد الأصمعي في الفصاحة . وكذلك ما حكاه البطليوسي من إنكار الأصمعي لألفاظ كثيرة كلها صحيح[1] .

٢ – اختلافهم في تحديد دائرة القياس اللُّغوي : فالبصريون اقتصروا على جواز القياس على المشهور الشائع ، والكوفيون أجازوا القياس على الشاهد أو الشاهدين [2] .

٣ – تَشدُّدُ بعض الأعلام من اللُّغويين في الوقوف على المسموع ، وعدم الاعتراف إلا بالأفصح ، وما عداه فهو خطأ ، أو لحن ، ومن هؤلاء : الأصمعي ، وابن قتيبة ، وأبو حاتم ، والزبيدي ، وغيرهم .ومن أمثلة ذلك :

أنكر الأصمعي قولهم : أَحْزَنَ بالألف ، إذ إنَّ الصواب عنده بأن يقال : حَزَنَني الأمرُ ، وينبِّه إلى أنّه لم يسمع غيره [3] . وأكثر اللُّغويين على وجود لُغتين : (حَزَنَ ، وأَحْزَنَ)[4] . وذكر ابنُ قتيبة أنّه يُقال : هذا ماء مِلْحٌ ، وأنكر قولهم : ماء مالحٌ[5] وذكر ابن السيد البطليوسي بأنَّ ما قاله الأول قد قال مثله يعقوب ، وأبو بكر بن دريد ، وغيرهما ، ورواه الرُّواة عن الأصمعي ، وهو المشهور من كلام العرب ، ولكنَّ قول العَامَّة لا يُعد خطأ ، وإنما يجب أنْ يُقال : إنها لغة قليلة [6].

(١) انظر ص ٣٨ من هذا البحث .

(٢) انظر الاقتراح للسيوطي ٨٤

(٣) فَعَلْتُ وأَفْعَلْتُ للسجستاني : ٨٨ .

(٤) انظر : الكتاب ٤ / ٥٦ – ٥٧ ، وفَعَلْتُ وأَفْعَلْتُ للزَّجاج ، تحقيق رمضان عبد التواب ، وصبيح التميمي : ٦٥ ، والصحاح (حزن)

(٥) أدب الكاتب : ٤٠٤.

(٦) الاقتضاب : ٢/٢٢٣ .

ويحكي ابْنُ السِّيد البطليوسي ــ أيضاً ــ بأنَّ أبا حاتم يذكرُ أنَّ قُول العَامَّة : مات الميت : خطأ ، والصَّواب عنده : مات الحيُّ ، وينبه ابن السيد بأنَّ ما أنكره أبو حاتم غير منكر مصرِّحاً بجواز أنْ يُسمَّى مَيْتاً ؛ لأنَّ أمْره يَئُول إلى المَيْتِ[1] .

وهذا أبو بكر الزبيدي يخَطِّئُ قَوْل العَامَّة : (سَكْرَانَة) فيردُّ عليه ابن هشام اللَّخْمي قائلا: " فإذا قالها قومٌ من بني أسد فكيف تُلَحَّنُ بها العَامَّة ، وإن كانت لُغة ضعيفة ، وهم قد نطقوا بها كما نطقت بعض قبائل العرب " [2] . ويرى ابن هشام اللَّخْمِي أنَّ ما اختلف فيه أهْل اللُّغة لا تُغَلَّطُ فيه العامَّة [3] .

٤ — تساهل بعض اللُّغويين الذين يرون أنَّ من يتكلم بعض لُغات العرب مصيبٌ غير مخطئ ، وقد مرَّ بنا قول ابن السِّيد البطليوسي ، وقد سبقهُ ابن الأعرابي عندما ذكر بأنه سمع من ألف أعرابي خلاف ما قاله الأصمعي[4] ولعَلَّ ابن جني فَصَّلَ في ذلك عندما عقد فصلا بعنوان : (باب اختلافُ اللغات وكلها حجَّة)[5] . وذاك ابن هشام اللَّخْمي في كتابه (المدخل إلى تقويم اللسان) ، وتعقبه لبعض اللُّغويين المتشددين ، قد أبَانَ عن هذا الاتجاه .

٥ — الخلاف في المعيار الزمني للفصاحة : حكى أبو حاتم بأنه أنْشَدَ الأصمعي بيتاً ، فقال الأخير : قد أُنْشِدَ زمن سعيد بن جُبير ، ولكن اللحن سَبَقَ ذلك الزمن [6].

---

(١) الاقتضاب : ١ / ١٠٥ .

(٢) المدخل إلى تقويم اللسان : ٣٥ .

(٣) انظر : المدخل إلى تقويم اللسان : ٥٩ .

(٤) انظر :ص ٣٩ من هذا البحث

(٥) الخصائص : ١٢/٢

(٦) فعلت وأفعلت للسجستاني : ٩٢

٦ – الخلاف في المعيار المكاني : قال البطليوسي : " حَكَى اللُّغويون أنّ قوماً من أهل اليمن يُبدلون الحرف الأول من الحرف المُشدد نوناً ، فيقولون : حَنْظٌ ، يريدون (حَظٌ) . وإنجاصٌ ، وإنجانة ـــ أي في : إجاصٌ وإجانة ـــ ، فإذا جمعوا رجعوا إلى الأصل ، وهذه لُغة لا ينبغي أنْ يُلْتَفَتَ إليها ، فإنّ اللُّغة اليمنيَّة فيها أشياء مُنْكرة خارجة عن المقاييس ، وإنما ذكرنا هذا ليُعلَم أن لِقَول العامَّة مخرجاً على هذه اللُّغة "[1] .

٧ – الطَعْنُ في قول بعض الشعراء : فمن ذلك عندما أُنشِدَ الأصمعيُّ بيتاً للكميت بن زيد ، يذكر فيه فصاحة (أبْرَق وأرْعَدَ) ، قال الأصمعيُّ : هو مُولَّدٌ [2]. وفي موضع آخر يرى الأصمعي أنّ الطِرِمَّاحُ ليس بِثَبْت ، كأنَّهُ لم يجعلْ لُغته حُجَّة.[3] وأبو العُذَافِرُ الكِنْدِي : لم يعده العلماء فصيحاً [4] .

٨ ـــ الخلاف في توجيه الشاهد : فقد نقل أبو حاتم [5] عن الأصمعي : يقال : ثَوَى يَثْوِي ، فهو ثَاوٍ . ولا يقال : أَثْوَى يُثْوِي ، قال أبو عبيدة : أنشدني حتروش :

أَثْوَى وقَصَّرَ لَيْلَةً لِيُزَوَّدَا

فلم يلتفت الأصمعي لقول أبي عبيدة ، وقال : هو استفهام ، وحَرَّك الثاء . وقال أبو عبيدة : " يُقالُ : رَثَّ الحَبْلُ وأرَثَّ جميعاً " ، وأنشد لدريد ابن الصمة :

---

(١) الاقتضاب : ٢/١٨١

(٢) فعلت وأفعلتُ ١٥٠

(٣) فعلت وأفعلت للسجستاني : ١٣٧

(٤) نفسه ١٠٥

(٥) نفسه ١٥٣

أَرَثَّ جَدِيدُ الحَبلِ من أمِّ مَعْبدِ

قال الأصمعي : هذا أيضاً استفهام ليس بخبر[1] .

٩ — سعة إطلاع العالِم ، وغزارة علمه ، وإحاطته باللهجات والروايات [2] .

(١) فعلت وأفعلت للسجستاني ١٥٣ .

(٢) كابن السيد البطليوسي في كتابه (الاقتضاب ، وابن هشام اللخمي في كتابه (المدخل إلى تقويم اللسان) ، واللبلي في (تحفة المجد) .

ب ــ أَعْلَامُ التَّنْقِيَةِ اللُّغَوِيَّةِ

أولاً ــ الأَصْمَعِيُّ [1] :

(عبد الملك بن قريب ، ت ٢١٥ هـ) ، وقد رأيتُ أنْ أُبدأ به وإن كان مسبوقاً بعلماء آخرين لكونه أكثر هؤلاء اللُّغويين تشدداً في تنقية اللُّغة ، واقتصاره على استعمال الفصيح العالي من اللُّغات ، ووقوفه عند السماع ، وعدم الاعتراف إلا بالأفصح ، فمقياس الصَّواب عنده الأفصح ؛ وما عداه فلحن .

ولم يكتفِ هذا اللُّغوي الفذ بجمع الثروة اللُّغوية من أفواه البدو ، وترتيبها فحسب ، بل شرع ــ وكما يقول (يوهان فك) ــ في تقعيد الاستعمال اللُّغوي الدقيق للكلمات بتعريفات غاية في الدقة ، ولا ريب أنه كان في ذلك كثيراً ما يخالف المعاني والاستعمالات التي ترد في كلام البدو [2] . والأصمعيُّ ــ وكما تذكر الروايات ــ كان بحراً في اللُّغة ، لا يعرف مثله فيها وفي كثرة الرِّواية [3] .

معالم التنقية اللغوية عند الأصمعي :

وقد سلك في ذلك مسالك متنوعة ، أبان عنها أئمة اللغة الذين نقلوا عنه ، نوجزها في الآتي :

أولاً / قوله : لا يُقالُ ذلك ، وهو الغالب على منهجه ، ويتضح ذلك فيما يلي :

صرَّحَ بأنه يُقَالُ : مَحَّ الثَّوْبُ : إذا أَخْلَقَ ، ولا يُقَال : أَمَحَّ [4] .

---

(١) ترجمته في : إنباه الرواة ٢ / ١٩٧ ــ ٢٠٥ ، ووفيات الأعيان ٣ / ١٧٠ ــ ١٧٦ ، والبُغْية ٢/ ١١٢ ــ ١١٣ ، وإشارة التعيين في تراجم النحاة واللغويين : ١٩٣ .

(٢) العربية (ليوهان فك) : ٩٨ .

(٣) الأصمعيات ، تحقيق أحمد محمد شاكر ، وعبد السلام هارون : ١١ ــ ١٢ .

(٤) فعلت وأفعلت لأبي حاتم : ٨٣

ـــ وينبِّه إلى أنه يُقَالُ : سَمَلَ الثَّوبُ وخَلَقَ ، ولا يُقَال : أَسْمَلَ وأَخْلَقَ [1] ، بالألف .

ـــ ويصرِّحُ بأنه يُقَالُ : طَلَعْتُ الجَبَلَ ، ليس غير . ولا يُقَال : أَطْلَعْتُهُ [2] ، بالألف .

ـــ ويذكر أيضاً أنه يُقَالُ : فَتَنْتُ الرَّجُل ، ولا يُقَال : أَفْتَنْتُهُ [3] ، بالألف .

ـــ وحكي أنه يُقَالُ : أَجْبَرْتُهُ على الأمر ، ولا يُقَالُ : جَبَرْتُهُ [4] ، بالألف .

ـــ وينبِّه إلى أنَّه يُقَالُ : هَدَيْتُ العَرُوسَ إلى زوجها ، ولا يُقَال : أَهْدَيْتُها [5]، بالألف .

ـــ كما حكى أنَّه يُقَالُ : قَتَرَ فلانٌ على أهله ، ولا يُقَال : أَقْتَرَ [6]، بالألف .

ـــ ويحكي أيضاً أنه يُقَالُ : سَعَرنِي شَرّاً ، ولا يُقَال : أَسْعَرَنِي [7]، بالألف .

ـــ وحكى : ويُقَالُ : وَقَفْتُ بالمكان ، وَوَقَفْتُ الدَّابةَ ، وَوَقَفْتُ الوَقْفَ ، ولا يُقَال : أَوْقَفْتُ [8]، بالألف .

---

(١) ص ٨٤

(٢) ص ٨٩

(٣) ص ٩١

(٤) فعلت وأفعلت : ٩٦

(٥) ص ١٠١

(٦) ص ١١٣

(٧) ص ١٣١

(٨) ص ١٣٨

وجاء في كتاب (إصلاح المنطق ، لابن السكيت) بأنَّه يقال : وقد نَكَلْتُ عنهُ أنْكُلُ . وأنكر الأصمعي أنَّ يُقَالُ : نَكِلْتُ [1] .

ثانياً : قولهم : لا يعْرِفُها الأصمعيّ ، ومن أمثلة ذلك نورد بعضاً مما جاء في كتابه (فَعَلْتُ وأفعَلت) :

ـــ يُقَالُ : شَرَعَ يَشْرَعُ ، ولم يَعْرِف يَشْرُعُ [2] .

ـــ ويُقَالُ : أَحَدَّت المرأةُ على زَوجِها ، ولم يَعْرِف حَدَّتْ [3] .

ـــ ويُقَالُ : بَرَق الرَّجُلُ ورَعَدَ في الوَعِيد ، ولم يَعْرِف أبْرَقَ وأَرْعَدَ [4] .

ـــ ويُقَالُ : صَقَعَتْ السَّماءُ بالصاد والسين ، ولم يَعْرِف أصْقَعَت[5] .

ـــ ويُقَالُ : سَتَرَتْهُ الرِّيحُ وجَفَلَتْهُ ، وسَحَقَتْهُ ، ولم يَعْرِف أسْحَقَتْهُ [6] .

ومثل هذه الأقوال جاءت مبثوثة في ثنايا الكتاب[7] .

وجاء في الإصلاح لابن السّكيت :

بأنَّ شَمَلَهُمْ الأمرُ يَشْمُلُهمْ لغة ، وليس يَعْرفها الأصمعي [8] .

---

(١) فعلت وأفعلت : ص ١٨٨ .

(٢) ص ١٤٩

(٣) ص ١٢٦

(٤) ص ١٣٩

(٥) ص ١٥٠

(٦) ص ١٥٢

(٧) ص انظر بالإضافة إلى ما ذكرنا الصفحات : ١٠٥ ، ١٢٧ ، ١٣٦ ، ١٥٣ ، ١٦٧ ، ١٦٩ .

(٨) ص ٢١١

ونقل الزمخشري في شرحه للفصيح قول ثعلب : السِّرْجينُ ويُقَالُ له : السِّرْقِيْنُ ، وصرَّحَ الأصمعيُّ بعدم معرفته لهما وأنه لا يقول إلا الرَّوْث[1] .

وحكى التدميري في شرحه عن الخليل : مضي الجرح بغير ألف ، ونبَّه إلى أنَّ الأصمعيَّ اقتصر على : أمضي الجرح بالألف ، ولم يعرف غيرها [2] .

ونقل اللَّبْلِيُّ عن الأصمعيِّ : أنَّه لا يعرف (عَسِيْتُ) بالكسر [3] .

ثالثًا / قولهم : وأبى الأصمعيُّ ذلك ، ومن أمثلة ما يلي :

جاء في شرح الزمخشري للفصيح قوله :

" ودَمَعَتْ عَيْني تَدْمَع ،وجوّز أبو زيد وأبو عبيدة (دَمِعَتْ) وأبى الأصمعيُّ ذلك " [4]

ـ يذكر أنَّ العَامّةَ تَقول : أَرْهَنْتُ الرَّهَنَ ، ويصرِّح بأنها لغة ، وقد أباها الأصمعيّ[5] .

ـ وينبِّه إلى أنَّ العَامّةَ تَقول : أَنْعَشْتُهُ ، ويصرِّحُ بأنها لغة تميمة ، وأباها الأصمعيّ [6] .

ـ ويحكي أنَّه يقال : خَيْطٌ ، بالفتح ، نقلاً عن الكسائي والفرّاء وأبو عبيدة ، وقُطْرُبٌ ، وأبى الأصمعيُّ إلا الكسر [7] .

---

(١) ص ٤٩٩

(٢) ص ١١٩

(٣) ص تحفة المجد ٣٧

(٤) شرحه : ١٧

(٥) نفسه : ٩٢ ، وانظر الإصلاح : ٢٣١

(٦) نفسه : ٩٥ ، وانظر شرح التدميري : ٧٠ ، وتحفة المجد : ٢٦٨

(٧) نفسه : ٤٧٥

ـ ونقل عن أبي عبيدة : رَابَ وأَرَابَ لغتان ، وصرَّح بأنّ الأصمعيَّ أبى ذلك [1] .

ـــ وحكـــى ابن القطاع في أفعاله أنّه يُقَالُ : سَفَرَ الصُّـــبْحُ ، وأَسْفَرَ ، وأبى الأصمعي إلا أَسْفَرَ [2] .

رابعاً / قولهم : وأنكرها الأصمعيُّ ، ومن أمثلة ذلكَ :

ما جاء في شرح الزمخشري للفصيح :

ـ نقل عن الفرّاء قوله : زَكِنْتُ وأَزْكَنْتُ ، بمعنى واحد ، وينبِّه إلى أنَّ الأصمعي أنكر الأخيرة [3] .

ـ كما نقل عن أبي عبيدة وأبي زيد أيضاً أنّه يقال : نَشَرَ اللهُ الموتى ، فَنَشَرُوا ونبه إلى أنّ الأصمعي أنكر ذلك [4] .

ـ وذكر الزمخشري أنّ العامّة تقول : أُتْرُنْجَة للأُتْرُجَّةُ ، وأنكر الأصمعيّ لغة العامة[5] .

ـ وجاء في أفعال السرقسطي : بأنّ أَوَقَفْتُ الدَّارَ والدَّابة لغة تميمة ، ونبّه إلى أنّ الأصمعي أنكر ذلك [6] .

خامساً / قوله : لم أسمع ... ، أو لم أسمع غيره ويتمثل ذلك في الآتي :

---

(1) شرحه : ٦٢٧

(2) أفعاله ١١٩/٢ وانظر تحفة المجد ٤٣٤

(3) شرح الزمخشري : ٥٢

(4) نفسه : ٢٢٣

(5) نفسه : ٥٥٥ ، (٣) ٢٣١/٤

(6) ٢٣١/٤

ـــ ذكر الأصمعيُّ أنّه يقال : حَزَنَنِي الأمرُ ، ونبَّه إلى أنّه لم يسمع غيره ، وهو يَحْزُنُني[1] .

ـــ صرَّح الأصمعيُّ بأنه يقال : نَضَرَ اللهُ وجْهَهُ ولم يسمع أحداً يقول : أنْظَرَ اللهُ وَجْهَهُ ، بالألف [2] .

ـــ ذكر أنه يقال : مَطَرَتِ السَّماءُ ، وأرضٌ مَمْطُورَةٌ ليس غيرُ هذا . وأمْطَرَها اللهُ . ونبّه إلى أنه لم يسمع إلا (أُمْطِرَتْ مَطَرَ السَّوْءِ)[3] .

ـــ ويحكي أنّه سمع أبا عمرو يقول : عَقَمَ اللهُ رَحِمَهَا ، ونبَّه إلى أنه لم يسمع أعْقَمَ بالألف [4] .

قلت : وبعد هذه المعايير التي أوردناها الممثلة لمذهب الأصمعي الذي نحسب أنه كان متشدداً في تنقية اللغة يَحسُن أن نعرض لبعض موقف أئمة اللغة من هذا التشدد فنقول :

ـــ أنكر الأصمعيُّ قولهم : جَبَرْتُهُ على الأمرِ ... ، قلت : جاء في التهذيب (جبر) بأنّ تميم تقول : جَبَرْتُهُ على الأمر وأجْبَرْتُهُ جَبْراً وجُبُوراً ، بغير ألف .

ـــ منع الأصمعي قولهم : أَهْدَيْتُ العَرُوسَ إلى زوجها ، بالألف . قلت : حكى ابن القطّاع في أفعاله : بأنّ أَهْدَيْتُها لغة[5] ، ونسبها أبو جعفر اللبلي إلى قبيلة طيئ[6] .

---

(١) فَعَلْتُ وأفْعَلْتُ ٨٨

(٢) ص ١٠٢

(٣) فعلت وأفعلت : ١٠٤

(٤) ص ١١٩

(٥) ٣٦٤/٣

(٦) انظر تحفة المجد ٤٣١

ـ أنكر الأصمعي (نَكِلْتُ) ، بكسر العين . قلت : حكى صاحب العين أن (نَكِلَ) لغة تميمة[1] ، ووافقه آخرون[2] .

ـ رفض الأصمعي : (ذَوِيَ العودُ) قلت : قال أبو عبيدة : قال يونس : هي لغة[3].

ـ حكى الأصمعيُّ بأنّه يُقَالُ : غَوَى الرَّجلُ يَغْوِي ، بفتح العين في الماضي وكسرها في المستقبل ، وأنكر ما سواه . قلت : نقل أحدهم عن بعض الأئمة أنه يقال : غَوِيَ الرجل يَغْوَي ، على وزن : عَلِمَ يَعْلَمُ[4] .

ـ كما أنكر الأصمعي (جَرَعْتُ الماءَ) بفتح الرَّاء . قلت : هي لغة حكاها أبو عبيد[5] وابن قتيبة[6] وغيرهما من اللغويين[7] .

ـ لم يعرف الأصمعي (حَدِّتِ المرأةُ) قلت : ذهب بعض اللغويين إلى وجود لغتين ، وهما : (أَحَدَّتْ ، وحَدَّتْ)[8] .

ـ لم يعرف الأصمعيُّ (شَمَلَهُمْ الأمرُ .. ، بفتح الميم . قلت : هي لغة ، حكاها كل من : ابن السكيت ، وابن قتيبة ، والسرقسطي ، والجوهري ، وابن منظور ، والفيومي[9].

---

(١) العين ٣٧١/٥ (نكل) .

(٢) انظر : أفعال السرقسطي ٣٢١/١ تحقيق حسين محمد شرف .

(٣) انظر الإصلاح ١٩٠

(٤) تحفة المجد ٢٦

(٥) الغريب المصنف ٢١٢/١

(٦) أدب الكاتب ٢٠٧ ، ٣٢٥

(٧) انظر الصحاح ، والمحكم ١٩٠/١ ، واللسان ، والقاموس (جرع) .

(٨) انظر الإصلاح ٢٧٦ ، أدب الكاتب ٣٦١ ، فعلت وأفعلت للزجاج ٦٥ ، الجمهرة ٦٥/١ الصحاح (حدد)

(٩) انظر الإصلاح ٢١١ ، وأدب الكاتب ٤٢١ ، وأفعال السرقسطي ٣٤٥/٢ وانظر : الصحاح ، واللسان ، والمصباح (شمل)

ــ أنكر الأصمعي : (أَرْعَدَ وأَبْرَقَ ، بالألف) قُلتُ : وقد أجاز الخليل وأبو زيد ، وأبو عبيدة والفرّاء ذلك [1] .

وفي هذا يرى شيخنا الدكتور مصطفى سالم[2] ــ رحمه الله ــ بأنّ اللُّغويين مختلفون حول صيغة (أفْعَل ، من بَرَقَ ورَعَدَ ، فكان الأصمعي ينكر (أبْرَقَ وأرْعَدَ) ، وحَكَى أبو عبيد قال : بَرَقَ لي الرَّجُل ورَعَد ، وأَبْرَقَ وأرْعَدَ ، وأنكر الأصمعيُّ الأخيرتين ، ويُعَلّلَ شيخنا نقض الأصمعي لهذا الاستعمال لأسباب منها :

١- أنّه ملتزمٌ بحدِّ الفصيح في اللُّغة .
٢- أنّ الفصيح عنده يعادل القديم ، وكلاهما يناقض الحديث ، والمولّد ، والمصنوع .
٣- أنّ مذهبَه في كون القديم (بَرَقَ ورَعَدَ) ينقض ما ذهب إليه بعض المحدثين من أنّ (أفْعَل ، هي الصيغة الأقدم) .
٤- أنّ هذا المأخذ لم يكن مخصوصاً بشِعْرِ ذي الرُّمة وحده .

والملاحظ أنّ المُجيز من اللُّغويين لـ (أَرْعَدَ وأبْرَقَ) كانت حُجّتهُم فيما جاء في بَيْتِ الكميت بن زيد[3] ويرى الأصمعيُّ بأن الكميت ليس بحجَّة ؛ لأسبابٍ مَرّتْ بنا ــ سابقاً ــ والأصمعيُّ هو شيخ الرِّواية ، ونَسْتَشِّفُ من هذا أنّ موقف اللُّغويين من هذا الاستعمال يدل على أفْصَحِيَّة اللُّغة التي ذهب إليها الأصمعي ، بدليل تقديمهم لها .

قُلْتُ : وبعد هذه الأمثلة والتي اتّضح من خلالها أبرز ملامح مذهب الأصمعي في الفصاحة ؛ هل يلزم أن نصفه بالمتَشَدِّد ، أو المُتطَرِّف ، كما قال عنه

---

(١) انظر : الغريب المصنف ٥٨٢/٢ ، وشرح الزمخشري ٧٦ ، وشرح التدميري ٤٦ ، وتحفة المجد ٢٣٩ .
(٢) انظر : نقدات الأصمعي على شعر ذي الرُّمة : ١٧ وما بعدها
(٣) انظر : الموشح : ٢٢٧ وما بعدها . تحقيق محمد حسين شمس الدين .

(يوهان فك)[1] ؟ ؛ أقول : كُلُّ ما في الأمر أنَّ الأصمعي كان لديه غيرة شديدة على صفاء العربية ، وكان حِصْناً حصيناً للُّغة المثالية الفصحى ــ لُغة القرآن الكريم ــ لذا نراه منع استعمال كلمات فصيحة ؛ لعدم إطلاعه على مصادرها من كلام العرب المشهود بفصاحتهم . فالأصمعيُّ ــ كما ذكر شَيخُنا[2] ــ مُلتَزم بحدِّ الفصيح في اللُّغة ، وأنَّ الفصيح عنده يعادل القدم ، وثمة حقيقةٌ أذْكُرُها ؛ وهي أنَّ كُلَّ عالم من علماء التَّنقية ، لا يمكن وصفه بالمتشدد ، وإنما يُنْكر اللُّغة التي لم يقف عليها ، أما إذا سمعها ، أو وقف عليها ، أو بَلَغَتْهُ من أحد الثِّقات فإنه يذكرها لُغة فصيحة ، بل قد يذكر لُغتين أو ثلاثاً على درجة واحدة في الفصاحة وليس أدَلُّ على ذلك من الأصمعي نفسه ، والذي وُصف بالتَّشَدُّد ، نجده يَذْكُرُ لنا أربع لغات في (الأُضْحِيَّة) ، كما نَقَلَ عنه ذلك ابن السِّكِّيت [3] . وابن قتيبة [4] . وجاء في شرح الفصيح للزمخشري أنَّ الأصمعيَّ ذكر : بَارَى ، وبَرَى ، وانْبَرَى[5] . فهذه ثلاث لُغات يُثْبِتُها الأصمعي .

ولَعَلَّ ما نُقِلَ عنه من تَشَدّد في مذهبه كونه صاحب رواية وسماع ، إذ لم يكن بصاحب قياس ولا نظر ، كما عَلَّلَ ذلك ابن دُرُسْتويه [6] . ويكفيه شَرَفاً وفضلاً ثناء العُلماء عليه ، وعلى صنيعه في تنقية العربية ، فقد نُقِلَ عن اسحاق الموصلي قوله : " لم أرَ كالأصمعي يدَّعي شيئاً من العِلْمِ فيكون أحدٌ أعْلَمَ به منه [7] "

---

(١) العربية : ٩٩ .

(٢) الأستاذ الدكتور مصطفى سالم ــ رحمه الله ــ في كتابه : نقدات الأصمعي على شعر ذي الرُّمة ص: ١٨ .

(٣) الإصلاح : ١٧١ .

(٤) أدب الكاتب : ٥٧٤ .

(٥) ص : ٢٤٤ ، واللسان (برى) .

(٦) تصحيح الفصيح : ٧٦ .

(٧) انظر : الأعراب الرواة : ٨٣ .

وقالوا : كان الأصمعي يتحدث في ثلث اللُّغة ، وهذا ليس بمستغرب عن عَالِمٍ فَذٍّ يحفظ ستة عشر ألف أرجوزة [1] . ولعَلَّ المبرِّد أنْصَفَهُ حين قال : " وكان الأصمعيُّ بحراً في اللُّغة ، لا يُعرف مثله فيها وفي كثرة الرِّواية " [2] .

---

(١) أنظر : الأصمعيات : ١١

(٢) نفس المرجع السابق ١١-١٢

ثانياً ــ الكسَائيُّ :

هو (أبو الحسن علي بن حمزة بن عبد الله بن فيروز الكِسَائي ، (ت ١٨٩ هــ) ، تَذْكُرُ المصادر[1] أنه قد حَدَثَ للكِسَائي حادثٌ غيَّر مجري حياته ، وجعل منه لغوياً مشهوراً ، ونحوياً صاحب مدرسة ، إلى جانب شهرته قارئاً من القرَّاء السبعة المعروفين . وهذه الحادثة هي تَعْيِيره باللحن ، كما ذكر (يوهان فك) : إذ قال : (قد عَيِيْتُ) يريد : تَعِبْتُ ، وكان حقه أنْ يقول : قد أعْيَيْتُ [2] فأنِفَ من هذه الكلمة ، فلَزِمَ معاذاً الهرَّاء حتى أنفد ما عنده ، ثم خرج إلى البصرة ، فلقي الخليلَ بن أحمد ، وجلس في حلقته ، وسأل الخليل عن مصدر علمه ، فقال له : من بوادي الحجاز ونجْد وتِهامة ، فخرج الكِسَائيُّ إلى البادية ، وأخذَ يَسْألُ البدو ، ويكْتُبُ ما يسمعه منهم . وتَذْكُرُ المصادرُ أنَّه أنْفَدَ خمس عشرة قِنِّينَةً مِنْ الحبر في الكِتَابَةِ عن العربِ ، سوى ما حَفِظَ [3] .

والكِسَائي أحدُ أرباب التَّنقية اللُّغوية ، إلا أنه لم يتشدد في درجة الأفصح كالأصْمَعي ، ومن معالم التنقية لديه نذكر بعضاً مما جاء في مصنف (ما تلحن فيه العامة)[4] :

أولاً / قوله : ولا يقال ، ومن أمثلة ذلك :

---

(١) انظر : معجم الأدباء ١٣/١٦٧-٢٠٢ ، ووفيات الأعيان ٣/٢٩٥ ، وبغية الوعاة ٢/١٦٢ ، وأشارة التعيين في تراجم النحاة واللغوين : ٢١٧ .

(٢) العربية : ٩٥ .

(٣) انظر : معجم الأدباء ١٣/١٦٧ – ٢٠٢ ، وفيات الأعيان ٣/٢٩٥ .

(٤) حققه رمضان عبدالتواب .

ـــ ذكر أنه يقال : سَخِرْتُ من فلان ، بالميم ، ونبَّه إلى أنه لا يُقال : سَخِرْتُ بفلان ، بالباء [1] . وأكثرُ اللُّغويين على ذلك[2] ، ومنهم من خالف الكسائي ، فحَكَى اللُّغتين معاً ، دون تَمْييز لمستواهما الصَّواب [3] .

ـــ ونبَّه إلى أنه لا يقال : غَثِيَتْ نفسي ، بالياء ، إذا الصواب عنده أن يقال : غَثَتْ بغير ياء [4] ، وقد وافق الكسائي ما ذهب إليه جمع من أئمة اللُّغة [5] . قُلْتُ : إلا أن ابن سيده ذكر في محكمه أنّه يُقال : غَثِيَتْ على وزن رَضِيَتْ [6] .

ـــ ويرى فصاحة قوله : مَشَيْتُ حتى أعْيَيْتُ ، بالألف . مصرحاً بأنه لا يقال : عَيِيْتُ[7] وقد وافقه الأئمةُ الثقات [8] .

ـــ وجاء في اللسان (صحا) ، وحكى الكسائي : وأصْحَتِ السماءُ فهي صَحْوٌ . ونبَّه إلى أنه لا يقال : مُصْحِيةٌ .

ثانيا / قوله : لا غير ، ومن أمثلته :

ـــ حكى أبو عبيد عن الكسائي وأبي زيد أنهما قالا : دَمَعَتْ عينُه بالفتح لا غير [9] .

---

(١) ص : ١٠٨ .

(٢) انظر : الإصلاح ٢٨١ ، أدب الكاتب ٤١٩ ، تقويم اللسان ١٢٣ ، تصحيح التصحيف ٣٠٨ .

(٣) انظر : العين ١٩٦/٤ ، وأفعال السرقسطي ٥٤٦/٣ ، وأفعال ابن القطاع ١٤٦/٢ والصحاح ، والمحكم ٤٧/٥ ، والقاموس (سَخِر) .

(٤) ص : ١٢١

(٥) انظر : الإصلاح ١٨٩ ، أدب الكاتب ٣٩٨ ، تصحيح ابن درستويه ١٣٩ ، تقويم اللسان ١٤٣ .

(٦) انظر المحكم ١٠/٦ : (غثى)

(٧) ص : ١٢٨ .

(٨) انظر : الإصلاح ٢٤١ ، وأدب الكاتب ٣٧١ ، وتقويم اللسان ٦٢ ، وتصحيح التصحيف ٣٨٨ .

(٩) انظر الغريب المصنف ٥٣/١

ــ ونقل أبو عبيد عن الكسائي ــ أيضاً ــ قوله : سَفِفْتُ الدواء بالكسر لا غير [1] .

ثالثاً / قوله : لغة رديئة ، ومن أمثلته :

ــ ما نقله عنه أبو عبيد بأن الصواب أن يقال : وَقَفْتُ الدابةَ والأرضَ ، وكلَّ شيءٍ ، ويصرِّح بأنَّ أَوْقَفْتُ ، بالألف ، لغة رديئة [2] .

رابعاً / قوله : خطأ ، ومن أمثلة ذلك :

ــ يذكر أنَّ الفصيح أن يقال : قد رأيت فلاناً موضع زيد ، بغير واو ، وينكر على من قال : أوريت ، ويصرِّح بخطئه [3] .

خامساً / قولهم : لم يعرفها الكسائي ، ومن أمثلته :

ــ وحكى ابن السِّكيت : ويُقال : عِشْوَةٌ ، وعَشْوَةٌ ، بالكسر والفتح ، ونبَّه إلى أنَّ الكسائي لم يعرف الفتح [4] .

وبعد هذه الأمثلة ــ المتقدِّمة ــ قلت : إن صحت نسبة مُصنَّف (ما تلحن فيه العامة) للكسائي ، فإنه يعد من أصحاب التنقية المتشددين ؛ إلا أن ثَمَّةَ غموض تلحظه حيال آراء الكسائي اللغوية ، والمذكورة في هذا المصَّنف المنسوب إليه ، ولعَلَّ من أبرزها :

١-يُخطِّئ مُصنِّف (ما تلحن فيه العامَّة) نَقِم ، بكسر القاف ، بينما ينقل أحَدُ الثقات عن الكِسَائي أنَّ الكسر لُغة مشهورة [5] .

---

(١) نفس المرجع ٥٧٥/١

(٢) نفس المرجع ٥٧٩/١ .

(٣) ما تلحن فيه العامة ١٠٣

(٤) الإصلاح ١٧٤ .

(٥) انظر : الإصلاح ٢٠٧ .

٢-ما نَقَلَه صاحب المزهر عن أبي عبيد من أنَّ الكِسَائيَّ قال : نَمَى الشيء يَنْمِي ، بالياء لا غير . وصرّحَ بأنه لم يسمعْ (يَنْمُو) إلا مِنْ أخوين من بني سليم ثم سأل عنه بني سُليم ، فلم يعرفوه بالواو[1] . بينما جاء في رواية المُصنِّف في (ما تلحن فيه العامة) : ويُقَالُ : للمال ، والنبات (يَنْمُو)[2] .

١- نَعْلَمُ أنَّ الجوهري هو أول من التزم الصحيح ، واقتصر عليه ؛ ولهذا سَمّى كتابَه (الصِّحَاح) ، والذي يقولُ فيه (الزُّبيدي) : " أوّلُ هذه المصنفات وأعلاها عند ذوي البراعة ، كتــاب الصحــاح للإمام الحجة أبي نصر الجوهري . . . " [3]. ويُثْبتُ الجوهري في معجمه أنَّ الكِسَائي أرتضى (نقِم) بكسر القاف ، و(وَدَدْتُ) بفتح الدال [4] . وهذا على النقيض مما جــاء فــي (ما تلحن فيه العــامَّة) ، والمنسوب إليه [5] .

٤-أنه فَسَّرَ الرُّباعي (أَقْبَسَ) بـــ (أعْطى النَّار) و (عَلِم) على الحقيقة والمجاز ، أي بالمعنيين جميعاً [6] وهذا لا يتفق مع ما جاء في الكتاب [7]

١-لو ثَبتَ هذا التشدّد اللُّغوي ، كما جاء في المصّنف لكان حريًّا بمؤلفه أن يُنْكر لُغات العَامَّة ؛ إلا أنَّ اللُّغويين قد أثبتوا روايات الكِسَائي لهذه اللغات . فقد جاء في (فصيح ثعلب) قولُه :

---

(١) المزهر ١/١٥٠ .

(٢) ص ١٣٨ .

(٣) أنظر مقدمة تاج العروس ص ٤٩ ، دراسة وتحقيق : علي شيري .

(٤) الصحاح (نقم ، ودد) .

(٥) ص ١٠٦ .

(٦) الصحاح (قبس) .

(٧) ص ١٣٦ .

ـــ " وأَجَنَ الماءُ يأجِنُ " [1] وذكر الزمخشري أنَّ العَامَّة تقولُ : أجِنَ يأجَنُ . وصرَّح بأنها لُغةٌ حكاها ابْنُ الأعرابي ، والكِسَائيُّ [2] .

ـــ أيضاً جاء في الفصيح : (وهو الفَقْرُ)[3] . ونبَّه الزمخشري إلى أنَّ العَامَّةَ تقولُ : الفُقْر ، بالضم ، مصرحاً بأنها لُغة حَكَاهَا الكِسَائي [4] .

ـــ وفي قولهم : (كِسْرَى) بكسر الكاف . ينبِّه الزمخشري أنَّ العامَّةَ تقول : كَسْرَى ، بالفتح ، ويصرح بأنها لغة ، ذكرها الكِسَائيُّ ، وابْنُ الأعْرابي[5] .

ـــ وجاء في الفصيح : (وليس عليه طُلاوَةٌ) بضم الطاء ، وينبِّه الزمخشري إلى أنَّ العامَّةَ تقول : طِلاوة ، بكسر الطاء . مصرِّحاً بأنها لُغةٌ حكاها الفرَّاءُ عن الكِسَائي [6].

٦- يذْكُرُ الكِسَائي ـــ أحياناً ـــ لُغتين معاً ، مقدِّما الفصيحة العالية ، ومن أمثلة ذلك : جاء في (فصيح ثعلب) : ، قوله :

ـــ " فَرِكَتِ المرأةُ زوجَها تَفْرَكهُ . . . " ، ويذكر الزمخشري أنّ الكِسائيَّ حكى : فَرَكَتِ ، بفتح الراء ، تَفْرَكُهُ...[7] .

---

(١) الفصيح ٢٦٢ .

(٢) شرح الزمخشري ٣٤ .

(٣) الفصيح ٢٩١ .

(٤) شرح الزمخشري : ٣٨٤

(٥) الفصيح : ٢٩٣ ، وشرح الزمخشري : ٤٣٤ .

(٦) الفصيح : ٣٠٠ ، وشرح الزمخشري : ٥١٢ .

(٧) الفصيح : ٢٦٤ وشرح الزمخشري : ٦٢ .

ـ وفي كلامه على قول صاحب الفصيح : (أَسَنَ الماءُ يأسِنُ) يصرِّح الزمخشري بأنَّ الكسائي حكى : أَسَنَ الماء وأَسِنِ [1] .

ـ وحكى صاحب الفصيح لغتين في : (جَنَّ عليه اللَّيلُ ، وأجَنَّهُ اللَّيلُ) . وينبه الزمخشري إلى وجود لغة ثالثة : جَنَّهُ اللَّيلُ ، رواها الكِسَائيُّ ، وأبو زيد ، والفرَّاءُ [2] .

ـ وجاء في الفصيح أيضاً : (وجَرِعْتُ الماءَ أجْرَعُهُ)[3] وذكر الزمخشري أنَّ أبا عبيد وابْنُ قُتيبة قد حكيا عن الكِسَائي أنَّه يقالُ : جَرِعَ الماءَ ، وجَرَعَ الماء ، بالكسر والفتح [4] .

٧- يَذْكُرُ الكِسَائيُّ ثلاث لُغات معاً ، وهُنَّ على درجة واحدة من الفصاحة ،جاء في الغريب المصنف لأبي عبيد نقلاً عن الكسائي أنه يقال : الْمُشْطُ والْمُشْطُ والمِشْطُ [5] أيضاً نقل عنه أبو عبيد أنه يقال : وهو الْمِيزَابُ والمِئْزَابُ ، والمِرْزَابُ [6] .

٨- يَذْكُرُ أربع لُغات ، وذلك فيما نقل عنه أبو عبيد في الغريب المصنف ـ أيضاً ـ كقوله : " هو الصَّدَاقُ والصِّدَاقُ والصَّدُقَةُ ، والصُّدُقَةُ " [7] . وقولُه : " وهو في شُغْلٍ وشُغُلٍ وشَغْلٍ وشَغَلٍ " [8] .

---

(٨) شرح الزمخشري : ١٥٢ .

(١) الفصيح : ٢٧٨ ، وشرح الزمخشري : ٢٣٦ .

(٢) الفصيح : ٢٦٤ .

(٣) الغريب المصنف ٢/٦٠٨ ، وأدب الكاتب ٣٠٧ ، ٣٢٥ .

(٤) الغريب المصنف ٢/٦٦٤ .

(٥) نفس المرجع ٢/٦٦٥ .

(٦) نفس المرجع والصفحة .

(٧) نفس المرجع والصفحة .

قلت : ولنا أنْ نتساءل ... أبَعْدَ تلك الملامح التي أبرزناها في مذهب التّنقية اللُّغوية للكسَائي : هل يعكس المُصنَّف والموسوم بـ (ما تلحن فيه العامَّة) ـ المنسوب للكسَائي ، أو لِنَقُلْ : هل يعكس هذا الكتاب ـ مذهب الكِسَائي المتشدِّد في التّنقية ؟ ولعلّنا متفقون ، ومن خلال تلك الملامح السالفة أنَّ الكسَائيَّ سلك مَسْلَكاً متوسطاً بعيداً عن الإفراط والتفريط ، وذلك من خلال إثباته للغة العامة ، بالإضافة إلى توسعه في ذكر لُغتين أو ثلاث أو أربع ، وهذا بخلاف المنهج الذي ارتضاه مُؤلِّفُ كتابَ (ما تَلْحنُ فيه العامَّة) والذي سُلِك فيه مذهب المتشدِّد . وهذا التناقض يُقوِّي نسبة الشَّك أكثر في كون هذا المُصنَّف للكسَائي ، والذي نُقل عنه قَوله : " على ما سَمِعْتُ من كلام العرب ليس أحدٌ يلحن إلا القليل " (١)

وخلاصة القول : إننا مازِلْنا نَتُوقُ إلى ما ينفي هذا الشَّك الغالب بيقين قاطع ، لا ترجيح بعده في نسبه هذا الكَتاب إلى مؤلفه .

(١) انظر : لحن العامة ، عبد العزيز مطر ، ٤٧ .

ثالثاً ـــ – ابْنُ السِّكِّيت [1] :

هو (أبو يوسف يعقوب بن اسحق ، والمعروف بابن السِّكِّيت ولدسنة ١٨٦ هـــ وتوفي سنة ٢٤٤هـــ) ، تعلَّم النحو من البصريين والكوفيين ، أخذ عن أبي عمرو الشيباني ، والفرَّاء ، وابن الأعرابي ، والأثرم ، وروى عن الأصْمَعي ، وأبي عبيدة ، وكان هَدَفُهُ من هذا الكتاب أنْ يُعالج داءً كان قد استشرى في لغة العرب ؛ ـــ داء اللحن والخطأ في الكلام ـــ ؛ فألفه ـــ ابن السكيت ـــ بهدف تنقية العربية مما يشوبها .

والذي يهمنا في هذا المقام هو مذهبه في التنقية ، إذْ أنه من أصْحابِ التَّنْقية الذين لا يَرْوُوْنَ إلا الفصيح ، ولا يتعاملون إلا به ، ولعل خير ما يمثل مذهبه هذا كتابه : (إصْلاَح المنْطق) ، وقد رأيت تقسيم اتجاهات مذهبه في التَّنقية ، إلى أقسام ثلاثة :

القسم الأول : اختار فيه لُغة واحدة ووقف عندها مصرحاً بفصاحتها ، ومن أمثلة ذلك :

ـــ يذكر أنَّ : مَسِسْتُ الشيءَ أَمَسُّهُ مَسّاً ، هي اللُّغة الفصيحة [2] .

ـــ ومثلها قوله : نَصَحْتُ لَكَ وشَكَرْت لَكَ ، وينبه إلى أن هذه اللُّغة الفصيحة[3] .

ـــ وصرَّح بأنَّ قولك : صار كذا وكَذا ضَرْبَةَ لازِبٍ ، بالباء هي اللُّغة الفصيحة أيضاً [4]

(١) ترجمته في : معجم الأدباء ٥٠/١٩ – ٥٢ ، ووفيات الأعيان ٣٩٥/٦-٤٠١ ، وبغية الوعاة ٣٤٩/٢ .

(٢) الإصلاح : ٢١١ .

(٣) ص :٢٨١ .

(٤) ص : ٢٨٨ .

القسم الثاني : عمد فيه إلى الاختيار ، فوقف فيه عند اللُّغة العالية الفصيحة دون التصريح بفصاحتها ، ومن أمثلة ذلك :

ـــ اقتصر على لغة الفصاحة والعلو في قوله : دَمَعَتْ عينُهُ ، وقد عَطَسَ يَعْطِسُ[1].
قُلْتُ : وإن كان ابن السكيت بوصفه عالماً من علماء التَّنقية قد اقتصر على الأفصح ، فمن اللُّغويين من ذكر فيها لُغة أخرى ، فدَمِعت بالكسر لغة حكاها أبو عبيدة[2] ، ووافقه صاحب التحفة ، مُقدِّماً عليها لُغة الفتح ، وقال أيضاً : وعَطِس بالكسر لُغة[3] .

ـــ كما اقتصر على اللغة المقدمة في قوله : وقد سَعَلْتُ ، بالفتح لا غير ، وقد سَبحْتُ ، وقد نَكَلْتُ عنه ، وحَرَصْتُ عليه أحْرِصُ ، وعَجَزْتُ أعجِز "[4] . قُلْتُ : وسَبِحْتُ لُغة ، حكاها المطرِّز عن ثعلب[5] . ونكِل بالكسر لُغة تميمية[6] ، وحَرِص بالكسر لُغة ذكرها غير واحد[7] ، وقال ابنُ جني : " فيه لغتان : حرَص يحرِص ، وهي أعلاها ، وحرِص يحرَص "[8] . وعجِز بالكسر لُغة ، حكاها المطرِّز عن ثعلب ، ونسبها أحد اللُّغويين لبعض قيس عيلان[9] .

ـــ وأفرد اللغة الأولى في قوله : وجَرِعْتُ الماءَ ، وقَضِمَتِ الدَّابة شعيرها تَقْضَمُهُ "[10]

---

(1) ص : ١٨٨ .

(2) الصحاح (دمع)

(3) انظر ٤٤، ٩٥

(4) الاصلاح : ١٨٨

(5) انظر : تحفة المجد ١٠٨

(6) انظر : تحفة المجد ١٠٤

(7) انظر : الجمهرة ١٣٤/٢ ، وأفعال لبن القطاع ٢٣٣/١

(8) انظر المحتسب ٩/٢ تحقيق علي النجدي ناصف وآخرين ، والمحكم ١٠٤/٣ (حرص)

(9) انظر : أفعال السرقسطي ٢٢٠/١ ، وتحفة المجد ٧١

(10) ص : ٢٠٨

قُلْتُ : وحكى أبو عبيد عن الكسائي وابن قُتيبة أنه يُقَالُ : جَرِع الماء ، وجَرَع ، بالكسر والفتح[1] قال صاحب التحفة : " يُقَالُ : قَضَمتُ وقَضِمْتُ ، بالفتح والكسر فيهما "[2] .

القسم الثالث : عمد فيه إلى التصويب ، ومن أمثلة ذلك :

ما جاء في باب : (ما يُهمز مما تركت العامَّةُ همزه) ، فيذكر :

ــ أن الصواب أن يقال : هُمْ أَزْدُ شَنُوءَةَ ، وأنكر قولهم : شَنْوَة [3] .

ــ وصوب قولهم : هي كِلابُ الحَوْأَبْ ، وأنكر الحُوَّبَ [4] .

ــ كما يرى أن الصواب أن يقال : قد أَبْطَأْتَ عَلَينا ، بالهمز ، ونبّه إلى أنه لا يقال : أبطيت . كما صواب قولهم : قد تَثَاءَبْتُ ، وصرَّح بأنه لا يُقال : تَثَاوَبْتُ [5].

وقولُه في باب (ما جاء من الأسماء بالفتح) ، مثل :

ــ حكى أنه يقال : مَا له دارٌ ولا عَقَارٌ ، وأنكر قولهم : عِقَارٌ[6]، بالكسر .

ــ ونبَّه إلى أنه يقال : الجَوْرَبُ والمُغْتَسَلُ ، وأنكر على من قال : الجُورَبُ والمُغْتَسِل[7] .

---

(1) الغريب المصنف ٢١٢/١ .

(2) ص : ١٤١

(3) الإصلاح ١٤٦

(4) نفس الصفحة

(5) ص ١٤٨

(6) الاصلاح : ١٦١

(7) نفسه ١٦٢

ـ وصرَّح بفصاحة : الرَّصَّاصُ و أَلْيَةُ الشاة ، ونبَّه أنه لا يقال : الرِّصَّاصُ وكذلك لِيَّةٌ ولا إِلْيَةٌ فإنهما خطأ [1] .

ـ وحكى أنه يقال : هي اليمين واليَسَارُ ، وأنكر على من قال : اليِسَارَ [2] بكسر الياء .

فالمصنِّف في هذه الأمثلة السابقة يصرِّح بصواب لُغة الفتح ، وينكر لُغة الكسر .

وقال في باب (ما هو مكسورٌ أوله مما تفتحه العامة أو تضمه) :

ـ " تَقولُ : هي الصِّنَّارَةُ ، ولا تَقُلْ :صَنَّارَةٌ "[3] .

وقال في باب (ما يُشَدَّد) :

ـ" وهي الإجانَةُ . ولا تَقُلْ إِنْجَانَةٌ "[4] .

وقال في باب (ما يُخفَّفُ) :

ـ" وتَقولُ : هذا دَمٌ . ولا تَقُلْ : دَمٌّ ، وتَقولُ هو النِّسْيَانُ . ولا تَقُلْ النَّسَيانُ "[5]

وقال في باب (ما يُتَكَلَّمُ فيه بالصاد مما يتكلم به العامة بالسين) :

ـ " وتَقولُ : قدْ بَصَقَ الرَّجُلُ ، وقد بَزَقَ . ولا تَقُلْ بَسَقَ ، إنما البُسُوق في الطول" [6]

وقال في باب (ما يُغْلَطُ فيه يُتَكَلَّمُ فيه بالياء وإنما هو بالواو) :

---

(١) الإصلاح : ١٦٣

(٢) نفس الصفحة .

(٣) نفسه : ١٧٣

(٤) نفسه : ١٧٦

(٥) نفسه : ١٨٣

(٦) نفسه : ١٨٤

ــ " وتَقولُ : قدْ غَذَوْتُهُ غِذاءً حَسَناً . ولا تَقُلْ : غَذَيْتُهُ "[1] .

ــ" ويُقالُ : قدْ عَتَوْتَ يا فلانُ . ولا يُقَالُ قدْ عَتَيْتَ "[2] .

وقال في باب (يتكلم فيه بِفَعَلْتُ مما تغلط فيه العامة فيتكلمون بأفعلت)
ــ " وتَقولُ : نَعَشَهُ اللهُ يَنْعَشُهُ . ولا يُقَالُ : أَنْعَشَهُ اللهُ "[3] . قُلْتُ : و(أنعشه) لُغَةٌ تميمة[4] .

ــ " ويُقَالُ : قدْ نبذتُ نبيذاً . ولا يُقَالُ : أَنْبَذْتُ نبيذاً "[5] . قُلْتُ : نَقَلَ الفرّاءُ عن الرؤاسي : أَنْبَذْتُ النَّبِيذَ ، بالألفِ [6] .

---

(١) الإصلاح : ١٨٦ .

(٢) نفسه : ١٨٧.

(٣) نفسه : ٢٢٥ .

(٤) انظر الجمهرة ٢/٢٣٨ ، والصحاح (نعش) .

(٥) الإصلاح ٢٢٥ ، وانظر : ٢٢٧ .

(٦) انظر تحفة المجد ٢٦٣ .

رابعاً – ابْنُ قُتَيْبَة :

هو(أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة ، ت٢٧٦ هـ) ، ولد بالكوفة ، لُقِّبَ بالدِّينوري لأنه كان قاضياً للدينور مدة . أخذ العلم عن اسحق بن راهويه ، وأبي حاتم السجستاني ، وروى عنه ابن دُرُستويه وغيرُه[١] .

وللتعرف على ملامح مذهبه في تنقية اللُّغة ، نختار بعضاً مما جاء في كتابه : (أدب الكاتب) والذي يُعدُّ في نظر (يوهان فك) أحد الكُتُبِ الأساسية الأولى لمبدأ التَّنقية اللُّغوية ، ولا يزال يُدرس في العَالَمِ العربي حتى اليوم بعناية واجتهاد ؛ لغزارة علْمه .[٢]

ويُعَدُّ ابن قتيبة من المتشددين في تنقية اللُّغة ؛ فهو مـن الذين لا يتعاملـون إلا بالأفصح ، والوقوف عند حد المسموع عن العرب . ويرى (يوهان فك) : أنَّ ابْنَ قُتيبة قد احتضن مذهب الأصمعي المتطرف في تنقية اللُّغة ، دون أن يعنى بمذاهب الثقات الآخرين من علماء اللُّغة[٣] . وهذا ابن السِّيد البطليوسي لا يُقِرّ ابن قُتيبة في تشدده ، وإنكاره قولهم : (ماءٌ مالِحٌ) ، فبعد عرضه لهذه المسألة وبعض أقوال اللُّغويين فيها ينتهي إلى القول : "وإنما يجب أنْ يُقَالَ إنها لُغة قليلة "[٤] وحتى نكون منصفين لهذا العَالِم ؛ فإننا نَحْكُمُ على تشدده في مذهبه من عدمه ، من خلال هذه الأمثلة المختارة من كتابه (أدب الكاتب) . وقد رأيتُ تصْنيفَ هذه الأمثلة إلى أقسام أربعة ، بيانها في الآتي :

---

(١) ترجمته في : أنباه الرواة ٢ / ١٤٣ ، ووفيات الأعيان ٣ / ٤٢ – ٤٤ ، وبغية الوعاة ٢/٦٣ وإشارة التعيين في تراجم النحاة واللغويين ١٧٢.

(٢) العربية : ١٤٠ .

(٣) نفس المرجع : ٩٩ .

(٤) الاقتضاب : ٢/٢٢٣ .

ــ **القسم الأول** : وفيه يورد اللغتين معاً ، مساوياً بينهما فصاحة ، ومن أمثلة ذلك قوله :

ــ نَهَجَ الثوبُ ، وأَنْهَجَ [1] .

ــ نَسَلَ الوبْر ، وأَنْسَلَ [2] .

ــ زَهَا البُسْرُ ، وأَزْهَا [3] .

ــ قِلْتُهُ البيعَة ، وأَقَلْتُهُ [4] .

ــ سَمَلَ الثوبُ وأَسْمَلَ [5] .

ــ خَسَرْتُ الميزانَ ، وأَخْسَرْتُهُ [6] .

ــ نَعَشَهُ اللهُ ، وأَنْعَشَهُ [7] . قلت : والأخيرة أنكرها ابن السكيت، كما مرَّ بنا [8].

ــ غَبَشَ الليلُ ، وأَغْبَشَ [9] .

ــ جَدَبَ الوادي ، وأَجْدَبَ [10] .

---

(١) أدب الكاتب ٤٣٤ ، وانظر شرح الزمخشري ٣٤٣ ، الصحاح ، اللسان (نهج) .

(٢) نفس المرجع والصفحة ، وانظر الإصلاح ٢٣٦ ، وشرح الزمخشري ٣٣٦ .

(٣) أدب الكاتب ٤٣٥ ، وانظر : الصحاح ، واللسان (زها) .

(٤) نفس المرجع والصفحة ، وانظر : اللسان (قلل) .

(٥) ص ٤٣٧ ، وانظر : الإصلاح ٢٧١ ، والمحكم واللسان (سمل) .

(٦) ص ٤٣٩ .

(٧) ص ٤٤٠ ، وانظر المحكم ، واللسان (نعش) .

(٨) انظر الإصلاح ٢٢٥ ، وانظر ص ٧٤ من هذا البحث .

(٩) ص ٤٤١ .

(١٠) أدب الكاتب ٤٤٣ ، وانظر الصحاح ، والمحكم ، واللسان (جدب) .

ـ **القسم الثاني** : وفيه يذكر لُغتين معاً ، والأولى أقل فصاحة من الثانية ، ويتبعها بالثانية ، ناعتاً إياها بالجودة ، ويتضح ذلك في قوله :

ـ " يقولون : نَقِمْتُ عليه ، ونَقَمْتُ أجود "(١) .

ـ " ويقولون : دَهَمَهُمُ الأمْرُ ، ودَهِمَهُمْ أجود "(٢) .

ـ " ويقولون : شَمَلَهُمُ الأمْرُ ، وشَمِلَهُمْ أجود "(٣) .

ـ " ويقولون : غَوِيْتُ ، وغَوَيْتُ أغْوِي أجود "(٤) .

ـ " ويقولون : جَرَعْتُ الماءَ ، وجرِعْتُ أجود "(٥) .

ـ **القِسْمُ الثالث** : يَعْمَدُ فيه المؤلف إلى ذكر الفصيح أولاً ، ثم يذكر الخطأ مَسْبُوقاً بعبارة (لا تَقُلْ ، أو لا يُقَالُ) ، ومن أمثلة ذلك قولُه :

ـ " آكَلْتُ فلاناً : إذا أكلتَ معه ، ولا تقل وَاكَلْتُه "(٦) .

ـ " آزَيْتُهُ : إذا حاذيته ، ولا تقل وازَيْتُهُ "(٧) .

---

(١) ص ٤٢١ ، وانظر ما تلحن فيه العامة ١٠٠ ، والاصلاح ١٨٨ ، وأفعال ابن القطاع ٣/٢٦١ . وخالف الزمخشري في شرحه ص ٥ هؤلاء الأئمة ، وقال : الكسر أفصح .

(٢) نفس الصفحة ، وانظر الاصلاح ٢١١ ، وأفعال السرقسطي ٣/٣٢٨ ، وتحفة المجد الصريح ١٨٩ .

(٣) نفس الصفحة ، وانظر ٤٢٣ .

(٤) ص ٤٢١ ، وانظر : الإصلاح ١٨٩ وأفعال السرقسطي ٢/٤٣ والجمهرة ٣/١٥٣ والصحاح (غوى)

(٥) ص ٤٢٢ ، وانظر الغريب المصنف ١/٢١٢ والإصلاح ٢٠٨ ، وتقويم اللسان ٩١ ، والصحاح ، والمحكم ٦/٤٥ ، واللسان (غوى) .

(٦) أدب الكاتب ٣٦٩ ، وانظر الإصلاح ٣٧٣ ، وتثقيف اللسان ٧٤-٧٥ ، وتقويم اللسان ٦٢ وتصحيح التصحيف ٥٣٧ .

(٧) نفس الصفحة ، وانظر الاصلاح ٣٧٣ ، وتثقيف اللسان ٧٥ ، وتقويم اللسان ٦٢ ، وتصحيح التصحيف ٥٣٨ .

ـــ" أعْقَدْتُ الرُّبَّ والعَسَلَ ، ولا يقال : عَقَدْتُ "[1] . قُلْتُ : حكى ابن درستويه أنّ العَامَّةُ تقول : " عَقَدْتُ العَسَلَ ، وليس ذلك بخطأ "[2] .

ـــ" وقد أغْفَيْتُ : إذا نِمْتُ ، ولا يُقال : غَفَوْتُ "[3] قُلْتُ : حكى الزمخشريُّ في شرحه : أنّ العامَّةَ تقول : غَفَوْتُ غَفْوَةً ، وهي لُغةٌ [4] .

ـــ ويقال : هذا ماء مِلْحٌ ، ولا يقال : مَالِحٌ [5] .

قلت : وقد اعترض بن السيد البطليوسي على تشدد ابن قتيبة في قوله هذا ، وخلص إلى أنّ قول العامة لا يعد خطأً وإنما يجب أن يقال : إنها لغة قليلة [6] .

ـــ وتقول : وُثِئَتْ يدُهُ ولا يقال : وَثِئَتْ[7]. قلت : ومن اللغويين من حكى (وَثِئَتْ) بفتح الواو [8] .

ـــ ونقل ابن قتيبة عن الأصمعي من أنه يقال : (وهو النَّسَا) للعرق ولا يقال : عِرْق النَّسَا[9] .

قلت : وهذه هي إحدى المآخذ التي أخذها بعض اللغويين على أبي العباس ثعلب[10] .

---

(١) ص ٣٧٠ ، وانظر : ما تلحن فيه العامة ، والإصلاح ٢٢٧ ، وأفعال السرقسطي ٢١٩/١ ، والجمهرة ٦٦١/٢ ، والصحاح (عقد)

(٢) تصحيحه للفصيح ١٣٩ .

(٣) ص ٣٧١ ، وانظر : الاصلاح ٢٢٩ ، وأفعلت للزجاج ١٤١ ، وأفعال السرقسطي ٢٤/٢ ، والجمهرة ٢-٥٥٩ (غفو) ، والصحاح (عفا) .

(٤) ص ٢٣٠

(٥) ص ٤٠٤

(٦) انظر الاقتضاب ٢٢٣/٢

(٧) أدب الكاتب ٤٠١

(٨) انظر تحفة المجد ٣٠

(٩) أدب الكاتب ٤٠٩

(١٠) انظر المزهر ٤٠٢/١

ـ **القِسْمُ الرابع** : يبدأ فيه بذكر الخطأ أولاً ، ثم يتبعه بالصواب ومن أمثلته قولُه :

ـ " ويقولون : نعَقَ الغُرابُ ، وذلك خطأ ، إنما يقال نَغَقَ[1]، بغين معجمة " .

ـ " ويقولون : " ركَضَ الدَّابةُ والفرسُ ، وهو خطأ ، إنما الراكضُ الرَّجلُ : إنما يُقَالُ : ركَضْتُ الفرسَ فَعَدا "[2] . قلت : وهذا الذي أنكره من أنه لا يقال : (ركَضَ الدابةُ) حكاه غير واحد من أئمة اللغة[3] .

ـ " ويقولون : " شَقَّ الميِّتُ بَصَرَهُ ، وهو خطأ ، إنما يُقال : قد شَقَّ بصرُ الميِّتِ "[4]

ـ وتقول العامة : أنت سَفِلَةٌ ، وذاك خطأ ؛ لأن السَّفِلَةَ جماعةٌ والصواب أن تقول : أنت من السَّفِلَة[5] .

---

(١) أدب الكاتب ٣٨٦ ، وانظر تثقيف اللسان ٧٠ ، وتقويم اللسان ١٧٨ ، وتصحيح التصحيف ٥١٩

(٢) ص ٤١٥ ، وانظر : الكتاب ٤/٥٨ ، وشرح الزمخشري ، وشرح التدميري ٩٠ ، وتحفة المجد الصريح ٣٤٥

(٣) انظر : الكتاب ٤/٥٨ ، وأفعال السرقسطي ٣/٢٧ ، والتهذيب ١٠/٣٩ (ركض)

(٤) نفس الصفحة ، وانظر : الإصلاح ٢٨٦ ، والصحاح (شقق) .

(٥) أدب الكاتب ٤١٦ – ٤١٧

خامساً – أَبُو العَبَّاس أَحْمَد بن يَحْيَى ثَعْلَب :

يُعَدُّ ثعلبٌ من أربابِ التنقية المتشددين في اختيارِ الفصيحِ ، وقد عَكَسَ كتابُه (الفصيح) مذهبه في تنقيةِ اللُّغة مما يَشُوبها من اللحن والخطأ ، وجعل من فصيحه مثالاً يُحْتَذَى ، واتجاهاً يُتَّبَعُ من قِبَل مؤيديه الذين يؤثرون الفصيح ، ويقدمونه على غيره من اللُّغات . ولسنا في هذا المقام ، بصدد الخوض في الحديث عن الفصيح ومؤلفه ، ومكانته اللُّغوية [1]. وإنما نَهْدِف هاهنا إلى الوقوفِ على منْهج ثعْلبٍ ومذهبه ،كأحد أعلام التَّنْقية اللُّغوية ، وذلك من خلال مُصنَّفه (الفصيح) ، ولعل خير من يكشف لنا عن هذا المذهب هو ثعْلبٌ نفسه من خلال مقدمته والتي بدأها بقوله :

" هذا كتاب اختيار فصيح الكلام ، مما يجري في كلام الناس وكُتُبِهم ، منه ما فيه لُغة واحدة والناس على خِلافها ، فأخبرنا بصواب ذلك ، ومنه ما فيه لغتان وثلاث وأكثر من ذلك فاخترنا أفْصَحَهُنَّ ، ومنه ما فيه لُغتان كثرتا واستعملتا فلم تكن إحداهما بأكثر من الأخرى ، فأخبرنا بهما " [2] .

ولبيان ذلك أقدم هذه النماذج المختارة من الفصيح ، على النحو التالي :

ـ باب (فَعَلْتُ ، بفتح العين) :

" نَمَى المالُ وغيرُه يَنْمِي " [3] اقتصرَ ثعلبٌ على (نَمَى – يَنْمِي) وهي اختيار نقلة اللُّغة، كالفرَّاء والكسائي ، وأبي عبيدة ، وأبي زيد [4].

---

(١) سبقت الإشارة إلى ذلك بشيء من التفصيل في مبحث (الفصاحة والفصيح) .

(٢) الفصيح : ٢٦٠ .

(٣) الفصيح : ٢٦٠ .

(٤) انظر : شرح الزمخشري : ١١ .

ومن اللُّغويين مَنْ ذَكَرَ لُغتين في الماضي : (نَمَيَ ، ونَمَا) [1] . ومنهم من ذكر لُغتين في المضارع : (يَنْمِي ـــ كما حكاها ثعلب ـــ ويَنْمُو)[2] .

" ذَوَى العود يَذْوِي " [3] . واللُّغويون في هذه المادة على قسمين :
فريقٌ يذكر لُغتين : (ذَوَى ، يَذوِي ـــ وذَأَى ، يَذْأَى) إلا أنهم يرون أن الأفصح هو اختيار ثعلب ، فَذَوَى يَذْوِي هو الكثير عن يونس [4] ، وأجود اللُّغات : (ذَوَى) ، بفتح العين عند القالي [5] .
والفصحى : (ذَوَى ، يَذْوِي) عند ابن سيده [6] . والأجود : (ذَوَى يَذْوِي) عند ابن فارس [7] .
أما الفريق الثاني فيذكر اللغتين دون ذِكْر مستواهما الصَّوابي [8]
" ورَعَفْتُ أَرْعُفُ " [9] وقف ثعلبٌ عند هذه اللُّغة ، وقد وافقه بعض اللُّغويين [10]. إلا أنَّ أكثرهم ، يرون لُغتين في الماضي : (رَعَفَ ، ورَعُف) [11] ، بل هناك من حكى ثلاث لغات في الماضي : (رَعَفَ ، ورَعُفَ ، ورَعِف) بفتح

---

(١) انظر : أفعال ابن القطاع ٢٧٨/٣ ، وتحفة المجد ١٩ .
(٢) انظر : الإصلاح ١٣٨-١٣٩ ، وشرح ابن درستويه ٤٠ ، وشرح التدميري ٧ ، وشرح ابن هشام ٤٨
(٣) الفصيح : ٢٦٠ .
(٤) انظر تحفة المجد ٢٢ .
(٥) انظر : المقصور والممدود ٩٤ .
(٦) المخصص ١٩٩/١٠ .
(٧) المجمل ٣٦٢/٢ .
(٨) انظر : الإصلاح ١٩٠ ، وأدب الكاتب ٤٧٥ ، وشرح ابن هشام ٤٨ ، وشرح التدميري ٨ .
(٩) الفصيح ٢٦١ .
(١٠) انظر : أدب الكاتب ٤٢٢ ، تصحيح الفصيح ٤٣ ، شرح ابن الجبان ١٠٠ .
(١١) ذكرت اللغتان في : الإصلاح ١٨٨ ، والغريب المصنف ٦٠٧/٢ ، أفعال ابن القطاع ٢/ ٤٣ ، والصحاح ، والمحكم ٨٦/٢ (رعف) .

العين ، وضمها ، وكسرها ومن اللُّغويين من وَسَمَ لُغة الضم في الماضي بالفساد والخطأ [١] . ومنهم من ضَعَّفَ " رَعِفَ " ــ بالكسر ــ [٢] .

ــ باب (فُعِلَ ، بضم الفاء) :

" تقول : عُنيتُ بحاجتك ، بضم أوله . . " [٣] ، وهنا أفرد ثعلبٌ لُغةً واحدةً في الماضي ، ومن اللُّغويين من أضاف إليها لُغة ثانية ، وهي (عَنَيْتُ ، بفتح العين)[٤] .

" وقد طُلَّ دَمُهُ ، فهو مَطْلُولٌ " [٥] ، اقتصر ثعلبٌ على اللُّغة العالية الفصيحة ، وهي المبني للمجهول ، بينما وُجد مِنْ اللُّغويين مَنْ أضاف : طَلَّ للمعلوم وأُطِلَّ للمجهول . [٦].

" وقد وُضِعَ الرَّجُلُ في البيع يُوضَعُ" [٧] . وقف ثعلب عند اللُّغة العالية ، ومن اللُّغويين من ذكر ثلاث لُغات : (وُضِعَ ، وَضِعَ ، أُوضِعَ) [٨] .

---

(١) هكذا قال عنها ابن الجبان في شرحه للفصيح ص ١٠٠ ، بينما خطأها ابن درستويه في تصحيح الفصيح ص ٤٣ .

(٢) ضعفها المطرز نقلاً عن تحفة المجد الصريح ٤٨ .

(٣) الفصيح ٢٦٩ .

(٤) انظر : الاقتضاب ٢١٩/٢ ، وأفعال السرقسطي ٣١٥/١ ، وتحفة المجد الصريح ٣٠١ .

(٥) الفصيح ٢٦٩ .

(٦) حكى يعقوب في الألفاظ ٢٧٥ نقلاً عن أبي عبيدة (طَلَّ دمه) وحكى هذه اللغة التدميري في شرح غريب الفصيح:٨١، وقال عن أبي عبيدة ، وحكى صاحب تحفة المجد ص . ٣٠٨ عن بعضهم (أُطِلَّ)

(٧) الفصيح : ٢٧٠

(٨) قال ابن دريد في الجمهرة ٩٠٥/٢ " وقال قوم : وَضِعَ يَوْضَعُ " ، وحكى ابن القطاع في أفعاله ٢٨٧/٣ (وَضِعَ وأُوْضِعَ) وحكى الزجاج في (فعلت وأفعلت : ١٢٥ : (وَضِعَ وأُوضِعَ) . وانظر : المحكم ٢١٢/٢ (وضع) .

ـ باب (فَعَلْتُ وأفْعَلْتُ ، باختلاف المعنى) :

" وقَبَسْتُهُ ناراً " [1] ، وإذا كان ثعلبٌ قد وقف عند اللُّغة الفصيحة وحدها ، فمِنْ اللُّغويين مَنْ ذَكَر لُغة ثانية : (أقْبَسْتُه ناراً) بالألف [2] .

وهكذا نجد ثعلباً في جُلِّ فصيحة يقف عند الأفصح من اللغات ، ويهمل ما عداها ؛ لأنه هكذا ألزم نفسه بهذا المنهج في مقدمة كتابه الفصيح . بينما تجده ـ أحياناً ـ في مواضع من ثنايا فصيحه يذكر لُغتين جنباً إلى جنب ؛ ولعَلّ السبب يَكْمُنُ في أن هاتين اللُّغتين كثُرَتا واستعملتا ولم تكن إحداهُما بأكثر من الأخرى ، وهذا مما أشار إليه ـ أيضاً ـ في مقدمة فصيحه ، ومن أمثلة ذلك قوله :

ـ باب (فَعِلْتُ بكسر العين) [3]: " وبَرِئْتُ من المرض ، وبَرَأْتُ أيضاً ".

ـ باب (فَعِلْتُ وفَعَلْتُ باختلاف المعنى) [4] :" سَخِنَ الماءُ ، وسَخُنَ ".

ـ باب (ما يقال بحرف الخفض) [5] : " وجَنَّ عليه اللَّيلُ ، وأجَنَّهُ اللَّيلُ " .

ـ باب (من المصادر) [6] :

" وحَدَّتِ المرأةُ على زَوْجِهَا تَحِد وتَحُد – بكسر الحاء وضمها حِدَادًا " .

---

(1) الفصيح : ٢٧٣ .

(2) قال أبو عبيد في الغريب المصنف ٥٧٨/١ ، نقلاً عن الكسائي : (أقبسته ناراً وعلماً سـواء . وهكـذا حكاه ابن قتيبة في أدب الكاتب ٣٦٠ .

(3) الفصيح : ٢٦٢ .

(4) نفس المرجع : ٢٧١.

(5) نفس المرجع : ٢٧٨ .

(6) الفصيح : ٢٨٠ .

ـــ باب (المفتوح أوله من الأسماء) [1] :

" وهو الْعَرَبُونُ ، والْعُرْبَانُ "

ونادراً ما يَذْكُر ثلاث أو أربع لُغات ؛ إذ لم أجد ذلك إلا في موضعين ، أحدهما : في باب (فَعَلْتُ بغير ألف) ، فذكر من اللُّغات أربعاً ، ولم يصرح بعددهن ، وجاء ذلك في قوله : " وَازْرُرْ عليك قَميصَكَ ، وزُرَّهُ ، وزُرِّهُ ، وزُرَّهَ " [2] ، أما تصريحه بعدد اللُّغات ، فقد جاء في موضع واحد من فصيحه ، إذ يقول :

" وفَعَلْتُ ذلك من أجْلِكَ ، ومن إِجْلِكَ ، ومن جَرَّاكَ ، ثلاث لُغات " [3]

ومن خلال تَصَفُّحِي لكتاب الفصيح لم أجد نصاً في مادة (ما) عن ثعلب يذكر فيه لُغة الفصاحة صراحة إلا في موضع واحد ، وهو قولُه : " الحرب خَدْعَة ، هذه أفصح اللُّغات" [4] ، وأرى أن تصريحه بفصاحتها كونها لغة النبي صلى الله عليه وسلم كما نسبها في فصيحه .

وقد أشار ثعلب إلى أخطاء بعض الناس في بعض الألفاظ ، ولعَلَّهُ قصد بكلمة (الناس) العامَّة منهم ، ومن ذلك قولُه :

" وإنْ شئت طولت الألف ، فَقُلْتَ : آمين ، ولا تُشَدِّد الميم فإنه خطأ [5]

" وتقول : تلك المرأة ، وتِيك المرأة ، ولا يُقال : ذيك المرأة ، فإنه خطأ [6]

" وتقول : أَشْلَيْتُ الكلب،وغيرَه .. وقَوْلُ النَّاسُ : أشليتُه على الصيد خطأ " [7]

---

(١) ص : ٢٨٩ .

(٢) ص : ١٦٥ .

(٣) ص : ٣١٨ ، ٣١٩ .

(٤) ص : ٢٩٢

(٥) ص : ٣١٦ .

(٦) نفس الصفحة .

(٧) ص : ٣٢٠ .

وقد أشرْنا ــ فيما سبق ــ إلى أنَّ ثعلباً قد جمع في تنقيته للُّغة ، ما بين الاختيار والتصويب ، وقد مثلنا لمنهجه في الاختيار بتلك الأبواب السابقة ، وها نحن نورد بعض الأمثلة من كتابه الفصيح ، فيما يتعلق بالتصويب اللُّغوي ، الذي يوضح فيه نطق العَامَّة ، والذي جاء في مواضع قليلة ، منها قولُه في باب : (حروف منفردة) :

" ونَظَرْتُ يَميناً ، ويَمْنَةً وشَمْلَةً ، ولا تقل : شَمْلَةَ " [1]

" وأطْعَمَنَا خُبْزَ مَلَّة ، ولا تقل : أطْعَمَنَا مَلَّةً " [2]

" وهي القاقُوزَةُ والقَازُوزَةُ ، ولا تقل : قَاقُزَّة " [3]

" وتقول : ماء مِلْحٌ ، ولا تقل : مَالِحٌ " [4]

" وهو الحائط ، ولا تقل : الحَيْطُ " [5]

وإذا كان كتاب الفصيح قد أبان لنا عن منهج ثعلب المتشدد في تنقية اللُّغة ، فإننا نشير إلى أن ذلك التشدد لا يمثل منهجه ــ في الأغلب الأعم ــ ؛ لأننا وجدناه متوسعاً في بعض مؤلفاته ، ومنها كتابه :(المجالس)[6] ، فنجده يذكر لُغتين أو ثلاثا أو أكثر ، كقوله :

" الوِرْقُ ، والوَرْقُ ، والوَرِقُ : الدَّراهم "[7] .

---

(١) الفصيح ٣١٨ .

(٢) نفس الصفحة .

(٣) ص ٣١٨ .

(٤) ص ٣١٨ .

(٥) ص ٣٢٠ .

(٦) مجالس ثعلب ، تحقيق : عبد السلام هارون ، انظر الصفحات : ٢٠ / ٣٥ / ٣٧ / ٤٧ / ٥٩/ ٦٣/ ٧١/ ٧٣/ ٨٠/ ٨٤/ ١٠١/ ١٠٥/ ١١٩ .

(٧) مجالسه : ٦ .

وقولُه : " ويُقال : لزِم ثَكَمَ الطَّرِيق ، وكَثَمَهُ ، ومُرْتَكِمَه ، أي : معظمه "(١) .

وقوله : " ويُقال : الجِبِلَّةُ والجِبِلُّ ، والجُبُلَّةُ والجُبُلُّ ، والجِبْلَةُ "(٢) .

كما نجده يُصَرِّحُ بشُهْرَةِ بعض اللهجات ، والتي وسمها بعض اللُّغويين(٣) باللُّغات المذمومة وينسبها إلى إحدى قبائل العرب ، فمن ذلك ما نقله عن الأخفش من الأخير قال : قام امْرَجُلُ ، يريد : الرَّجُل . ويصرِّح ثعلب بأنها لُغَةٌ للأزد مشهورة (٤) .

ولا أَدَلَّ على مذهبه في التَّوسُّع مِمَّا نقله عنهُ أبو جعفر اللبلي في تحفة المجد الصريح ، من مثل قوله :

(عَثَرَ) بفتح الثاء ، كما حكاه ثعلب ، و (عَثُرَ) بضم الثاء ، حكاه المُطَرِّز في شرحه عن ثعلب(٥) .

وحكى اللبلي أيضاً أنه يُقال في الماضي : خَمَدَتْ النَّار ، بفتح الميم ، كما قال ثعلب ، وهو المشهور من كلام اللُّغويين ، ويضيف بأنَّ المُطَرِّز في شرحه ، وفي (ياقوته) حكى عن ثعلب عن ابن الأعرابي : خَمِدَتْ ، بكسر الميم (٦) .

---

(١) مجالس ثعلب : ٣٧

(٢) ص : ٥٩

(٣) انظر : الصاحبي في فقه اللغة (باب اللغات المذمومة : ٥٦) تحقيق عمر فاروق الطباع وفصول في فقه اللغة رمضان عبدالتواب ١٢٨

(٤) مجالس ثعلب : ٥٨ .

(٥) تحفة المجد الصريح : ٥١ .

(٦) نفس المرجع : ٦٩ .

وصرَّح اللبلي بذكر لغتين في الماضي : " . . . نَكَلْتُ ، بالفتح ، ونَكِلْتُ بالكسر ، وينّبه إلى أنّ الكسر لُغة تميمية ، حكاها ابن القطّاع في أفعاله ، ويعقوب في كتابه (فَعَلْتُ وأَفْعَلْتُ) ، وثابت في لحنه ، ويونس في نوادره ، والمطرّز في شرحه ، والحافظ في نوادره ، كلاهما عن ثعلب [1] .

وذكر اللبلي أنّ المُطَرِّزَ حكى عن ثعلب :(عَجِزَ بالكسر ، ونقل أبو حاتم عن أبي زيد : عَجِزَ بالكسر ، وقال إنها لُغة لبعض قيس [2] ، ونسبها السرقسطي لقيس عيلان [3] .

ومثل هذا التَّوسُّع ـــ والمَرْوِي عن ثعلب ـــ جاء كثيراً في تضاعيف الكتاب[4]

وإذا كان الفصيح قد أثار حركة تأليف لُغوية وعلمية واسعة ، عكست اهتمام اللُّغويين عبر العصور المختلفة بظاهرة التصويب اللُّغوي ، فإن من نتاج هذه الحركة اللُّغوية ما حظي به الفصيح من دراسات لُغوية ، في مقدمتها تلك الشُّروح التي أُلفت حوله ، والتي لم تنحصر في بقعة بعينها من بلاد العرب ، بل شارك فيها أهْل اللُّغة وأئمتهم سواء كانوا من المشرق أوالمغرب العربي . والذي يعنينا في هذا المقام تلك الشروح التي أقتفت أثر ثعلبٍ في تنقية اللُّغة ، والتي سيأتي ذكرها في الفصل الثاني من هذا الباب إلا أنّ شيخنا ـــ رحمه الله ـــ رأى أن أضمن هؤلاء الأعلام كتابين من كتب شرّاح الفصيح هما :

١) تصحيح الفصيح ، لابن دُرُسْتويه .

٢) شرح الفصيح لابن الجبَّان .

---

(١) نفس المرجع : ١٠٤ .

(٢) نفس المرجع : ٧١ .

(٣) أفعال السرقسطي : ١/٢٢٠ .

(٤) انظر : تحفة المجد الصريح : ١١٢ ، ١٥١، ١٥٥ ، ١٦٣ ، ١٦٩ ، ١٨٨ .

والتي سأقتصر فيهما على ترجمة الشارح بالإضافة إلى بيان بعض الملامح الممثلة لمذهبيهما في التنقية اللغوية . وأما بقية المسائل الأخرى فسيأتي تفصيلها في الفصل الثاني من هذا البحث بعونه تعالى .

سادساً :ابن دُرُسْتويهِ [1]

هو (أبو محمد عبد الله بن جعفر بن دُرُسْتويهِ بن المرزبان ، الفارسي الفسوي النحوي) ، ولد سنة ٢٥٨ هـ . اشتغل بالعلم ، وقد أسهم في علوم عصره ، كاللغة والنحو ، والتفسير والحديث ، والأدب والغريب والشعر والمعاني ، والتاريخ ، والرواية لمجالس ثعلب وفصيحه . توفي سنة ٣٤٧ هـ . [2]

مَنْهَجُهُ فِي التَّنْقِيَةِ اللُّغويَّةِ :

إنّ الذي يعنيا هنا ، تناول تصحيح الفصيح من حيث منهج صاحبه في التّنقية اللُّغوية ، وذلك من خلال بيان معالم التّنقية فيه .

ويمكننا إبراز هذه المعالم في الآتي :

أولاً ـــ اتفاقه مع ثعلب حول اللُّغة الفصيحة العالية ، والوقوف عندها .

ثانياً ـــ ارتضاؤه لبعض لُغات العامّة .

ثالثاً ـــ تخطئته لبعض لُغات العامّة .

أولاً ـــ مُوافقتُهُ لثعلبٍ في إيرادِ اللُّغةِ الأفْصَح ، والوقوفُ عِنْدَها :

نجد أنّ ابن دُرُسْتويه في الأمثلة التالية يوافقُ ثعلباً فيما ذَهَبَ إليه في فصيحه ، وتفضيله للُّغة الأفْصَح ، وإفرادها ، وتخطئة ما خالفها . وقد جاء ذلك وافراً في ثنايا تصحيحه للفصيح ، ومن أمثلة ذلك :

ففي قول صاحب الفصيح " ذَوَي العُودُ يذْوِي " [3] وقف الشارح عند اللغة العالية ، كما حكاها ثعلب .

---

(١) ليس هدفي هنا توصيف الكتاب ، فموضع ذلك ، ستجده في الفصل الثاني من هذا البحث – إن شاء الله – وإنما أهدف إلى إيضاح منهج ابن درستويه في تنقيته للغة .

(٢) انظر ترجمته في : وفيات الأعيان ٤٤ ، وإشارة التعين في تراجم النحاة واللغويين ١٦٢ ، وبغية الوعاة ٣٦/٢

(٣) تصحيح الفصيح ص ٤٠ .

وفي " عَطَسَ يَعْطِسُ " (١) اقتصر على ما جاء في الفصيح .

وفي " جَرِعْتُ الماءَ أَجْرَعُهُ " (٢) أفرد اللغة الأشهر والأفصح ، تابعاً لصاحب الفصيح .

وفي " شَلَّتْ يَدُهُ "(٣) لم يذكر سوى اللغة العالية ، والتي أثبتها ثعلبٌ .

وفي " فَلَجَ الرجلُ على خصمه يَفْلِجُ " (٤) هكذا أوردها ثعلب واقتصر عليها الشارح .

وفي " وُكِسَ الرَّجُلُ يُوكَسُ " (٥) أفردها الشارح ولم يذكر غيرها .

وفي " نَفِسَتِ المرأةُ غُلاماً " (٦) وقف الشارح عند اللغة الأعلى والأفصح .

وفي " لَحَمْتَ العظمَ ، إذا عَرَقْتَ ما عليه " (٧) . هكذا أوردها صاحب الفصيح ووقف عليها الشارح .

وفي " رَوَّأْتُ في الأمْرِ " (٨) . أفرد الشارح لغة العلو والفصاحة كما حكاها ثعلب .

ثانياً ـــ ارْتضَاؤه لبعض لُغَات العَامَّة ، عند موافقتها للغة من لغات العرب : وقد ضَمَّ الكِتابُ عَدداً وَافِراً من الأمْثلة التي تمثل هذا الاتجاه ، والتي يُبْرِز فيها ابنُ دُرُسْتويه المستوى الصوابي لِلُغاتِ العَامَّة (٩) على نحو ما توضحُهُ الأمثلة التاليَّة :

---

(١) تصحيح الفصيح : ٤٩ .

(٢) نفسه : ٦١ .

(٣) نفسه : ٦٧ .

(٤) نفسه : ٧٤

(٥) نفسه : ١٠١

(٦) نفسه : ١١٠

(٧) نفسه : ١٤٦

(٨) نفسه : ١٨٦

(٩) انظر الصفحات : ٣٥١، ٣٥٤ ، ٣٨٢ ، ٣٨٨ ، ٤٠٩ ، ٤٥٣ ، ٤٩٠ ، ٥١٨ .

ـــ يعلل الشارح اختيار ثعلب لـــ نَمَى ، يَنْمي ؛ لأنَّ العَامَّة تقولها بالواو ، ويصرح بأنها لُغَةٌ لبعض العرب ، وليست بخطأ [1] . وقد وافَقَ ابنَ دُرُسْتويه في فصاحة

(يَنْمُو) جمعٌ من أئمةِ اللُّغةِ ، كالخليل ، والكسائي ، وابن السكيت ، والسرقسطي [2] . وكذا أصحاب المعاجم [3] .

ـــ ويذكر أنَّ في : نَقَمْتُ أَنْقِمُ ، لُغتين ، وينبِّه إلى أنَّ أفصحهما فتح الماضي وكسر المستقبل . . . والأخرى كسر الماضي ، وفتح المستقبل[4] أي : " نَقِمْتُ أَنْقَمُ ، وقد قرئ بها قوله تعالى (وما نَقَمُوا مِنْهُمْ) " [5] .

ـــ وينبِّه إلى أنَّ في : رَهَنْتُ الرَّهن لُغتين أيضاً ، إحداهما بغير ألف ، ويرى أنها أشهر وأكثر استعمالاً . . والأخرى : أَرْهَنْتُه بألف ، وينبِّه إلى أنَّ العامَّة مولعة بها ، ولا تعرف غيرها ، وقولهم أقيس [6] .

ـــ ووافق ابن دُرُسْتويه فيما ذهب إليه كل من : ابن السكيت ، وابن قتيبة ، والجوهري ، وابن سيده [7] .

---

(١) ص : ٤٠ .

(٢) انظر : العين ٨/٣٨٤ (نمى)، ما تلحن فيه العامة للكسائي ١٣٨ ، الإصلاح ١٣٨-١٣٩ ، أفعال السرقسطي ٣/٢٧١ .

(٣) انظر : الجمهرة ٢/٩٩٢ ، الصحاح ، اللسان (نمى) .

(٤) تصحيح الفصيح ٤٨ ، وانظر : ٢٨٥ ، ٤٠٥ .

(٥) سورة البروج ، آية : ٨ ، وقرأ بكسرها : زيد بن علي ، وأبو حيوة ، انظر : البحر المحيط ١٠/٤٤٥ ، مكتبة الباز .

(٦) تصحيح الفصيح : ٨١ .

(٧) انظر : الإصلاح ٢٣١ ، أدب الكاتب ٣٥٧ ، والصحاح ، والمحكم ٤/٢١٥ (رهن)

ـ وفي قولهم : أَحْبَسْتُ فرساً في سبيلِ الله ، يذكر الشارح أنه لا يمتنع أنْ يُقال : حَبَسْتُ فرسي في سبيل الله ، كما تقولُ العامَّة[1]. قُلْتُ : وهي لُغَةٌ وافقَ فيها ابن دُرُسْتويه : السرقسطي ، وابن القطَّاع ، والزَّجَّاج [2].

ـ ويصرِّح بأنَّ بعض العَرَبِ يَقولُ : أرْجَيْتُ الأمْرَ إرجاءً ، بالياء ، وينبِّه إلى أنها لُغة ، وعليها العامَّة[3] وقد وافقه : ابن السكيت ، والجوهري ، والفيومي [4].

ـ وفي قولهم : وهو الفُلْفُلُ ، ينبِّه الشارح أنَّ هذا ليس من لحن العامَّة ، وخطئهم في شئ ؛ لأن مِنْ العرب مَنْ يكسر (الفاء) من الفلفل على ما تقوله العَامَّة [5] وقد وافقَ ابن درستويه جمعٌ من اللُّغويين ، منهم : ابن مكي الصقلي ، وابن الجوزي ، والصفدي [6] ، وأصحاب المعاجم [7] .

ثالثاً : تخْطِئتُهُ لبعض لُغَاتِ العَامَّة لمخالفتها لغة العرب :

يُخطِّئ ابْنُ دُرُسْتويهِ لُغاتِ العامَّة ، مستعملاً العبارات التالية :

ـ لُغَةٌ رَدِيئةٌ : ومن أمثلة ذلك :

ـ ينبِّه الشارح إلى أنَّ قول العامَّة : ذَوَي العود يَذْوِي : إنما ذكره لأنَّ العامَّة تقول فيه : ذَوِيَ يَذْوَى ، بكسر الماضي ، وفتح المستقبل ، لُغَةٌ رديئةٌ[8] . قُلْتُ :

---

(١) تصحيح الفصيح ١٢٧ .

(٢) انظر : أفعال السرقسطي ٣٤٦/١ ، وأفعال ابن القطاع ٢١٠/١ ، وفعلت أفعلت للزجاج ٦٧ .

(٣) تصحيح الفصيح ١٨٥ ، وانظر ٤٩٣ .

(٤) انظر : الإصلاح ١٤٦ ، والصحاح ، والمصباح (رجا)

(٥) تصحيح الفصيح ٣٤٢ .

(٦) انظر :تثقيف اللسان ٢٢٨ ، وتقويم اللسان ١٤٤ ، وتصحيح التصحيف ٤٠٨ .

(٧) انظر : اللسان ، والقاموس (فلفل)

(٨) تصحيح الفصيح ٤٠ .

وقد خالف ابنُ السكيت ابنَ درستويه ، فقد نقل عن أبي عبيدة عن يونس قولُه : وذَوِيَ لُغة [١] ، وقد حَكى ذلك ـــ أيضاً ـــ ابن قتيبة [٢] .

ـــ ويصرِّح بأنَّ قول العامَّة : دمِعَتْ ، بكسر الميم ، لُغةٌ رديئةٌ[٣] . قُلْتُ : ولكنَّ الجوهري يخُالِفُ ما قرَّرَه ابن درستويه بقولِه : " ودَمِعَتْ : بالكسر ، دَمْعًا ، لغة حكاها أبو عبيدة ، و لم يُضَعِّفْها الجوهري [٤] .

لَحْنٌ وخَطأٌ :

ـــ يعلل الشارح اختيار ثعلب لـــ : فَسَدَ يَفْسُدُ ، لأن العامَّة تقول : فَسُدَ ، بضم الماضي ، ويصرِّح بأنه لَحْنٌ وخطأ[٥] . قُلْتُ : وقد خالف ابنَ دُرُسْتويه جَمْعٌ من أئمة اللُّغة ، فحكوا (فَسُدَ) بالضم ، ومنهم : ابن السكيت ، وابن قتيبة ، وابن مكي الصقلي ، ابن دريد والجوهري [٦] .

ومثل هذه الأقوال والتي وسم بها ابن دُرُسْتويه لغة العامَّة ـــ تارة بالرداءة ، وتارة باللحن والخطأ ـــ جاءت وافرة في ثنايا الكتاب[٧] .

---

(١) أنظر : الإصلاح ١٩٠ .

(٢) أدب الكاتب ٤٧٥

(٣) تصحيح الفصيح ٤٣ .

(٤) انظر : الصحاح (دمع) .

(٥) تصحيح الفصيح ٤١-٤٢ .

(٦) انظر : الإصلاح ١٨٩ ، وأدب الكاتب ٤٢٢ ، وتثقيف اللسان ٢٣٥ والجمهرة ١٢٤٩/٣ ، والصحاح (فسد) .

(٧) انظر الصفحات : ٨٨، ٩٠ ، ٩٩ ، ١٠٣ ، ١٠٧ ، ١١٠، ١٤١ ، ١٤٨ ، ١٦٠ ، ١٦٦ ، ١٨١ ، ١٨٣ ، ٢٦٤ ، ٢٦٩ ، ٢٧٨ ، ٢٨٨ ، ٢٩٠ ، ٢٩٩ ، ٣٠٤ ، ٣٤١ ، ٣٤٧ ، ٣٥٢ ، ٣٦٨ ، ٣٩٠ ، ٣٩٥ ، ٤٣٤ ، ٤٥٢، ٤٦٤ ، ٤٨٧ ، ٤٨٩ ، ٥٠٩ ، ٥٣٤ .

وإن كنت قد أوجزت في هذا الموضع ملامح التنقية لدى ابن درستويه ؛ فسيأتي ذكرها مفصلة في الفصل الثاني من هذا الباب ، وذلك عند الكلام على أثر شروح الفصيح المشرقية في تدعيم حركة التنقية .

سابعاً ـــ أبو بكر الزُّبيدي :

هــو : أبــو بكر محمد بن الحسن بن عبدالله بن مَذْحَج الزُّبيدي ، الشامي الحمصــي ، ثم الأندلســي الإشبيلي ، كان أحفظ أهل زمانه للإعراب والفقه والنوادر ، من أئمة اللغة العربية ، أخذ العربية عن أبي علي القالي ، وأبي عبدالله محمــد بــن يحي الريحاني ، ذاع صيته في الأندلس فاختاره الخليفة المستنصر بالله الحكــم بن عبدالرحمن مؤدباً لابنه هشام في قرطبة ، ثم تولى القضاء ، توفي سنة ٣٧٩هـ[١] .

ولـلــزُّبيدي مصــنفات عديدة منها : الواضح في علم العربية ، وأبنية الأسماء والأفعال ، ومختصر العين ، وطبقات النحويين واللغويين ، واستدراك الغلط الواقع في كــتاب العــين ، ولحــن العامة ، ومختصر لحن العامة ، وقد جاء ذكر هذه المصــنفات في المصادر التي ترجمت للمؤلف . والذي يعنينا ـــ هنا ـــ هو كتابه (لحــن العامة) والذي حققه الأستاذان الدكتور : رمضان عبدالتواب ، وأسماه (لحــن العوام) ، والدكتور عبدالعزيز مطر بعنوان (لحن العامة) ، وسأبينُ هنا بعض السمات التي تميز بها هذا المُصنَّف :

ـــ بدأ الزبيدي كتابه بمقدمة حمد الله تعالى فيها ، الذي أنطق كل أمة بلغتها ، وجعل العربية أفصح اللغات لساناً وأوضحها بياناً ... ثم ذكر أنّ العرب كانت في جاهليــتها وصــدر إسلامها تَبْرَعُ في نطقها بالسجية ، حتى فتحت المدائن ومصرت الأمصار ، فاختلط العربي بالنبطي ، والتقى الحجازيُّ بالفارسي ، وبدأ اللحن في ألسنة العوام ، ثم ذكر أن أول من حاول إصلاح الفساد اللغوي هو أبو

---

(١) انظر ترجمته في : جذوة الاقتباس ٢٠، إشارة التعيين ٣٠٧ ، وإنباه الرواة ٣/١٠٨ ، والبغية ١/٨٤ ، ومقدمة محققي لحن العامة : عبدالعزيز مطر ٧٥ ، رمضان عبدالتواب ١١ .

الأسود الدؤلي ، ومن اقتفى أثره من اللغويين ، الذين صنفوا في النحو والغريب ، وإصلاح المنطق تحصيناً للغتهم ، وإصلاحاً للمفسد من كلامهم .

ـــ ويذكر السبب الذي دعاه إلى تأليف كتابه ، وهو أنه تلقى دعوة لتأليفه من الخليفة الحكم المستنصر بالله فاستجاب لهذه الدعوة .

ـــ ثم يذكر أنه لم يستوعب في كتابه كل ما أفسدته الدهماء والسقاط ، إذ لو استوعب ذلك لطال الكتاب ؛ وإنما يذكر مما أفسدته العامة ما يتوقع الغلط فيه من الخاصة .

ـــ أما طريقته في عرض المواد في الكتاب ، فهو يبدأ بذكر الخطأ أولاً ، قائلاً : (ويقولون) ثم يتبعه بذكر الصواب بقوله ، قال محمد : والصواب كذا ، وأحياناً يقول قال أبو بكر ، ويحاول الزبيدي أن يبرهن على صحة ما يقوله ، وخطأ ما يدور على الألسنة فيأتي بشواهد من القرآن الكريم والأحاديث النبوية والآثار عن الصحابة ، والأشعار ، معززاً ذلك كله بأقوال اللغويين القدماء [1] .

ـــ اشتمل الكتاب على ذكر عدد من اللغويين والنحويين [2] ، وقد التزم الزبيدي ـــ كما هي عادة المؤلفين القدامى ـــ ألا يذكر قولاً إلا وقد عزاه لصاحبه .

ـــ وقد قسم المحقق الكتاب إلى أقسام ثلاثة [3] : فالقسم الأول ذكر فيه ما أفسدته العامة وما وضعوه غير موضعه ، وهذا يتعلق بتطورات الأصوات والصيغ والقسم الثاني ذكر فيه ما وضعته العامة في غير موضعه ، وهذا يتعلق بتطورات

---

(١) انظر الصفحات : ٦، ١٧ ، ٤٠ ، ٧٢ ، ٨٣ ، ١٠٨ ، ١٢٧ ، ٢٠٠ ، ٢٣٩ ، ٢٤٦ ، ٢٥٧ ، ٢٩٦ ، ٣٢٣ ، ٢٥٦ ..

(٢) انظر الصفحات ١٥٧،١٣٣،٩٠،٧٩،٧٥،٥٨،٦٤،٦٠،٣٠٠،٢٨٥،٢٤٧،٢٣٤،٢٠٩، ٣٣٥،٣٣١

(٣) هذا هو التقسيم الذي ارتضاه رمضان عبدالتواب محقق الكتاب : ٣٦ .

الدلالــة . أما القسم الثالث والأخير فقد فيذكر فيه ما يوقعه العامة على الشيء وقد يشركه في غيره ، وهو متعلق بتطورات الدلالة والتوسع فيها .

ولكي يتضح لنا المقصود من هذه التقسيمات الثلاثة نورد بعضاً مما ذكره المؤلف عن كل قسم منها : **ففي القسم الأول** (ما أفسدته العامة وما وضعوه في غير موضعه) مما يتعلق بتطورات الأصوات والصيغ ، نورد ما يلي :

ـ ويقولون : (بَزِيْم) للحديدة التي تكون في طرف حزام السَّرْج ...

قال محمد : والصواب : (إِبْزِيْم) على مثال : إِفْعِيل ، وفيه لغة أخرى يقال : (إِبْزَام) والجميع (أَبَازِيم)[1] .

ـ ويقولــون : (قَلْسُوَةٌ) قال محمد : والصواب : (قَلَنْسُوة) وفيها لغات : وذكر فيها أربع لغات [2] .

وثمة أمثلة أخرى ذكرها المصنف على هذا النوع أكتفي بالإشارة إليها في مظانها [3] .

أما القسم الثاني وهو : (ما وضعته العامة في غير موضعه) ومن أمثلته قوله :

ـ ويقولون : (دِرْهَمٌ وافٍ) ، إذا كان يزيد في وزنه . قال محمد : والوافي لا زيادة فيه ولا نقص ، وهو الذي وَفَّى بِزِنَتِه [4] .

ـ ويقولون للحزام : (قِلادَةٌ) . قال محمد : والقِلادة : العِقْدُ الذي يوضع في العُنُق[5] .

وقد تضمن هذا القسم أمثلة أخرى [6] .

---

(١) انظر لحن العوام ٧٣ .

(٢) نفسه ٨١ .

(٣) انظر الصفحات ٨٥ ، ٨٩ ، ١٥٣ ، ٢٠١ .

(٤) نفسه ٢٢٢ .

(٥) نفسه ٢٢٤ .

(٦) انظر ٢٣٨ ، ٢٤٠ .

أما القسم الثالث : وهو (ما يوقعه العامة على الشيء وقد يشركه غيره)

ومن أمثلة هذا :

ـــ قــولهم (الوادي) للنهر خاصة . قال أبو بكر : والوادي كل بطن مطمئن من الأرض [1] .

ـــ ويقولون : (خِمَارٌ) لما خَمَّرت به المرأة رأسها ، من شقاق الحرير خاصة قال أبو بكر : والخِمَارُ : كل ما خمرت به الرأس من ثوب وما أشبهه [2] .

ـــ ويقولـــون : (إِسْكَافٌ) للخرّاز خاصة . قال أبو بكر : وكُلُّ صانع عند العرب إِسْكَافٌ [3].

وتلـــك الأقســـام الثلاثة السابقة قال بها الدكتور رمضان وارتضاها تقسيماً لكـتاب الـزبيدي لحن العوام ، بينما يذهب الدكتور عبدالعزيز مطر ـــ والذي حقــق هـــذا الكتاب تحت عنوان (لحن العامة) إلى تقسيم آخر : وهو تقسيم الكـتاب إلى قسمين كما يدل العنوان الذي ذكره المؤلف بعد مقدمته وهو : (ذكر ما أفسدته العامة وما وضعوه في غير موضعه) .

فالقسم الأول ـــ في رأي الدكتور مطر ـــ هو : ما أفسدته العامة ، ويشمل ما غيرت العامة في أصواته ، وما غيرت في صيغته .

أما القسم الثاني فهو : (ما وضعوه في غير موضعه) وهذا خاص بالخطأ في دلالـــة الألفاظ ، ويشمل : العام الذي خُصِّصَ ، والخاص الذي عُمِّمَ ، وما استعملوه في غير مجال استعماله [4] .

---

(١) لحن العوام : ٢٤٥ .

(٢) نفسه ٢٤٧ .

(٣) نفسه ٢٥٠ .

(٤) انظر لحن العامة لمطر ٩٢ .

ولمـــا كانت هذه التقسيمات اجتهاداً من المحققين ؛ فإنني أخذت بما ارتضاه رمضـــان عبدالتواب ؛ لأن في ذلك تفصيلاً أكثر وأشمل ، وقد فصلت القول في ذلك في موضعه .

الزبيدي وموقفه من لحن العامة :

رأيـــنا ـــ ومـــن خلال هذا المُصنَّف ـــ أن الزبيدي من المتشددين في تنقية العربية فهو يأخذ بالأفصح ، ويرفض ما عداه ، وهذا ما جعل أحدُ المُحدَثين [1] يلحقه بمذهب الأصمعي ، وابن قتيبة ، وأبي العباس ثعلب ، ذلك المذهب المتشدد في تنقية اللغة ، وهذا التشدد في مذهب الزبيدي يتضح في الآتي :

جاء في كتابه لحن العامة ما يلي :

ـــــ ذكر الزُّبيدي أن العامَّة يقولون : (دِفْتر) ، بكسر أوله ... والصواب عنده أن يقال :(دَفْتر) بالفتح ، على مثال فَعْلَلْ [2] .

فـــرد علـــيه ابن هشام اللخمي بأنه : قد جاءت عن العرب فيه لغات . حكى بعضهم أنه يقال : دَفْتَر ودِفْتَر ، بفتح الدال وكسرها . وتَفْتَرْ بإبدال الدال تاءً [3] .

ـــ وصرح المصنف أيضاً بأن العامة تقول : وَتَدٌ فيفتحون التاء ، والصواب كما يرى أن يقال : وَتِدٌ " [4] .

ـــــ فـــيرد عليه ابن هشام بأن اللغويين قد حكوا في وَتِد ثلاث لغات : وَتِدٌ ، بكسر التاء ، ووَتَدٌ بفتحها ، ووَدٌّ بالإدغام " [5] .

---

(١) انظر لحن العامة : ١٠٣ .

(٢) نفسه : ١٨٣ .

(٣) انظر تقويم اللسان ٢٠ .

(٤) لحن العامة ٢٣٢ .

(٥) تقويم اللسان ٢٠ .

ـــــ كما ذكر الزبيدي أنهم يقولون : ضِفْدَعٌ ... والصواب عنده : ضِفْدِعٌ ، بالكسـر على مثال : فِعْلِلٌ [1] .

ـــ فـــرد عليه ابن هشام مصرحاً بأنه : قد جاء عن العرب في ضفدع ثلاث لغـــات : ضِفْدِعٌ ، بكسر الضاد والدال ، ضِفْدَعٌ ، بكسر الضاد وفتح الدال كما تنطق به العامة ، وضُفْدَعٌ بضم الضاد وفتح الدال ، وهي أقلها [2] .

ـــــ كما ذكر المصنف أيضاً أنهم يقولون لواحد الأظفار : ظِفْرٌ ... والصواب لديه أن يُقال : ظُفْرٌ ، وأُظْفُورٌ " [3] .

فيصـــرح ابـــن هشام أنَّ ابن جني حكى في الظُّفْر أربع لغات : ظُفْرٌ ، وظُفُرٌ ، وظِفْرٌ ، بكسر الظاء كما تنطق به العامة " [4] .

ـــ ويخطئ الزُّبيدي قول العامة (سَكْرانة)[5] .

فـــيرد علـــيه ابـــن هشام بقوله : " فإذا قالها قوم من بني أسد ، فكيف تُلَحَّن فـــيه العامـــة ، وإن كانت لغة ضعيفة ، وهم قد نطقوا بها كما نطقت بعض قـــبائل العرب " [6] . وقد كشف لنا ما تقدم من آراء ضمنها الزبيدي مصنفه المذكور مذهبه المتشدد في تنقية اللغة .

قلـــت : وقـــد أجاز ابن هشام اللخمي الكثير من استعمالات العامة ، والتي رفضـــها الزبيدي ، وعقد لها باباً مستقلاً في كتابه (المدخل إلى تقويم اللسان)

---

(١) لحن العوام ١٥٠ .

(٢) تقويم اللسان ٢٣ .

(٣) لحن العوام ١٤٧ .

(٤) تقويم اللسان ٢٩ .

(٥) لحن العوام ١٨٧ .

(٦) تقويم اللسان ٣٥ .

تحت عنوان : (الرد على الزبيدي في لحن العامة) [1] ، وسيأتي هذا في موضعه من هذا البحث إن شاء الله تعالى[2] .

---

(١) انظر تقويم اللسان ١١- ٤٥

(٢) انظر ص ٥١٩ من هذا البحث .

ثامناً ـــ الجَوْهَريُّ :

هو(أبو نصر إسماعيل بن حماد الجَوْهَري ، ت ٣٩٥هـــ) ، أصله من بلادِ التُّرك من فاراب ، إمامٌ في اللُّغةِ والأدَبِ ، وخَطُّهُ يُضْرَبُ به المثل في الجودة ، وهو من فُرْسان الكلام والأصول ، كان يُؤْثر السَّفَرَ على الحضرِ ، ويطُوفُ الآفاقَ [1] .

وخير ما يُمَثّل مذهبه في تنقية اللُّغة ، معجمه (الصِّحَاح) ؛ ولشدة عنايته بالصِّحاح ـــ أي ما صَحَّ عن العرب الموثوق بفصاحتهم ـــ فإنه شَدَّ رحاله إلى العراق ، حيث كان ـــ حينها ـــ يموج بالعلماء والشيوخ ، فقرأ على أبي علي الفارسي (ت ٣٥٦هـــ) ، وأبي سعيد السيرافي (ت ٣٦٨هـــ) ، وأحبَّ أن يستزيد من العلم فشدَّ رحاله إلى الحجاز ، وشافه العرب الفصحاء في ديارهم بالبادية ، وطَوَّف أيضاً ببلاد ربيعة ومضر كما أثبت ذلك في مقدمة صِحَاحِه .

يقول السُيوطي بعد أن سرد طائفة من كتب اللغة المشهورة : " وغالب هذه الكتب لم يلتزم فيها مؤلفوها الصحيح ، بل جمعوا فيها ما صحَّ وغيره ، وينبهون على ما لم يَثْبُتْ غالباً . وأول من التزم الصحيح وأقتصر عليه : الإمام أبو نصر إسماعيل الجوهري ؛ ولهذا سَمّيَ كتابه الصِّحاح "[2]. ويذكر الزَّبِيدي في مقدمه معجمه (تاج العروس) : أنَّ أول هذه المصنفات وأعلاها عند ذوي البراعة "كتاب الصِّحَاح " للأمام الحُجَّة أبي نصر الجَوْهَرِي . . . .

ومع أنَّ الصِّحاح أُلِّفَ في عصر عظمت فيه العناية باللُّغة ، فإن الجوهري كان من أبْرَزِ أولئك الأئمة ؛ وسبب ذلك أنَّ صِحَاحه كان آيةً في التأليف المعجمي ،

---

(١) ترجمته في : معجم الأدباء ٦/١٥١ ــ ١٦٥، وإنباه الرواة ١/١٩٤ ، ، والبغية ١/٤٤٦-٤٤٨ .

(٢) المزهر ١/٩٧ .

سَبَقَ غيرَه في هذا السبيل ؛ بابتكاره مَنْهجاً حازَ به حَقَ السَّبْقِ إليه ، مما قَرَّب اللُّغة إلى الباحثين ، ويسر لهم سبل البحث فيها . ولم يكن مسلكه المنهجي الجديد — وحده — هو ما رَفَعَ قدر الصِّحاح ، واتخاذه مرجعاً للُّغةِ الأُولى ، بل يزيد من قدره وعُلوِّه أنَّ صاحبه أَخَذَ على نفسه ما لم يأْخُذْه غيْرُه ، وهو التِزَامُه بإيرادِ مَا صحَّ — عِنْدَه : روايةً ودرايةً وسماعاً ومشافهةً — عن أصحابِ اللُّغة الموثوق بصحة لغتهم ، وسلامة لسانهم ، وفصاحتهم . ومن معالمه في تنقية اللُّغة أنه أشار إلى مستوياتِ اللُّغاتِ دُون الصَّحيحة ، فذكر منها : الضعيفة والمنكرة والمتروكة والرديئة ، والمذمومة ، ولم يغفل الإشارة إلى العامِّي منها .

ومن سمات الصِّحَاح : أنه يجمع الصَّحيح مع الترتيب المحكم والتنسيق المنظم ، والاخْتِيار الموفق .

وقد أُعجب الدارسون بهذا المعجم إعجاباً كبيراً ، فانتشر بينهم واشتهر ، يقول عنه الثعالبي : " .... وله كتاب الصحاح في اللغة ، وهو أحسن من الجمهرة ، وأوقع من تهذيب اللغة ، وأقرب متناولاً من مجمل اللغة "(١) .

ويرى القفطي أنَّ كتاب الصحاح في اللغة ، أكبر وأقرب متناولاً من مجمل اللغة ، ويشير إلى أنَّ كتاب الصحاح قد سار في الآفاق ، وبلغ الرِّفاق (٢).

وجاء في مقدمة لسان العرب قول مصنفه : " .... ورأيت أبا نصر اسماعيل بن حماد الجوهري قد أحسن ترتيب مختصره ، وشهره بسهولة وصفه ، فخفَّ على الناس أمره ، فتناقلوه ، وقرب عليهم مأخذه فتداولوه وتناقلوه " .

ويذكر أحد منافسي الجوهري ، وهو صاحب القاموس في مقدمة كتابه : أنَّ الناس أقبلوا على صحاح الجوهري ، ويصرِّح بأنه جدير بذلك .

---

(١) يتيمة الدهر ٢٨٩/٤

(٢) انباه الرواة ١٩٥/١

وينتصر أحدهم للجوهري بأنه خطيب المنبر الصرفي ، وإمام المحراب اللغوي [1] .

وجـاء في البغـية للسيوطي : " ... والصحاح في اللغة ، وهو الكتاب الذي بأيدي الناس اليوم ، وعليهم اعتمادهم ، أَحْسَنَ تصنيفه ، وَجوَّد تأليفه " [2] .

ويـنقل أحد المحدثين عن أبي الحسن الشاري بأنَّ الناس قد مالوا إلى جمهرة ابن دريد ومحكم ابن سيدة ، وجامع ابن القزاز ، وصحاح الجوهري[3] .

والصـحاح ـــ كغيره من معاجم القرن الرابع الهجري ـــ يحاول جمع المواد الكثيرة والصيغ ، والتزام الصحة ، ويمكن إيجاز بعض الظواهر التي اتسم بها هذا المصنف في الآتي :

أ ـــ التزامه الصحيح واقتصاره عليه .

ب ـــ جمعه للأقوال المختلفة في نسق واحد ، ولا يكثر من ذكر الآراء المختلفة ، كما يفعل الأزهري في التهذيب .

ج ـــ مـن مظاهـر الاختصار لدى الجوهري إغفاله نسبة كل قول يدونه إلى صـاحبه في كثير من الأحيان ؛ لأن منهجه اقتضى منه ذلك ، ومن الأمور التي دفعته للإختصار التزامه الصحيح من الألفاظ .

د ـــ وإذا كـان من مظاهر الصحة في المعاجم الأخرى ، كثرة النقد من مؤلفيها اللغوين ، فإننا لا نجد عند الجوهري نقداً كثيراً ، بخلاف معاصريه ، وسبب ذلك

---

(١) مقدمة الصحاح عبدالغفور عطار ٤٤

(٢) ٤٤٧/١

(٣) المعجم العربي نشأته وتطوره ـــ حسين نصار ، ٣٩٣ .

ما قاله السيوطي من أنّ الجوهري طرح الألفاظ غير الصحيحة ، ولم يدخلها في معجمه فلم يكن بحاجة إذن إلى نقدها [1] .

هـ ـــ فيما يخص الأفعال يُنبّه على ماضيها ومضارعها ، ومصدرها ، وأحياناً يكتفي بالتنبيه على المضارع وحده ، أو المصدر وحده ، إذا كان أحدهما يغني عن الآخر .

و ـــ أما فيما يخص الأسماء فيبين مصدرها وجموعها .

ز ـــ في ترتيبه للأبواب يتوج هذا النظام بترتيب الحروف الذي سار عليه ، وهو الترتيب الألفبائي ، والذي ييسر لكل إنسان العثور على ما يبحث عنه من الألفاظ بيسر وسهولة .

ح ـــ ومن الظواهر الهامة في الصحاح كثرة الأحكام والقواعد النحوية والصرفية ، التي يذكرها المؤلف ، كقوله مثلاً : " الثُّنْدؤه للرجل بمنزلة الثدي للمرأة .. إذا ضَمَمْتَ أولها همزت ، فتكون (فُعْلُلَة) ،وإذا فتحت لم تهمز فتكون (فَعْلُوَة) مثل : قَرْنُوة ، وعَرْقُوة "[2] .
" وجَأجَأتُ بالإبل : إذا دعوتها لتشرب ، فقلت : جيء جيء ، والاسم الجيء مثل : الجِيع ، وأصله : جئيء ، فقلبت الهمزة الأولى ياءً "[3] .
" وخَطَيء يَخْطأُ خَطْأً ، وخَطْأَةً على (فَعْلَة) والاسم : الخطيئة على (فَعِيْلَة)[4]

ط ـــ اعتنى بأسماء القبائل ، والأشخاص ، والأماكن ، وإن كانت عنايته بأعلام القبائل أكثر من عنايته بأسماء الأشخاص .

---

(١) المزهر ٩٧/١

(٢) الصحاح (ثدي)

(٣) الصحاح (جأجأ)

(٤) الصحاح (خطأ)

وإليك بعض الأمثلة التي جاءتْ في الصِّحاحِ ، والتي تُبرْهِنُ على حِرْصِ الجَوْهَرِي على انْتِقَاءِ الصَّحيح من اللُّغات ، وقد رأيت تصنيف هذه المعالم في تنقية اللغة لدى الجوهريِّ في الآتي :

أولاً : اقتصاره على اللغة العالية الفصيحة ، وإغفال ما عداها ،

ومن أمثلة ذلك قوله :

ـــ غَوَى الرَّجُل يَغْوِي غَيّاً . (غوى)

ـــ نَفَحَ الطِّيبُ يَنْفَحُ . (نفح)

ـــ نَفَرَتِ الدّابةُ تَنْفِرُ . (نفر)

ـــ خَمَدَتِ النّارُ تَخْمِدُ . (خمد)

ـــ رَبَضَتِ الغَنمُ تَرْبِضُ . (ربض)

ـــ زَكِنْتُ ، ولا يقال : أزْكَنْتُ . (زكن)

ـــ يقال : عُنِيْتُ بحاجتك أُعْنَى بها . (عنا)

قلت : اتضح لنا من خلال المواد أعلاه أنَّ الجوهري وقف عند حد الفصيح ، وإلا فإن من اللغويين من ذكر أكثر من لغة ، ويتضح بيان ذلك في الآتي :

ـــ ففي مادة (غَوَى الرَّجلُ يَغْوِي) يقال : غَوِيَ يَغْوَى ، بكسر الواو في الماضي ، وفتحها في المستقبل ، على مثال : علم يعلم [1] ، وقد سكت عنها الجوهري .

---

(١) انظر : أدب الكاتب ٤٢١ ، وأفعال السرقسطي ٤٣/٢ ، وتحفة المجد ٢٦ ، والمحكم ٤٥/٦ (غوى) ، واللسان (غوى)

ـــ وفي (خَمَـدَتْ النَّـارُ) يقال : خَمِدَتْ ، بكسر الميم [1] ، ولم يذكرها الجوهري .

ـــ وفي (زَكِنْتُ) أنكر الجوهري (أَزْكَنْتُ) بالألف ، وهي لغة حكاها غير واحد من أئمة اللغة[2] ، وهناك من حكى (زَكَنْتُ) بفتح الكاف ، كلغة ثالثة فيه[3] .

ـــ وفي (عُنِيْتُ بحاجَتِكَ) يقال : عَنَيْتُ ، بفتح العين ، وهي لغة فصيحة لم يذكرها الجوهري[4] .

ثانيا : ذكره للغتين معاً ، في حالة تساويهما فصاحة ،

ومن أمثلة ذلك قوله :

ـــ شَحَبَ جِسمُهُ يَشْحُبُ ، وشَحُبَ لغة فيه حكاها الفرّاء . (شحب)

ـــ قَحَلَ الشيءُ يَقْحَلُ ، وقَحِلَ بالكسر لغة . (قحل)

ـــ دَهِمَتْهُمْ الخيلُ ، قال أبو عبيدة : ودَهَمَتْهُمْ بالفتح لغة . (دهم)

ـــ شَمِمْتُ الشيءَ أَشَمُّهُ ، وشَمَمْتُ بالفتح أَشُمُّ لغة . (شمم)

ـــ شَمِلَهُمْ الأمرُ يَشْمَلُهُمْ ، وشَمَلَهُمْ بالفتح يَشْمُلُهُمْ لغة . (شمل)

ـــ مَذَى الرَّجلُ ، وأَمْذَى بالألف مثله . (مذى)

---

(١) انظر تحفة المجد ٦٩

(٢) انظر : الغريب المصنف ٢/٥٧٣ ، وشرح ابن هشام للفصيح ٥٩ ، وانظر : المحمل والمخصص والمحكم (زكن)

(٣) انظر : أفعال ابن القطاع ٢/٨٥ ، وشرح بن هشام ٥٩

(٤) انظر : الاقتضاب ٢/٢١٩ ، ٣/٢٤١ ، وأفعال السرقسطي ١/٣١٥ ، وأفعال ابن القطاع ٢/٣٩٥

ـــ هِلْتُ الدَّقيقَ ، وأَهَلْتُهُ لغة في هِلْتُ . (هيل)

ـــ يقال : جَهَدَ دابَّتهُ ، وأَجْهَدَها . (جهد)

ـــ فَرَضْتُ الرّجلَ ، وأَفْرَضْتُهُ : إذا أَعْطيتُه . (فرض)

ـــ قَلَيْتُ السَّويقَ واللَّحْمَ ، وقَلَوْتُه لغة . (قلا)

ـــ وبَرِئْتُ من المرض بُرْءاً بالضم ، وأهل الحجاز يقولون :
بَرَأْتُ من المرض بَرْءاً بالفتح . (برأ)

ـــ قال اليزيدي : (حَزَنَهُ) لغة قريش ، وأَحْزَنَهُ لغة تميم ،
وقد قرئ بهما . (حزن)

ـــ قال أبو الحسن الأخفش : استَحَيى بياء واحدة ،
لغة تميم وبياءين لغة أهل الحجاز . (حيي)

ثالثاً : ذكره ثلاث لغات ويتمثل ذلك في الآتي :

ـــ حُشْتُ الصَّيدَ .... ، وكذلك : أَحَشْتُهُ ، وأَحْوَشْتُهُ . (حوش)

ـــ بَهِتَ الرَّجلُ بالكسر ، وبَهُتَ بالضم مثله ،
وأفصح منهما : بُهِتَ . (بهت)

ـــ الإصبع : يذكر ويؤنث وفيه لغات : إِصْبَعْ ،
وأُصْبُعُ ، وأُصْبَعٌ ، وإِصْبِعٌ ، وأَصْبِعٌ ، مثال : أَضْرِب . (صبع)

ـــ يقال : ضَحَّى بشاة من الأُضْحِيَّة قال الأصمعي : فيها أربع لغات :
أِضْحِيَّةٌ ، وأُضْحِيَّةٌ ، وضَحِيَّةٌ ، وأَضْحَاةٌ . (ضحا)

رابعاً : تقديمه للغة العالية ، ووسم اللغة الثانية بسمات تخرجها عن حَيِّز الفصاحة ، ويتضح ذلك في قوله :

ـــ لَغَبَ الرَّجُلُ يَلْغُبُ ، ولَغِبَ بالكسر لغة ضعيفة فيه . (لغب)

ـــ وقَفْتُ الدَّار للمساكين وقْفاً ، وأَوْقَفْتُها بالألف لغة رديئة . (وقف)

ـــ وقَد بَرُدَ الشيء بالضم ، وبَرَدْتُهُ ، ولا يُقال أَبْرَدته ، إلا في لغة رديئة . (برد)

ـــ أغْلَقتُ البابَ فهو مُغْلَقٌ ، وغَلَقْتُ الباب غَلْقاً لغة ردئية متروكة . (غلق)

ـــ سَخِرْتُ منه أَسْخَرُ ، وحكى أبو زيد سَخِرْتُ به ، وهو أَرْدأُ اللغتين . (سخر)

ـــ أعَقَّت الفرسُ ، فهي عَقُوقٌ ، ولا يُقال : مُعِقٌ إلا في لغة رديئة . (عقق)

ـــ ومَحَقَهُ اللهُ ، وأَمْحَقَهُ لغة فيه رديئة . (محق)

ـــ وفُلانٌ شَرُّ الناسِ ، ولا يقال : أَشَرُّ الناسِ إلا في لغة رديئة . (شرر)

فتلك هي أهم معالم التنقية لدى صاحب الصحاح ، والذي التزم الصحيح في معجمه .

تاسعاً ـــ ابْنِ الجَبَّان (1)

هو (أبو منصور محمد بن علي بن عمر بن الجبَّان الأصبهاني) ، لا يُعْرف تاريخ مولده ، على وجه الدقة ، ولكنه من أصحاب أبي علي الفارسي المتوفى سنه ٣٩٨ ومن ندماء الصاحب بن عباد ، فَربما كانت ولادته بين العقدين الرابع والخامس من القرن الرابع الهجري . و لم تسْلَمْ وفاته ـــ أيضاً ـــ من الاختلاف ، إلا أنَّ معظم المصادر تشير إلى أنه كان حياً سنة ٤١٦ هـــ .

والذي نَهْدِفُ إليه ـــ من تناول شرحه لفصيح ثعلب ـــ في هذا المقام ، إيضاح منهجه في تنقية اللغة بوصفه عالماً من أبرز أعلام التنقية ، وتبرز سمات هذا المنهج في الآتي :

أ - سار على المنهج الذي رسمه ثعلب في فصيحه ، في اختياره للأفصح ، وإغفال ما عداه ، ومن أمثلة ذلك :

ـــ يرى فصاحة قولهم : فَسَدَ الشيءُ ، وينكر على من قال : انْفَسَدَ ولا فَسُدَ ، ويصرِّح بأنهما من لغات العامَّة (2) .
قُلْتُ : والضم لُغَةٌ حَكَاها جمعٌ من اللُّغويين (3) .

ـــ يقرر فصاحة : رَعَفْتُ أَرْعُفُ ، ويصرِّح بأنَّ : رَعُفْتُ ، بضم العين ، ورُعِفْتُ على ما لم يسم فاعله فاسدان (4) . قُلْتُ : وهذا الذي أنكره من لغة

---

(1) ترجمته في معجم الأدباء ١٨ / ٢٦٠ — ٢٦٢ ، و٣/ ١٩٢ ، وإنباه الرواة ، وبغية الوعاة ١/ ١٨٥ — ١٨٦ .

(2) شرحه : ٩٩ .

(3) انظر : الإصلاح ١٨٩ ، وأدب الكاتب ٤٢٢ ، وتثقيف اللسان ٢٣٥ ، والصحاح (فسد) .

(4) شرحه : ١٠٠ .

الضم (رَعُفَ) ، ووصفه بالفساد ، حكاه أئمة اللُّغة الثقات ، فمنهم : ابن السِّكِّيت ، وابن قتيبة ، وأبو عبيد ، وابن القطَّاع ، وابن مكي الصقلي ، والصفدي . [1] وحكَاها بعضُ أصحاب المعاجم ، قال في المحكم : " رَعَفَ يَرْعَفُ ، ويَرْعُفُ ، رَعْفًا ورُعَافاً ، ورَعُفَ ، ورَعِفَ " [2]

ــ ويرى فصاحة قولهم : ونَفَدَ الشئُ يَنْفَدُ ، وينكر على من قال : نَفِدَ الشئ إلا إذا فني[3] قُلتُ : ووافق ابن الجبَّان فيما ذهب إليه أئمة اللُّغة [4] ، ولم أجدْ مخالفاً له ، إلا ما حكاه ابن القطَّاع : " نَفَدَ ، بفتح الفاء ، وأنْفَد بالألف " . [5]

ــ اقتصر على لغة الفصاحة والعلو في قولهم : فَلَجَ الرّجلُ على خصمه يفْلجُ [6].
قُلتُ : وحكى بعض اللُّغويين لُغة ثانية (أفْلَجَ) ، حكاها ابن دريد ، والزَّجاج ، والسَّرقسطي ، ونقلَها صاحب تحفة المجد عن بعض أئمة اللُّغة . [7]

ــ ويفرد لغة الفصيح أيضاً في قوله :هِلْتُ عليه التراب أهِيْلُهُ[8] . قلت : وذكر جَمْعٌ من اللُّغويين لُغة ثانية ، لم يذكرها ابن الجبَّان ، وهي (أَهَلْتُ) بالألف ، حكاها أبو عبيد ، والزَّجاج ، وابن القطَّاع[9] . ومن اللُّغويين من نسبها إلى

---

(١) انظر الإصلاح ١٨٨ ، وأدب الكاتب ٤٧٦ ، والغريب المصنف ٢ / ٦٠٧ ، وأفعال ابن القطاع ٢ / ٤٣ ، وتثقيف اللسان ٢٦٢ ، وتصحيح التصحيف ٢٨٥ .

(٢) المحكم ٨٦/٢ ، والصحاح (رعف) .

(٣) شرحه : ١١٢ .

(٤) انظر : ما تلحن فيه العامة للكسائي ١٠٠ ، والإصلاح ٢٠٩ ، وأدب الكاتب ٣٩٨ .

(٥) انظر : أفعال ابن القطاع ٣ / ٢٢٧ .

(٦) شرحه ١١٤ .

(٧) انظر : الجمهرة ١ / ٤٨٧ (نفد) ، و فعلت وأفعلت للزجّاج ١٠٥ ، وأفعال السرقسطي ٤ / ٦ ، وتحفة المجد الصريح ٢٣٢ ، والقاموس (فلج) .

(٨) شرحه ١٢٠ .

(٩) انظر : الغريب المصنف ٢ / ٥٧٤ ، وفعلت وأفعلت للزجاج ١٢٨ ، وأفعال ابن القطاع ٣ /٤٦٢ .

هذيل وأهلته لغة لهذيل [1] ومنهم من ذكر ثلاث لُغات في الماضي : (هِلْتُ ، وأَهَلْتُ ، وهَيَّلْتُ) . [2]

ـــ ويفرد لغة الفصيح في نَقِهْتُ الحديث أَنْقَهُهُ [3] . قُلتُ : حكى جمعٌ من أئمة اللُّغة لغة ثانية ، وهـــي (نَقَهَتْ) ، بفتح القـــاف ، ومنهم : أبو عبيـــد ، وابن السكيت،والسرقسطي ، وابن القطَّاع. [4]ووافقهم أصحاب المعاجم اللُّغوية. [5]

ب – ومن مذهبه في التَّنقية التقليل من شأن لُغة العَامَّة ، ومن أمثلة ذلك :

ـــ ينكر قول العامَّة : سَمَكٌ مالحٌ ، وينبِّه إلى أن ذلك ليس بمختار عند الفصحاء[6] ، وإنما الاختيار أن يقال : مَمْلُوحٌ ومَلِيْحٌ . وقد وافقه جمعٌ من اللُّغويين كصاحب العين ، وابن السكيت ، وابن قتيبة ، وابـــن الجـــوزي ، وابن دُرُسْتويه ، والزمخشري . [7]

ـــ يذكر أنَّ : اليَسَارُ مُقابل اليمين ، وينبِّه إلى أنَّ الياء مفتوحة ، وبعضهم يكسرها ، ويقرر أنَّ ذلك ليس بمختار [8] . وهكذا قال به جمعٌ من أئمة اللُّغة ، أمثال : ابن السكيت ، وابن قتيبة ، وابن دُرُسْتويه ، وابن الجوزي ، والصفدي .[9]

---

(١) انظر : شرح الفصيح للزمخشري ١ /١٠٥ .

(٢) انظر : تحفة المجد الصريح ٢٩٠ .

(٣) شرحه : ١٢٩ .

(٤) انظر : الغريب المصنف ٢ / ٥٨٦ ، والإصلاح ٢١٤ ، وأفعال السرقسطي ٣ / ٢٠٧ .

(٥) انظر : الصحاح ، والمحكم ٩١/٤ ، والمصباح ، والقاموس (نقه) .

(٦) شرحه : ٣٢٦ .

(٧) انظر : العين ٣ / ٢٤٣ (ملح) ، والإصلاح ٢٨٨ ، وأدب الكاتب ٤٠٤ ، وشرح ابن درستويه ٤٩٣ ، وشرح الزمخشري ٢ / ٦٧٩ ، وتقويم اللسان ١٦٥ .

(٨) شرحه : ١٩٩

(٩) انظر : الإصلاح ١٦٣ ، وأدب الكاتب ٣٨٨ ، وشرح ابن درستويه ٢٦٩ ، وتقـــويم اللســـان ١٨٨ ، وتصحيح التصحيف ٥٥٧ .

ج – تَخْطِئته لبعض لُغَاتِ العَامَّة :

ومن معاييره في التَّنقية تخطئته لبعض لُغَات العامَّة ، وقد جاء ذلك بأساليب متنوعة ، ويتضح ذلك في عباراته التالية :

قوله : " لا يُقَال " :

ــ نبّه إلى أنَّه يُقَال : صَرَفْتُ الصبيان أصْرِفُهُم . ولا يقال : أصْرَفْتُ [٢]

قُلتُ : الذي ذهب إليه ابن الجبَّان وافق ما حَكَاه جمعٌ من أئمة اللغة كالكسائي ، وابن قتيبة ، والزَّجاج ، وابن الجوزي ، والصفدي . [٣]

قوله :" لا تَقُل " :

ــ يصرِّحُ بأنَّه لا يقال : انْفَسَدَ ، ولا فَسُدَ ، بضم السين ، وينبِّه إلى أنهما من لغات العامَّة [٤] . قُلْتُ : وهذا الذي أنكره ابن الجبَّان ، قال به جمعٌ من أئمة اللُّغة ومنهم : ابن السكيت ، وابن قتيبة ، وابن القطاع ، وابن الجوزي ، وابن مكي الصقلي . [٥]

قوله : " ليس ذلك بصحيح " :

ــ يصرِّح بأنَّ العامَّة تقول : غَفَوْتُ ، وينبِّه إلى أنَّ ذلك ليس بصحيح [٦] .

---

(٩) انظـر : الإصلاح ١٦٣ ، وأدب الكاتب ٣٨٨ ، وشرح ابن درستويه ٢٦٩ ، وتقويم اللسان ١٨٨ ، وتصحيح التصحيف ٥٥٧ .

(١) شرحه ١٤٤ .

(٢) انظر : ما تلحن فيه العامة للكسائي ١٠١ ، والإصلاح ٢٢٦ ، وأدب الكاتب ٣٧٤ ، وفعلت وأفعلت للزجاج ١٥٣ ، وتقويم اللسان ١٣٠ ، وتصحيح التصحيف ١١٢ .

(٣) شرحه : ٩٩ . وانظر : ١١٨ ، ٢٢٩ ، ٣٣٥ .

(٤) انظر : الإصلاح ١٨٩ ، وأدب الكاتب ٤٢٢ ، وأفعال ابن القطاع ٢ / ٤٦٣ ، وتقويم اللسان ١٤٥ ، وتثقيف اللسان ٢٢٥

(٥) شرحه ١٥١ ، وأنظر : ٢٠٢ ، ٢٦٠ ، ٣١٩ ، ٣٢٠ ، ٣٢٧ .

قُلْتُ : وافق معظم اللُّغويين ما ذهب إليه ابن الجبَّان ، ولم أرَ مخالفاً له ـــ حسب ما اطلعت عليه ـــ إلا ما حكاه السرقسطي ، وابن القطَّاع من ذِكْرِهما (غَفَوْتَ) كلُغَة ثانية . [1]

ـــ يذكر بأنّ : الثُّؤْلولُ ، هو الذي تُسميه العامَّة : ثَألولٌ ، ويصرِّح بأنَّ ذلك ليس بصحيح [2] .

قُلْتُ : قد وافق ابن الجبَّان ما ذهب إليه جمعٌ من اللُّغويين ، كابن قتيبة ، وابن مكي الصقلي ، والصفدي . [3]

قوله : " ذاك خطأ " :

يصرِّحُ بأنَّ العامَّة تقول : إِسْنانٌ ، بالكسر ، وينبِّه إلى أنه خطأ[4] . قُلْتُ : وقد وافق ابن دُرُسْتويه ، والزمخشري ما ذهب إليه ابن الجبَّان . [5] وعامَّةُ زماننا على فتح الهمزة في (أَسْنَان) ولا نكاد نسمع لُغة الكسر فيها .

قوله : " ليس ذلك بشيء " :

ـــ ينبِّه إلى أنَّ العَامَّة تقول : رائطَةٌ ، ويرى أنَّ ذلك ليس بشيء[6] . ووافق ابنُ الجبَّان ما حَكَاه جمعٌ من أئمة اللُّغة ، كابن السكيت ، وابن قتيبة ، وابن دُرُسْتويه ، والزمخشري . [7]

قوله : " ذلك غلط " :

---

(٦) انظر أفعال السرقسطي ٢ / ١٠٨١ ، وأفعال ابن القطاع ٢ / ٤٤٦ .

(١) شرحه : ٤٤٦ .

(٢) انظر : أدب الكاتب ٣٩٤ ، وتثقيف اللسان ١٥٨ ، وتصحيح التصحيف ١٩٨ .

(٣) شرحه ١٩٩ ، وانظر : ٢٦٩ ، ٣٢٥ .

(٤) انظر : تصحيح الفصيح ٢٦٩ ، وشرح الزمخشري ٣٧٦ .

(٥) شرحه ٣٣٢ .

(٦) انظر : الإصلاح ٢٩٧ ، وأدب الكاتب ٤٢٧ ، وتصحيح الفصيح ٥٦ ، وشرح الزمخشري ٦٨٩ – ٦٩٠ .

ـ يذكر أنَّ : الشّبُوطُ ، سَمَكٌ عند أهل العراق معروف ، وينبِّه إلى أنّهم يَضُمون الشين ، ويصرِّح بأنَّ ذلك غلط [1] .

قلت : وقد وافق ذلك ما نقل عن أئمة اللُّغة ، من أمثلة : الكسائي ، وابن السكيت ، وابن قتيبة ، وابن دُرُسْتويه ، وابن الجوزي ، والسيوطي [2] ، وأصحاب المعاجم اللُّغوية . [3]

ومما سبق نخلص إلى إيجاز مذهب ابن الجبَّان في تنقية اللُّغة بالآتي :

ـ الاختيار : ويَتمثَّل ذلك بذكره أفصح اللُّغات ، وإغفال ما عداها .

ـ التصويب : ويتمثل ذلك في إثباته لنطق العامَّة وتصويبه لها .

ـ التقليل من شأن لغة العَامَّة : ويتمثل ذلك في نعته لها بما يُقلِّلُ من قدر فصاحتها .

وهناك معالم أخرى سار عليها الشارح في تنقيته للغة سيأتي تفصيلها في الفصل الثاني من هذا الباب إن شاء الله تعالى .

---

(٧) شرحه ٢٠٩ ، وانظر : ٣٣٠ ، ٣٣٥ — ٣٣٦.

(١) انظر : ما تلحن فيه العامة للكسائي ١١٢ — ١١٣ ، والإصلاح ١٣٢ ، ٢١٨ ، وأدب الكاتب ٥٨٩ ، وتصحيح الفصيح ٢٨٠ ، وتقويم اللسان ١١٨ ، والمزهر ٢ / ٥١ .

(٢) انظر : الجمهرة ٣ / ١٢٨٦ ، والصحاح (شبط) .

عاشراً ـــ ابنُ مَكّي الصِّقِلي :

هـــو أبـــو حفص عمر بن خلف بن مكي الحميري المازري الصقلي ، النحوي ، اللغـــوي ، الفقيه ، الـــمُحدِّث ، الخطيب ، الشاعر ، يلقب بالإمام ، وباللغوي المحـــدث ، وبالقاضي الجليل ، ذُكر أنه كان خطيباً ، يخطب الجمعة من إنشائه ، وكان شاعراً ويغلب على شعره الحكمة والموعظة توفي سنة ٥٠١هـــ[١] .

ـــــ بـــدأ ابن مكي كتابه بمقدمة حمد الله ـــ جل وعلا ـــ الذي فضَّل العرب بهذا اللسان ، وبخاتم الأنبياء ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ والذي فُضِّل على سائر الأمم ، وجعـــل الله تعـــالى معجـــزته قائمة وآيته دائمة ، وشرَّفه ربه ـــ تبارك وتعالى ـــ بالفصـــاحة الباهرة ، ثم يصور المؤلفُ حال اللغة العربية في صقلية ، حيث نشأ فيها اللحن " ودُخلت لغةُ العرب ، فلم تزل كل يوم تنهدم أركانها ، وتموت فرسانها ، حتى استبيح حَرِيمها ، وهُجِّنَ صميمها ، وعفت آثارها.... " [٢] .

ـــــ وأبان في تلك المقدمة أن كثيراً من الناس يخطئون وهم يحسبون أنهم مصيبون وكـــثير مـــن العامة يصيبون وهم لا يشعرون ، فربما سخط المخطئ من المصيب ، وعنده أنه قد ظفر بأوفر نصيب [٣] . ويوضح أن الناس تساووا في الخطأ واللحن إلا القليل .

ـــ كما يكشف لنا ابن مكي أن اللَّحْن قد وصل بين الخاصة إلى أخطر مراحله ، إذ تـــبدو مظاهره في تصحيف الأحاديث النبوية ، وكذا تَعمُّد الوقف في مواضع لا يجوز الوقوف عليها في القرآن الكريم ، وتغيير أشعار العرب وتصحيفها ، وتصنيف

---

(١) ترجمته في : إنباه الرواة ٣٢٩/٢ ، وتصحيح التصحيف وتحرير التحريف ٤٢ ، بغية الوعاة ٣٦١ ، وكشف الظنون ٩٩٣/٢ ، وفي مقدمة المحقق عبدالعزيز مطر ص ٦ .

(٢) انظر : مقدمة تثقيف اللسان ٤١- ٤٢ .

(٣) المقدمة نفس الصفحات .

الكتب الملحونة ... وبلغ سوء الحال درجة لا يُميز الناس فيها بين الصحيح والملحون ، بل ربما أنكروا الصواب [1] .

ـــ ويورد المؤلف بعض الأمور ـــ والتي لاحظها بنفسه ـــ والمتعلقة بأخطاء خاصة الناس ، وهي في نظره على أربعة أضرب :

أولهـــا : مـــا وقف عليه بخط رجل من خاصة الناس وأفاضلهم ، وهو قوله : " أُحِبُّ أن تَشتهد " بالشين ، يريد تجتهد [2].

ثانـــيها : ما رآه بعينه بخط رجل آخر أكبر من الأول ، وأعلى منزلة ، إذ كتب على ظهر كتاب قول مروان بن أبي حفصة :

زَوَامِلُ للأسفادِ لا عَلمَ عِنْدَهُم بجَيِّدها إلا كَعِلْـــــــمِ الأَبَاعِرِ

فكتب (للأصفاد) بالصاد [3] .

وثالثها : أن رجلاً من أهل العلم ، كتب إلى ابن مكي رقعة فيها : " وقد عَزَمْتُ على الإيتيان إليك " بزيادة ياء بعد الهمزة [4] .

ورابعهـــا : وهو الذي بسببه قام بتأليف كتابه ، وهو أن ابن مكي شهد رجلاً قبله تخصصٌ وفقه وحفظ للأخبار والأشعار ، وقد سمع كلاماً فيه ذكر (الشدق) ، فلمـــا سمعـــه بالدال غير المعجمة ، أنكره ، وتعجب من أن يجوز ذلك ، وكان كالعامـــة يقول : (الشّذْق) بالذال ، ثم سأله ذلك الرجل ابن مكي أن يجمع له ممـــا يصـــحف الناس في ألفاظهم ، وما يغلط فيه أهل الفقه ، فأجابه المؤلف إلى

---

(١) المقدمة ص ٤٢ .

(٢) ص ٤٢

(٣) تثقيف اللسان ص ٤٢

(٤) نفس الصفحة .

ذلك ، وكان ذلك سبباً لتأليف كتابه هذا [1] ، (تثقيف اللسان وتلقيح الجنان) . والـــذي حققه الدكتور عبدالعزيز مطر ، فأراد المؤلف من هذه التسمية ـــ وكما يقـــول الدكـــتور مطر [2] ـــ أن يكون كتابه تثقيفاً للسان بما يضم من تصحيح للأخطـــاء اللغوية التي شاعت بين العامة والخاصة في صقلية ، في القرن الخامس الهجـــري ، وأن يكون تلقيحاً للجنان بما تضمنه من شرح لما يجري على الألسنة مـــن أمثال سائرة ، ومن تفسير طائفة من أبيات الشعر ظاهر لفظها مخالف لمعناها ، وهـــذا المُصنَّف يكشف عن منهج مؤلفه في تنقية اللغة العربية مما يشوبها ، وهو مدار حديثنا في هذا المبحث .

---

(١) ص ٤٢ - ٤٣

(٢) ص ١٤

أولاً / منهجه في الكتاب :

نـــص ابن مكي في مقدمة كتابه على أنه جمع من غلط أهل بلده ما سمعه من أفـــواههم ، وجـــاء الكـــتاب في خمـــين باباً أثبتها في مقدمته [1] ،مما أغنى عن تكـــرارها ،بـــدأها بباب التصحيف ، لأنه ــــ وكما يقول[2] ــ كان السبب في تألـــيف الكتاب ، ومفتاح النظر في تصنيفه ، ثم أتبعه كلاماً يليق به أو يقاربه ، فبعد التصحيف يذكر التبديل ، ويلحظ على هذا التبويب ما يلي :

ـــــ من الباب الأول إلى الثالث عشر ، ومن السادس عشر إلى الثامن عشر ومن السـادس والعشرين إلى الثلاثين ، جرى التقسيم فيها على أساس نوع الغلط الذي وقع من العامة أو الخاصة ، فهو تصحيف أو تبديل ، أو زيادة أو نقص ، أو تغيير حركة ، أو تحريك ساكن ، أو تسكين متحرك ، أو تشديد مخفف ، أو العكس ، أو همز ما ليس بمهموز ، أو تركه ، أو تأنيث مذكر ، أو العكس .

ــ أما البابان الرابع عشر والخامس عشر ، فقد جرى فيهما التقسيم على أساس الصيغة التي يقع فيها الخطأ ، كأسماء الفاعلين والمفعولين .

ــــ والأبواب من التاسع عشر إلى الثالث والعشرين ، قُسِّمت على أساس الباب النحوي أوالصرفي الذي يقع فيه الخطأ ، كالتصغير والنسب أو الجموع .

ــــ أما الباب الرابع والعشرين فيجمع أخطاء لا تقع تحت الباب ، فأطلق عليها (باب في أنواع شتى) .

ــــ أما الأبواب العشرة من الحادي والثلاثين إلى الأربعين ، فجرى التقسيم فيها علـــى أساس من يقع منهم الغلط ، وهم العامة والخاصة ، والقُرَّاء ، وأهل الحديث ، والفقه ، وأهل الطب ، وأهل السـماع (وقصد به الأغاني)

---

(١) تثقيف اللسان ص ٤٢ - ٤٥ .

(٢) نفسه ص ٤٧ .

ـــــ وجـــاءت بقـــية الأبواب في موضوعات غير اللحن ، وجرى التقسيم فيها حسب نوع الموضوع الذي عقد الباب من أجله .

وبعـــد هذا الإيجاز عن المنهج الذي سار عليه المؤلف في كتابه ، نختم مبحثنا باختـــيار بعضا من أبواب الكتاب ، والتي تكشف عن منهج المؤلف في حرصه على سلامة اللسان ، وتقويمه ، وتنقيته للغة القرآن ، فمن أمثلة ذلك :

أولاً / باب التصحيف : قال المؤلف مستهلاً كتابه :

ـــــ " ورُوي عـــنه ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ : " التَّفْلُ في المسجد خطيئة ، وكفارتـــه أن يـــواريه "[1] ويصرح بأن هذا مما يُغلط فيه الناس فيجعلونه بالثاء ، فيقولون : ثَفَلَ يَثْفُلُ ، إذا بصق ، والصواب عنده أن يقال بالتاء (تَفَلَ) [2] .

ـــــ كما يذكر أن البعض يقولون لجانب الفم : شِذْق ، ويقرر أن الصواب بأن يُقال ذلك بالدال غير معجمه (شدق) [3] .

وقد اشتمل هذا الباب على أمثلة أخرى نشير إليها في مظانها [4] .

ثانياً / بابا التبديل ، ومن أمثلته قوله :

ـــــ فَقَعْتُ عين الرَّجل ، وهو مفقوع العين .والصواب عنده أن يقال : فقأت عينه "[5] .

ـــ ويقولون : بَرْدٌ قارِص . والصواب لديه أن يقال : قارسٌ [6] بالسين .

---

(١) صحيح البخاري ، بلفظ (البزاق) باب : كفارة البزاق في المسجد برقم (٤٠٥) وفي صحيح مسلم باب : النهي عن البصاق في المسجد برقم (٥٥٢) وهو برواية (التفل) .

(٢) تثقيف اللسان ٤٨ . وانظر تصحيح التصحيف ٢٠١ .

(٣) نفسه ٥٧ . وانظر تصحيح التصحيف ٣٣٢ .

(٤) انظر الصفحات : ٥١ ، ٦١ ، ٦٧ ، ٧٠ .

(٥) نفسه ٧٤ . وانظر الاصلاح ١٤٩ ، وأدب الكاتب ٣٦٧ ، وأفعال السرقسطي ٥١/٤ ، والصحاح (فقأ)

(٦) نفسه ٨٩ . انظر ما تلحن فيه العامة ١٢٢ ، الاصلاح ١٨٤ ، أدب الكتاب ٣٨٦ ، والمدخل إلى تقويم اللسان ٢٢٠ .

وثمة أمثلة أخرى ساقها المؤلف على هذا الباب [1] .

ثالثاً / باب ما أنثوه من المذكر ، ومن أمثلته قوله :

ـ " من ذلك القلب ، والرأس ، والبطن ، والجوف ، يقولون : رقّت له قلبي ، وانتفخت بطني ، ونحو ذلك . والصواب تذكير الجميع " [2] .

ـ " ومنهم من يؤنث القمر ، فيقول : طلعت القمر ، وتأنيثه لا يجوز ، وكذلك السيف ، ربما أنثوه . والصواب تذكيره " [3] .

وجاء مثل هذه الأمثلة في ثنايا الكتاب [4] .

رابعاً / باب ما وضعوه غير موضعه ، ومن أمثلته :

ـ ما صرّح به من أنهم يقولون للكلأ الأخضر : حشيش ، وينبّه المؤلّف إلى أنّ إنما الحشيش يطلق على اليابس فحسب [5] .

ـ وكذلك قولهم للفرس الأبيض : أشهب . ينبّه المؤلف بأنّه لا يُقال ذلك ، وإنما يقال : أبيض ، وقرطاسي [6] .

ـ كما ذكر أنّهم يغلطون في قولهم : للبساط : نُمْرُقة ، ويصرّح بأن النُّمْرُقة إنما هي الوِسادة [7] .

(١) انظر الصفحات ٧٦ ، ٨١ ، ٨٦ ، ٨٩ ، ٩٥ .

(٢) تثقيف اللسان : ١٧٤ .

(٣) نفسه : ١٧٤ .

(٤) نفسه : ١٧٦ .

(٥) نفسه ١٩٧ .

(٦) نفسه ٢٠٢ .

(٧) نفسه ٢٠٧ .

خامساً / باب ما جاء فيه لغتان فتركوهما واستعملوا ثالثة لا تجوز ومن أمثلة ذلك :

ــــ ذكر أن هناك من يقول : رَشْوَةٌ ، بالفتح . والصواب عنده أن يقال : رُشْوَةٌ ، بضم الراء وكسرها لا غير [1] .

ــــ أيضاً يصرح بأن البعض يقول : عليه طِلاوةٌ . وينبه أن الصواب أن يقال : طُلاوةٌ ، وطَلاوةٌ ، بالضم والفتح ، والضم عنده أفصح [2] .

وثمة أمثلة على هذا النوع نشير إليها في مظانها [3] .

سادساً / باب ما جاء فيه ثلاث لغات فتركوهن واستعملوا رابعة لا تجوز ، ومن أمثلة ذلك :

ــــ يذكر أنهم يقولون : بِيْطَارٌ . وينبه إلى عدم جواز ذلك والصواب عنده : بَيْطَارٌ ، بَيْطَرٌ ، ومُبَيْطِرٌ [4] .

ــــ ويذكر المصنِّف أنهم يقولون : رجل أَسْبَطٌ . وينبه إلى أن الصواب أن يقال : سَبْطٌ ، وسَبِطٌ ، وسَبَطٌ [5] .

ــــ ويذكر المُصنِّف أن في : العَرَبُون ست لغات : عَرَبُون ، وعُرْبُون ، وعُرْبَانٌ ، وأَرَبُونٌ ، وأُرْبُونٌ، وأُرْبَانٌ . وينبه إلى أنهم يقولون : العَرْبُون ، بإسكان الراء ، ويصرح بعدم جواز ذلك [6] .

---

(1) تثقيف اللسان : ٢١٨ .

(2) نفسه : ٢١٩ .

(3) انظر الصفحات : ٢٢٠ ، ٢٢١ .

(4) نفسه : ٢٢٢ .

(5) نفس الصفحة .

(6) نفسه ٢٢٣ .

سابعاً / باب ما تنكره الخاصة على العامة ، وليس بمنكر، ذكر من ذلك:

ـــ قولهم للمائدة : مَيْدَةٌ ، ويصرِّح بأن هذا معروف مسموع ، حكاه أبو عمر الجرمي وابن الأنباري ، وغيرهما [١] .

ــ وكذلك قولهم في جمع صُورة : صِوَر ، بكسر الصاد ، فيصرِّح المصنف بجواز ذلك ، وأنه يقال : صُوَرٌ ، وصِوَرٌ ، إلا أنَّ الضم عنده أفصح [٢] .

وثمة أمثلة أخرى نشير إليها في مظانها [٣] .

ثامناً / باب ما جاء فيه لغتان ، استعمل العامة أفصحهما،ومن أمثلة ذلك :

ـــ ما ذكره من أنَّ المتفصحين يضمون السين من (السَّمّ) والشين من (الشَّهد) ويقولون في المثل المستعمل : (وهل يؤكل الشُّهْدُ إلا بسُم) . وينبه إلى أنَّ الفتح منها أفصح كما تقول العامة [٤] .

ــ وفي قولهم : ما دِلالَتُكَ عليَّ ، بكسر الدال ، يصرح بأنَّ الدَلاَلَة ، بفتحها ــ كما تقول العامة ــ أفصح [٥] .

ــ وأشار إلى أنهم يقولون : بغداذ ، بالذال معجمه ، ويصرح بأن بغداد ، بدالين غير معجمتين ــ كما تقول العامة ــ أفصح " [٦] .

---

(١) تثقيف اللسان : ٢٢٧ .

(٢) نفسه : ٢٢٩ .

(٣) انظر الصفحات : ٢٣١ ، ٢٣٢ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧ .

(٤) نفسه ٢٤١ .

(٥) نفسه ٢٤١ .

(٦) نفسه ٢٤١ .

تاسعا / باب ما العامة فيه على الصواب والخاصة على الخطأ ، ومن أمثلة ذلك :

ـــ ذكر أن المتفصحين يقولون : العَسْلُ ، واللبْنُ ، وظَفِرَ المسلمون ظَفْراً عظيماً ، بالإسكان . ويصرِّحُ بأن الصواب أن يقال : العَسَلَ واللَّبَنَ ، والظَّفَرَ ، بالفتح كما تقوله العامة [١] .

ـــ ويذكر أن المتفصحين أيضاً يقولون : مِرْزَاب الكعبة . ويرى أن الصواب مِئْزاب ، بالهمز ، ومِيزاب ، بالياء كما تقول العامة " [٢] .

وقد ضم الباب ـــ بالإضافة إلى ما ذكر ـــ أمثلة أخرى على هذا النوع [٣] .

قلت :فإذا كان الزبيدي في كتابه (لحن العامة) متشدداً في حد الفصاحة ، ولا يأخذ إلا بالأفصح ، ويرفض ما عداه ـــ كما مر بنا ـــ ؛ فإن ابن مكي الصقلي من خلال بعض الأبواب السابقة ، كباب : (ما جاء فيه لغتان استعمل العامة أفصحها) ، وباب : (ما جاء فيه لغتان فتركوهما واستعملوا ثالثة لا تجوز) ، وباب : (ما جاء فيه ثلاث لغات فتركوهن ، واستعملوا رابعة لا تجوز) ، وباب : (ما تنكره الخاصة على العامة ، وليس بمنكر) ، أقول : لديه نزعة توسعية في قبول ما نطقت به العامة ، إذا كان ذلك جارياً على لهجة عربية معروفة ، وتَبْرُز هذه النزعة في قبوله وتصويبه لكثير من الألفاظ التي أنكرها غيرُه ، كقوله في الباب السابق (ما تنكره الخاصة على العامة ، وليس بمنكر) . وهو خير ما يمثل هذه النزعة التوسعية ، فبالإضافة إلى ما ورد في ذلك الباب نذكر ما يلي :

---

(١) تثقيف اللسان : ٢٤٢ .

(٢) نفس الصفحة .

(٣) انظر الصفحات ٢٤٤ ، ٢٤٥ ، ٢٤٦ .

ـــ يجيز قول العامة : (شِعير ، وسِعيد ، وبِعيد) [1] بكسر الأول منها جميعاً ، واســـتدل في قوله هذا ، إلى أن هذه هي لغة تميم مع أنها ليست أفصح اللغتين في هذا الموضـع [2] .

ـــ ويجيز ـــ أيضا ـــ قول العامة : (دِجاجة ، ودِجاج ، بكسر الدال) [3] ، إلا أنه يذكر أن الفتح أفصح . قلت : وكسر الدال في الدِّجاج حكاه ابن السكيت عن الفرّاء [4] كما نقله السيوطي عن الفارابي ، وقـــد نصَّ الأخير على أنها لغة رديئة [5] ، وقـــد انكرها ابن قتيبة [6]، واقتصر ثعلب في فصيحه على (دَجاجة) بفتح الدال ، وأغفل لغة الكسر [7] .

ـــــ كما أجاز ابن مكي قول العامة (خَطاء ، بدلاً من خطأ) [8] مستدلاً على ذلك بقراءة الحسن : ((وما كان لمؤمن أن يقتل مؤمنا إلا خطاءً)) [9] .

ولعـــل ما تقدم من أمثلة قد أماط لنا اللثام عن مذهب التوسع عند ابن مكي الصقلي ، وإذا كُنّا قد ذكرناه مع علماء التنقية ؛ فلكونه من أولئك الأئمة الذين صنفوا المصنفات في صيانة اللسان العربي وتقويمه عن الانحراف والاعوجاج .

---

(١) تثقيف اللسان ٢٢٧ .

(٢) (اللسان : شعر ، سعد ، بعد)

(٣) تثقيف اللسان ٢٢٨ .

(٤) الاصلاح ١٠٥ .

(٥) المزهر ١/٢٢٤ .

(٦) أدب الكاتب ٣٠١

(٧) الفصيح ٢٩٢.

(٨) تثقيف اللسان ٢٢٨ .

(٩) سورة النساء : ٩٢ ، وهذه قراءة الحسن والأعشى ، انظر التاج (خطأ)

الحادي عشر ـــ القَاسِم بن عَلي الحَرِيرِي

هو أبو محمد القاسم بن علي بن محمد بن عثمان الحريري ، البصري ، صاحب المقامات ، من أهل بلد قريب من البصرة ، يسمى (المَشَانَ) ولد ونشأ به وسكن البصرة في محلة بني حرام ، وإليها نسب . قرأ الأدب على أبي القاسم الفضل بن محمد القَصَبَاني ، وكذلك أخذ عنه النحو وتفقه على ابن الصَّبَّاغ ، وأبي إسحاق الشيرازي ، وقرأ الحساب والفرائض على أبي الحكم الجبري ، وأبي الفضل الهمذاني ، كان إماماً في الفصاحة والبلاغة ورشاقة الألفاظ . وله مصنفات منها : المقامات ، والملحة وشرحها ، ودرة الغواص في أوهام الخواص ، ولابن بري عليها حواش ، وديوان ترسل ، وديوان شعر . مات بالبصرة سنة ٥١٥ ، وقيل ٥١٦ هـ [(١)] .

والذي يعنينا من هذا العالِم كونه أحد علماء التنقية اللغوية المتشددين في هذا المجال ، وخير ما يمثل مذهبه هذا كتابه (درة الغواص في أوهام الخواص) ، والذي حققه الدكتور الشريف عبدالله بن علي البركاتي .

والملاحظ أن هذا العنوان يختلف عن العناوين التي ارتضاها أصحاب المصنفات والذين ألفوا في لحن العامة ؛ أما الحريري فإنه عالج في كتابه هذا الأخطاء أو الأوهام التي وقع فيها الخاصة ، كما هو واضح من العنوان نفسه ، بل يتضح الأمر أكثر في مقدمة المؤلف ، والتي بدأها بقوله : " فإنني رأيت كثيراً ممن تسنموا أسنمة الرُّتب وتوسموا بسمة الأدب ، قد ضاهوا العامة في بعض ما يُفْرِطُ من كلامهم ،

---

(١) انظر ترجمته في : معجم البلدان ٢٦١/١٦ – ٢٩٣ ، وإشارة التعيين ٢٦٣– ٢٦٥ ، والبغية ٢٥٧– ٢٥٩ ، ومقدمة الشريف البركاتي محقق الكتاب ١٠ ،

وترْعُفُ به مَراعفُ أقلامهم ، .... فدعاني الأَنَفُ لنباهة أخطارهم .... إلى أن أدرأ عنهم الشُّبهَة وأبين ما التبس عليهم واشتبه .... الخ " [1] .

أهمية هذا الكتاب :

اشــتمل على مادة علمية غزيرة ، ومتنوعة ، ما بين نحو وصرف ولغة ، وقواعد إملائــية ، تهــم كل طالب علم ومعرفة ، كما ضم الكتاب ـــ أيضاً ـــ شوارد ونـــوادر ، وطرف ، وحكايات قلما اجتمعت في كتاب آخر ، يُزين ذلك كله أســلوب مــؤلفه والذي امتاز بالرقة في الأسلوب ، والبلاغة في الأداء والدقة في التعــبير ، والفصــاحة في الكلمة ، والرشاقة في العبارة [2] ، وقد أثرى الكتاب المكتــبة العربية بالدراسات اللغوية والنقدية ، فاستحوذ على اهتمام العلماء على مــدى تسعة قرون ، كما تأثر به مجموعة من العلماء والكتّاب والباحثين المحدثين ولا أدل علــى ذلك من تلك المصنفات ، والتي دارت في فلك الدرة ؛ فمنها ما يمــثل الجانب النقدي ، والبعض الآخر جاء الاستيفاء ما فات الحريري ، وبعضها اســتمد مادته من درة الغواص ، كابن الجوزي [3] ، وصلاح الدين الصفدي [4] ، ولأهميــته فقــد آثــار حملة تأليف واسعة ما بين شرح ونظم ، ونقد وردود ، واختصــار ، وقــد أثبت محقق الكتاب ثلاثين مصنفاً ، كلها يدور في فلك درة الغواص [5].

---

(١) انظر مقدمة المؤلف ٤٥ .

(٢) مقدمة المحقق ٤ .

(٣) في كتاب تقويم اللسان .

(٤) في كتاب تصحيح التصحيف .

(٥) الشريف عبدالله البركاتي في مقدمته ١٧ — ١٩ .

المنهج الذي اتبعه المؤلف :

لم يكن للحريري منهجاً واضحاً في ذكره للأخطاء التي وقع فيها الخاصة ، وإنما وجدناه يوردها كيفما اتفق ، وعلى وفق تواردها على خاطره .

وقد نبه إلى ذلك ابن منظور في كتابه : (تهذيب الخواص من درة الغواص) بقوله : " غير أنه وضعه بغير تبويب ، وسرده على غير ترتيب ، فضاع فيه المَطَالِعُ واشتبهت عليه المَطَالِعُ ، ثم يكشف لنا ابن منظور أنه عالج ذلك بتهذيبه درة الغواص بأن رتب عمله على حروف المعجم ؛ ليسهل الكشف منه عما استعجم " [1] .

وفي إيراده للمواد نجده يقدم اللحن أو الخطأ ، أو الوهم ـــ كما يسميه ـــ أولاً ثم يتبعه بذكر الصواب . وقد تنوعت لديه معايير تلك الأوهام ، فتجده يَسِمُها بقوله : ومن أوهامهم ، أو ويوهمون فيه ، وأحياناً بقوله : فيحرفونه عن موضعه ، وتارة : يخطئون فيه ، أو لا يفرقون ، أو كقوله : يغلطون فيه ، أو يلحنون ، أو وهو لحن فاحش وغلط شائن ، وتارة يصحفون . وإذا كانت قد تنوعت لديه معايير تلك الأوهام أو تلك الأخطاء ، فقد تنوعت لديه ـــ أيضا ـــ مستويات الصواب اللغوي ، ومن أمثلة ذلك قوله : والأفصح ، والصواب ، والصحيح ، والاختيار ، وتصحيح الكلام ، ووجه الكلام ، والمسموع عن العرب ، وكلام العرب ، وقياس الكلام ، .... الخ .

وإليك بيان تفصيلي لهذا الإيجاز :

أولا / قوله : ومن أوهامهم ، أو ويوهمون فيه ، ومن أمثلة ذلك :

---

(١) مقدمة المحقق ٢١

ـ ذكر أنهم يقولون : اجتمع فلان مع فلان ، وينبه إلى أنهم يوهمون فيه ، ويصرح بأن الصواب أن يقال : اجتمع فلان وفلان [1] .

ـ ذكر أيضاً أنهم يوهمون في قولهم : جُرِحَ زيدٌ في ثديه ، ويُصرِّحُ المصنف بأن الصواب أن يقال : جُرِحَ في ثُنْدُوءَتِه [2] .

وثمة أمثلة أخرى ذكرها المصنف في ثنايا الكتاب [3] .

ثانياً / قوله : فيحرِّفونه عن موضعه ، ومن أمثلة ذلك :

ـ ذكر المصنف أنَّ الخاصة يقولون : أَزِفَ وقتُ الصلاة ، إشارة إلى تصرمه ، وينبه الحريري إلى أنهم يُحَرِّفون ذلك عن موضعه ، مصرِّحاً بأن العرب تقول : أَزِفَ الشيء بمعنى دنا واقترب [4] .

ـ كما ذكر أنهم يحرفون المعنى بقولهم للخبيث : ذَاعِرٌ ، بالذال المعجمة ، وينبه إلى أن الصواب أن يقال : الدَّاعِرْ بالدال المهملة [5] .

ثالثاً / قوله : فيخطئون فيه ، فمن أمثلته :

ـ أنهم يقولون في جمع أرض : أراضٍ ، فينبه إلى خطئهم في ذلك ، والصواب عنده أن يقال : أَرَضُون [6] .

ـ ويذكر المصنف أيضاً أن الخاصة يخطئون بقولهم : لَقِيْتُهُ لَقَاةً ، مصرحاً بأن العرب تقول : لَقِيْتُه لَقْيَةً [7] .

---

(1) درة الغواص ٦٧ .

(2) نفسه ٢٢٠ .

(3) انظر الصفحات ٤٥ ، ٤٦ ، ١٥٩ .

(4) درة الغوَّاص ٥٠

(5) نفسه : ٧٣ ، وانظر ١٥٠ .

(6) نفسه : ٩٠ .

(7) نفسه : ١٨٧ ، وانظر ١٩٠ .

رابعاً / قوله من أفضح الأوهام ، ومن أمثلته :

ــ أنهم يقولون في جمع فَمٍ : أَفْمَامٌ ، وينبه إلى أن هذا من أفضح الأوهام ، مصرحاً بأن الصواب أن يقال : أَفْوَاهٌ [(١)] .

ــ ويذكر أنَّ من أقبح أوهامهم أيضاً أنهم يكسرون الباء مع همزة الوصل في قولهم : ابِنَتُ ، بكسر الباء مع همزة الوصل ، ويُنبِّه إلى أن همزة الوصل لا تدخل على متحرك ، فالصواب عنده أن يقال : ابْنَةٌ أو بِنْتٌ [(٢)] .

خامساً / قوله : وهو لحْنٌ فاحش وغلط شائن ، ومن أمثلته :

ــ أنهم ــ وكما ذكر المصنِّف ــ يضمون اللام الثانية في قولهم : اللُّتَيَّا ، والُّتي ، ويُنبِّه إلى أنَّ ذلك لحن فاحش وغلط شائن ؛ مصرحاً بأن الصواب فيها : اللَّتيا بفتح اللام [(٣)] .

ــ كما أنهم يقولون : في جمع بيضاء ، وسوداء ، وخضراء : بيضاوات ، سوداوات ، خضراوات ، ويصرِّح بأن قولهم هذا لحن فاحش ؛ بدليل أنَّ العرب لم تجمع (فَعْلاء) التي هي مؤنث (أفعل) بالألف والتاء ، بل جمعته على (فُعْلٍ) نحو : خُضْرٍ ، وسُوْدٍ ، وصُفْرٍ [(٤)] .

سادساً / قوله : وهو غلط أو يغلطون فيه ، ومن أمثلته :

ــ ذكر أنهم يغلطون في جمع : (أُوقِيَّة) على أوَاقٍ ، إذ إنَّ الصواب أن تجمع على أواقيّ ، كما تجمع أمنية على أمانيّ [(٥)] .

---

(١) درة الغواص : ١١٠ .

(٢) نفسه : ١٥٤ ، وانظر ١٩١ .

(٣) نفسه : ٥١ .

(٤) نفسه : ١٦٠ ، وانظر ٢١٦ .

(٥) نفسه : ٩٩ .

ـــ وينبه المصنف أيضاً إلى أنَّ من غلطهم أنهم يقولون لهذا النوع من الخضروات المأكولة (ثَلْجَمٌ) وبعضهم يقول : (شَلْجَمٌ) بالشين المعجمة ، وكلاهما غلط في نظر الحريري ، إذ إن الصواب عنده أن يقال : سَلْجَمٌ ، بالسين [1] .

ـــ ويذكر أن من أغلاطهم القبيحة وأخطائهم الصريحة قولهم : دخلت الشآم ، منبهاً المصنِّف إلى أنَّ اسم البلدة الشأْم ، لفظه مذكر [2] .

سابعاً / قوله : فيُصحّفون ، ومن أمثلته :

ـــ يذكر أنهم يقولون : ثَفَلَ في عينيه ، بثاء معجمة بثلاث ، فيصحفون فيه ، حاكياً أن المنقول عن العرب : تَفَلَ في عينه بإعجام اثنين من فوق [3] .

ـــ كما أنهم يقولون لما يَجْمُدُ من فَرْطِ البرد : قَرِيصٌ ، بالصاد ، ويُصرِّح الحريري بوهمهم فيه كما وهم بعض المحدثين . إذ إنَّ الصواب عنده أن يقال : قريسٌ لاشتقاقه من القرس وهو البرد [4] .

ثامناً / قوله : يلحنونَ ، ومن أمثلته :

ـــ يذكر المؤلف أنهم يقولون : رجلٌ دُنْيَائِي ، بهمزة قبل ياء النسب ، فيلحنون فيه ، منبهاً إلى أنَّ الصواب : دُنْيَوِيٌّ [5] .

ـــ وينبه الحريري أيضاً إلى أنهم يلحنون في قولهم : السَّبْعُ الطِّوَلُ ، بكسر الطاء ، ويُصرِّح بأن الطول هو الحبل ، ووجه الكلام عنده أن يقال : السبع الطُّوَلُ ، بضم الطاء [6] .

---

(1) درة الغواص : ١٣٢ .
(2) نفسه : ١٨٢ .
(3) نفسه : ١٠٦ .
(4) نفسه : ٢١٣ .
(5) نفسه : ١١٢ .
(6) نفسه : ١٦١ ، وانظر ١٧٦ .

تاسعاً / قوله : لا يفرّقون ، ومن أمثلته :

ـــ يذكر أنهم لا يفرقون بين قولهم : زيدٌ يأتينا صَبَاحَ مَسَاءٍ ، على الإضافة ، ويأتينا صَبَاحَ مَسَاءَ ، على الترتيب [1] .

ـــ وذكر أيضاً أنهم لا يفرقون بين معنى مَخُوفٌ ومُخِيفٌ ، معللاً المؤلف ذلك بأنك إذا قلت : الشيء مَخُوفٌ ، كان إخبارك عما حصل الخوف منه ، كقولك الأسد مَخُوفٌ ، وإذا قلت : مُخِيفٌ كان إخباراً عما يتولد الخوف منه ، كقولك : مرضٌ مُخِيف ، أي يتولد الخوف منه [2] .

قلت : وبعد هذه المعايير والتي وسم بها الحريري خاصة عصره بمجانفة الصواب في استعمالاتهم لتلك العبارات الواردة في المُصنف ، وإنكاره عليهم ، يتضح لنا المنهج المتشدد الذي سار عليه الحريري في مصنفه هذا ، وإن كنا نتفق مع المؤلف في الكثير من القضايا اللغوية ، والتي أنكرها على خاصة عصره ، فإننا نجد من اللغويين من أجاز ما ذهب إليه الخاصة في بعض تلك القضايا اللغوية ، وموافقتهم في ذلك ، ولكي يتضح المقصود فإننا نكتفي بإيراد ثلاث عبارات وردت في الكتاب ، وأنكرها الحريري على أولئك الخاصة ، بينما أجازها آخرون ، وبيانها في الآتي :

١ـــ أنكر على الخاصة استعمالهم لكلمة (سائر) بمعنى الجميع ، وقال : هي بمعنى الباقي .

قلت وقال الجوهري : " وسائر الناس : جميعهم ، وسار الشيء لغة في سائره " [3] .

---

(١) نفسه : ١٢٤ .

(٢) درة الغوّاص ٢٢٦ ، وانظر ٢٢٧ .

(٣) الصحاح (سير) .

ويـــورد ابن منظور الإفريقي اعتراضه على الحريري بقوله : " قلت : وفي كتب اللغة وسائر الناس جميعهم ... " [1] .

ونقـــل ابـــن برّي عن ابن دريد في بعض أماليه قوله : " سائر الشيء يقع على معظمه وجُلّه ... " [2] .

٢ ــ كما أنكر الحريري على الخاصة أيضاً قولهم : فلانٌ يستاهل الإكرام ، وقال ووجه الكلام أن يقال : فلان يستحق المكْرَمَة ، وهو أهلٌ ... " [3] .

قلـــت : وقـــد نقل أبو منصور الأزهري عن العرب الفصحاء سلامة هذا الاستعمال وصحته [4].

وجاء في المحكم : " واستأهله : استوجبه ، وكرهها بعضهم " [5] .

ويقـــال : استأهل بمعنى استحق[6] . وقال الزمخشري : " وفلانٌ أهل لكذا وقد استأهل لذلك ، وهو مستاهل لــه ، وسمعت أهل الحجاز يستعملونه استعمالاً واسعاً " [7].

وقـــال صاحب القاموس : " واستأهله : استوجبه لغة جيدة ، وإنكار الجوهري باطل " [8] .

٣ ــ أنكر الحريري أيضاً جمع (رِيح) على (أَرْيَاح)[9] .

---

(١) درة الغواص ٢٥ .

(٢) نفس المرجع والصفحة .

(٣) درة الغواص ٣١ .

(٤) التهذيب ٤١٨/٦ (أهل) .

(٥) المحكم ٢٥٦/٢ (أهل) .

(٦) المصباح المنير (أهل) .

(٧) أساس البلاغة (أهل) .

(٨) القاموس المحيط (أهل) .

(٩) درة الغواص ٣٤ .

قلـــت : ومن اللغويين من أجاز الجمع على هذه الصيغة ، قال في الصحاح : " والريحُ واحدة الرِّياح ، والأرْيَاح ، وقد تجمع على أَرْوَاح "[1] .

وجاء في القاموس المحيط : " والرِّيحُ م،ج أرْواح وأَرْياح ، ورِياح ... "[2] .

---

(١) الصحاح (روح) .

(٢) القاموس (روح) .

الثاني عشر ـــ ابْنُ الجَوْزِي

هو عبدالرحمن بن علي بن محمد بن علي بن عبيد الله بن عبدالله بن حُمَّادي بـــن أحمد بن محمد بن جعفر الجوزي ، يُكنى بأبي الفرج ، ولُقِّب جمال الدين ، ويلقـــب ـــ أيضـــاً ـــ الإمـــام العلامة الحافظ ، عالم العراق ، وواعظ الآفاق ، والحـــافظ المفسر ، والفقيه الواعظ ، شيخ وقته ، وإمام عصره . والجوزي نسبة أحد أجداده إلى محلة بالبصرة تسمى (الجَوْز) وقيل موضع يُقـــال لـــه (فُرْضة الجـــوز) ، توفي ببغداد سنة ٥٩٧هـــ [(١)] . اشتهر الجوزي بوفرة المؤلفات ، فقيل إنهـــا أربعون ومئة ، أو خمسون ومئة ، ورُوي عنه أنه قال : إنها تزيد على ثلاثمائة وأربعـــين مصـــنفاً [(٢)] . والذي يعنينا منها هو كتابه (تقويم اللسان) ، والذي حققه الدكتور عبدالعزيز مطر .

أولاً / سبب تأليف الكتاب :

جـــاء في مقدمـــة المؤلف أن ثمة أسباباً ثلاثة دعته إلى هذا التأليف ، وإليك إيجازها :

١ـــ يـــرى ابـــن الجوزي أنَّ كثيراً من المتنسبين إلى العلم يتكلمون بكلام العوام المـــرذول جرياً على العادة ، وهذه العبارة تدل على أن الجميع كانوا يتكلمون في لهجات خطابهم العادية لهجة واحدة ، لا فرق بين خاصتهم وعامتهم .

٢ـــ كمـــا نبَّه إلى أن بيان الصواب اللغوي فيما يخطئون فيه متناثرٌ في كتب أهل اللغة ، وجمعه يثقل على المتكاسل .

---

(١) ترجمته في وفيات الأعيان ٢/٣٢١ ، شذرات الذهب ٤/٣٢٩ ، البداية والنهاية ١٣/٢٨ وانظر ترجمته في مقدمة محقق الكاتب ص ٣

(٢) انظر شذرات الذهب ٤/٣٣٠

٣_ ذكـــر أن الـــذين أُلّفوا فيما تلحن فيه العوام ، لم يحققوا الغرض المنشود من هذا التألـــيف ، فقام ابن الجوزي باختيار ما رأى صلاحه من مادة هذا الكتاب ، مما كان شائعاً في عصره ، مع رفضه للغلط الذي لا يخفى وجه الصواب فيه .

ثانياً / منهجه في الترتيب :

رتّـــبَ ابـــن الجـــوزي كتابه على حروف الهجاء ، فجعل لكل حرف باباً ، ووضـــع الكلمات في الباب على أساس الحرف الأول من الكلمة الصحيحة ، ثم يتبعها بالكلمة الملحونة ، وهو في ترتيبه الهجائي يختلف عن أصحاب المعجمات ؛ إذ يعتبر الحروف الأصلية والمزيدة معاً ، دون النظر إلى الأصل الاشتقاقي ، فكلمة (تُكْـــرِم) لا تطلب في (كرم) بل تطلب في (باب التاء) ، فالترتيب حسب الحـــرف الأول مـــن الكلمة الصحيحة دون النظر إلى الأصل والمزيد ، كما أن الكلمات لم ترتب داخل الأبواب كالنظام المعجمي ، بل نجده يضع في كل باب جميع الكلمات المبدوءة بالحرف الذي عقد لـــه الباب ، دون ترتيب ، ففي مادة (الثاء) مثلاً يسير ترتيبها كالتالي : ثَطٌ ـــ ثَجيرٌ ـــ ثَمِينٌ ـــ ثَيْتَلٌ ـــ .... وهكذا دون مراعاة للترتيب داخل الباب [1] .

وقـــد أوضح ابن الجوزي في مقدمته ، المنهج الذي اتبعه في الترتيب ؛ وذلك بتقسيمه الغلط أنواعاً لِيُبَيِّنَ أنه كان قد عزم على أن يجعل لكل منها باباً لولا أنه آثر الترتيب الهجائي ، وهذه الأنواع التي ذكرها في المقدمة ، هي ضم المكسور ، وكـــسر المضـــموم ، ومد المقصور ، وقصر الممدود ، وتشديد المخفف ، وتخفيف المشدد ، والزيادة في الكلمة ، والنقص منها ، ووضعها في غير موضعها [2] .

---

(١) انظر : تقويم اللسان ٨٩

(٢) المقدمة ص ٥٦

ثالثاً / موضوع الكتاب :

ذكـــر ابن الجوزي في مقدمته أنه رأى كثيراً من المتنسبين إلى العلم يتكلمون بكـــلام العوام المرذول ، جرياً على العادة [1] . وفي هذا دلالة على أن الأخطاء اللغـــوية الـــتي تشيع في لهجات الخطاب قد انتقلت إلى الخاصة ، الذين اصبحوا يشـــاركون العامـــة في هذه اللهجات المنحرفة عن سنن العربية ، فكتاب تقويم اللســـان يعالج لحن العامة والخاصة معاً . وهو في استخدامه للفظة العامة أو العوام ، دون الخاصـــة والخواص ، إنما يقصد ـــ غالباً ـــ أن هذا الخطأ قد يقع من العامة أولاً ، ثم ينـــتقل إلى الخاصة ، وأن هؤلاء الخاصّة الذين تقع منهم هذه الأخطاء جديرون بأن يسمَّوا عامة لهذا السبب .

رابعاً / طريقته في عرض المادة :

يعـــد هذا الكتاب من الكتب المختصرة ، والتي أُلفَتْ لتنقية اللسان وتقويمه ، والمؤلِّـــف يكتفـــي بإيراد الصواب أولاً ، مسبوقاً بقوله : تقول ، أو وتقول ، ثم يتبعه بقول العامة . أما المقياس الذي يحكم به ابن الجوزي بالصواب ، أو الخطأ فقد أبان عنه بمقدمته [2] قائلاً : " وإن وجد لشيء مما نهيت عنه وجهٌ فهذا بعيد أو كان لغـــة فهـــي مهجورة ، وقد قال الفرّاءُ : وكثير مما أنهاك عنه قد سمعته ، ولو تجوزت رخصت لك أن تول : رأيت رجلان [3] ، ولقلت : أردت عن تقول ذلك[4] .

---

(١) المقدمة ٥٥

(٢) ص ٥٧ – ٥٨

(٣) يقصد لغة من يلزم المثنى الألف في جميع الحالات .

(٤) أي عن ، وقصد بها عنعنة تميم .

ولكي يتضح هذا المقياس اللغوي نختار بعضاً مما جاء في الكتاب فمنه قوله :

أ ـــ "وتقول : فلان أَهْلٌ لكذا . والعامة تقول مُسْتَاهِلٌ لكذا ، وهو غلط " [١] .

قلـــت : ووافق ابن الجوزي فيما ذهب إليه غير واحد [٢] من أئمة اللغة ، إلا أن مـــن اللغويين من أجاز قول العامة [٣] ، فقد نقل الأزهري عن العرب الفصحاء سلامة هذا الاستعمال وصحته [٤] . وقال الزمخشري : " وفلان أهل لكذا ، .... وهو مستاهل له ، وسمعت أهل الحجاز يستعلمونه استعمالاً واسعاً " [٥] .

ب ـــ " وتقول : أجْبَرْتُ فلاناً على كذا . والعامة تقول : جَبَرْتُهُ " [٦] . قلت : وذكر الفرّاء أنه سمع العرب تقول : جبرته على الأمر[٧] .

ج ـــ " وتقول : بَخصْتُ عينه ، بالصاد . والعامة تقولها بالسين " [٨] . قلت : والسين لغة حكاها غير واحد من أئمة اللغة ، قال في التهذيب ١٥٣/٧ (بخص) عن الأصمعي : " بخص عينه ونخزها ، وبخسها ، كله بمعنى فقأها " .

د ـــ " وتقـــول : حدق القوم بالعسكر . والعامة تقول أحدقوا " [٩] . قلت : وقد أجاز ابن قتيبة قول العامة [١٠] .

هـــ " وتقول : قد هَبَّتْ الريح . والعامة تقول : الأرْيَاح ، ولو قالوا : الأرواح كان صحيحاً " [١١] . قلت : ومن اللغويين من أجاز قول العامة ، قال الجوهري

---

(١) تقويم اللسان ٥٩ .
(٢) انظر درة الغواص ٥٢ ، الصحاح (أهل)
(٣) انظر المحكم ٢٥٦/٢ والمصباح ، والقاموس (أهل) .
(٤) التهذيب ٤١٨/٦ (أهل)
(٥) أساس البلاغة (أهل)
(٦) نفسه ص ٧١ .
(٧) معاني القرآن ٨١/٣ ، وجاء في اللسان (جبر) أنها لغة لتميم .
(٨) نفسه ص ٨٢ .
(٩) نفسه ص ٩٤ .
(١٠) أدب الكاتب ٤٣٦
(١١) نفسه ص ١١١ .

: " والـــرِّيْحُ واحـــدة الـــرِّيَاح والأَرْيَـــاح ، وقد تجمع على أَرْوَاح[1] " وقال الفيروزبادي : " والرِّيْحُ م ، ج أَرْوَاح وأَرْيَاح ، ورِيَاح ... " [2] .

و ـــ " وتقول : سعرهم شراً . والعامة تقول أسعرهم " [3] .

قلـــت : وقد سبقه ابن السكيت فيما ذهب إليه [4] ، إلا أن من اللغويين من أجاز قول العامة [5] .

وثمة أمثلة أخرى ضمنها المؤلف كتابه نشير إليها في مظانها [6] .

---

(١) الصحاح (روح)

(٢) القاموس روح .

(٣) نفسه ص ١١٧ .

(٤) انظر الإصلاح ٢٢٥ .

(٥) انظر أدب الكاتب ٤٣٦ ، وفعلت وأفعلت للزجّاج ٨٧ .

(٦) انظر الصفحات ٦٢ ، ٦٨ ، ٧٥ ، ٨٥ ، ١٠٣ .

ج ـ الدَّوَافِعُ التِّي أَدَّتْ إلى التَّنْقِيةِ اللُّغَوِيَّة

تُجمعُ المصادرُ على أنَّ العربَ في جاهليتِها ، وصَدْرِ إسْلامِها كانت تتكلمُ العربيَّة النَّقية ، الخالصَة من شوائبِ اللَّحْنِ والخطأ ، ولم يُستعْمل اللَّحْنُ بمعنى الخطأ إلا عندما اختلطَ العربُ بالأعاجم ، وهم أهْلُ البلاد المفتوحة .

يَقُولُ (يوهان فك) ـ وكما مرَّ بنا * ـ : " ولا يزال ينقصنا بعد كُلِّ دليل يُبيِّن متى نُقِلَ لفظ اللحن إلى معنى الخطأ في الكلام ، وأغلب الظَّن أنه استعمل لأول مرَّة بهذا المعنى عندما تنبَّه العرب بعد اختلاطهم بالأعاجم إلى الفرق بين التعبير الصحيح والتعبير الملحون " [1] .

وقد تتبع الدكتور / عبدالعزيز مطر دلالة هذه الكلمة ، فوجد أن ابن فارس أول من ذكر معنى اللحن ، ثم وجد أن للفظ دلالات منها : الغناء وترجيع الصوت ، والتطريب ، والتورية والرمز ، والخطأ في اللغة ، واللهجة الخاصة ، والفطنة ، ومعنى القول وفحواه [2] .

وقد أورد صاحب اللسان (لحن) أمثلة على ما سبق .

والذي يعنينا هنا ، هو اللحن بمعنى الخطأ في اللغة ، وله معنيان :

ـ ففي اللغة : يعني إمالة الشيء عن جهة الاستقامة [3] .

ـ أما في الاصطلاح : فيقرر ابن فارس : بأنَّ اللَّحْن ، بسكون الحاء ، هو إمالة الكلام عن جهته الصحيحة في العربية ، يُقَالُ : لحن لحناً ، ويصرِّح بأنه من

---

* انظر : ص : ٢٩ من هذا البحث .

(١) العربية ٢٥٤ .

(٢) انظر لحن العامة ١٩ ـ ٢٨

(٣) التاج ، واللسان (لحن)

الكلام المولد ؛ لأن اللحن محدث ، لم يكن في العرب العاربة ، الذين تكلموا بطبائعهم السليمة [1] .

كما أورد الزمخشري لفظ (مال) في تفسيره للحن ، قال في الأساس (لحن) : ((لحن في كلامه إذا مال عن الإعراب إلى الخطأ)) ، ووافقه صاحب اللسان أيضاً[2] .

ويَتطلَّبُ معنى اللَّحْنُ اللُّغوي أنْ يكون الصَّوابُ مُتقدماً عليه[3] . وباتساع رقعة الدولة الإسلامية إلى مناطق غير عربية ، انضم تحت لواء العروبة والإسلام شعوبٌ تعددت لغاتُها ، وأذواقُها وثقافاتُها ، اضطروا إلى إتقان العربية لأسباب فرضتها طبيعةُ المجتمع الجديد . إلا أنَّ بعضَهم لم تستقمْ ألسنتُهم ، ففشا اللحنُ بين المتعربين كالعبيد والموالي ، واستفحل خطر اللحن بين الأعاجم ، الأمر الذي دفع أمير المؤمنين علي ـــ رضي الله عنه ـــ أنْ يطلبَ مِنْ أبي الأسود الدؤلي أن يضع في اللُّغة ما يُصلح ألسنة العجم . فاللحن إذاً ظهر مع بداية انتشار الإسلام ، (حيث لم تزل العربُ تنطق على سجيتها في صدر إسلامها ، وما مضى من جاهليتها ، حتى أظهر اللهُ الإسلام على سائر الأديان ، فدخل الناس فيه أفواجاً ، وأقبلوا إليه أرسالاً ، واجتمعت الألسنة المتفرقة ، واللُّغات المختلفة ، ففشا الفسادُ في اللُّغة) [4] .

ولقد تسرب اللحن إلى العرب أنفسهم ، حتى إلى أشرافهم ، ولذا فقد خصَّص الجاحظُ باباً مستقلاً في كتابه (البيان والتبين) وهو (بابُ اللَّحْنِ) [5] أورد فيه كثيراً من الصور التي تكشف عن انتشاره ، بل عقد الجاحظ ـــ أيضاً

---

(١) المقاييس (لحن) .

(٢) اللسان (لحن)

(٣) العربية : ٣٤٤ .

(٤) طبقات النحويين واللغويين ، للزبيدي ١-٢ .

(٥) ٢/٢١٠-٢١٩ .

ـــ باباً أكثر خطورة من ذلك ، وهو باب : (من لحن البلغاء) ، يَعْرِضُ فيه اللَّحْنَ ، ويرى أحد المستشرقين أن العيْبَ باللّحن أخذ ينتشرُ منذ بدء العصر العباسي بحق أو دون حق ، بوَسْمِ خَصْمٍ بأنه غير مثقف ، وللحطَ من شأنه في أعين مُعاصريه ، كما فعل يونس بن حبيب ، الذي قال عن حمَّاد الرَّاوية : كان يَلحنُ ويَكْذِب وَيكْسِرُ . ويُعَلّل هذا المستشرق بأنّ هذا القول نشأ مُتأثراً بالخصومة واللداد[1].

ويبدو أنّ اللحنّ ظهر عند العرب في الإعراب أولاً ، وأما أخطاء الموالي فقد كان أكثرُها في نطق الأصوات العربية والتي لا توجد في لغاهم ، مثل حروف الحلق ، وغيرها ، وسيأتي إيضاح لذلك في خاتمة هذا المبحث .

وقد جمع الدكتور عبد العزيز مطر [2] خمساً وثلاثين مسألة مما ورد من اللحن في أوائل نشأته ـــ في (البيان والتبين للجاحظ) ، (وعيون الأخبار لابن قتيبة) ، (والعقد الفريد لابن عبد ربه) ـــ وقام بتصنيفها ، فوجد الآتي :

ـــ عشرون مسألة يظهر اللحن فيها في الإعراب ، رويت عن شخصيات عربية ، كالحجاج بن يوسف ، والوليد بن عبد الملك ، وبشر بن مروان ، وخالد القسري .

ـــ ثماني مسائل يظهر اللحن فيها في الأصوات والصيغ ، ومجال استعمال الكلمة ، رويت عن الموالي ، كزياد النبطي ، ومولى زياد بن أبية ، وعبد الله بن زياد .

ـــ ستُّ مسائل يظهر اللحن فيها في بنية الكلمة .

ـــ مسألة واحدة نشأ اللحن فيها عن التصحيف .

---

(١) العربية : (ليوهان فك) ٢٤٣ .

(٢) انظر : لحن العامة ٣٠ .

وإذا كان الدكتور عبدالعزيز مطر قد أشار إلى هذه الأنواع دون تفصيل ، فإنني أفصل القول فيما أراه مهماً منها ، فأقول : للحن أنواع منها :

١) لحن يقع بسبب الخطأ في الإعراب : وقد رُوِيَ ذلك عن شخصيات عربية كالوليد بن عبدالملك ، والحجاج بن يوسف ، وبشر بن مروان ، وعبدالعزيز بن مروان ، وخالد القسري وغيرهم[١] ، ومن أمثلة ذلك :

ـــ رُوِيَ أن الوليد بن عبدالملك صلى بالناس ، وهو خليفة ، فقرأ في أمِّ الكتاب : ﴿ **صِرَاطَ الَّذِيْنَ أَنْعَمْتَ عليهم** ﴾[٢] وقرأ ـــ أيضاً ـــ ﴿ **يَالَيْتَهَا كَانَتْ القَاضِيةِ** ﴾[٣] (بضم التاء في : أنعمتُ ، ياليتُها)[٤] .

ـــ كما روي عن الحجاج بن يوسف أنه قرأ قوله تعالى : ﴿ **إنّا من المجرمين منتقمون** ﴾[٥] فرفع المجرمون ، مع وجود حرف الجر ، وقرأ ـــ أيضاً ـــ بفتح همزة أنّ بدلاً من كسرها[٦] ، في قوله تعالى : ﴿ **إنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ يَوْمَئذٍ لخبير** ﴾[٧]

ـــ ويُروى أن رجلاً قال لأعرابي : كيف أهْلِكَ ؟ بكسر اللام ، يريد : كيف أهْلُكَ ، فقال الأعرابي : صَلْباً[٨] .

---

(١) انظر : لحن العامة ٣٠

(٢) سورة الفاتحة آية ٦ .

(٣) سورة الحاقة آية ٢٧ .

(٤) البيان والتبيين ٢/٢١٨ .

(٥) سورة السجدة آية ٢٢ .

(٦) انظر البيان والتبيين ٢/٢١٨ ، وعيون الأخبار ٢/١٧٦ .

(٧) سورة العاديات آية ١١

(٨) انظر : عيون الأخبار ٢/١٧٣ .

ـ وسمع أعرابيٌّ إماماً يقرأ قوله تعالى ﴿ ولا تُنكِحُوا الـمُشْرِكِيْنَ حَتَّى يُؤمِنُوا ﴾[1] بفتح تاء تنكحوا ، فقال سبحان الله ! هذا قبل الإسلام قبيحٌ ، فكيف بعده ! فقيل له إنه لَحَنَ ، فقال الأعرابي : قَبَّحهُ الله ، لا تجعلوه بعدها إماماً فإنه يحل ما حرم الله [2] .

٢) لحن يقع بسبب الخطأ في نطق بعض الأصوات ، وهذا خاص بالموالي فهم يجدون صعوبة في نطق بعض الأصوات العربية ، والتي لا وجود لها في لغاتهم الأم ومن أمثلة ذلك :

ـ نطق العين همزة كما في قول زياد النبطي لغلامه : " مِنْ لدُن دأوْتك إلا أن قلت لَبَيْ ما كنت تَصْنأ ؟ " يريد : دعوتك ، وتصنع ، فنطق العين همزة[3] .

ـ ونطق الحاء هاء في قول مولى زياد لزياد : " أهْدُوا لنا هِمار وهْش " يريد : حمار وحش[4].

٣) لحن يقع بسبب التصحيف : وهذا النوع لا يختص بالموالي ، بل يقع من أهل اللغة أكثر ، وأشنعه ما كان في القرآن الكريم ، ومن أمثلة ذلك :

ـ ما روي عن عبدالله بن أحمد بن حنبل من أنه تقدم قوماً يصلي بهم فقرأ قوله تعالى :﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِيْ خَلَقْ ﴾[5] بضم الخاء ، وكسر اللام ، فقال له

---

(١) سورة البقرة آية ٢٢١

(٢) انظر البيان والتبين ٢١٩/١ وعيون الأخبار ١٧٥/٢ .

(٣) انظر : البيان والتبين ٢١٣/٢ .

(٤) نفس المرجع والصفحة ، وعيون الأخبار ١٧٥/٢ .

(٥) سورة العلق آية : ١

قائل : أبوك ضرب بالسياط على أن يقول كلام الله مخلوق ، وقد جعلت خالق الأشياء مخلوقاً [1].

ـــ ويروى أن الوليد بن عبدالملك صلى بالناس ، فقرأ : ﴿ يَالَيْتَهَا كَانَتْ الْقَاضِيَةُ ﴾ [2] بالصاد بدلاً من الضاد ، فسمعه عمر بن عبدالعزيز ، فقال ياليتها كانت بك [3] .

ـــ وقرأ أحدهم قوله تعالى : ﴿ وَقُرُشٍ مَرْقُوعَةٍ ﴾ [4] بالقاف بدلاً من الفاء [5].

ـــ وقرأ آخر : ﴿ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّرْنَا بِثَالِثٍ ﴾ [6] جاعلاً الزاء الثانية راءً [7] .

ـــ وحُكي عن الجاحظ قوله : " ما جاء عن أحد من روائع الكلام ، ماجاءنا عن النبي صلى الله عليه وسلم ، وإنما عن البَتِّي ، وهو عثمان البَتِّي " [8] .

قلت : وهذا التصحيف لا يقل شناعة عن سابقه .

٤) لحن يقع بسبب الخطأ في الصيغ : وهذا من أخطاء الموالي ـــ أيضاً ـــ كقول أم نوح بن جرير لولدها نوح: " يا نوح : جُرْدانٌ دَخَلَ في عِجَان أُمِّكَ "، تريد : أنَّ الجرذ أكل عجينها [9] .

وكقول أعجمي نخاس للحجاج بن يوسف ، حينما سأله : أتبيع الدواب المعيبة من جند السلطان ؟ (فقال : شريكاتنا في هوازها ومدائنها وكما تجيء تكون)

---

(١) انظر التنبيه على حدوث التصحيف لحمزة الأصفهاني ، تحقيق : محمد أسعد ، ٤

(٢) سورة الحاقة آية ٢٧

(٣) انظر التنبيه على حدوث التصحيف ، ٤

(٤) سورة الواقعة آية ٣٤

(٥) التنبيه على حدوث التصحيف ، ٥

(٦) سورة يس آية ١٤

(٧) التنبيه على حدوث التصحيف ، ٥

(٨) نفس المرجع ٩١

(٩) البيان والتبيين ٢/٢١٣

يريد : شركاؤنا في الأهواز، والمدائن يبعون إلينا بهذه الدواب ونحن نبيعها على وجوهها[1] .

٥) لحنٌ يقع بسبب الخطأ في الدلالة : ومن أمثلته :

ـــ ما روي عن عبيد الله بن زياد ـــ وكان به لُكْنَةٌ ـــ من أنه قال ذات مرة : " افتحوا سيوفكم " يريد : سلوها[2] . وقوله ـــ أيضاً ـــ مخاطباً أحدهم : " اجلس على اِسْتْ الأرض " فأجابه المخاطب : ومتى كان للأرض استا ؟![3] .

وبعد : فإنني مهدت بهذه المقدمة عن اللحن لكي أُبيِّن أن شيوع مثل هذا النوع من الخطأ أدى إلى فساد اللُّغة ؛ فقوى الباعثُ والذي بسببه أُضْطَرَّ المعنيُّون باللُّغة إلى أن يتقلوا إلى البادية لتلقي العربية نقيةً من أفواه أبنائها ، والذين احتفظوا بسلامة ألسنتهم من اللحن ، أو العجمة ، فجمعوا اللُّغة النَّقية من أفواه البدو الموثوق بفصاحتهم ، وقد سبق الحديث عن ذلك في مصطلح التَّنقية اللُّغوية . إذاً فاللحن هو الباعث الأول لتنقية اللُّغة مما يشوبها ، ولهذه التَّنقية معالم لُغوية وهذه المعالم هي محور حديثنا في المبحث اللاحق .

---

(١) عيون الأخبار ٢/١٧٥-١٧٦

(٢) البيان والتبيين ٢/٢١٠

(٣) نفس المصدر والصفحة .

د ـــ المَعَالِمُ اللُّغَوِيَّة للتَّنْقِيـة

ويمكن تصنيف هذه المعالم اللُّغوية ، والمتمثلة في تنقية اللُّغة العربية في الأتي :

أولاً : الوقوف عند اللُّغة الفصحى كما يراها أئمة اللُّغة ، ونوضح ذلك بالأمثلة التالية :

قال ثعلبٌ في فصيحة " وحَرَصْتُ عليه أحْرِصُ " [(١)] .

فاللُّغة المقدَّمَة العالية هي : (حَرَصَ ـــ يَحْرِصُ) للأسباب التالية :

ـــ وقوف أصحاب التَّنقية عندها ، ومنهم ثعلب [(٢)].

ـــ نعتها بعضهم باللُّغة العالية [(٣)] .

ـــ تَخْطئة ما عداها ، كما نُقل عن أبي حاتم [(٤)] .

ـــ من اللُّغويين من وسم ما عداها بلغة العَامَّة [(٥)] .

ـــ ولفصاحتها وعُلوِّها قُرِئَ بها قَوْلُ المولى سبحانه : ﴿ **وَإِن تَحْرِصَ عَلَى هُدَاهُم** ﴾ [(٦)] .

ـــ وقوف أكثر شُرَّاح الفصيح عندها ، وإفرادها [(٧)] .

---

(١) الفصيح ٢٦١

(٢) انظر : ما تلحن فيه العامة للكسائي ٢٢ ، وإصلاح المنطق ١٨٨ ، وأدب الكاتب ٣٩٨ .

(٣) انظر : التهذيب ٢٣٩/٤ (حرص) .

(٤) انظر : تحفة المجد الصريح ٧٤ .

(٥) تصحيح الفصيح ٤٧ .

(٦) سورة النحل ، آية ٥١ ، والقراءة في المحتسب ٩/٢ .

(٧) شرح ابن الجبّان ٢٠٢ ، وشرح المرزوقي ١٣ ، والإسفار ٢٠ ، والتلويح ٤ .

قال ثعلبٌ : " ونَكَلَ عن الشيءِ يَنْكُلُ " [1] .

ـــ يرى أئمة أصحاب التَّنقية اللُّغوية ، أنَّ اللُّغةَ العالية هي اختيار ثعلب (نَكَلَ – يَنْكُلُ) فهذا مذهب كل من : الأصمعي والكسائي ، وابن السكيت ، وابن قتيبة ، وعدد من أئمة اللُّغة [2] .

ـــ وعن الخليل : نَكَلَ يَنْكُلُ ، لُغَةٌ حجازيةٌ [3] .

ـــ نقل ابن السكيت عن الأصمعي قولَه : أنه لا يُقال : نَكِلْتُ [4] .

ـــ وقد أقتصر عليها ابن قتيبة ، وأنكر ما عداها[5] .

ـــ وجاء في تثقيف اللِّسان تصريح ابن مكي الصِّقلي : بأنَّ هناك من يقول : نَكِلَ ، والصَّوابُ : نَكَلَ يَنْكُلُ [6] .

ـــ اقْتَصَرَ عليها بعضُ شراح الفصيح [7] .

قال ثعلبٌ : و بَرِرْتُ والِدِيْ ، أَبَرُّهُ " [8] .

اختيار ثعلب (بَرِرْتُ أَبَرُّ) هي اللُّغة العالية ، للأسباب التالية :

ـــ عليها إجماع أئمة اللغة ، أمثال : الكسائي ، وابن السكيت ، وابن قتيبة ، وابن الجوزي ، وصلاح الدين الصفدي ، والسرقسطي[9] .

---

(1) الفصيح ٢٦١ .

(2) انظر : ما تلحن فيه العامة للكسائي ١٢٧ ، والإصلاح ١٨٨ ، وأدب الكاتب ٤٠٠ .

(3) العين ٥ / ٣٧١ (نكل) .

(4) الإصلاح ١٨٨ .

(5) أدب الكاتب : ٤٠٠ .

(6) ص ٢٦٥ .

(7) انظر : شرح ابن الجبّان ١٠٤ ، وشرح المرزوقي ١٤ ، والإسفار ٢٤ .

(8) الفصيح : ٢٦٥ .

(9) انظر : ما تلحن فيه العامة ١٠٧ ، والإصلاح ٢٠٨ ، وأدب الكاتب ٣٩٧ ، وتقويم اللسان ٨١ ، وتصحيح التصحيف ١٥٦ .

ـ وعن الكسائي : وبَرِرْتُ والدي [١] .

ـ وعن ابن السكيت مثله [٢] .

ـ تَخْطِئة لُغة الفتح (بَرَرْتُ) ووصفها بلُغة العامَّة ؛ يذكرُ الصفدي : بأنَّ العامَّةَ تَقُولُ : بَرَرْتُ والدي ، وبَرَرْت في يميني ، ويصرِّحُ بأنَّ الصَّوابَ : بَرِرْتُ ، بكسر الراء[٣] .

ـ ما نَقَلَهُ اللَّبلي عن ابن السِّيد : أما بَرِرْتُ والدي فلا أعرف فيه لُغة غير الكسر [٤] .

ـ حَكَاها (أي لُغة الكسر) معظم شُرَّاح الفصيح ، و لم يذكروا غيرها[٥] .

قال ثعلبٌ : " وجَرِعْتُ الماءَ أجْرَعُهُ " [٦] .

ـ يَرى علماءُ التَّنقية فصاحة لُغة الكسر (جَرِعَ) ؛ لأنها اختيار ثعلب والذي أخذ به عن بعض الأئمة المتقدمين ، كالأصمعي ، وابن السكيت ، وابن قتيبة ، وابن الجوزي [٧] .

ـ فهذا ابن السكيت يذكر رأيه مستشهداً بقول الأصمعي : " جَرِعْتُ الماء " ، وينبِّه الأول إلى أنَّ الأصمعي قال : "ولا يُقال غيرُه " [٨] .

ـ خطَّأ بن دُرُسْتويه لغة الفتحة (جرَع) نَاسِباً إياها للعَامَّة [٩].

---

(١) ما تلحن فيه العامة ١٠٧ .

(٢) الإصلاح ٢٠٨ .

(٣) تصحيح التصحيف ١٥٦ .

(٤) تحفة المجد ٢١٤

(٥) انظر : شرح ابن الجبّان ١١٣ ، والإسفار ٤٥ ، وشرح الزمخشري ٦٦ ، وتحفة المجد ٢١٤ .

(٦) الفصيح : ٢٦٣ .

(٧) انظر : الإصلاح ٢٠٨ ، وأدب الكاتب ٣٩٧ ، وتقويم اللسان .

(٨) الإصلاح ٢٠٨ .

(٩) تصحيح الفصيح ٦١ .

ـــ ذكر الصفدي أنّ العامّة تقول : جَرَعْتُ الماءَ ، بالفتح ، والصَّواب عنده : بكسر الراء " [1]

قال ثعلبٌ : " ورعَبْتُ الرَّجلَ أرْعَبُهُ " [2] .

يذهب الأئمة الثقات إلى إفراد اللُّغة الأولى ، لُغة الفصاحة ، للأسباب التالية :

ـــ اختارها ثعلبٌ لأنها الأفصح .

ـــ اقتصر عليها ابن السكيت ، ولم يَذْكُرْ غيرها ، عندما قال " وقَدْ رَعَبْتُهُ ، إذا أفزعته" [3]

ـــ أفْردها ابن قتيبة [4] .

ـــ صَرَّح الزمخشري بفصاحتها[5] .

ـــ خطأ ابن مكي الصقلي لغة (أرْعَبَ) بالألف ، عندما صرَّح بأنهم يقولون : أَرْعَبَنِي كذا . وينبِّه إلى أنَّ الصَّوابَ : رَعَبَنِي فأنا مَرْعُوب[6] .

ـــ أقتصر عليها شُرَّاح الفصيح ، ولم يذكروا لُغةً سواها [7] .

قال ثعلب : " ووَقَفْتُ الدابةُ أقِفُها "[8] .

يكاد إجماع اللغويين ينعقد بالاتفاق على اختيار اللُّغة التي ذكرها ثعلب ، وذلك للأسباب التالية :

---

(١) تصحيح التصحيف ٢١٣ .

(٢) الفصيح ٢٦٥ .

(٣) الإصلاح ٢٢٥ .

(٤) أدب الكاتب ٣٧٣ ، وانظر : أفعال السرقسطي ٨٨/٣ .

(٥) شرحه ٧٤ .

(٦) تثقيف اللسان ١٥٢ .

(٧) تصحيح الفصيح ٧٥ ، وشرح ابن الجبان ١١٤ ، وشرح المرزوقي ٢٩ ، والإسفار ٥٢ ، وشرح الزمخشري ٧٤ ، وشرح التدميري ٤٥ ، وشرح ابن هشام ١٦٣ ، وتحفة المجد ٢٣٦ .

(٨) الفصيح ٢٦٧ .

ــ أفردها ثعلبٌ ؛ لأنها الأفصح كما اشترط ذلك في مقدمة فصيحه[1] .

ــ هي الأفصح عند الأصمعي ، وأنْكَرَ لُغة (أوقفت بالألف)[2] .

ــ تقديم الكسائي لها ، ووسم ما عداها بالرداءة[3] .

ــ ما صرَّح به ابن السكيت من أنّ : وَقَفْتُ دابتي ، وَوَقَفْت وقفاً للمساكين ، وَوَقَفْتُهُ على ذنبه ، كُلُّهُ بغير ألف [4] .

ــ وعن الزّجَاج : وقَفْتُ الدَّابة والضَّيْعَةَ ، بغير ألف [5] .

ــ وعن الصفدي : والعامَّة تقول : أوقفت دابتي ، فيسمها بلُغَة العامَّة ، ويصرِّحُ بأنَّ الصَّواب : وقَفْتُ [6] ، ومثله ما نُقِلَ عن ابن الجوزي أيضاً[7] .

ــ إنكار الزمخشري لُغة أوقفت بالألف مصرِّحاً بأنه : ليس في كلامهم أَوْقَفْتُ [8] .

ــ وقوف معظم شُراح الفصيح عندها ، ولم يذكروا غيرها[9] .

قال ثعلبٌ : ونَبَذْتُ النَّبِيْذَ »[10] .

نجد شبه الإجماع على فصاحة وعلو هذه اللُّغة ، وذلك لأمور منها :

ــ ذكر ثعلب إياها دون غيرها .

ــ نُزُول الذكر الحكيم بها .قال تَقَدَّسَتْ أسماؤهُ : ﴿ **فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُوْرِهِم** ﴾ [11] .

---

(١) نفس المرجع ٢٦٢ .

(٢) انظر : أفعال السرقسطي ٢٣١/٤ .

(٣) انظر : الغريب المصنف ٥٧٩/٢

(٤) الإصلاح ٢٦٦ ، وانظر : أدب الكاتب ٢٧٤

(٥) فعلت وأفعلت ١٥٨ .

(٦) تصحيح التصحيف ١٤٠ .

(٧) تقويم اللسان ١٨٢ .

(٨) الزمخشري ٨٣-٨٤ .

(٩) تصحيح الفصيح ٧٨ ، وشرح ابن الجبان ١١٧ ، وشرح المرزوقي ٣٢ ، والإسفار ٥٥ ، والتلويح ١١ ، وشرح الزمخشري ٨٣-٨٤ .

(١٠) الفصيح ٢٦٧ .

(١١) سورة آل عمران ، آية : ١٨٧ .

ـــ وقَوْلُه جل ذكرُه : ﴿ فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴾[1] .

ـــ جاء بها الحديث الشريف : " فَنَبَذَ خاتَمَهُ ، ونَبَذَ الناسُ خَواتِيمهم "[2] .

ـــ وحكى ابن السكيت : قَدْ نَبَذْتُ النَّبِيْذَ ، وأنكر : أَنْبَذْتُ نَبِيذاً [3] .

ـــ وقوف كثيرٌ من أئمة اللُّغة عندها ، ولم يَذْكرُوا غيرها[4] .

ـــ نَعَتَها أحَدُ اللُّغويين بالصواب والفصاحة ، كما قرر ذلك الصفدي[5] .

ـــ إنْكارُ الفرَّاء لُغة (أَنْبَذَ) بالألف ، وتصريحه بعدم سماعه لها من العرب [6] .

ـــ تخطئة ابن دُرُسْتويه للُغة (أنبذ) بالألف ، ووسمها بلُغة العامَّة .

ـــ وَسَمَهَا بعضهم (أنبذ ، بالألف) بالضعف والرداءة[7] .

ـــ اخْتِيارَ شُرَّاح الفصيح اللُّغة العالية (نَبَذَ) وأفردوها في شروحهم [8] .

قال ثعلبٌ : " ونَعَشْتُ الرَّجُلَ ، فأنا أنْعَشُهُ "[9] .

ـــ أجمع أئمة اللغة ، من أمثال : الأصمعي ، وابن دريد ، وابن السكيت ، وابن قُتيبة ، والجوهري ، والمُطَرِّز ، وابن مكي ، والصَّفَدي ، وابن الجوزي ، على فصاحة وعلو ما ذهب إليه ثعلب في هذه المادة ، وسأُبيِّنُ هذه الأقوال عِنْد الحديث عن إنكارِهم اللُّغة الثانية (أنْعِشُ) بالألف .

---

(١) سورة الصافات ، آية : ١٤٥ .

(٢) صحيح البخاري ، باب فصُّ الخاتم برقم (٥٥٢٩) ورقم (٥٥٣٩) ورقم (٦٢٧٥) ورقم (٦٨٦٨) وصحيح مسلم باب تحريم خاتم الذهب على الرجال برقم (٢٠٩١) .

(٣) الإصلاح ٢٢٥ .

(٤) انظر : أدب الكاتب ٣٧٢ ، وفعلت وأفعلت للزجاج ١٥٨ ، وتقويم اللسان ١٧٨ .

(٥) تصحيح التصحيف ١٢٩ .

(٦) اللسان ٥١١/٣ ، والتاج ٥٨٠/٢ (نبذ)

(٧) انظر : ديوان الأدب ٢٩٤/٢ .

(٨) تصحيح الفصيح ٨١ ، وشرح ابن الجبان ١١٧ ، وشرح المرزوقي ٣٣ ، والإسفار ٥٨ ، وشرح الزمخشري ٩١ .

(٩) الفصيح ٢٦٧ .

ــ عن المطرِّز : نَعَشَهُ اللهُ ، بغير ألف هو كلام العرب الفصحاء [1] .

ــ وعن ابن مكي الصقلي : والصَّوابُ : نَعشَه اللهُ [2] .

أما إنكار أئمة اللغة لــ (أنْعَشَ) بالألف والذي يفهم منه فصاحة (نَعَشَ) فقد جاء بأساليب متنوعة :

ــ فالأصمعي أنكر : أنْعَشَهُ اللهُ ، ووافقه ابن السكيت والجوهري [3] .

ــ يقْطعُ ابن دريد بعدم جريانها على ألسنة العرب الفصحاء مقرراً ذلك بقوله : " ولا تَلْتَفِتْ إلى قول العامَّة (أنْعَشَهُ) فإنَّه لم يَقُلْه أحد[4] .

ــ تخطئة ابن دُرُسْتويه أياه[5] .

ــ من اللُّغويين مَنْ وسمها بلغة العامَّة [6].

ــ إجمْاعُ شُرَّاح الفصيح على اختيار ثعلب ، والاقتصار عليها [7].

قال ثعلبٌ : " عُنِيتُ بحاجتك ، بضم أوله ، أُعْنَى بها "[8] .

ما اختاره ثعلب يمُثلُ لغة التنقية ، حيث فصاحتها وعلوها ، وذلك يرجع للأمور التالية :

ــ إفراد ثعلب لها ولم يَذْكرْ غيرها ، فهكذا ألزم نفسه في منهجه ، الذي يرى فيه فصاحة اللُّغة الأولى وحْدَها .

---

(١) تحفة المجد ٢٦٩

(٢) تثقيف اللسان ١٥٢ ــ ١٥٣ .

(٣) انظر : الغريب المصنف ٥٧٥/٢ .

(٤) الجمهرة ٨٧١/٢ (نعش)

(٥) تصحيح الفصيح ٨٣ .

(٦) انظر : تقويم اللسان ١٧٨ .

(٧) تصحيح الفصيح ٨٣ ، وشرح ابن الجبان ١١٩ ، وشرح المرزوقي ٣٤ ، والإسفار ٥٩ ، وشرح ابن هشام ٦٧ .

(٨) الفصيح ٢٦٩ .

ـــ حكى ابن قتيبة :عُنِيْتُ بالشيء . وأنكر : عَنَيْتُ بفتح العين[1] .

ـــ ينبِّه المرزوقي : إلى أنَّه لا يستعمل إلا عُنِيتُ [2] .

ـــ وحكى ابن مكي الصقلي بأنهم يقولون : عَنَيْتُ في حاجتي أَعْنَى . ويرى أنَّ الصَّوابُ : عُنِيْتُ ، بضم العين ، أُعْنَى [3] .

ـــ وحكى ابن الجوزي أيضاً بأنَّ : (عَنِيْتُ بالأَمْرِ) لُغة العامَّة . والصواب عنده : عُنِيْتُ[4] .

ـــ وإجماع شُرَّاح الفصيح ـــ باستثناء اللبلي ـــ على إفراد لُغة الضم لفصاحتها[5] .

وقال ثعلبٌ : " وقد وُثِئَتْ يده ، فهي مَوْثُوءة " [6] .

ذهب أصحاب التَّنقية اللُّغوية إلى اختيار (وثئت)بضم الواو ، وكسر الثاء وأقروا بفصاحتها ؛ وذلك ، للأسباب التالية :

ـــ اختيار ثعلب لها دون غيرها .

ـــ حكى ابن قتيبة : وُثِئت يده ، فهي مَوْثُوءة . وأنكر : وَثِئت [7] .

ـــ صرَّح ابن الجوزي بأنَّه يقال : وقد وُثِئَتْ يده بضم الواو ، وينبِّه إلى أنَّ العامَّة تفتحه[8] .

---

(١) أدب الكاتب ٤٠١ .

(٢) شرحه ٣٩ .

(٣) تثقيف اللسان ١٤٦ .

(٤) تقويم اللسان ١٣٦ .

(٥) تصحيح الفصيح ٩٠ ، وشرح ابن الجبان ١٢٢ ، وشرح المرزوقي ٣٩ ، والأسفار ٦٧ ، والتلويح ١٤ ، وشرح الزمخشري ١٠٩ ، وشرح التدميري ٧٩ ، وشرح ابن هشام ٧٠ .

(٦) الفصيح ٢٦٩ .

(٧) أدب الكاتب ٤٠١ .

(٨) تقويم اللسان ١٨٢ .

ـ وحكى الصفدي أنّ العامّة تقولُ : وَنَت يده ، بفتح الواو ، والصَّوابُ ضمها [1]

ـ موافقة جُلّ شُرّاح الفصيح لمذهب ثعلب في اختيار الأفْصح ، والوقوف عندها [2].

قال ثعلبٌ : " وقَرَرْتُ في المكانِ أَقِرُّ "[3] .

اللُّغة الفصيحة العالية هي : (قَرَرْتُ) بفتح الراء الأولى ، وذلك للأسباب التالية :

ـ إفراد ثعلب لها دون غيرها .

ـ ارتضاء ابن دُرُسْتويه لها دون غيرها ، وتنظيره لها بقوله : ولذلك جاء ـ يعني الفعل ـ على (فَعَلْتُ) بفتح أوله وثانيه " [4] .

ـ ذِكْرِ المرزوقي إياها ، ولم يذكر غيرها [5].

ـ ما نقله أبو عبيده عن الكسائي الإمام الثقة من أنّ قَرَرْت أجود في المكان [6] .

ـ صرّح ابن سيده بأنّ :قَرَرْت ، بالفتح ، أعْلى [7].

ثانياً : ومن معالم التّنقية اللغُوية أيضاً ذكر اللّغتين جميعاً ، وهذا يعود لما قَرَّرَهُ ثعلب في منهجه ضمن فصيحه ، عندما قال : " ومِنْهُ ما فيه لُغتان كثرتا واستعملتا ،ولم تكن إحداهما أكثر من الأخرى ، فأخبرنا بهما . . . "[8] . وإليك بعض النماذج على هذا النوع :

قال ثعلبٌ : " وبَرِئْتُ من المرض ، وبَرَأْتُ أيْضاً " [9].

(١) تصحيح التصحيف ٥٤٠ .

(٢) شرح ابن الجبان ١٢٢ ، وشرح المرزوقي ٣٩ ، والإسفار ٦٩ ، والتلويح ١٤ ، وشرح ابن هشام ٧٠ .

(٣) الفصيح ٢٧١ .

(٤) تصحيح الفصيح ١١٤ .

(٥) شرحه ٤٩ .

(٦) الغريب المصنف ٢/٥٨٥ .

(٧) المحكم ٦/٧٧-٧٨ .

(٨) الفصيح ٢٦٠ .

(٩) نفس المرجع ٢٦٤ .

ـــ أجْمَعَ أئمة اللُّغة على فصاحة هاتين اللُّغتين فذكروهما جميعاً (١) .

ـــ فَبَرَأْتُ : لُغة أهل الحجاز . أما : بَرِئْتُ ، بالكسر ، فلغة تميم وسائر العرب ، هذا ما حكاه غير واحد من العلماء ؛ صرَّح ابن دريد بأنَّ : بَرَأْتُ من المرض أبْرَأُ بُرْءاً ، لُغة أهل الحجاز ، وسائر العرب يقولون : بَرِئْتُ من المرض أبْرَأُ (٢) .

ـــ ويذكر السيوطي أنَّ : بَرِئتُ لُغة تميم ، وبَرَأْتُ لغة الحجاز (٣) . ولم يخرج شُرَّاح الفصيح عمَّا ذهب إليه اللُّغويون من القول بفصاحة اللُّغتين معاً (٤).

وقال ثعلبٌ : " وقد دِيْرَ بي وأُدِيْرَ بي ، لغتان " (٥) .

ـــ وقد جاء رأي أصحاب التَّنقية في هذه المادة مُتَّفقاً مع أصحاب التَّوسُّع في ذكر هاتين اللُّغتين ، والإقرار بفصاحتيهما ، كما قرَّر ذلك ثعلب نقلاً عن الأئمة الثقات ، وغيرُه من اللُّغويين (٦) .

ـــ كما أجمع شُرَّاحُ الفصيح على فصاحة اللُّغتين جميعاً(٧).

وقال ثعلبٌ : " وسَخَنَ المَاءُ وسَخُنَ أيضاً يَسْخُنُ "(٨) .

ـــ أجْمَعَ اللُّغويون على فصاحة اللُّغتين جميعاً ، كما هو اختيارُ ثعلبٍ ، إلا أن هناك تقدم وتفضيل لـــ (سَخَنَ) بفتح الخاء ، على (سَخُنَ) .

---

(١) انظر : الإصلاح ٢١٢ ، وأدب الكاتب ٣٣٣ ، وأفعال السرقسطي ٩٢/٤ .

(٢) الجمهرة ١٠٩٢/٢ .

(٣) المزهر ٢٦٧/٢

(٤) انظر : تصحيح الفصيح ٦٥ ، شرح ابن الجبان ١١٠ ، وشرح المرزوقي ٢٤ ، والإسفار ٣٨ ، والتلويح ٨ ، وشرح الزمخشري ٥٣ ، وشرح ابن هشام ٦٠ .

(٥) الفصيح ٢٧٠ .

(٦) انظر : فعلت وأفعلت للزجاج ٧٤ ، وأفعال ابن القطاع ٣٦٨/١ ، وأفعال السرقسطي ٦٩٢/٣ .

(٧) انظر : تصحيح الفصيح ١٠٧ ، وشرح ابن الجبان ١٢٦ ، وشرح المرزوقي ٤٥ ، والإسفار ٧٧ ، والتلويح ١٥ ، وشرح الزمخشري ١٢٣ ، وشرح اللخمي ٨٧ ، وشرح ابن هشام ٧٢ ، وتحفة المجد ٣٣٨

(٨) الفصيح ٢٧٢ .

ـــ يحكي ابن قتيبة أنهم يقولون : سَخُنَ الماءُ ، والأجود سَخَنَ الماء يَسْخُنْ [1] .

ـــ صرَّح ابن دُرُسْتويه بأن فتح الخاء في (سخَن) أفصح من ضمها [2].

ـــ حكى الزمخشري أنَّ : سَخَنَ هي الأجود[3] .

ـــ وعدا ما تَقَدَّم ذِكْره من أقْوالِ اللُّغويين والذين يُقدِمون (سَخَنَ) على (سخُن) ؛ فإن شُرَّاحَ الفصيح ذَكَرُوا اللُّغتين دون التميز بين مستواهما الصَّوابي[4] .

قال ثعلبٌ : " وجَنَّ عليه الليل ، وأجَنَّهُ الليل "[5] .

ـــ ذَكَرَ ثعلبٌ هاتين اللُّغتين مُساوياً بينهما من حيث الفصاحة ، وقد نَقَلَ ذلك عن أئمة اللُّغة الثقات .

ـــ قال صاحبُ العين : " أجَنَّهُ اللَّيلُ ، وجَنَّ عليه اللَّيلُ : إذا أظلم "[6] .

ـــ وحكي عن الفرَّاء أنه يقال : جَنَّ عليه اللَّيلُ ، وأجَنَّ " ،وهو يرى أنَّ (أجَنَّ) بالألف أجود [7] .

ـــ وحكى ابن السِّكيت : جَنَّ عليه اللَّيل ، وقد أجَنَّهُ اللَّيلُ [8] ومثله عن ابن قتيبة ، والزجَّاج [9] .

---

(١) أدب الكاتب ٤٢٢ .

(٢) تصحيح الفصيح ١١٨ .

(٣) شرحه ١٤٧ .

(٤) شرح ابن الجبان ١٣٢ ، وشرح المرزوقي ٥٣ ، والإسفار ٨٩ ، والتلويح ١٨ ، وشرح ابن هشام ٧٧ .

(٥) الفصيح ٢٧٨ .

(٦) ٢١/٦ (جن) .

(٧) معاني القرآن ٣٤١/١ .

(٨) الإصلاح ٢٩٥ .

(٩) أدب الكاتب ٤٤٥ ، وفعلت وأفعلت للزجاج ١٥ .

ـ أجمع شُرَّاح الفصيح على ذِكْرِ اللُّغتين معاً دون التَّمْيِيز بين مستواهما الصَّوابي [1] .

ثالثاً : ومِنْ هذه المعالم ـ أيضاً ـ التَّقْليل مِنْ شأن اللُّغة الثانية ؛ وهذا ما يُفْهَمُ منه ضمناً فصاحةُ اللُّغة الأولى . ومِنْ أمثلة ذلك :

قال ثعلبٌ : " وعَجَزْتُ عن الشيء أعْجِزُ " [2] .

اللُّغة الفصيحة في هذه المادة هي : (عَجَزَ) ، إلا أنَّهُ رُوي (عَجِز)بكسر الجيم كَلُغَة ثانية ، وجاء إنكارها بأساليب متنوعة منها :

ـ جاء في تحفة المجد الصريح قول ثعلبٌ : سألت ابن الأعرابي : أتقول عَجِزْتُ بالكسر للجيم ، من العَجْز ؟ قالا : لا ، وإنما أقول : عَجَزْتُ بفتح الجيم من العَجْز ، وعَجِزْتُ من العَجِيْزَة [3] .

ـ اعتبارها لُغة للعامَّة ، كما قرر ذلك ابن دُرُسْتويه ، وغيرُه [4] .

ـ تخطِئَتُها ، كما صرّح بذلك ابن مَكّي الصّقلي بقوله :" يقولون : عَجِزْت والصَّواب عَجَزْتُ " [5] .

ـ وصفها بالشذوذ [6] .

قال ثعلبٌ : " ونَكَل عن الشيءَ يَنْكُلُ " [7] .

---

(1) انظـر : تصحيح الفصيح ١٧٣ ، وشرح ابن الجبان ١٥٥ ، وشرح المرزوقي ٨٨ ، والإسفار ١٣٥ ، والتلويح ٢٧ ، وشرح الزمخشري ٢٣٦ ، وشرح التدميري ١٢٢ .

(2) الفصيح ٢٦١ .

(3) ص ٧١

(4) تصحيح الفصيح ٤٧ ، وانظر : شرح ابن الجبان ١٠١ .

(5) تثقيف اللسان ١٤٧ .

(6) انظر البحر المحيط ٤/٢٣٥ .

(7) الفصيح ٢٦١ .

ـــ يُمثّل اختيار ثعلب اللُّغة الأعلى والأشهر ، إلا أنه وجد من اللغويين من يضيف لُغة ثانية ، وهي : (نَكِلَ) بكسر الكاف . وهذه اللغة قد أنكرها الأئمة الثقات ، وبعضهم لا يعرفها ، ومنهم من خطأها :

ـــ فالكسائي يَقِفُ عند اللُّغة العالية الفصيحة ، ولم يذكر غيرها ، ويتضح هذا من قوله : " ويُقال : نَكَلْتُ عنهُ ، بفتح الكاف " [(١)].

ـــ أما ابن السكيت فيُصَرِّحُ بإنكارها قائلاً : " . . . ، ولا يُقال : نَكِلْتُ " [(٢)].

ـــ كما أنْكَرَها أيضاً ابن قتيبة [(٣)].

ـــ أما ابن مَكّي الصقلي فإنه يخطئ (نَكِلَ) بكسر الكاف ، ويُصوب : (نَكَلَ) العالية [(٤)] .

ـــ أغفل بعض شُرّاح الفصيح (نَكِلَ) فلم يَذْكروها [(٥)].

قال ثعلبٌ : " وغَثَتْ نَفْسي ، فهي تَغْثي " [(٦)].

نَقَلَ ثعلبُ اللُّغة العالية (غَثَتْ) عن أئمة اللُّغة الثقات . وَوُجِدَ مِنْ اللُّغويين مَنْ ذَكَرَ (غَثِيَتْ) بالياء ، كلغة ثانية في هذه المادة ، إلا أنَّ هذه اللُّغة أنْكَرَها مُعْظَمُ الأئمة اللُّغويين ، وجاءَ إنكارُهم إياها بأساليبَ ، منها :

ـــ عن الكسائي : غَثَتْ نفسي . وأنكر قولهم : غَثِيَتْ بالياء "[(٧)] .

ـــ ووَصَفَها ابن دُرُسْتويه بالخطأ[(٨)].

(١) ما تلحن فيه العامة ١٢٧ .

(٢) الإصلاح ١٨٨ .

(٣) أدب الكاتب ٤٠٠ .

(٤) تثقيف اللسان ٢٦٥ .

(٥) انظر : شرح ابن الجبان ١٠٤ ، وشرح المرزوقي ١٤ ، والإسفار ٢٤ ، والتلويح ٥ .

(٦) الفصيح ٢٦٢ .

(٧) ما تلحن فيه العامة ١٢١ .

(٨) تصحيح الفصيح ٥٣ .

ـــ اعتَبرَها الأزهري من كلام المولَّدين [1] .

ـــ أغفَلَهَا معظم اللُّغويين ، فلم يَذْكروها[2] .

قال ثعلبٌ : " ومَسِفْتُ الدَّواءَ وغيرَه ، أَسَفُّهُ "[3] .

هكذا اقتصر صاحب الفصيح على اللغة الفصيحة المشهورة عن أئمة اللُّغة ، إلا أنه سُمِعَ عن بعضهم لُغة ثانية ، وهي (سَفَفْتُ) بفتح الفاء الأولى . إلا أنها لُغةٌ منكرة ، وهناك من أضافها للعامَّة . ومِنْ اللُّغويين مَنْ قَلَّلَ من شأنها .

ـــ نَقَلَ أبو عُبيد عن الكسائي قوله : " وسَفِفْتُ الدَّواء لا غير "[4] .

ـــ ذَكَرَ ابن السكيت اللُّغة العالية ، ولم يذكرْ (سَفَفْتُ)[5] .

ـــ وحَكَى ابن الجوزي : أنَّ (سَفَفْتَ) بالفتح ، لُغة العامَّة [6].

ـــ يُقَرِّرُ الصفدي قول ابن الجوزي بنسبتها إلى العامَّةِ بقَوْله : " العامَّة تقولُ : سَفَفْتَ الدواء . والصَّواب بكسر الفاء الأولى " [7] .

ـــ نَقَلَ اللبلي عن أحدِ اللُّغوين : أنَّهُ لا يقال من الدواء إلا سَفِفْتُ [8] .

ـــ وَقَفَ جميع شرَّاح الفصيح عند اختيار ثعلب ، ولم يذكروا اللُّغة الثانية[9].

---

(1) التهذيب ١٧٦/٨ (غثي)

(2) انظر : الإصلاح ١٨٩ ، أدب الكاتب ٣٩٨ ، وتصحيح الفصيح ٥٣ ، تقويم اللسان ١٤٣ ، وأفعال السرقسطي ٤٢/٢ .

(3) الفصيح ٢٦٣ .

(4) الغريب المصنف ٥٧٥/٢ .

(5) الإصلاح ٢٠٨ .

(6) تقويم اللسان ١١٩ .

(7) تصحيح التصحيف ٣١٤ .

(8) تحفة المجد ١٦٥ .

(9) انظر :شرح ابن درستويه ٦٣-٦٤ ، وشرح ابن الجبان ١٠٩ ، وشرح المرزوقي ٢٣ ،والإسفار ٣٥ ، والتلويح ٧ ، وشرح الزمخشري ٥١ ، وشرح التدميري ٣٢ ، وشرح ابن هشام ٥٩ ، وتحفة المجد ١٦٥ .

قال ثعلبٌ : " مَصِصْتُ الشيء أَمَصُّهُ "[1] .

التزم ثعلب بمنهجه فوقف عند اللُّغة العالية (مصِصْتُ) بكسر الصاد الأولى ، ومِنْ العربِ مَنْ يرَى لغة ثانية ، وهي (مَصَصْتُ) بفتح الصاد الأولى ، إلا أن بعض اللُّغويين قلل من شأنها ، وهذا التقليل جاء بأساليبَ منها :

ـــ تفصيح اللُّغة الأولى العالية ، ويفهم من هذا ضمناً التقليل من شأن اللُّغة الثانية فعن الأزهري : " ومِنْ العربِ مَنْ يقولُ : مَصَصْتُ أمَصُّ ، والفصيح الجيِّد : مَصِصْتُ ، بالكسر أمَصُّ "[2] .

ـــ إشادة جَمْعٌ من اللغوين باللُّغة الأولى العالية [3] .

ـــ مِنْ اللُّغوين من خَطَّأ اللغة الثانية (مَصَصْتُ ، كما فَعَلَ ابن دُرُسْتويه)

ـــ مِنْ اللُّغوين من نسبها إلى العامَّة وقَلَّلَ مِنْ شأنها بقوله : " والعامَّة تقول : مَصَصْتُ الرُّمّانَ ، بفتح الصاد ، والصواب كسرها[4] .

ـــ إهْمالُ بعض شُرَّاح الفصيح لها ، ووقوفهم عند حدود اللُّغة الأفْصح ، فحسب [5]

قال ثعلبٌ : " وقَلَبْتُ القومَ ، وكذلك الثوب "[6] .

أجمع أئمةُ اللُّغة على فصاحة وعلو (قَلَبَ) وإنْ وُجِد مَنْ حَكى (أقْلَب) بالألف ، كلغة ثانية ، إلا أنها لغة وُسِمت بالضعف ، كما نَصَّ ابن سيده في مُحكمه [7] ومما يدل على ضعفها ما يلي :

---

(١) الفصيح ٢٦٣ .

(٢) التهذيب ١٢/١٣٠ (مصص) .

(٣) انظر : الإصلاح ٢٠٩ ، وأدب الكاتب ٣٩٧ ، وتقويم اللسان ١٦٣ ، وتصحيح التصحيف ٤٨٤ ، وانظر : تصحيح الفصيح ٦٣ ، وشرح ابن الجبان ١٠٨ ، الإسفار ٣٥ .

(٤) انظر تصحيح التصحيف ٤٨٤.

(٥) انظر : تصحيح الفصيح ٦٣ ، وشرح ابن الجبان ١٠٨ ، والإسفار ٣٥ .

(٦) الفصيح ٢٦٧ .

(٧) المحكم (قلب) .

ـ إجماع كبار اللُّغويينَ كابن السكيت ، وابن قتيبة ، والزجاج ، وابن مكي الصقلي ، والصفدي ، ومعظم شُرَّاح الفصيح على إنكار (اقْلَبْتُ) بالألف ، وتخطئتها ، أو إغفالها .

ـ يقول ابن السكيت : " وقد قلبت الصِّبْيَانَ وصرفتهم بغير ألف "[1] .

ـ وقد أهملها ابن قتيبة .[2] وأنكرها بن مكي الصقلي : " ولا يُقالُ أقلبتُ في شئ إلا في قولهم : أقلبتُ الخبزة "[3] . ووافقه الصفدي فيما ذهب إليه[4] .

ـ وعن ابن دُرُسْتويه : " والعامَّة تَقُولُ : أَقْلَبْتُ القوم والثوبَ ، ونحو ذلك بالألف ، وهو خطأ "[5] وبهذا قال الزمخشري أيضاً[6] .

ونخلصُ مما سبق أنَّ لهذه التَّنقية ـ تنقية اللُّغة العربية ـ معالم حاولنا إيضاحها عن طريق الأمثلة التطبيقية ، التي استَقَيْناها من مواد الفصيح وشروحه ، ويبقى لنا إيجاز أبرز ما توصلنا إليه من معالمها ، على النحو التالي :

١. وقوف أئمة اللُّغة الثقات عند اللُّغة الأفصح والأعلى ، ووسم ما عداها بالخطأ أو الضعف ، أو الشذوذ ، أو إهمالها كُلياً .

١. ذِكر اللُّغتين جميعاً ، في حالة كثرة استعمالهما ، حيثُ لم تكن إحداهما بأكثر من الأخرى .

٢. التقليل من شأن اللُّغة الثانية ، ووسمها بصفات تخرجها عن حَيِّز الفصاحة والعلو.

---

(١) الإصلاح ٢٢٦ .

(٢) أدب الكاتب .

(٣) تثقيف اللسان ١٥٣ .

(٤) تصحيح التصحيف : ١٢١ – ١٢٢ .

(٥) تصحيح الفصيح ٧٧ .

(٦) شرحه ٨٢ .

الْفَصْلُ الثَّانِي

دَوْرُ الفَصِيْح وأَثَرُ شُرُوحه المشْرِقِيَة والمغْرِبِيَة فِي التَّنْقِيَةِ اللُّغَوِيَة

في هذا الفصل سوف أتناولُ بالدِّراسَة كتابَ (الفَصِيح) من الناحية التوصيفية ، مُبَيِّناً أثره في تدعيم حركة التَّنقِية اللُّغوية ، بالإضافة إلى بعض الإيضاحات حَوْل شُروحه التي وصلت إلينا ، وذلك في مُحاولة مُتواضعة لإبراز أهم ما اشتمل عليه فَصِيْحُ ثَعْلَب بشيء من الملاحظة والدِّقة ، وبالتالي يتسنى لنا مناقشة شُرُوحه المختلفة ــ بموافقاتها ومعارضاتها ، وبإضافاتها وأوجه قصورها ــ مقارنةً بفصيح ثعْلب من ناحية ، وتيسيراً لسُبُلِ الموازنة بينها جميعاً من ناحية أخرى ؛ خدمةً لِلُغة الفُصْحَى التي نَزَلَ بها القرآنُ الكريم بلسانٍ عربي مُبين .

قال تعالى : ﴿ **نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِيْنُ • عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُوْنَ مِنَ الْمُنْذِرِيْن • بِلِسَانٍ عَرَبِيٍ مُبِيْن** ﴾[1] .

وقال تعالى : ﴿ **وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُوْنَ إِنَّما يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِسَانُ الَّذِيْ يُلْحِدُوْنَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِيْنٌ** ﴾[2] .

وقبل أنْ نشرعَ في الحديث عَنْ فَصِيْحِ ثَعْلَب ، نُشيرُ إلى شُروحه التي سوف نتناولها في هذا الفصل ــ أيضاً ــ ، حَتَّى يكتمل تصورنا له بأُسْلُوبٍ أشْمَل ، وعرضه بمنهج واضح ميسر ، وعليه يمكننا تقسيم شروح الفصيح الممثلة لحركة التنقية ، إلى قسمين رئيسين ، وذلك تبعاً لمنشأ الشُّرَّاح أنفسهم ــ مشارقة ومغاربة ــ على النحو التالي :

الشُرُوحُ المَشْرِقِيَّةُ لِفَصِيحِ ثَعْلَبٍ :

١ــ تَصْحِيحُ الفَصِيحُ لابْنِ دُرُسْتويه .

---

(١) سورة الشعراء : الآيات (١٩٣ ــ ١٩٥)

(٢) سورة النحل : الآية (١٠٣)

٢ــ شَرْحُ الفَصِيحُ لأبي مَنْصُور الجَبَّان .

٣ــ شَرْحُ الفَصِيحُ للمرْزوقِي .

٤ــ التَّلْوِيحُ في شَرْحِ الفَصِيحِ لأبي سَهْل الهرَوي .

الشُرُوحُ المَغْرِبيَّة لِفَصِيح ثعْلَبٍ :

١ــ شَرْحُ غَرِيبِ الفَصِيح للتَّدْمِيرِي .

٢ــ شَرْحُ الفَصِيحِ لابْنِ هِشَام اللَّخْمِي .

وقد اقتصرنا على هذين الشَّرْحَيْن ــ الأخيرَين ــ ؛ لأنه لم يتوفرْ بين أيدينا سواهما كشروح مَغْرِبية ــ حسب تقسيمنا السابق للشروح ــ فيما يخص تنقية اللُّغة . وسوف نبيِّن الأثر الذي تَرَكَتْهُ هذه الشُّرُوح جميعاً ــ مَشْرقية ومَغْرِبية ــ في تدعيمِ حركة تنقية اللُّغة بشئ من التفْصيل في مواضعها ــ إنْ شاء الله ــ .

الفَصِيحُ وَأثَرُهُ فِي تَنْقِيَةِ اللُّغةِ :

سَبَقَتْ الإشارة في مبحث (الفَصَاحَةِ والفَصِيح) إلى التعريفِ بثعْلبٍ وفصيحه ، وإلى بيانِ قيمته اللُّغوية وما أحدثه من حملة تأْليفٍ واسعة ، ما بين شَرْحٍ ونَظْمٍ ونَقْدٍ ، ففي ذلك ما يَفِي بالْغَرَضِ ، ويُغْنِي عن التكرارِ ، ولقد عمدنا إلى تحقيقِ هدفنا هذا من خلال البحثِ عن أبرزِ ما تضمنه الفصيح من قضايا جوهرية تُفْصِحُ عن تفصيلاتِ محْتواه ، وكان من أبرز هذه القضايا

المذهب الذي سار عليه في تنقيته للغة ، وقد سبق لنا إيضاحه في مبحث علماء التنقية اللغوية(١) ، بالإضافة إلى قضايا أخرى بيانها في الآتي :

ـــ المنْهجُ الذي انتهجه ثعلبٌ في فصيحه .

ـــ المحتوى الذي تضمنه الفصيح .

ـــ المصادرُ التي اعتمد عليها صاحب الفصيح .

أولاً ـــ منْهَجُهُ :

قَسَّم ثعلبٌ كِتَابَه ـــ الفَصيح ـــ إلى ثلاثين باباً ، جاءت التسعة الأولى منها كمباحث فـي الفِعْلِ ، تلتها اثنان في المصادر ، وخمسَةَ عشْرَ في الأسماءِ والصِّفات ،ثم خَصَصَّ باباً للأمثال ، وآخر لما يُقال بلُغتين ، وبابٌ سمَّاه حروف مفردة ، ثم جاء بابه الأخير يحمل عنوان : من الفرق .وفيما يلي بيان موجز لما أجملناه عن أبوابِ الفصيح ـــ الثلاثين ـــ على النحو التالي :

ـــ من الباب الأول إلى الباب التاسع (مباحثٌ في الفِعْلِ) :

١ـــ باب فَعَلْتُ بفتح العين .

٢ـــ باب فَعِلْتُ بكسر العين .

٣ـــ باب فعَلت بغير ألف .

٤ـــ باب فُعِلَ بضم الفاء .

٥ـــ باب فَعِلتُ وفَعَلت باختلاف المعنى .

٦ـــ باب فَعَلت وأفْعَلتُ باختلاف المعنى .

٧ـــ باب أَفْعَل .

٨ـــ باب ما يُقال بحرف الخفض .

---

(١) انظر ص ٨٠ من هذا البحث

٩ــ باب ما يُهْمَزُ من الفعل .

ــ الباب العاشر والحادي عشر (في المصَادِرِ) :

١٠ــ باب المصادر .

١١ــ باب ما جاء وصفاً من المصادر .

ــ من الباب الثاني عشر إلى الباب السادس والعشرين (في الأسْمَاءِ والصِّفَاتِ) :

١٢ــ باب المفتوح أوله من الأسماء .

١٣ــ باب المكسور أوله .

١٤ــ باب المكسور أوله والمفتوح باختلاف المعنى .

١٥ــ باب المضموم أوله .

١٦ــ باب المضموم أوله والمفتوح باختلاف المعنى .

١٧ــ باب المكسور أوله والمضموم باختلاف المعنى .

١٨ــ باب ما يثقل ويخفف باختلاف المعنى .

١٩ــ باب المشدد .

٢٠ــ باب المخفف .

٢١ــ باب المهموز .

٢٢ــ باب ما يقال للمؤنث بغير هاء .

٢٣ــ باب ما أُدخلت فيه الهاء من وصف المذكر .

٢٤ــ باب ما يقال للمذكر والمؤنث بالهاء .

٢٥ــ باب ما الهاء فيه أصلية .

٢٦ــ باب منه آخر .

ــ الباب السابع والعشرون : (خصصه للأمْثالِ).

ـــ الباب الثامن والعشرون : (ما يُقَالُ بلغتين) .

ـــ الباب التاسع والعشرون : (حروف منفردة).

ـــ الباب الثلاثون : (من الفرق).

ثانياً ـــ مُحتَوَاهُ :

أـــ تناول ثعلب في كتابه قضية الفصيح في اللُغة ، وما يجب على المتعلم إدراكه واستعماله ، فتعرض لعدة قضايا تدور ـــ في تضاعيف أبواب الكتَاب ـــ منها : قضايا صَوْتية[1] ، وقضايا صرفية[2] ، وقضايا دلالية [3] .

ب ـــ في الأبوابِ المتعلقة بالأفْعَالِ قَدْ يُورِدُ الفعل في صيغة الماضي والمضارع ، وقد يأتي باسم الفاعل أو بالمصدر منه ، إلا أنّه لا يلتزم بذلك في كل الأفعال ، كقوله :

" وهَلَكَ الرّجلُ وغيرُه يَهْلِكُ " ، " وعَطَسَ يَعْطِسُ " ، "ونَطَحَ الكبش يَنْطِحُ " ، " ونَبَحَ الكلبُ يَنْبِحُ " ، " ونَحَتَ يَنْحِتُ " ، "وجَفَّ الثّوبُ وكل شئ رطب يَجِفُّ " ،
" ونَكَلَ عن الشيئ يَنْكِلُ " ، " و كَلَلْتُ من الإعياء أَكِلُّ كَلاَلاً وكُلُولاً " ، " وكَلَّ بَصَرِي كُلُولَةً وكِلـّةً "، " وسَبَحْتُ أسْبَحُ " ، " وشَحَبَ لَوْنُهُ يَشْحُبُ " ، " وسَهَمَ وجهُهُ يَسْهُمُ إذا تغير " ، " ووَلَغَ الكلبُ في الإناء يَلَغُ ويُولَغُ " [4] .

---

(١) باب : ما يهمز من الفعل ٢٧٨ ، وباب : المهموز من الأسماء ٣٠٦ .

(٢) كأوزان الأفعال وصيغ المشتقات وأسماء الأفعال وأبنية الأسماء والمذكر والمؤنث

(٣) تعرض للألفاظ المُعربة ، وخصص باباً للفرق ٣٢١

(٤) باب : فعَلت بفتح العين ٢٦١ .

ج ـــ يغفل إيراد الفعل في صيغـــة الماضي والمضارع في كلّ الأبواب ، فمثلاً في الباب الثالث [١] نلاحظ أنّه يُدْرِجُ مضارع بعض الأفعال ويُغْفِلُ بعضَها الآخر كقوله :

" ونَبَذْتُ النَّبيذَ " ، "ورَهَنْتُ الرَّهْنَ "، "وخَصَيْتُ الفَحْلَ " ، " وبَرِئْتُ إليك من الخِصَاءِ والْوِجَاءِ " ، " ونَعَشْتُ الرَّجُلَ فأنا أنْعَشُـــهُ " ، " وحَرَمْتُ الرَّجُلَ عَطَاءَهُ أحْرِمُهُ " .

د ـــ يَذْكُرُ الفعلَ في الماضي والمضارع ويأتي منه باسم المفعول فقط [٢] ، كقوله :

" عُنِيْتُ بحَاجتِكَ بضم أوله ، أُعْنَى بها ، وأنا بها مَعْنـــيٌّ " ، " وقد أُوْلِعْتُ بالشيءِ أُوْلَعُ به " ، " وقد بُهِتَ الرَّجُلُ يُبْهَتُ فهو مَبْهُوتٌ " .

ثم بَعْدَ هذا مُباشرة تَجِدُهُ يُغْفِلُ صورة المضارع فيأتي بالفعل واسم المفعول منه فقط كقوله :

" وقد وُثِئَتْ يده فهي مَوْثُوْءَةٌ " ، " وقد شُغِلْتُ عنك فأنـــا مَشْغُولٌ " ، " وقد شُهِرَ في الناس " ، " وقد ذُعِرَ فهو مَذْعُورٌ " ، " وقد طُلَّ دَمُهُ فهو مَطْلُولٌ : إذا لم يدرك بثأره " " وأُهْدِرَ فهو مَهْدُورٌ " ، " وقد وُقِصَ الرَّجُلُ إذا سقط عن دابته فاندقت عنقه فهو مَوْقُوصٌ " ، " وقد وُضِعَ الرَّجُلُ في البيع يُوضَعُ " [٣] .

هـــ ـــ سَاقَ ثَعْلَبٌ في كِتَابِه الكلمات الفصيحة التي كان العَامَّة يلحنون فيها ، إلا أنّه لم يذكرْ معها كيف كان عامَّةُ النَّاسِ ينطقونها إلاّ فيما نَدَرْ ، فمن ذلك

---

(١) باب فَعَلت بغير ألف .

(٢) باب فُعِلَ بضم الفاء

(٣) الفصيح :٢٦٩ – ٢٧٠.

قولُه : " وهو الحَائرُ لهذا الذي تسميه العامَّةُ : الحَيْرُ ، وجمعه حِيْرَانٌ وحُوْرَانٌ " [١]
وقولُه : " وهي الإرْزَبَّةُ للتي تقول لها العامة مِرْزَبَّةٌ " [٢] .

مع العِلْمِ أنَّه أشار في خاتمة تأليفه إلى أنه ألَّفَ هذا الكتاب على نحو ما ألَّفَ النَّاس ونسبوه إلى ما تلحن فيه العَامَّة [٣] ، ومع ذلك فإنَّه يُشير أحياناً إلى أخطاء العامَّة باستعمالـــه للفظ " لا تَقُلْ ... لأنَّ ؛ لأنَّه ... " ، أو " لاتَقُلْ ... ؛ فإنَّه خطأ " ومن أمثلة ذلك :

ـــ يصرِّح بأنَّ الفصيح أن يقال : أتانا بِجِفَانٍ رُذُمٍ وَرَذَمٍ ، وينبه على أنه لا يقال : رِذَمٍ ، فإنه خطأ [٤] .
ـــ كما يقرر أنَّ الفصاحة تتمثل في قوله : وإذا قيل أُدْنُ فَتَغَدَّ ، فقل ما بي تَغَدٍّ ، وفي العشاء : ما بي تَعَشٍّ ، وينبه إلى أنَّه لا يقال : ما بي غَدَاءٌ ولا عَشَاءٌ لأنه الطعام بعينه[٥] .
ـــ وفي موضع ثالث من الكتاب يصرِّح بأنَّ الصواب أن يقال : لَقِيْتُه لَقْيةً وَلِقَاءَةً وَلُقْيَاناً ولِقْيَانَةً ، وينبِّه أنَّه لا يقال : لَقَاةً فإنه خطأ[٦] .
ـــ وفي قولهم : وأطعمنا خُبْزَ مَلَّةٍ وخُبْزَةَ مَلِيلاً ، يصرِّح بأنَّ هذا هو الكلام الأفصح والأشهر ، وينكر على من قال : أطعمنا مَلَّةً لأن المَلَّةَ الرَّمَادُ والتُّرَابُ الحار[٧] .

---

(١) ص : ٣٢ .
(٢) ص : ٢٩٥ .
(٣) ص : ٣٢٣ .
(٤) الفصيح : ٣١٤
(٥) ص : ٣١٩
(٦) ص : ٣١٩
(٧) ص : ٣١٨

و ــ اهتم بالهمزة فخصص لها بابين : الباب التاسع : " باب ما يهمز من الفعل " ، والباب الواحد والعشرون : " باب المهموز " وخصَّه بالأسماء المهموزة ؛ ذلك أنَّ العامَّةَ ــ اختصاراً وتسهيلاً للنطق ــ تعمد في غالب الأحيان إلى إهمال الهمزة وإبدالها حرفاً ليناً : فالعامَّة تستثقل الهمزة لأنها أشد الحروف الشديدة ، فهي كما يقول " سيبويه " : " نبرة في الصدر تخرج باجتهاد " [1] . وذلك لأنها صوت ليس بالمهجور ولا بالمهموس وهي أكثر الأصوات الساكنة شدَّة[2] .

واعتمد ثعلب في النماذج التي ساقها في هذا المجال على حَصْرِ بعض الأفعال المهموزة والتي تنطقها العامَّةُ لينة ، وبيَّن الفرق بين الفعل ذي الحرف المهموز ونفس الفعل ذي الحرف اللين ، وأوضح اختلاف المعنى بين الفعلين ، ومن أمثلة ذلك[3] :

رَقَأَ " الدم " : انقطع ــ رَقَى الصبي : جعل له رقية .

دَارَأَ : دافع ــ دَارَى : لاَيَنَ .

بَارَأَ : فارق ــ بَارَى : عارض .

عَبَأَ : صنع ــ عَبَّى " الجيش " : من التعبئة .

نَكَأَ " القرحة " : قَشَرَها قبل أن تبرأ ــ نَكَى : هزم وغلب " العدو " .

ز ــ في الأسماء المهموزة أورد ثلاثة نماذج[4] :

* النموذج الأول : لا يجوز فيه إلا الهمز فقط ، ومن أمثلة ذلك :

---

(١) الكتاب ٣/٥٤٨ .

(٢) الفصيح : ٩٩ .

(٣) باب : ما يهمز من الفعل

(٤) باب : المهموز

شَأْفه ـــ نَأْمَه ـــ تَوْأَم ـــ رُؤْبَة ـــ صِئْبان .

* النموذج الثاني : يجوز فيه الهمز واللين مع اختلاف المعنى ، ومن أمثلة ذلك :

جَيْئَة : اسم مرة من جَاءَ ـــ جِيَّة : الماء المستنقع .

السُّؤْرُ : ما بقي من الشراب في الإناء ـــ السُّوْرُ : ما يحيط بالمدينة .

* النموذج الثالث : ما يجوز فيه الهمز واللين والمعنى واحد ، ومن أمثلة ذلك :

الأَرَقَانُ والْيَرَقانُ : داء يصيب الزرع والإنسان فيحدث فيه الاصفرار .

الأَرَنْدَجُ والْيَرَنْدَجُ : جلد أسود يصنع منه الخفاف .

ح ـــ أوضح ثعلب الفروق بين أوزان الأفعال ؛ فخصص باباً لِفَعَلْتُ وأَفْعَلْتُ باختلاف المعنى [1] ، وساق بعض النماذج شارحاً لمعنى كل فعل ، أمثلة :

ـــ شَرَقَت الشمس : إذا طلعت ـــ أَشْرَقَتْ : إذا أضاءت .

ـــ عَيِيتُ بالأمر : إذا لم أعرف وجهه ـــ أَعْيَيْتُ من الشئ : تعبت

ـــ هَدَيْت العروس : زففتُها إلى زوجها ـــ أَهْدَيت الرجل : أعطيته هدية

ـــ سَفَرت المرأة : ألقت خمارها ـــ أَسْفَرتْ : أضاءت .

ـــ صَفَدْتُ الأسيرَ : شددْتُ وثاقه ـــ أَصْفَدْتُ الرَّجُلَ : أعطيتُه مالاً .

ـــ لَمَمْتُ : جمعتُ ـــ أَلْمَمْتُ : أتيتُ و زرتُ .

ط ـــ خصص باباً لفَعلْتُ وفَعَلْتُ باختلاف المعنى [2] ، على غرار الباب السابق ، فمن أمثلة ذلك قولُه :

ـــ نَقِهْتُ الحديث : فهمته ـــ نَقَهْتُ من المرض : شفيت .

ـــ قَرِرْتُ به عيناً : سعدت ـــ قَرَرْتُ في المكان : مكثت .

---

(١) الفصيح ٢٧٣

(٢) نفس المرجع ٢٧١ .

ـ قَرِرْتُ به عيناً : سعدت ـ قَرَرْتُ في المكان : مكثت .

ـ مَلِلْتُ من الشيء : ضجرت وسئمت ـ مَلَلْتُ الشيء : وضعته في الملة " الرماد الحار "

ك ـ اهتم بالمثنيات ، فخصص لها بابين هما : باب المضموم أوله والمفتوح باختلاف المعنى ، وباب المكسور أوله والمضموم باختلاف المعنى ، وفيما يلي إيضاح وتمثيل لكل منهما :

١) باب المضموم أوله والمفتوح باختلاف المعنى(١) ، ومن أمثلة ذلك :

ـ لُحْمَةُ النَّسَبِ ـ لَحْمَةُ الثوبِ

ـ لُجَّةُ الماء : معظمُه ـ لَجَّةُ الناس : أصواتُهم .

ـ الحُمُولَةُ : الأحمال ـ الحَمُولَةُ : الإبل .

ـ المُقَامَةُ : الإقامة ـ المَقَامَةُ : الجماعة من الناس .

ـ الخُلَّةُ : المودة ، وما كان حلواً من المرعى ـ الخَلَّةُ : الخَصلة .

ـ الجُمَّةُ : الشَّعْرُ الكثير المجتمع على الرأسِ ، والقوم يسألون في الدية ، وجَمَّةُ الماء : اجتماعه .

ـ شُفْرٌ : جفن العين ـ شَفْرٌ : أحد .

٢) باب المكسور أوله والمضموم باختلاف المعنى(٢) : فمن أمثلته :

ـ الإِمَّةُ : النعمة ـ الأُمَّةُ : القامة .

ـ الخِطْبَةُ : مصدر ـ الخُطْبَةُ : اسم المخطوب به .

ـ الرِّحْلَةُ : الارتحال ـ الرُّحْلَةُ : القوة على السفر .

ـ الصِّفْرُ : الخالي من الآنية وغيرها ـ الصُّفْرُ : النحاس .

---

(١) الفصيح ٣٠١ .

(٢) الفصيح ٣٠٢

ثالثاً ـــ مَصَادِرُهُ :

تعددتْ المصادر اللُّغَوِيَّةُ في كتاب الفصيح ، وإذا كان المعجم اللُّغوي يشكل المادة الأولى والأساسية فيه ، فإنَّ الآيات القرآنية والأحاديث ، والأمثال ، وأقوال الرُّواة ، والأشعار ، قد شكلت مصادرَ غزيرةً ، أخذ ثعلب ينهل من معينها ؛ إذ كان يعمد إليها في الاستدلال على الفصيح من الألفاظ والاستعمالات .

وبيانها كالتالي :

ـــ الآيات القرآنية : أربع آيات .

ـــ الأحاديث : أربعة أحاديث .

ـــ الأمثال : ثلاثة وثلاثون مثلاً .

ـــ الأشعار : تسعة وثلاثون بيتاً .

أ ـــ القُرْآنُ الْكَرِيمُ :

استَشْهَدَ ثعلب بأربعِ آيات ، اثنتان منهما في معنى الفعل (أَحَسَّ ، وحَسَّ)[1] ، ففي معنى أحس يورد قوله تعالى : ﴿ **هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُم رِكْزاً** ﴾[2] ، وفي معنى الفعل حسَّ قال تعالى :﴿ **إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِه** ﴾[3] والأخريتان في معنى لفظ (أمة)[4] . واعتَبَرَ ثعلب لُغَةَ القُرْآنِ هي اللُّغَةُ التي يُعتَـــدُ بها ، فقد صرَّح بجودها في باب : " ما يُقَالُ

---

(١) الفصيح : ٢٧٦ .

(٢) سورة مريم آية ٩٨ .

(٣) الفصيح : ٣٠٢ .

(٤) ص : ٣١٧ .

بلُغتين " بقولِــه : " وأمْلَيْتُ الكتابَ أُمْلِيه إمْلاءً ، وأَمْلَلْتُ أُملُّ إمْلالاً " لُغتان جيِّدتان جاء بهما القُرْآن[1] .

ب ــ الحَدِيْثُ الشَّرِيْفُ :

استَشْهَدَ بالحديث النبوي الشريف في أربعة مواضع بيانها كالتالي :

ــ باب : ما يهمز من الفعل : " لا تسبوا الإبل فإنّ فيها رَقُوْءَ الدَّمِ " [2]

وقد أراد ثعلب الفعل (رقأ)

ــ باب : من المصادر : " واهاً للنواح " [3] .

ــ باب : المفتوح أوله من الأسماء : " الحَرْبُ خَدْعَة " [4].

ــ باب : ما جرى مثلاً أو كالمثل : " دَعْ ما يُرِيبُكَ إلى مَا لاَ يُرِيبُكَ " [5] .

ج ــ الأَشْعَارُ :

يعد الشعر من أهم مصادر الاستشهاد عند العلماء ، و لم يكن الاستشهاد به وقفاً على علماء العربية وحدهم ؛ بل شاركهم في الاهتمام به الفقهاء

---

(١) واللُّغتان ، هما :

(أ) قال تعالى : ﴿ وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ﴾ الفرقان : ٥

(ب) وقال تعالى : ﴿ فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهاً أَوْ ضَعِيفاً أَوْ لاَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ ﴾ " البقرة : ٢٨٢ .

(٢) الفصيح ٢٧٦ . ولم أجد الحديث في الكتب المعتمدة ، وهو في المجموع المغيث في غريبي القرآن والحديث للإمام الحافظ أبي موسى الأصفهاني ١/٧٨٦ ، وفي نهاية غريب الحديث والأثر للإمام أبي السعادات ابن الجزري ٢/٢٢٦ .

(٣) نفسه ٢٨٧ . ولم أقف له على سند .

(٤) الفصيح : ٢٩٢ . والحديث في البخاري ، باب : الحرب خدعة برقم (٢٨٦٤، ٢٨٦٥، ٢٨٦٦) وفي مسلم باب : جواز الخداع في الحرب برقم (١٧٣٩ ، ١٧٤٠) .

(٥) نفسه ٣١٢ ، ولم يذكر ما يشير إلى أنه حديث نبوي ، وهو في سنن الترمذي برقم (٢٥١٨) .

والأصوليون والمحدثون والمفسرون ، ولا أدل على هذا من قول ابن عباس ــ رضي الله عنهما ــ : " إذا أشكل عليكم الشيء من القرآن فارجعوا فيه إلى الشعر فإنه ديوان العرب " [1] .

احتوى الفصيحُ على عَدَدٍ وَافِرٍ من الأشْعَارِ والأرَاجيْزِ . والملاحظُ على هذه الأشْعَار أنّها لا تَقْتَصِر على القديمِ فحسب ؛ فالنماذج التي انتقاها ثعلب للاستشهاد بها هي لِشُعَرَاء جاهليين وإسلاميين و أمويين . وإنْ أغْفَلَ ذِكْرَ أسماء الشُعراء واكتفى في جُلِّ رواياتــه بقولِه : [(قال الشَّاعِرُ) ، (ويُنْشِدُ هــذا البيت) ، (قال الرَّاجِزُ) ، (وأَنْشَدَ)] إلا في مواضع معدودة ذكر فيها اسم الشَّاعِر : مثل قولــه : (قال الكُميتُ)[2] ، و (قال زُهير بن أبي سُلمى)[3]، و (قال أبو النَّجْم)[4] ، و (قال الأعشى)[5]. كما ذكر رواية واحدة عن ابْنِ الأعرابي بقولِه : أنْشَدَني ابْنُ الأعرابي[6] . فبهذا يكون مجموع ما نَسَبَه من أبياتٍ لقائليها قد بَلَغَتْ أربعة من مجموع تسعة وثلاثين بيتاً هي حصيلة ما أورده ــ ثعلب ــ من أشعار في كِتَابِه ، وهي نسبةٌ ضئيلةٌ جداً ؛ إذ لم تَتَجَاوَزْ العُشْر ــ تقريباً ــ وهو في معظم هذه الشواهد يدلل على فصاحة تلك المواد التي تضمنها كتابه كاستشهاده ببيت بل عزو على فصاحة (نَمَى يَنْمِي)[7] ، وكذلك استشهد ببيت على فصاحة (غَوَى يَغْوَى)[8] ، وذكر ــ أيضاً بيتاً استشهد به

---

(١) انظر الاتقان ١/١٣٦ .
(٢) الفصيح : ٢٦٦ .
(٣) نفسه : ٢٧٣ .
(٤) نفسه : ٢٨٧ .
(٥) نفسه : ٣٠٢ .
(٦) نفسه : ٢٩٦ .
(٧) نفسه : ٢٦٠
(٨) نفس الصفحة .

على فصاحة (زَكِنَ يَزْكَنُ)[1] ، وكذلك استشهاده على فصاحة قولهم : (زَوَى وَجهُهُ يَزْوِيه)[2] ببيت للأعشى .

د ــ أقوَالُ الرُّوَاةِ :

لم يصرح إمام الكوفيين ثعلب في فصيحه بأسماء علماء اللغة الذين نقل عنهم ، إلا في القليل النادر وكان ذلك عائد إلى حجم تأليف الكتاب ، والذي راعى فيه الاختصار ما أمكنه ذلك وإن صرح بِبَعْضِ المواضع بأسماء بعض كبار رواة اللغة ، من أمثال : يونس بن حبيب الضبي ، وأبي زيد وأبي عبيدة ، وابن الأعرابي والأصمعي والفراء ، وغيرهم ، فإنه إنما فعل ذلك لأنه كان يَنْقُلُ عن هؤلاء الأئمة فيما يراه موضع خلاف بين هؤلاء العلماء ، ومن أبرز هذه المواضع ما يلي :

١) ما يتعلق بالمعنى الدلالي : ومن أمثلة ذلك :

ــ يذكر أنَّ جِزْعَ الوادي : جانِبُهُ ، ويقال : ما أنثنى منه ، وينقل عن ابن الأعرابي بأنه مُعْظَمُه [3] .

٢) المهموز وغير المهموز : ففي كلامه على قولهم : عَبَّيْتُ الجيشَ تَعْبِيَةً ، يصرِّح بأنه حُكي عن يونس والأصمعي وقال ابن الأعرابي وأبو زيد كلاهما مهموز[4] .

٣) فيما يخص اللغات : وبالرغم من أنَّ ثعلباً كان مفتوناً بعلم الفراء إلا أن أمانته العلمية لم تمنعه من أن يشير إلى ما خُولِفَ فيه إذا كان في قوله شيء

---

(١) الفصيح : ٢٦٣ .

(٢) نفسه : ٢٦٨ .

(٣) نفسه : ٢٩٦ .

(٤) نفسه : ٢٧٩ .

من أوجه الخلاف ، فصرح في ذلك في باب : (المفتوح أوله من الأسماء) عند ذكر كلمة (العَرَبُونُ) بقوله : " وهو العَرَبُونُ والعُرْبَانُ في قول الفراء وقد يخالف فيه "(١) . قلت : وقوله قد يخالف فيه فإن غير الفراء يقول : (عُرْبون)(٢) .

٤) في التبادل بين الفاء والثاء ، ومن ذلك ما حكاه عن الفرّاء : وكلامُ العربِ إذا عُرِضَ عليك الشيء أن تقول : تُوفَّرُ ، وتُحْمَدُ ولا تقل : تُوثَّر(٣) . فهو هنا ينبه إلى خطأ لغة العامة ، لأنها تقول : (تُوثَّرُ) وهو تصحيف(٤) .

٥) الإعراب والبناء : ومن أمثلة ذلك قوله : " وتقول : شَتَّانَ زيدٌ وعمرٌ ، وشَتَّانَ ما هما ، والفراء يخفض نون شَتَّانَ "(٥) .

قلت حكى ابن السكيت : وشَتَّانَ مصروفة عن شَتُتَ ، والفتحة التي في النون هي التي كانت في التاء ، والفتحة تدلُّ على أنه مصروف عن الفعل الماضي(٦) .

بينما يرى الزمخشري أن نون شَتَّانَ مفتوحة على نية المصدر ، وعند الفرَّاء مخفوضة على التشبيه بنون التثنية ، . ويرى غيره أن النون مفتوحة عن طريق اتباع الفتح الفتح ؛ إذ كانت الألف من جنس الفتحة ، ولا يكون ما قبلها إلا

---

(١) الفصيح : ٢٩١ .

(٢) انظر الاصلاح : ٣٠٧ ، وأدب الكاتب : ٤٠٨ ، وتثقيف اللسان : ٢٢٣ ، وتقويم اللسان : ٧٣ ، وشرح الزمخشري : ٣٩٣ .

(٣) الفصيح : ٣٢١ .

(٤) انظر الاصلاح ٣٢٧ ، وتصحيح التصحيف ٣٢١ .

(٥) الفصيح ٣١٢ .

(٦) الاصلاح ٢٨٢ .

فتحة[1] . وأما وجه قول الفراء في كسر النون ؛ فكأنه أراد تثنية (شَتٍّ) وهو المُتفَرِّقُ ، ويجوز أن يكون كسرها لأمرين : أحدُهما إلتقاء الساكنين ، ولأنه تثـية ، كما قال ابن الجبان[2] .

ونخلص من هذا المبحث إلى بيان الآتي :

أ ـــ تناول ثعلبٌ في كتابه قضية الفصيح في اللغة ، وما يجب على المتعلم إدراكه واستعماله ، وجعل منه مثالاً يحتذى لمذهب التنقية اللغوية .

ب ـــ قسم ثعلب كتابه الفصيح إلى ثلاثين باباً بدأها بمباحث الأفعال واختتمها باب من الفرق .

ج ـــ أبان كتاب الفصيح عن منهج ثعلب المتشدد في تنقية لغة القرآن الكريم ، إلا أن هذا التشدد لا يمثل منهجه ـــ في الأغلب الأعم ـــ لأننا وجدناه متوسعاً في بعض مؤلفاته ، وبما نقله عنه أئمة اللغة .

د ـــ أثار الفصيح حركة تأليف لغوية واسعة ، عكست اهتمام اللغويين عبر العصور المختلفة بظاهرة التصويب اللغوي .

هـ ـــ تعددت المصادر اللغوية في كتاب الفصيح ، فالآيات القرآنية والأحاديث النبوية ، والأشعار ، والأمثال ، وأقوال الرواة ، قد شكلت مادة غزيرة أخذ المؤلف ينهل من معينها .

و ـــ ظلت للفصيح أهمية عظيمة في تعليم العربية عدة قرون .

ز ـــ أثنى اللغويون ، وشراح الفصيح ، والدارسون المحدثون على هذا المُصنَّف ؛ للمكانة العلمية التي يحتلها .

ح ـــ ولأهميته فقد ضمنه أصحاب المعاجم اللغوية مصنفاتهم .

---

(١) انظر شرح الزمخشري ٢٦٤ ، وإسفار الفصيح ٣٧٦ .

(٢) شرحه للفصيح ٢٩٧ ، وانظر شرح الزمخشري ٢٦٤ .

تَصْحِيْحُ الْفَصِيْحُ ، لابْنِ دُرُسْتُويهِ

المتوفى (سنة ٣٤٧هـ)

* مُقدِّمَةُ الْكِتَابِ :

بَدَأَ ابْنُ دُرُسْتُويه [1] مُقدِّمةَ تصحيحه للفصيح بالبسملة ، وحمد الله على تصحيح " كِتَاب الفصيح " ، وصَلَّى على النبي – صلى الله عليه وسلم – وآله وأصحابه ، ثم تناول مسألة الخلاف في نِسْبَةِ الفصيح إلى ثعلب ، وقد أهمل تفسير مُقدِّمته .

أولاً / السَّبَبُ فِي تَأْلِيفِ الكِتَابِ :

يَذْكُرُ المؤلِّفُ أنَّ هُناكَ أسباباً دعته إلى إخراج هذا الشرح لفصيح ثعلب ، منها أسباب تتعلق بصاحب الفصيح نفسه ، وأسباب أخرى تعود لشراح الفصيح ، وهذا بيان لها :

١) فيما يتعلق بصاحب الفصيح :

أ – يذكر ابن درستويه أن ثعلباً لم يفسر ما ذكر فيه من الغريب .

ب – ولم يوضح معانيه وإعرابه .

ج – أنه أغفل أشياء من قياس كل باب ، والمثال الذي يجمع ما تلحن فيه العامة

د – أغفل تفسير الترتيب للأبواب .

هـ – سكت عن توضيح المعاني والإعراب .

٢) ما يتعلق بشراح الفصيح :

أ – يذكر ابن درستويه أن الشُّرَّاح حشوه بما ليس منه .

ب – ضموا إلى الكلمة ما ليس منها في الاشتقاق أو المعنى .

ج – استطردوا وضربوا صفحاً عن ذكر الأبنية والأمثلة التي هي قواعد الأبواب

د – تركوا الأصول وأهملوها .

---

(١) سبق التعريف بالشارح في ص ٨٩ من هذا البحث

فحداه ذلك إلى شرح الفصيح ليستكمل به هذا النقص ، فعمل على :

أ ـــ شرح معاني أبنية الفصيح .

ب ـــ أبان عن تصاريف أمثلة كتاب الفصيح ومقاييس نظائره .

ج ـــ فسر الشارح ما يجب تفسيره من غريب الفصيح .

د ـــ أوضح اختلاف اللغات ، وأبان عن الصواب والخطأ فيه .

هـ ـــ نبّهَ عن مواضع السهو والإغفال من مؤلف الفصيح .

ثانياً / أبْوَابُ الْكِتَابِ :

جاء شَرْحُ ابْنِ دُرُسْتويه للفصيح في اثنين وثلاثين باباً ، أي بزيادة بابين عن الفصيح ، حَيْث قَسَّمَ المصادرَ إلى أربعةِ أبواب ، أما بقية الأبواب فجاءت تبعاً لأبواب الفصيح وتصنيف ألفاظه ، بعد أنْ صَحَّحَها فعَنْوَن بذلك لكلّ باب ، مُقَدِّماً عليه لفظة " تَصْحِيْح " .

ثالثاً / أهميته بين شروح الفصيح :

تكْمُن أهميته بما حواه من مادة علمية كانت تتويجاً لأعماله النحوية واللُّغوية بوجه خاص ، والقرآنية والأدبية بوجه عام ، فهو يعمد إلى الاستشهاد بالقرآن الكريم أولاً ، ثم الشِّعْر ثانياً ، والحديث والأمثال ثالثاً ، وأحياناً على القراءات والروايات ، وأغلبها عن كبار اللُّغويين ، أحدهما أستاذه المُتقدِّم الخليل بن أحمد في كتابه " العين " ، وثانيهما أستاذه المباشر المُبرِّد ، كما عرض الشارح لكثير من الكليات العامة ، ولمذاهب العرب في كلامها ، وللتعريب إلى جانب ما سبق ، وهو في هذا يحيل على مؤلفاته التي ألفها ، والتي تعد إلى إحدى الموسوعات العلمية(١) .

---

(١) انظر مقدمة المحقق ٢٣ .

ولأهمية هذا الكتاب نَقَلَ عنه السيوطي في المزهر في أربعة وعشرين موضعاً [1] . كما نَقَلَ عنه صاحب الخزانة في مواضع نصَّ عليها بقوله : " ... ومنها ما يرجع إلى كتب اللُّغة ، وهو الجمهرة ، والفصيح لثعلب ، وشروحه لابن دُرُسْتُويه وللهروي ، وللمرزوقي واللَّبْلي ، ولابن هشام اللَّخْمِي ، ولغيرهم " [2] كما اعتمد عليه الزَّبِيدي في تاج العروس ، جاعلاً إياه من مصادره . ومن مكثري النّقلُ عنه اللَّبلي في كِتَابه "تحفة المجد الصريح "[3] .

وفيه يَقُولُ أحدُ المُحْدَثِين : " ويُعَدُّ كتابُ "تصحيح الفصيح " لابن دُرُسْتُويه ، من أهم الكُتُبِ التي شَرَحَتْ كتاب الفصيح ، فلم يقتصرْ الأمْر على الشَّرْحِ ، كما هو عادة الكثير من الكُتُبِ التي بين أيدينا ، وإنّما يتَمَيَّز هذا الشَّرْح بميزتين : أولاهما : نقد الفصيح ، والاستدراك عليه بِذِكْرِ ما أغْفَلَهُ ثعلب . والأخرى : بيان طريقة نطق العامَّة لهذه اللفظة أو تلك ، وكان ذلك مما لم يَهْتَمَّ ثعلب بالنصِّ عليه إلا نادراً . ولولا هذا الأمْر الذي صنعه ابن دُرُسْتُويه ، ما عرفنا من كتاب الفصيح طريقة نطق العَوَام للكلمات التي ذكرها " [4] .

رابعاً / منْهجُهُ :

ولابن دُرُسْتُويه منهج تَميَّز به شَرْحُه عن بقية شُرَّاح الفصيح ، تمثل في الآتي :

أ ـــ يعنون كُلَّ باب يريد شرحه بلفظه : " تصحيح الباب ... " .

---

(١) انظر المزهر : ـــ على سبيل المثال لا الاستقصاء ـــ الصفحات : ٣٩٦/١، ٢٦٥، ٢٢٥، ٢١٥، ٢٠٧، ٢٠١

(٢) المقدمة : ١/١٤

(٣) انظر : ـــ على سبيل المثال ـــ : ٤٧٧، ٣١٥، ٢٩٨، ٢٨٩، ٢٥٥، ١٧٤، ١٦٨، ١٥٥، ١٤٦، ١٢٣ .

(٤) ذكره : رمضان عبد التواب في مقدمة اللجنة ، لتصحيح الفصيح .

ب ــــ يستفتحُ البابَ بمقدِّمة يوضِّحُ فيها المراد منه ، ثم يذْكُرُ القاعدة التصريفية ، ثم يذْكُرُ قَوْلَ العُلماءِ في الظاهرة المراد شَرْحها ، وقد يوافقهم ، وقد يعارضهم ، فإن عارضهم يَرُدُّ عليهم ، وهذا ما التزم به في جميع أبواب شَرْحه .

ج ــ يُلَخِّصُ بعضَ ما اشتمل عليه البابُ من مفردات ، ثم يعرض لها بالنقد والمناقشة ، ثم يشرح المفردات الواردة في الباب بقوله : " فأما تفسير غريب هذا الباب " .

د ــ لا يلتزم بمنهج واضح في شرحه لبعض المفردات اللُّغوية ؛ فتارة يستطرد في بيان بعضها ، وتارة نجده موجزاً في بعضها الآخر . فمن أمثلة الأول : شرحه لقول ثعلب : " نَبَذْتُ النَّبِيْذَ " ، إذ استغرق تفسيره له صفحة بأكملها ــ تقريباً ــ[1] ومن أمثلة الثاني : تفسيره لقول ثعلب : " حُشَّ عليَّ الصيد " ، حيث لم يتجاوز تفسيره له السطرين[2] .

هـ ــــ يغْفلُ بعضَ المفردات التي ضمنها ثعلبٌ أبواب فصيحه ، فلم يأتِ بها ، لأنه يرى أنها لا تحتاج إلى تصحيح ومن أمثلة ذلك : أورد ثعلبٌ في باب : " فَعِلت بكسر العين " المواد التالية : "رَضِعَ المولودُ يرْضَعُ ، وفَرِكتِ المرأةُ زوجَها ، وعَضِضْتُ ، ولَجِجْتُ ، ووَدِدْتُ ، وشَرِكْتُ الرَّجُلَ في الشيء " فأغفلها الشارح .

خامساً / المسَائلُ اللُّغويَّةُ فِي تَصْحيح ابن دُرُسْتُويه :

سَارَ ابن دُرُسْتُويه ــ كما سَارَ غيرُه من شُرَّاح الفصيح ــ على نهج العناية باللُّغات التي تضمنها الفصيح نفسه ، إلا أنَّ الملاحظ على ابن دُرُسْتُويه عنايته ببعض اللُّغات التي غفل عنها ثعلب فلم يذْكُرْها ، فَعَمَدَ إلى ذِكْرِ بعضِها مُعَلِّلاً

---

(١) التصحيح : ٨١ .

(٢) نفس المرجع والصفحة .

فصاحتها ؛ إمّا مساوياً إياها باللُّغة الأخرى ، أو مجيزاً لها مع تقديم لُغة الفصيح عليها ، أو ناقداً ثعلباً ؛ لإغفاله إياها ، ولكي يتضح المقصود للقارئ يمكن أنْ نُقَسِّمَ هذه المسائل اللُّغوية ، والتي اشتمل عليها تصحيح الفصيح إلى قسمين رئيسين ، هما :

أولاً ــ لَحْنُ العَامَّة :

وسَلَكَ فيه الشَّارحُ ثلاثة مسالك رئيسة : أحدهما تصويبه لِلُغة العامَّة عند موافقتها لغة من لغات العرب ، وثانيهما تخطئته لها إذا خالفت لغات العرب ، أما المسلك الثالث : ففضلٌ فيه الحياد بسكوته عن بعض لُغاتها ، وفيما يلي الأمثلة التي تُدَعِّمُ زَعْمَنا لهذه المسالك :

١ ــ تَصْوِيْبُ لُغَة العَامَّة :

وقد جاء هذا التصويب بأساليب متنوعة لا تخلو من عبارات التأكيد على صحة قول العامَّة ، منها قولُه : وهي لغة للعرب ، أو قوله : وهي لغة مروية عن العرب ، وكقوله : وهي لغة معروفة صحيحة أو العامة على الصواب .... الخ . وإليك بيان لهذا الإيجاز :

أ ــ قوله : لغة للعرب ، ومن أمثلته :

ــ ينبِّه بأنَّ العامة تقول : أَمْذَى الرَّجُلُ ، بالألف ، ويصرِّح بصوابها ، وأنها لغة للعرب .[1]

ب ــ قوله : وهي لغة مروية عن العرب ، ومن امثلته :

(١) تصحيح الفصيح ٧٥ ، وانظر الصفحات ٣٨٨،٢٨٠،١٨٢،١٦٣،٨٤،٤٠

ــ يقدم لغة الفصيح : حَلَلْتُ من إحْرامي ، وينبِّه إلى أنَّ العامة تقول فيه : أَحْلَلْتُ من إحرامي ، ويصرح بأهّا لغة مروية عن العرب [1] .

ج ــ قوله : قد حكيت عن العرب ، ومن أمثلته :

ــ يذكر أنَّ الأُرُزُّ ، بضم الهمزة ، وينبه إلى أنَّ بعضهم يبدل من الزاي الأولى نوناً ، ويصرِّح بأن كل ذلك لغات قد حكيت عن العرب [2] .

د ــ قوله : وهي لغة معروفة صحيحة ، ومن أمثلته :

ــ وفي : حَرَصْتُ عليه أَحْرِصُ ؛ يذكر أنَّ العامة تقول : حَرِصْتُ أَحْرَصُ ، بكسر المضي وفتح المستقبل ، ويصرح بأهّا لغة معروفة صحيحة [3] .

هـ ــ والعامة على الصواب ، ومن أمثلته :

ــ عند تقديمه لقول صاحب الفصيح : واجْعَلْها بَــأْجاً واحداً ، ينبِّه إلى أنَّ ثعلباً زعم أنَّه مهموز ، ويصرِّح بأن العامة لا تهمز ، ويقرر بأهّا ليست بمخطئة فيه بل هي على الصواب [4] .

و ــ ينسب لغة العامة ــ أحيانا ــ إلى إحدى قبائل العرب ، ومن أمثلته :

ــ يذكر أنَّ العامة تقول : رَقَا الدَّمُ ، بألف لينة ، غير مهموز ، ويصرح بصواب ذلك ، وبأهّا لغة قريش ، ومن يخفف الهمز[5] .

---

(١) تصحيح الفصيح ٨٤ ، وانظر ص : ١٦٠ ، ٣٨٨ .

(٢) نفسه ٣٨٠ .

(٣) نفسه : ٤٧٠ .

(٤) نفسه : ٤٠٠/٤٠١

(٥) نفسه : ١٧٧

ز ــ أحيانا يستشهد بأقوال بعض الأئمة على صحة لغة العامة ، ومن أمثلته :

ــ عند تقديمه لقول ثعلب : الشَّيْءُ رِخْوٌ . ينبه أن صاحب الفصيح يذكر أنه مكسور الأول والعامة تَفْتَحُهُ ، ويصرِّح الشارح بصواب لغة العامة ، وذلك بما نقله عن الخليل (١) .

ح ــ وقد يصوب قول العامة على قول صاحب الفصيح ، فمن أمثلة ذلك :

ــ حكى أنَّ العامة تقول : لمن اللَّعْبَةُ ، بالكسر ، كأنهم أرادوا النوع من اللعب ، ويصرِّح بأن هذا الوجه أصوب مما اختاره ثعلب (٢) .

ط ــ وقد ينتصر للعامة على ثعلب :

ــ فهو يرى أنَّ العامة على الصواب في تسكين (القاف) من اللُّقْطَة ؛ لأنه الذي يلقط ، وينبِّه إلى أنَّ ما اختاره ثعلب وغيره خطأ (٣) .

٢ ــ تَخْطِئَةُ لُغَةِ العَامَّةِ :

وقد استعمل في تخطئته لِلُغةِ العَامَّة عبارات متفاوتة : فمنها ما يُصرِّح فيها ، بأنها لُغة رديئة ، ومنها ما يجمع فيها بين الرداءة والشذوذ أوالسوء ، ومنها الخطأ أو ما يجمع بين اللحن والخطأ ، ومنها ما هو غلط . وتارة يحكم صراحة بمخالفة العامَّة لقولِ العربِ ، وتارة أخرى يَقُولُ : العربُ لا تَقُلْ ذلك ، أو

---

(١) تصحيح الفصيح ٢٨٤ ، وانظر ص ٢٩٢ .

(٢) نفسه : ٣٣٨ .

(٣) نفسه : ٣٥١ .

يصرّح أحياناً بأنها من غلطِ العامَّة ، وإلى غير ذلك من عبارات التخطئة ، وفيما يلي نورد أبرزها ونمثل لكل منها على النحو التالي :

أ ــ قوله وهو خَطأٌ :

وقد احتل هذا الوَصْفُ حيِّزاً عظيماً في وسْمِه لُلغات العَامَّة ــ هذا فيما يَرَى الشَّـــارِحُ نفسه ــ إلا أنَّه وُجِدَ مِنْ اللُّغويين مَنْ استدرك على ابن دُرُسْتُويه في مواضع كثيرة من تخطئته للعَامَّة ، كما فَعَلَ اللبليُّ في " تحفة المجد الصريح " ، فعارض الكثير من أحكام ابن دُرُسْتُويه في تخطئته للعامَّة ، وبيَّن اللبليُّ نقلاً عن الأئمة الثقات صحّة كثير من تلك اللُّغات التي خطأها ابن دُرُسْتُويه ؛ لأنه من كبار المتوسعين ، وقد أفَاضَ القول في ذلك ، وبَرْهَنَ على صحّة ما ذهب إليه ، فأحْسَنَ العرضَ والمضمونَ والبُرْهانَ والدليلَ على صحته[1] ، وعدم خطأ الكثير من لُغات العامَّة ، والتي نعتها ابن دُرُسْتُويه في مواضع كثيرة ومتفرقة في ثنايا كتابه بقوله : (وهو خطأ)[2] ، وفيما يلي بعض الأمثلة التي توضح طريقته في تخطئة لُغة العامَّة :

ــ عند كلامه على قول ثعلب : عَثَرْتُ أعْثُرُ ، ينبِّه إلى أنَّ العامَّةُ تقول في هذا : عَثُرتُ بضم الثاء في الماضي ، ويصرِّح بخطئها[3] .

(١) انظر : ص : ٤٣٢ – ٤٣٥ من هذا البحث .

(٢) تصحيح الفصيح : انظر الصفحات : ٨، ٧٨، ٧٧، ٦٦، ٩٠، ٨٩، ٨٨، ٨٥، ٨٢، ٨١، ١٠٠، ٩٩، ١٠٣، ١٠٧، ١٠٨، ١١٠، ١١١، ١٤١، ١٤٨، ١٦٠، ١٦٦، ١٨١، ١٨٣، ١٨٤، ٢٦٤، ٢٦٦، ٢٦٩، ٢٧١، ٢٧٨، ٢٨٨، ٢٩٠، ٢٩٤، ٢٩٩، ٣٠٠، ٣٠٤، ٣٠٨، ٣٤١، ٣٤٥، ٣٤٧، ٣٤٨، ٣٥٢، ٣٥٤، ٣٦٨، ٣٨٢، ٣٩٥، ٣٩٧، ٤٣٤، ٤٤٥، ٤٥٢، ٤٦٤، ٤٨٧، ٤٨٩، ٤٩٤، ٥٠٠، ٥٠٩، ٥١٦، ٥٣٤، ٥٣٥ .

(٣) تصحيح الفصيح : ٤٤ .

ــ وعند كلامه على قول صاحب الفصيح : نَفَرَ يَنْفِرُ ، يذكر أنَّ العامَّة تقول : نفُرَ بضم الفاء في الماضي ، وينبِّه إلى أنه خطأ [1] .

ــ يذكر أن ثعلباً ذكر : عَطَسَ يَعْطِسُ ؛ لأنَّ العامَّـــة تقول : عَطُسَ وعَطِسَ ، بضم الطاء وكسرها ، ويصرِّح بخطئهم [2] .

ــ وفي كلامه على : سَهَمَ وجهُهُ ، يذكر أنَّ العامَّة تقول : سَهُمَ بضم الهاء من الماضي ويقرر بأنه خطأ [3] .

ــ حكى أنَّ ثعلباً إنما ذكر : زَكِنتُ منه كذا وكذا ؛ لأنَّ العامَّة تقول : زَكَنتُ بفتح الكاف في الماضي ، مصرِّحاً بخطئها [4] .

ب ــ قوله : لغة رَدِيْئَة :

فتارة يكتفي بوصف لُغةِ العامَّة بالرداءة ، وقد يُخَيِّرُ بين خطئها أو رداءتها ، وتارة أخرى يصفها بالشُّذُوذِ أو السُّوءِ فضلاً عن رداءتها ، وبيان كل ذلك في الأمثلة التالية :

ــ يذكر أنَّ ثعلباً إنما حكى : ذَوَى العودُ يَذْوِي ؛ لأن العامَّة تقول فيه : ذَوِيَ يَذْوَى ، بكسر الماضي وفتح المستقبل ، ويسمها بأنها لُغةٌ رديئة [5] .

ج ــ الجمع بين رداءة اللغة وخطئها :

---

(١) تصحيح الفصيح : ٤٤ .

(٢) نفسه : ٥٠ .

(٣) نفسه : ٥٢ .

(٤) نفسه : ٦٥ .

(٥) نفسه : ٤٠ .

ـ عند كلامه على قول ثعلب : غَوَىَ الرَّجَلُ يَغْوِى ، ومصدره الغَيُّ ، ينبِّه إلى أنَّ ثعلباً إنما ذَكَرَهُ ؛ لأنَّ العامَّة تَكْسِرُ الماضي منه ، وتَفْتَحُ المستقبل ، فتَقُولُ : غَوِيَ يَغْوَى ، ويصرِّح بخطأ ذلك وأنها لُغة رديئةٌ [1] .

د ـ قوله لغة شاذة :

ـ ينبِّه إلى أنَّ ثعلباً إنما ذكر : عَسَيْتُ أن أفعل ذاك ؛ لأنَّ العامَّة تقولُه بكسر السين ، ويصرِّح بأنها لُغةٌ شاذةٌ رديئةٌ [2] .

هـ ـ قوله كلام سوء ولغة رديئة :

ـ يذكر أنَّ من العربِ مَنْ يَقُولُ : الـدَّمُّ بالتشديد على لفظِ العامَّة ، ويصرح بأن هذا كلام سوء ولُغـةٌ رديئـةٌ [3] .

و ـ وهو لَحْنٌ وخَطأٌ : ومن أمثلة ذلك :

ـ يذكر أنَّ ثعلباً حكى : فَسَدَ يَفْسُدُ ، معللاً ذلك لأنَّ العَامَّة تَقُولُ : فَسُدَ بضم الماضي أيضاً ، ويصرِّح بأنّه لحنٌ وخطأٌ [4] .

ز ـ وهو غَلَطٌ : ومن أمثلة ذلك :

ـ يذكر أنَ العامة تقول : كمْ سِقْى أرضكَ ، يعني بكسر السين ، ويصرِّح بأن ذلك غلطٌ [5] .

---

(1) تصحيح الفصيح : ٤١ .

(2) نفسه : ٤٢ .

(3) انظر ص : ٣٩٥ ـ ٣٩٦ ، وانظر : ٢٦٧، ٤٤٩، ٤٨١ ، ٥١١ .

(4) نفسه : ٤١ ـ ٤٢

(5) ص : ٢٩٠ ، ٥٠٨ .

ح ــ وهو خِلافُ قَوْلِ العَرَبِ : ومن أمثلة ذلك :

ــ يذكر أنَّ العامة تفتح الغين في قولهم : هي الغِسْلَةُ ، وينِّبه إلى أنَّ ذلك خلافُ قَوْل العرب [1] .

ط ــ وهو من غَلَطِ العَامَّةِ : ومن أمثلة ذلك :

ــ يصرِّح بأنَّ قولهم : عِرق النَّسَاء من غَلَطِ العامَّة[2] .

ي ــ العربُ لا تَقُلْ ذلك : ومن أمثلة ذلك :

ــ ينبِّه إلى أنَّ ثعلباً إنما ذكر : شَمَلَتْ الرِّيحُ من الشمال وأجنبت من الجنوب ، لأن العامَّــة تقول كلَّ هذا بألفٍ ، فتقول : أشْمَلَتْ ، وأجْنَبَتْ ، ويصرِّح بأنَّ العربَ لا تَقوْلُ ذلك [3] .

٣ ــ السُّكُوتُ عَنْ بَعْضِ لُغَاتِ العَامَّةِ :

إذا كان ابن دُرُستويه واضحاً في الموقفين السابقين من لُغات العامَّة ، فيما يتعلق بالحكم على المستوى الصَّوابي لها ، فإننا نَجده ــ أحياناً ــ يَسْكتُ عن ذكر المستوى الصَّوابي لهذه اللُّغات ، وإنْ حَرَصَ على التصريح بلفظ (العامَّة) ، فإنه لا يُصوبها ، ولا يخطئها ، وإنما يكتفي بإيرادها فقط ــ دون كشف عن مستواها الصَّوابي ــ وقد ورد ذلك في مواضع كثيرة موزعة بين ثنايا كتابه [4] .

---

(١) تصحيح الفصيح : ٢٩٥ .

(٢) نفسه : ٢٦٤ .

(٣) نفسه : ٧٣ ، وانظر : ٨٧ ، ٢٨. ، ٣٩٦ .

(٤) تصحيح الفصيح : انظر الصفحات : ٢٧،٢٦٦،١٨١،١٦٧،.
٤٦١،٤٥٩،٤٤٣،٤٣٢،٤٠٧،٤٠٦،٣٨٥،٣٨٤،٣٨٠،٣٦٨،٣٦٦،٣٤٣،٣١١،٣٠٣،٢٩٣،٢٨٣،٢٧٢
٥٣٧،٥٣٥،٥٢١،٥٢٠،٤٩٠،٤٧٦،٤٧٢،٤٧٠،٤٦٦ .

نذكر منها على سبيل المثال ، قوله :

ـــ يذكر أنَّ العامَّةُ تَقُولُ : سَفَدَ يَسْفِد ، بفتح الماضي وكسر المستقبل [1] . قلت : وقد حكاها ابن السكيت عن أبي عبيدة . وذكرها بعض شُرَّاح الفصيح [2] .

ـــ وينبِّه إلى العامَّةُ تَقُولُ : سَفَفْتُ الخُوصَ ، بغير ألف[3] . قلت : وقد أجازها الزجاج ، والتدميري [4] .

ـــ ويحكي أن العامَّة تَقُولُ : نَعِمَ اللهُ بك عيناً ، بغير ألف . قلت : وحكى هذه اللغة غير واحد [5] . حكى ثعلب في مجالسه : " نَعِمَ الله بك عَيْناً " [6] .

ثانياً ـــ نَقْلُهُ عَنْ الخَلِيلِ بن أحْمَد :

إذا كان ابْنُ دُرُسْتَوَيه قد استَشْهَدَ ـــ لإثبات صحة ما ذهب إليه في أثناء مخالفته أو رفضه أحياناً لبعض قول ثعلب ـــ بأقوالِ أئمة اللُّغة ، كأبي عمرو بن العلاء ، وسيبويه ، والأصمعي ، والفرَّاء ، وأبي زيد الأنصاري ، وابن الأعرابي ، وغيرهم [7] ، إلا أنَّ ما يلفتُ الانتباه كثرة استشهاده بأقوالِ الخليل بن أحمد ، تارة بما ذَكَرَه أو زَعَمَه ، وتارة بما حَكَاه ، وتارة أُخرى بما نَقَلَهُ عنه سيبويه .

---

(١) نفس الصفحة .

(٢) انظر الإصلاح ٢١٠ ، وشرح التدميري ٣٩ ، وشرح ابن هشام ٦٢ .

(٣) ص : ١٦٢ .

(٤) انظر فعلت وأفعلت ٨٧ وشرح التدميري ١١٧

(٥) انظر الكتاب ٦١/٤ ، وأفعال السرقسطي ١٢٤/٣ ، وأفعال ابن القطاع ٢٢٢/٣ ، والعين ١٦٢/٢ ، والتهذيب ١٠/٣ ، والصحاح (نعم) .

(٦) ٣٧٠/٢

(٧) انظر : تصحيح الفصيح ، الصفحات : ٣١ ، ٣٦ ، ٣٨ ، ٧٦ ، ١,٦ ، ١٥٨ ، ٢١. ، ٢٧١ ، ٢٧٩ ، ٣٢٩ ، ٣٤٤ ، ٤٥. ، ٤٦٧ ، ٤٩٣ ، ٥٠٣ ، ٥١٧ ، ٥٤٠ .

ـــ ففي كلامه على قول ثعلب : حَزَنَني الأمرُ يحْزِنُني ، يذكر أنَّ العامة تقوله بألف : أَحْزَنَني ، وينقل عن الخليل زعمه بأنهما لُغتان[1] .

ـــ وعند كلامه على قول ثعلب : ومِنْ العَاقِر عَقُرتْ بفتح العين ، وضم القاف ، ويصرِّح بأنَّ الخليلَ قد ذَكَرَ عن العربِ : عُقِرَتْ المرأةُ بضم العين ، وكسر القاف وعَقِرتْ ، بفتح العين وكسر القاف[2] .

ـــ وفي كلامه على : فَرَسٌ حِصَانٌ ، بكسر الحاء ، ينبِّه إلى أنَّ ثعلباً جعله صفةً ، وينقل عن الخليل أنَّ الحِصَانُ : الفرسُ الفحْل ، فلم يجعلْه صِفَةً[3] .

ـــ يذكر أنَّ : الدَّجاجَةُ ، مفتوحة الأول ، وينبِّه إلى أنَّ العامَّةُ تكسره ، ويحكي عن الخليل : أنَّ الكسر فيه لُغة للعرب[4] .

ـــ وفي كلامه على قول صاحب الفصيح : تَقُولُ الشيءَ رِخوٌ ، ينبِّه إلى أنَّ العامَّةُ تفتحه ، ويُصوبُ الشارح لغة العامة بما نقله عن الخليل[5] .

ـــ ينقل عن الخليل أنَّه حكى أن قوماً يقولون : ما كان مُفارقاً للشيء فهو حِمْلٌ بالكسر ، وما كان متصلاً أو باطناً فهو حَمْلٌ ، بالفتح ، كحَمْل الإناث في بطونها أولادَها[6] .

---

(1) تصحيح الفصيح : ٨٤ ـــ ٨٥ .

(2) نفسه : ١٠٥ ـــ ١٠٦ .

(3) نفسه : ١٩٣ .

(4) نفسه : ٢٨٠ .

(5) نفسه : ٢٨٤.

(6) نفسه : ٣٢٣ .

ـ ينبِّه إلى أنَّ الخليل ذَكَرَ أنَّ المِرْفَقَ مكسور في كل شيء من المتكأ واليَدُ والأمْر[1] ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَيُهَيِّئ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقاً ﴾[2] .

سادساً / شواهد ابن دُرُسْتويه :

ضمَّن الشارح تصحيحه للفصيح عدداً من الشواهد ، والتي يُبَرْهن بها على فصاحة تلك المواد التي ساقها صاحب الفصيح ، والمتضمنة في أبواب كتابه ، والتي أبرزها الشَّارح ، وقد رأيت تصنيفها في الآتي :

أ ـ الاستشهاد بالقرآن الكريم :

تضمَّن تصحيح الفصيح جَمَّاً غفيراً من الشَّواهد القرآنية [3] ، التي استشهد بها الشَّارح لبيان فصاحة ما ذهب إليه ، فمن أمثلة ذلك قوله :

قال الله عزَّ وجلَّ : ﴿ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ﴾[4] ، وهو في ذكره لهذه الآية الكريمة ، يُبَرْهِنُ على فصاحة مادة (غَوَى) ، إلا أنه لم يكتف بهذه الآية ، وإنما يتبعها بآية أخرى تدعم ما ذهب إليه ، مُقدِّماً إياها بقوله : وقال : ﴿ فَكَانَ مِنْ الغَاوِيْن ﴾[5] .

---

(١) نفسه : ٣٢٩ .

(٢) سورة الكهف : الآية ١٦

(٣) انظر الصفحات : ٤٩ ، ٥٤ ، ٦٢ ، ٧٤ ، ٧٨ ، ٨٦ ، ٩٠ ، ١١٥ ، ١٧٢ ، ١٩٢ ، ٢١١ ، ٢٢٦ ، ٢٧٤ ، ٣٣٥ ، ٣٧٥ ، ٣٨٩ .

(٤) سورة طه ، آية : (١٢١) .

(٥) سورة الأعراف ، آية : (١٧٥) .

وفي الباب نفسه يستشهد على فصاحة (كَسَبَ)[1] بقول الحق تبارك وتعالى : ﴿ وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْماً ﴾[2] .

وفي باب (فَعِلَ) بكسر العين يستشهد على فصاحة (عَضِضَ يَعَضُّ)[3] بقوله تعالى : ﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ ﴾[4] .

وفي باب (فعل بغير ألف) يستشهد على فصاحة (نَبَذَ يَنْبِذُ)[5] بقوله تعالى: ﴿ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ ﴾[6] .

وفي باب (فَعَلْتُ وأَفْعَلْتُ ، باختلاف المعنى) ستشهد الشارح على فصاحة (أَشْرَقَتْ الشَّمسُ)[7] بمعنى أضاءت وصفت ، بقوله تعالى ﴿ وأَشْرَقَتْ الأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا ﴾[8] .

وفي هذه الشواهد القرآنية ربما استدل على فصاحة المادة — في الصفحة الواحدة — من الفصيح بذكر ثلاث آيات من سور مختلفة ، وذلك ما لاحظناه في بعض الصفحات[9] . وقد يفرد استشهاده بالآيات ، وقد يجمع بينها وبين استشهاده بالحديث والأشعار والأمثال في بعض المواد[10] .

---

(١) تصحيح الفصيح : ٥٤ .

(٢) سورة النساء ، آية (١١٢).

(٣) تصحيح الفصيح ٦٢ .

(٤) سورة الفرقان ، آية (٢٧) .

(٥) تصحيح الفصيح ٨١ .

(٦) سورة آل عمران ، آية (١٨٧) .

(٧) تصحيح الفصيح ١٢٥ .

(٨) سورة الزمر ، آية (٦٩) .

(٩) انظر تصحيح الفصيح ٤٤، ٧٤ .

(١٠) نفسه ٤٥ ، ٨٦ .

ب ـ الاستشهاد بالقراءات :

كان استشهاد ابن دُرُسْتويه بالقراءات قليلاً ، إذ لم تتجاوز الثلاث قراءات[1] ـ حسب تتبعي لها في تصحيحه ـ فمنها قوله : " وقرأتُ القُرَّاءُ : ﴿ مَا وَدَعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ﴾[2] بالتخفيف والتشديد "[3] .

ج ـ الاستشهاد بالأحاديث :

استشهد الشَّارح بعدد من هذه الأحاديث الشريفة على فصاحة بعض مواد الفصيح ، وقد بدأها بقوله : ويُرْوى عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال : " لكل غادر لواءٌ يوم القيامة يُعرف به "[4] ، وهو في إيراده لهذا الحديث يُدَلِّلُ على فصاحة (غَدَرَ) . وفي مادة (وَلَغَ) يستشهد بقوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : " إذا وَلَغَ الكلبُ في إناء أحَدِكُم فَلْيَغْسِلْهُ سبعاً إحداها بالتُّراب "[5] . ومثل هذه الاستشهادات بالحديث النبوي الشريف جاءت موزعة في ثنايا الكتاب[6] .

د ـ الاستشهاد بالأشعار :

إذا كان الشَّارح قد أكثر من الشَّواهد القرآنية ، فإن الشَّواهد الشِّعرية تأتي بعدها ـ في المرتبة الثانية ـ من حيث الكم العددي ، ويمكن إيجازها في الآتي :

---

(١) تصحيح الفصيح : ٤٨ ، ١٩٢ .

(٢) سورة الضحى آ، آية (٣) .

(٣) تصحيح الفصيح : ٢٦٠ .

(٤) نفسه : ٤٨ .

(٥) نفسه : ٥٣ .

(٦) انظر الصفحات ٥٤ ، ٥٩ ، ٦٣ ، ٧٣ ، ٨٥ ، ٨٨ ، ١٠٠ .

نجد الشارح ـــ أحياناً ـــ يذكر عجزاً من البيت وأحياناً يورد بيتاً كاملاً ، وقد يذكر بيتين ، أو قطعة كاملة من الشعر ، وفي بعض المواضع يذكر شطراً من الرجز ، وأحياناً يذكر شطرين أو ثلاثة ، وقد يُصَرِّحُ باسم الشاعر ، وأحياناً يذكر اللقب دون الاسم ، وقد يُشَكِّكُ في نسبت البيت إلى قائله ، كقوله " قال النابغة أو غيره ".

وهو يهدف من خلال تلك الشواهد لبيان فصاحة تلك المواد التي جاءت في الفصيح نفسه ، وضمنها الشارح شرحه ، لذا فهو يفتتح تصحيحه ببيت من الرجز بلا نسبة لبيان فصاحة (نمى ينمي)[1] .

ـــ وفي باب (فَعِلَ بكسر العين) يستشهد على فصاحة (زَكِنَ) كما جاء في الفصيح ببيت من الشعر ناسباً إياه [2] .

ـــ وفي باب (فَعَلت وأَفْعَلتُ باختلاف المعنى) يستشهد الشارح على فصاحة (سَفَرَتِ المَرأَةُ) إذا ألقت خمارها ببيت من الشعر ويعزوه إلى قائله [3].

ـــ وفي باب (المفتوح أوله من الأسماء) ذكر الشارح أن قول صاحب الفصيح (هو عِرْقُ النَّسَا) من غلط العامة ، والفصيح أن يقال : النَّسَا ، لأن النَّسَا اسم العرق الذي يمتد من الوَرِكِ إلى السَّاق ، ولا يجوز إضافة الشيء إلى نفسه ، واستشهد على فصاحة ما ذهب إليه ببيت لامرؤ القيس[4] .

---

(١) تصحيح الفصيح ٣٩ .

(٢) نفسه : ٦٤ .

(٣) نفسه : ١٢٩ .

(٤) نفسه : ٢٦٤ .

وقد لفت انتباهي ــ فيما يخص هذه الشّواهد الشّعرية ــ كثرة استشهاده بشِعْر الأعشى ، دون غيره من الشُّعراء[1] .

سابعاً ــ المُعَرَّبُ :

ذَكَرَ ابْنُ دُرُسْتُويهِ بعضَ الألفاظِ المُعرَّبةِ ، التي وردت في الفصيح ، وهو في ذكره إياها إما أن يذكر أصولها الأعجمية ، أو يسكت عنها ، وقد رأيتُ إيجاز ذلك في الآتي :

أ ــ ألفاظٌ فارسيةٌ مُعرَّبة ، ومنْها : " العَرَبون[2] ، وكِسرى ، والجِصُّ ، والزِّئبق ، وصِنَّارة ، والإسوار ... "[3] .

ب ــ ذَكَرَ لفظاً هندياً مُعرَّباً ، وهو : " الإهْلِيْلج " [4] .

ج ــ ألفاظٌ أعجميةٌ مُعرَّبة ، ذَكَرَ منْها : " الرَّصَاص ، وطَرَسُوس ، وقَرَبُوس ، والسَّمُّور ، والخِوان ، والقرقِسْ "[5] .

ثامناً / مَوْقِفُهُ مِنْ ثعْلب وفصيحه :

إذا كان شُرَّاحُ الفصيح ، والذين أتوا بعد ابن دُرُسْتُويهِ قد عارضوا ثعلباً في بعض المواضع من مواد فصيحه ، فإنهم قد وافقوه في مواضع أخرى ، كما أثنوا على صنيعه ، ــ وهذا ما سَنُبَيِّنُه في مواضعه ، إنْ شاء الله ــ إلا أنَّ ابْنَ دُرُسْتُويهِ وإنْ وافق ثعلباً في ذكره لأكثر مواد الفصيح ، فإنه لم يوافقه في ترتيبه لأكثر

---

(1) انظر الصفحات : ٦٢ ، ٦٨ ، ٧٣ ، ٧٩ ، ٨٧ ، ١٠٦ ، ٢٠٤ ، ٢٤٣ ، ٢٤٤ .

(2) ذكر الجواليقي في المعرب : ٤٥٦ ، أنه يوناني الأصل .

(3) تصحيح الفصيح ، انظر : الصفحات: ٢٦٣،٣٠٢،٢٩٧،٢٩٢،٢٩١،٢٨٨،٢٨٧. وانظر المعرَّب : ١١٣، ٣٤٦ ، ٥٣٨ .

(4) ص : ٣٠٣ ، وانظر المعرب ١٣٣.

(5) انظر : الصفحات : ٢٦٦/٢٧٥/٢٨١/٢٨٩/٢٩٣ .

أبواب الفصيح ، حيث عارضه في ذلك ، وتحامل عليه ، وانتقده في مواضع لا تعدو أنْ تكون محل خلاف بين المذهبين ، والمتتبع لأبواب تصحيح الفصيح يدرك هذه القضية فلا يكاد يخلو بابٌ من أبواب تصحيحه إلا وقد انتقد فيه صاحب الفصيح ، إما بتغليطه بعنوان الباب ، أو بتخطئته في ترتيبه لتلك الأبواب ، أو وضعه لبعض المواد في غير موضعه ، ويتضح ذلك في الآتي :

أ / فيما يتعلق بعنوان الأبواب :

فعند تصحيحه للباب الرابع ، وهو المترجم عند صاحب الفصيح بباب (فُعِلَ) بضم الفاء ، يذكر أنَّ ثعلباً لم يترجم هذا الباب إلا بفُعِلَ بضم الفاء وحده ، وينبه إلى أنه قد يأتي معه بغير (فُعِلَ) . ويرى الشارح بأنَّه كان على ثعلب أن يترجمه بباب ما كان بمعنى فُعِلَ ليستوعب جميع الباب[1] .

ب / فيما يتعلق بترتيب الأبواب :

يصرِّح ابن درستويه عند تصحيح للباب السابع وهو باب (أَفْعَل) بالألف عند صاحب الفصيح : بأنه لا معنى لذكر ثعلب لهذا الباب ، وإفراده إياه ؛ لأنه لم يجعله أفْعَل الذي ليس فيه (فَعَلَ) ولا (أفْعَل) الذي هو بمعنى فعل عند أهل اللغة ، ولا ألحقه بالباب الذي قبله ، فيكون أفعل منه بمعنى ، وفعل بمعنى آخر ، فكأنه إنما أراد تكثير الأبواب ... فهو باب مخلط بعضه من الباب الذي قبله (يقصد فَعلت ، وفَعَلت باختلاف المعنى) وبعضه مما يكون فيه فَعَلَ وأفْعَل عند أهل اللغة بمعنى واحد ، ومنه ما يستعمل منه أفعل ، ولا يستعمل منه فعل ، فإن

---

(١) انظر : تصحيح الفصيح ٩١، وانظر الصفحات ١١٢ ، ١٢٢ ، ١٧٦ ، ١٨٧ ، ٢٠١ ، ٢٨٤ ، ٤٥٤

كان جعله باب أفعل المخلط ، فقد كان يجب أن يجعل الذي قبله معه ، ويخلط أبواب الكتاب كلها به ، حتى يكثر تخليطه ، ولا يتكلف التفصيل والترتيب "[١]

ج/ فيما يتعلق بتفصيله لبعض الأمور التي أجملها ثعلب :

يقول ابن درستويه عند تصحيحه للباب العشرين وهو المترجم في الفصيح : باب (ما يثقل ويخفف باختلاف المعنى) : " اعلموا أنــه إنمــا يعــني بالمُثَقَّل ــ يقصد ثعلباً ــ المتحرك وبالمخفف الساكن هاهنا . وقد يقال للمشدد من الحروف الثقيل ، ولغير المشدد الخفيف ، في غير هذا "[٢]. ويقول في موضع آخر : " اعلم أن هذا الباب تخففه العامة كله أو أكثره، والنحويون واللغويون يشددونه، ومنه ما يستوي فيه لغة العرب والعامة "[٣] .

د / فيما يتعلق بزيادته على أبواب الفصيح :

إذا كان الشارح قد انتقد صاحب الفصيح لأنه أفرد بابين للمصادر في فصيحه[٤] ، ويرى ابن درستويه في حق ثعلب أن يجعل المصادر كلها باباً واحداً أو يصنفها فيجعل كل ما كان من جنس أو على مثال باباً على حدته ولا يكثر الأبواب المخلطة كما زعم[٥] . إلا أن الشارح قسم الأبواب في تصحيحه إلى

---

(١) تصحيح الفصيح ١٥٩ . وانظر الصفحات ٢١٩ ، ٣١٤ ، ٣٣٧ ، ٣٦٤ ، ٣٩٩ ، ٤٣٢ ، ٤٨١ ، ٥٢٢

(٢) تصحيح الفصيح ٣٧٣ .

(٣) يعني باب المشدد ص ٣٧٩ من نفس الكتاب .

(٤) هما : باب المصادر ، وباب ما جاء وصفاً من المصادر .

(٥) تصحيح الفصيح : ١٨٧ .

أربعة أبواب[1] ، وقد يكون اعتمد في تقسيمه لهذه الأبواب على نسخ أخرى للفصيح فقسم كل باب من المصادر التي وردت في الفصيح إلى بابين .

هـ / فيما يتعلق بنقده لصاحب الفصيح ؛ لأنه قد ذكر بعض المواد في غير أبوابها :

ـ في كلامه على قول ثعلب : بَرَأْتُ من المرض بالفتح ، أَبْرَأُ ، ينبّه إلى أنه إنما جاء على الباب الأول (يقصد باب فَعَلْتُ بفتح العين) . في ما كان فيه حرف من حروف الحلق ، وليس من هذا الباب وقد كان يجب أن يذكره هناك [2] .

ولكي نكون منصفين في حكمنا على تحامل الشارح على صاحب الفصيح ، فإننا نورد هذه الأمثلة ، والتي توضح زعمنا هذا ، ومنها :

١) عند كلامه على قول ثعلب : سَخِرْتُ منه ، وهَزِئْتُ به ، يذكر أنّ من مَذْهَبِه (يعني ثعلباً) ، ومَذَاهِب كثير من أهْلِ اللُّغة أنَّ حُرُوْفَ الجَرِّ تَتعاقَبُ ، فيَقَعُ كلٌّ منها مكان الآخر ، بمعنى واحد ، ويصرِّح بأن هذا إبْطَالٌ لحقيقة اللُّغة ، وإفساد الحكم فيها ، وضِدٌّ ما يُوْجِبُه العَقْل والقِياس ، ويقرر أنّ إنكار مؤلّف هذا الكتاب ما عليه العامَّة ، واعْتِقَادُه واعْتِقَادُ أصحابه دليل على فساد مَذْهبِهم [3] (يعني الكوفيين وإمامهم ثعلب) .

قلت : فإن أكثر اللغويين خالفوا ما ذهب إليه الشارح ، وأيدوا قول ثعلب[4] .

---

(١) باب المصادر ، وفصل من باب المصادر الذي قبله ، وباب آخر من المصادر ، وباب ما جاء وصفاً من المصادر .

(٢) تصحيح الفصيح : ٥٧ ، وانظر الصفحات ٩٣ ، ١٢٥ ، ١٧٦ ، ٣٦٦ .

(٣) ص ١٦٨ .

(٤) انظر الإصلاح ٢٨١ وأدب الكاتب ٤١٩ وتقويم اللسان ١٢٣ ، تصحيح التصحيف ٣٠٨ ، والصحاح (سخر) .

٢) واسمه لشرحه باسم (تصحيح الفصيح) ويفهم من هذا أن الفصيح قد تخلله الخطأ والزلل ، فانفرد بالتنبيه وحده دون سائر الشرّاح الآخرين فصحح ذلك مكرراً عبارة (تصحيح الباب ...) قبل ذكره لمسمى كل باب من أبواب الفصيح ، وكأنها جميعاً لم تسلم من الخطأ .

٣) أحياناً ينتصر للعامة على ثعلب : فهو يرى أنّ العامّة على الصواب في تسكين (القاف) من اللُّقْطَة ؛ لأنه الذي يلتقط . ويصرِّح بأنّ ما اختاره ثعلب وغيره خطأ[١] .

٤) قوله : وقد غلط ثعلب :

ـــ يزعم أن ثعلباً غلط في وضعه قولهم : هَرَقْتُ الماء في هذا الباب ، لأنه قد ترجمه بباب فَعَلْت بغيرِ ألف ، ونبَّه إلى أنّ : هرقت من باب : أفْعَلْت بالألف عند جميع النحويين[٢] .

قلت : إلا أنه وجد من اللغويين من التمس الحجة لثعلب في ذلك ، فذكر ابن هشام في شرحه[٣] إنما فعل ثعلب ذلك مراعاة للفظ ، ووافقه اللبلي ، وزاد الأخير سببين آخرين هما : لزوم الهاء للبدل ، وأن في هرقت لغتان : هَرَقْتُ وأَهْرَقْتُ ، فذكر ثعلب هَرَقْتُ إشارة إلى أنها أفصح من أَهْرَقْتُ ، مع أن اللفظ ليس ثلاثياً[٤] .

---

(١) تصحيح الفصيح ٣٥١ .

(٢) ص ٦٩ .

(٣) ص ٦٤ — ٦٥ .

(٤) انظر تحفة المجد : ٢٤٣-٢٤٤ .

٥) قوله : وقد توهم ثعلب :

ــ يذكر أنَّ ثعلباً قد توهم بأنَّ (هاء) هَرَقْتُ و هاء (هَرِّق) في الأمر من نفس الكلمة ، فأدخل هرقت في باب : فعلت ، بغير ألف [١] . قلت : وقد تقدم قول ابن هشام اللخمي وأبو جعفر اللبلي والتماسهما العذر لثعلب حول هذه المسألة .

٦) قوله هذا وهم وخطأ :

ــ ففي كلامه على قول صاحب الفصيح : وأَدَّلَجْتُ وأَدْلَجْتُ أنهما بمعنى : السير في أول الليل وآخره . يرى الشارح إنما هذا قولٌ يقوله أهل اللغة الذين لا يعرفون القياس ، ولا علل الأبنية ... ثم يختم هذا الكلام بالتنبيه على أنَّ ما ذكره ثعلب وهم وغلط [٢] .

قلت : وقد نقل اللبلي في تحفته كلاماً عن بعض اللغويين يخالف ما ذهب إليه ابن درستويه . ويوافق ما حكاه ثعلب [٣] .

٧) قوله وهذا قبيح من مثله جداً :

ــ ففي عبارته الأخيرة يَقْصِدُ أنَّ قولَهم : " شَكَرْتُ له صَنيعه " ، إنما يتعدى بغير حرف جر ، إلا أنَّ الزمخشري في شَرْحِه ، يَرَى أنَّ استِعْمَالَ حرف الجر أخَصُّ ، ويَسْنِدُ قولَه ما ذَكَرَه جَمْعٌ من اللُّغويين [٤] .

٨) نجده يَعْتَرِضُ على قَوْلِ صَاحِبِ الفصيح : " ورَجُلٌ نَشْيَانٌ في الخير" ، فيرى أنه خلاف زعم ثعلب ، وينبه إلى أنه لا يجب اختياره في الفصيح [٥] ؛ حيث يَرَى أنَّ أصْلَه بالياء ، وليس بالواو ، كما زَعَمَ ثعلبٌ ، ولكنَّنا نَجدُ أنَّ ابنَ

(١) تصحيح الفصيح ٧٠

(٢) ص ١٢٣ - ١٢٤

(٣) انظر تحفة المجد ٤٦٤ — ٤٦٧ .

(٤) انظر الإصلاح ٢٨١ ، وأدب الكاتب ٤٢٤ ، والجمهرة ٧٣٢/٢ ، والصحاح (شكر)

(٥) تصحيح الفصيح ٢٢٨ .

السِّكِّيت قد نَقَلَ في الإصْلاحِ عن الكسائي قولَه : " ونَشْوانُ هو الكلامُ المستعمل ، يعني أنَّه الأصل ، ولكن نطقوا بالياء للفرق بينه وبين النَّشْوان من السُّكْرِ " [1] .

٩) أحياناً نجده لا يكتفي بتغليط ثعلب فحسب ، بَلْ يُغَلِّطُ جَمْعاً من أهْلِ اللُّغَةِ ، وأئمتَها ، مُعْتَدّاً برأيه وحده [2] .

ونخلص من هذا المبحث إلى بيان الآتي :

أ ـــ ذكر الشارح أن ثمة أسباباً دعته إلى تأليف هذا المصنف ، منها ما يتعلق بصاحب الفصيح نفسه ، وأخرى تتعلق بشرّاح الفصيح .

ب ـــ جاء شرحه في اثنين وثلاثين باباً ، أي بزيادة بابين على الفصيح .

ج ـــ احتل هذا الشرح أهمية خاصة بين شروح الفصيح ، وذلك نظراً لما حواه من مادة لغوية واسعة ، ولأهميته فقد نقل عنه بعض اللغويين في مواضع كثيرة من مؤلفاتهم .

د ـــ جعله بعض أصحاب المعاجم اللغوية من مصادرهم .

هـ ـــ تميز هذا الشرح بمنهج يختلف عن بقية شُرَّاح الفصيح .

و ـــ يصوب الشارح لغة العامة عند موافقتها للغة من لغات العرب ، وقد يخطئوها في حالة مخالفتها للغة العرب .

ز ـــ ضمن الشارح تصحيحه عدداً من الشواهد التي برهن فيها على فصاحة تلك المواد التي ذكرها صاحب الفصيح نفسه .

ح ـــ تعرض الشارح إلى ذكر بعض الألفاظ المعربة التي جاءت في الفصيح .

---

(١) الاصلاح ١٤٠ ، وانظر اللسان (نشا)

(٢) تصحيح الفصيح : ١١٢

ط ـــ عارض ابن درستويه صاحب الفصيح وانتقده وتحامل عليه في مواضع كثيرة من الكتاب ، إما بتغليطه له بعنوان بعض الأبواب ، وإما بتخطئته له في ترتيبه لتلك الأبواب .

شَرْحُ الفَصِيْح ، لابْنِ الجَبَّان

المتوفى سنة (؟)

أولاً / أبْوَابُ الكِتَابِ :

ونشير قبل الشروح في الحديث عن أبواب الكتاب أن هذا الكتاب المطبوع ليس فيه مقدمة للمؤلف وإنما بدأ الشارح مباشرة بشرحه لمقدمة الفصيح ، وكأنما جعل مقدمة ثعلب في فصيحه مقدمة لكتابه ، أو ربما هناك مقدمة لهذا الشرح في بعض النسخ الأخرى ، التي لم يطلع عليها محقق الكتاب ، وكما خلا الكتاب من المقدمة ، فإنه قد خلا أيضاً من الخاتمة ، حيث لم يعلق ابن الجبان بكلمة ختامية لكتابه ، فكان آخر عهده به ما انتهى إليه صاحب الفصيح من مادة لغويـــة .

أما ما يخص أبواب الكتاب فنجد أن الشارح قد التزم في شَرْحِه بترتيب صاحب التأليف لأبواب الفصيح ومواده اللُّغويـــة دون تقديم أو تأخير ؛ فجاءت في ثلاثين باباً ، مطابقة لأبواب الفصيح .

ثانياً / منهجه في عرض المادة :

وقد تميز منهجه في شَرْحِ المادة اللُّغوية ــ غالباً بالآتي :

أ / يأتي بالمادة اللُّغوية مباشرة ، أو بعد عبارات القول ــ بين فينة وأخرى ــ التي تفيد نقله عن ثعلب دون التصريح باسمه ، مثل : " وتقول " ، أو "ويُقَال " ، أو" وقولُه " فيسوق بعدها مادة الفصيح ، ثم يَعْقُبُهَا بالشرح ومن أمثلة ذلك قوله :

ــ ويقال : " ذَوَى العُودُ يَذْوَى : قَلّتْ رطوبَتُهُ و لم يَيْبَسْ البتَّة " [1] .

ــ قولُه : " وغَصِصْتُ أَغَصُّ : إذا نشبت اللُّقْمَةُ في حَلْقِكَ " [2] .

---

(1) شرحه ٩٧ ــ٩٨ .

(2) نفسه ١٠٨ .

ـ أحياناً يذكر نص الفصيح مباشرة من غير تقديم ثم يَعْقِبُ كل ذلك بالشرح كقوله :

" وفَسَدَ الشيءُ يَفْسُدُ " (١) ، و " أَعْجَمْتُ الكتاب " (٢) .

ب / يغلب على منهجه طابع الاستقصاء ، فهو يذكر كل ما جاء في كتاب الفصيح ولا يغفل شيئاً دون أن يتحدث عنه ، وهو في استقصائه هذا يذكر كل ما يعن له ، متنقلاً في ذلك بين اللغة والنحو والأخبار .

ج / يذكر عبارات الفصيح ، ثم يذكر الاشتقاقات للمادة ، ثم يذكر المعنى ثم يذكر المرادف لتوضيح المعنى ، ويذكر لغات المادة ، ويرجح الأفصح ويقدمه ، ومن أمثلة ذلك قوله :

"ويقال : ذَوَى العودُ يَذْوِي ، ذُوِيّاً وذَيّاً ، فهو ذَاوٍ ، ومعناه : قلت رُطوبتُه ولم ييبس البتّة . وفي معناه : ذَبَلَ ، وذَأَى بالهمز ، وذَوِي بالواو والكسر ، والأول أجود ، وتقول : ذَأَى يَذْأَى ذَأْياً ، وذَأْواً ، فهو ذَاءٍ وتقول ذَوِيَ يَذْوَى ذَوَىً فهو ذَوٍ وذَاوٍ ، كما يقال شَجِيَ يَشْجَى فهو شَجٍ وشَاجٍ "(٣) . أما إذا لم يجد الاشتقاقات ولا التصريف فإنه يقف عند ذكر المعنى مصرِّحاً بأنّه لا تصريف لشيء منها ولا جمع ولا تثنية (٤) .

د / سار على منهج كتاب الفصيح ، والتزم في شرحه في ترتيب أبوابه فجاءت في ثلاثين باباً تبعاً لأبواب الفصيح .

---

(١) شرحه : ٩٩ .

(٢) نفسه : ١٤٤ .

(٣) نفسه : ٩٧ — ٩٨

(٤) نفسه : ١٨٨

هـ / في بعض الأحيان يذكر لفظة أو عبارة من الفصيح ، وينتهي منها فيبدأ بشرح لفظة أخرى ، وقبل أن ينتهي من الثانية ما يلبث أن يعود إلى الأولى ، وكأنه تذكر شيئاً يخص تلك اللفظة ،كما في شرحه لعبارة (والْمُفْرِحُ والمَفْرُوحُ به)[1] .

و/ ذكر الشارح — في مواضع كثيرة من الكتاب — قول العامة ومن أمثلة ذلك قوله :

— ذاك خطأ : يذكر أنَّ العامَّة تقول : إِسْنَانٌ بالكسر ، وينبِّه إلى أنَّ ذلك خطأ[2] .

— ذلك غلط : حكى أنَّ الشَّبُّوطُ سمك عند أهل العراق معروف ، وينبه إلى أنّهم يضمون الشين ويصرِّح بأنَّ ذلك غلط[3] . وسيأتي الكلام عن هذا بالتفصيل في موضعه .

ز / يفسر اللفظة بلفظة واحدة ، وأحياناً يذكر أكثر من معنى للفظ الواحد ، فمن ذلك تفسيره للفعل (غَوَى) حيث ذكر له ثلاثة معان :

١ — إذا فَعَلَ فِعْلَ الجُهال

٢ — إذا فَسَدَ عيشه .

٣ — إذا خَابَ رجاؤه .

ومثل هذا فعل في تفسيره لكلمة (فيد) القرية المعروفة ، حيث ذكر أنَّ لها أربعة معان[4] .

---

(١) شرحه : ٣١٤ .

(٢) نفسه : ١٩٩

(٣) نفسه : ٢٠٩

(٤) نفسه : ٣٣٢

ح / وفي ضبطه للألفاظ يستعمل الطرق المعروفة كما جاءت في المعاجم العربية ، وهما التنصيص بالحركات على الحروف ، والتنظير بالمشهور في الاستعمال ، وسيأتي بيان ذلك في موضعه .

ط / اتضح لنا ومن خلال آرائه اللغوية أنّ الشارح بصري المذهب بدليل قوله : " .... الواحدةُ : بَاقِلاَّةٌ ، وبَاقِلاةٌ عند الكوفيين ، وذلك عندنا غلط "[1] .

ثالثاً / سمات شرحه اللغوي :

أ ــ يَغْلِبُ على شرحه الطابع النحوي فهو يقف أما كل مسألة نحوية ويتحدث عنها بإفاضة ، ونحن نختار من ذلك ما يخدم تنقية اللغة ، فمن أمثلة ذلك :

ــ ينقل عن الفرّاء في جمع أسَاسٍ : آسَاسٌ ، مثل : جَوَادٌ ، وأجْوادٍ ، وجَبَانٍ وأجْبَانٍ ، وينبّه إلى أنّه لم يثبت ذلك عنده في أساس[2] .

ــ ينكر على ثعلب قوله : عِرْقُ النَّسَا ، إذ الصواب عنده أن يقال : النَّسَا ، وهو عِرْقٌ في الساق والفَخِذِ ، ويصرِّح بأن هذا هو المختار . كما أنكر قولهم : عرق الأَكْحل ، ونبه إلى أنه قد رُوي في بعض الآثار بالإضافة ، كما في هذا الكتاب والاختيار ما تقدم[3] .

ــ كما ينكر على ثعلب أيضاً قوله : " وعَامَ الأَوَّلِ " ، ويسم ذلك بالرداءة ، معللاً بأن الشيء لا يضاف إلى وصفه[4] .

---

(١) شرحه : ٢٦٣ ، ٢٦٤

(٢) نفسه : ٣٠٧

(٣) نفسه : ١٩٦

(٤) نفسه : ٣٢٠

ب ــ يَتَنَاولُ بعْضَ الألفاظِ تناولاً لُغَوياً ، فيذكرُ معانيها ويبيِّن أصولها واشتقاقها ، على اختلافها ، سواء كانت سماعية أو قياسية ، ويذكر أبواب الأفعال ، والمصادر وصيغ المبالغة ، ومن ذلك على سبيل المثال قوله :

" وكَسَبَ المَالَ : إذا حَصَّلَهُ عن تصرف منه ، فإن وَرِثَه عَفْواً صَفْواً لم يقل كَسبه ، والمصدر الكسْبُ ، والمكْسَبُ كالضَّرْبِ والمضْرَب ، وكَسَبَ يَكْسِبُ ، كَسْباً فهو كَاسِبٌ ، ويقال للرجل الكثير الكسب : كَسُوبٌ ، وفَعُولٌ من أبنية المبالغة " [1] .

ج / لا يقف الشَّارِحُ عند حدود الفصيح ، وإنما يذكر جميع ما ورد في اللفظة من لُغات ، وهو قد يُغْفِلُ نِسْبَة اللُّغة إلى القبيلة الخاصة بها ، وإن كان يُصرِّح دائماً باللُّغة الأفصح أو الأجود ، كقوله :

" نَمَى المالُ يَنْمِي نَمْياً ونَمَاءً ، فهو نَامٍ ، أي زائد ، ومثل ذلك : مَضَى يَمْضِي مَضْياً ومَضَاءً ، فهو مَاضٍ ، وفي بعض اللُّغات : (نَمَا يَنْمُو) والأول أفصح ، وليس الثاني بالرديء " [2] .

ــ يذكر بأنَّ : دَمَعَتْ عَيْنِي ، بفتح الميم ، هي الأفصح والأعلى ، وينبِّه إلى أنَّ فيها لغة أخرى هي : دمِعَتْ ، بكسرها ، ويصرِّح بأنَّ الأولى أجود [3] .

د / يُكْثِرُ من الاستشهاد بالقرآن الكريم والحديث الشريف ، والشِّعْر ، إلا أنَّه لا يهتم بنسبة أبيات الشواهد إلى أصحابها [4] .

---

(1) شرحه : ١٠٦

(٢) نفسه : ٩٧ .

(٣) نفسه : ١٠٠ .

(٤) انظر الصفحات : ٩٨، ٩٩ ، ١٠٤ ، ١٥٤ ، ١٢٠ .

هـ / أحياناً يخالف ثعلباً وأئمة اللغة منفرداً برأيه هو ، ومن أمثلة ذلك : يذكر أنَّ الحَبْرَ : العالِم ، ويصرِّح بأنْ هذا اختيار الفقهاء ، وينبه إلى أنَّ المختار عنده حِبْرٌ ، بالكسر، ويدلل على صحة ما ذهب إليه بقولهم في الجمع : أحْبَارٌ (١) .

و/ اعتنى في ضبطه للألفاظ ، وقد اعتمد طريقتين :

١ ـ النَّصُّ بالحركات على الحروف :

كقوله : "ولا تَقُل : انْفَسَدَ ولا فَسُدَ ـ بضم السين ـ "(٢) . وقال : " وبعضهم يقول : عَسِيْتُ ـ بكسر السين ـ " (٣) . وقولُه : " والاسم : الهَدَرُ ـ بفتح الهاء والدال " (٤) .

وأحياناً يجمع بين حركتين في الكلمة الواحد ؛ لوجود لغتين فيها ، كقوله : " سَخَنَ الماءُ ، وسَخُنَ بالفتح والضم " (٥) .

٢ ـ التَّنْظِيرُ بالمشهور في الاستعمال :

كقوله : " ويقال : شَتَمَ يَشْتِمُ شَتْماً ، فهو شَاتِمٌ مثل : ضَرَبَ يَضْرِبُ ضَرْباً فهو ضَارِبٌ " (٦).

---

(١) شرحه : ٢٣١ . وانظر ٢٦٣ - ٢٦٤ .

(٢) نفسه : ٩٩ .

(٣) نفس الصفحة .

(٤) نفسه : ١٢٣ .

(٥) نفسه : ١٣٢ .

(٦) نفسه : ١٠١ .

رابعاً / مَذْهَبُهُ فِي شَرْحِ الفَصِيْحِ :

يعد ابن الجَبَّان من أصحاب التَّنقية اللُّغوية ، وقد مَيَّزَ بذلك شَرْحه من بين شُروح الفصيح ، بأنْ سَارَ على هدى المذْهَبِ الذي رَسَمَه صاحِبُ الفصيح نفسه ، والمتمثل في اختيار اللُّغة الأفصح وإهمال ما سواها ، أو ذكر لُغتين معاً في حالة تساويهما فصاحةً ، فعلى هذا المسْلك انتقى ابن الجَبَّان مذهبه في شَرْحِ فصيح ثعلب .

وقد ذكر ابن الجَبَّان لُغة العَامَّة في مواضع متفرقة من شرحه ، وهو في ذكره إياها يصوبها إذا وافقت لغة من لغات العرب ، أو يخطئوها إذا لم توافق ذلك ، ولغة العامة ليست صواباً كلها ، ولا خطأً كلها ، والشارح مع الصواب وضد الخطأ ، وإليك إيضاح لموقفه من هذه اللغة :

١ ـ تَخْطِئَةُ لُغَةِ العَامَّةِ :

ومن صور تخطئته لِلْعَامَّة ، أقوالُه التالية :

أ / (لا يُقَالُ ...) : ويتَضِحُ ذلك جلياً عندما يقول : " يُقال ... ولا يُقال "، مثل قولُه : " وصَرَفْتُ القوم وغيرَهم : إذا قَلبتهم وحوَّلت وجوههم عن مُتَوَجِّهِهِم ، وكذا : صَرَفَ اللهُ عَنْكَ الأذى . يقال : صَرَفْتُ أَصْرِفُ صَرْفاً . ولا يقال : أَصْرَفْتُ "[1] .

---

(١) شرحه للفصيح : ١١٦ ، وانظر : ص ١١٨ .

ب / (لا تَقُلْ ...) يذكر أنه يقال : فَسَدَ الشيء يَفْسُدُ ، فَسَاداً وفُسوداً إذا صار لا ينتفع به ، ويصرِّح بأنه لا يقال : انْفَسَدَ ولا فَسُدَ ، بضم السين ، وينبِّه إلى أنهما من لُغات العامَّة[1] .

ج / (ليس ذلك بصحيح) ففي قوله : وأَغْفَيْتُ في النوم أُغْفي إغْفَاءً ، يذكر أنَّ العامَّـــةَ تقول : غَفَوْتُ ، وينبِّه إلى أنَّ ذلك ليس بصحيح [2] .

د / (ليس ذلك بشيءٍ) ففي قوله : ورَيْطَةُ اسم امرأةٍ معروفة ، يذكر أنَّ العامَّـــةُ تقول : رَائطَةٌ ، ويصرِّح بأنَّ ذلك ليس بشيء [3] .

هـــ /(ليس ذلك بمختار) يحكي أنّه قد جاء في الشعر : السُّوُرُ ، بضم الواو ، وينبِّه إلى أنَّ ذلك ليس بمختار في الكلام والشِّعْرِ[4] .

و / (ذاك خطأً) : كقوله : " وهي الأَسْنَانَ ، لجمع السِّنِّ ، والعامَّةُ تقول : إسْنَانٌ ـــ بالكسر ـــ وذاك خطأ " [5] . قُلْتُ : لعلَّ الشَّارِح قصد بقولِ العَامَّة ـــ إسْنَانٌ ـــ أهل زمانه ، لأنَّ عامتَنا لا تخالف خاصتنا في فتح الهمزة ، ولم نسمعْ غيرها (أي : أَسْنَان ، ومفردها : سِنٌ) .

ز / (وهي أردى اللغات) يذكر أنَّ : الإنْفَحَةَ ، تُشَدَّدْ وتُخَفَّفْ ، وينبه إلى أنّه يقال لها في بعض اللغات : مِنْفَحَةٌ .... ، ومَنَافِحُ في جمع مِنْفَحَةٍ ، ويصرِّح بأنَّ الأخيرة أرْدَأُ اللُّغات [6] .

---

(١) ص : ٩٩ ، وانظر الصفحات : ٣٣٥/٣٢٩/١١٨ .

(٢) شرحه للفصيح : ١٥١ ، وانظر: ٢٠٢، ٢٤٦ ، ٢٦٠، ٣١٩ ، ٣٢٠، ٣٢٧ .

(٣) نفسه : ٣٣٢ .

(٤) نفسه : ٢٢٥ .

(٥) نفسه : ١٩٩ ، وانظر : ٣٣١،٣٢٥،٢٦٩ .

(٦) نفسه : ٢٢٤ ، وانظر ص : ٣٢١ .

٢ ـــ تَصْوِيْبُ لُغَةِ العَامَّةِ :

يذكر لُغة العامَّة مع تفضيله وتقديمه لاختيار ثعلب ، وجاء ذلك بأساليب منها :

أ / (موافقته لاختيار ثعلب) : كقوله : " ويقال : هو الكَتَّانُ ـــ بفتح الكاف ـــ ، والعامة تقول : سُميدع ـــ بالضم ـــ وجِديٌ ـــ بالكسر ـــ والجَرو ـــ بالفتح ـــ والكِتَّان ـــ بالكسر ـــ والاختيار ما أخبرك به صاحب الكِتَابِ " (١) .

ب / (تقديمه للصحيح الجيد) : كقوله : " وَرُمْحٌ خَطِّيٌّ ... ورِمَاحٌ خَطِّيَّةٌ ، وقوم يكسرون الخاء ، وصاحب الكِتَابِ يختار الأفصح)) (٢) .

ج / (تنبيهه على لغة الفصاحة) يذكر أنَّ الكَذِبَ : نقيض الصدق ، وينبِّه إلى أنّ العَامَّةُ تقول له : كِذْبٌ ، بكسر الكاف ، ويصرِّح بأنَّ الصحيح الجيِّد الأوْل (٣) .

د / (استعماله الأصل بمعنى الفصيح) : كقوله : "وهي الطَّسُّ والطَّسَّةُ " ، ويحكي أنَّ المستعمل عند العامَّة : الطَّسْتُ ، ويصرِّح بأنَّ الذي في الكِتَابِ هو الأصل(٤) .

٣ـــ وأحياناً يورد لغة العامة دون ذكر لمستواها الصوابي ، فمن ذلك :

ـــ يذكر أنَّ : فَصَّ الخاتم هو الذي تقول له العامَّةُ : الفِصُّ ، بالكسر(٥) .

---

(١) شرحه للفصيح : ٢٠٠ ـــ ٢٠١ .

(٢) نفسه : ٢٠١ .

(٣) نفسه : ٢١٣ .

(٤) نفسه : ٣١٢

(٥) نفسه : ١٩٨ .

ـ ينبِّه إلى أن الأفصح والأعلى أن يقال : طَرَسُوس ، وحكى أنّ العامَّةُ تقولها بتسكين الراء[1] .

ـ وفي ذكره للغة الفصيح : هي أُلِيةُ الكبش ، والجميع أَلَيَاتٌ ، ينبِّه إلى أنّ العامَّةُ تقولُ : لِيَةٌ [2] .

ـ وفي إيراده لقول ثعلب : وهو الفُلْفُلُ ، بضم الفاء ، يصرِّح بأنّ العامَّةُ تَكْسرُها [3] .

ـ ويذكر أنّ الأرجُوحَةُ : هي التي تسميها العامَّةُ المَرْجُوحَةُ [4] .

ـ وينبِّه إلى أنّ جمع دانِقٍ ودانَقٍ : دَوَانِقُ ، ويصرِّح بأنّ دَوَانيقُ من قول العامَّة[5]

خامساً / طريقَتُهُ فِي ذِكْرِ اللُّغاتِ :

ذكر ابن الجَبَّان بعض اللُّغات المرْوِية عن العرب ، وقد عبر عنها بألفاظ مختلفة فاللُّغات العالية نعتها بالنعوت الدالة على فصاحتها وعلوها وجودتها ، ونعت أخرى بالصحة والبلاغة والشهرة والأصالة ، ويمكن توضيح ذلك بما يلي :

أ / الفصاحة : ومن الأمثلة على ذلك :

---

(١) شرحه للفصيح : ٢٠٤ .

(٢) نفسه : ٢٠٦ .

(٣) نفسه : ٢٤١ .

(٤) نفسه : ٢٤٧ .

(٥) نفسه : ٣١١ .

ـــ عند كلامه على قول ثعلب : نَمَى المالُ يَنمِي ، يذكر أنّه جاء في بعض اللُّغات : نَمَا يَنْمُو ، ويصرِّح بفصاحة الأولى ، وعدم رداءة الثانية[1] .

ب/ الجودة : ومن الأمثلة على ذلك قولُه :

" ويقال : ذَوَى العودُ يَذْوِي ، ... ، وذَأَى بالهمز ، وذَوِي ـــ بالواو والكسر ـــ والأول أجود " [2] .

ج / الصِّحَّةُ : ومن أمثلتها عند الشَّارِح :

ـــ ففي تقديمه لقول الفصيح : وأغْفَيتُ في النوم ، يحكي أنَّ العامَّة تقول : غَفَوْتُ ، ويصرح بعدم صحة ذلك [3] .

د / البَلاَغةُ : وهي عند ابن الجَبَّان بمعنى الفصاحة ، ويدل على ذلك :

ـــ حكى أنَّ : شَرَقَتِ الشَّمْسُ بمعنى : طلعت ، ويصرِّح بأنَّ أشْرَقَتْ أبلغ من شَرَقَت [4] .

هـــ/ الشُّهْرَةُ : وهي كسابقتها ، أي قصد بها الشَّارِح العلو والفصاحة ، ومن ذلك :

ـــ يقدم لغة الفصيح : وهَرَقْتُ الماءَ ، وينبِّه إلى أنّه قد جاء راق يريق ، مصرحاً بأنَّ الأول أَشْهَرْ [5] .

---

(١) شرحه للفصيح : ٩٧ ، وانظر الصفحات : ٢٠٢ ، ٣٠١ ، ٣٢٦ .

(٢) نفسه : ٩٧ ، وانظر الصفحات : ٩٨،١٠٠،١٦٥،٢١٣،٢٤٢،٢٥٨،٢٨٢،٣٢٧ .

(٣) نفسه : ١٥١ ، وانظر الصفحات ٣١٩،٢٦٠،٢٤٦،٢١٣،٢٠٢،٣٣٠،٣٢٧،٣٢٣،٣٢٠

(٤) نفسه : ١٣٤ .

(٥) نفسه : ١١٦ .

سادساً / شَوَاهِدُ ابْنِ الجَبَّانِ ، ومنها :

أ ـــ الاسْتِشْهَادُ بالقُرْآنِ الكَرِيمِ :

حَوَى شَرْحُهُ جمعاً من الشواهد المتنوعة ، وبما أن كلام المولى جلّ وعلا هو أعظم وأفصح ما يستشهد به ، فقد اعتمد في شرحه على الاستشهاد بالآيات القرآنية ، وقد بلغت إحدى وأربعين آية ، موزعة بين ثنايا الكتاب ، وهو في هذه الشواهد يُبَيِّنُ فصاحة ما ذهب إليه ، ومن أمثلة ذلك :

أ ـــ ففي باب (فعل بفتح العين) استشهد الشارح على فصاحة (نَقَمَ)[1] بقوله تعالى : ﴿ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ ﴾[2] .

ب ـــ وفي باب (فَعِلَ وفَعَلَ ، باختلاف المعنى) استشهد على فصاحة (عَرَجَ)[3] والتي بمعنى صعد بقوله تعالى : ﴿ تَعْرُجُ الملائكَةُ والرُّوْحُ إليْه ﴾[4] .

ج ـــ وفي باب (فَعَلَ وأَفْعَلَ ، باختلاف المعنى) استشهد على فصاحة (قَسَطَ)[5] والتي على (فَعَلَ) بقوله تعالى : ﴿ وَأَمَّا الْقَاسِطُوْنَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَباً ﴾[6]

---

(١) شرحه : ١٠٢ .

(٢) سورة البروج آية : ٨ .

(٣) شرحه : ١٣١ .

(٤) سورة المعارج آية : ٤ .

(٥) شرحه : ١٣٧ .

(٦) سورة الجن آية : ٥ .

د ـ وفي باب (ما يقال بحروف الخفض) استشهد على فصاحة (سَخِرْتُ مِنْهُ) والذي يتعدى بحرف الجر في الفصيح بقوله تعالى : ﴿ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُون ﴾[1] .

د ـ وفي باب (من الفرق) ذكر أن استعمال اسم الفاعل من (مَاتَ)[2] على غير قياس في الفصيح : (مَيِّتٌ) واستشهد على ذلك بقوله تعالى : ﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونْ ﴾[3] . وكان القياس (مائت) إلا أن الاستعمال ـ أحيانا ـ يغلب القياس .

ب ـ الاستِشْهَادُ بالقِرَاءَاتِ :

وقد استشهد على صحة بعض اللُّغات التي ذكرها ببعض القراءات ، فمن ذلك :

١ـ ففي باب : (فعل بفتح العين) ذكر اللغة العالية الفصيحة ، وهي : (عَسَيْتُ ، بفتح السين) ، ثم استشهد على جواز (عَسِيتُ ، بكسر السين) كلغة ثانية بقراءة (فَهَلْ عَسِيتم إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ)[4] . مصرحاً بأن الاختيار الفتح[5] .

(١) سورة هود آية : ٣٨ .

(٢) شرحه : ٣٤٥ .

(٣) سورة الزمر آية : ٣٠

(٤) سورة محمد آية ٢٢

(٥) شرحه للفصيح ٩٩ – ١٠٠

٢ ــ وفي الباب نفسه قدم اللغة الأفصح (نَحَتَ – يَنْحِتُ) مستدلاً على صحتها بقوله تعالى ﴿ وتَنْحِتُونَ مِن الجِبَالِ ﴾[١] . بكسر الحاء ، ورُوي عن الحسن البصري فتحها في القراءة [٢]. فهو يذكر إلى جانب اللغة الأفصح لغة ثانية .

٣ ــ وفي باب (المكسور أوله والمضموم باختلاف المعنى) يذكر الخلاف بين (أُمَّةٍ ، وأَمَهٍ) ويستدل على ذلك بقوله تعالى : ﴿ وَادَّكر بعْد أُمَّةٍ ﴾[٣] . أي بعد حين ، وقُرِئَ : بعد (أَمَهٍ) أي : نسيان [٤] .

ج ــ الاستِشْهَادُ بالأحَادِيثِ والآثار :

وقد بلغت جملة الأحاديث النبوية التي استشهد بها ، في مواضع متفرقة من شرحه ، أربعة أحاديث بالإضافة إلى أثرٍ واحد ، بيانها في التالي :

١ــ ففي تفسيره للغو ، قال : " واللَّغْوُ من الكلام ما لا فائدة فيه . يقال : لَغَا يَلْغُوا لَغْواً ... " [٥] . ثم استشهد على لغات هذا الفعل بقوله ــ صلى الله عليه

---

(١) سورة الشعراء آية ١٤٩

(٢) شرحه ١٠٤ .

(٣) سورة يوسف آية ٤٥

(٤) شرحه ٢٥٢

(٥) شرحه ٩١

وسلم ــ : " مَنْ قَالَ لِصَاحِبِــه أَنْصِتْ يَوْمَ الْجُمْعَــةِ وَالإِمَامُ يَخْطُبُ فَقَــدْ لَغَا " [(1)] .

٢ــ وفي باب (المهموز) قال : " والحَوْأَبُ : مكان في طريق البصرة من الحجاز ، وكان كثير الكلاب ... "[(2)] ثم يستدل على أن الحوأب مهموز بقوله ــ صلى الله عليه وسلم ــ : " إذا نبحتْكِ كلاب الحوْأبِ فارجِعي " [(3)] .

٣ــ وفي باب (المكسور أوله والمفتوح باختلاف المعنى) فرق بين (النَّعْمَة) بمعنى : التَّنَعُّمْ ، (والنِّعْمَة بكسر النون) بمعنى : اليد والمِنَّة [(4)] ، واستدل على ذلك بما رُوِي في بعض الآثار : " رُبَّ ذي نِعْمة لا نَعْمةَ له " [(5)] .

د ــ الاسْتِشْهَادُ بِالأَشْعَارِ :

اسْتَشْهَدَ الشَّارحُ على فصاحةِ اللُّغات المذكورة في الفصيح بكثير من الشواهد الشعرية ، والتي بلغت إثنين وستين بيتاً شعرياً ، وهو في هذه الشواهد ينسب الكثير منها إلى أصحابها مصرحاً بأسمائهم تارة ومغفلاً لهم تارة أخرى ، مكتفياً بقوله : جاء في الشعر ، أو قال الشاعر ، أو أنشد العلماء . وقد يستشهد على مذهبه بشطر من البيت ، أو بعجزه ، أو ببيت كامل ، وأحياناً يذكر بيتين من

---

(1) صحيح مسلم باب : صلاة الجمعة حين تزول الشمس برقم (٨٥٧) ورواه البخاري في باب : لإنصات برقم (٨٩٢) بلفظ : " إذا قلت لصاحبك يوم الجمعة أنصت والإمام يخطب فقد لغوت " .

(2) شرحه للفصيح ٢٧٤ .

(3) أورده الشارح بمعناه ، وأخرجه ابن أبي شيبة برقم (٣٧٧٧١) في مسيرة علي وعائشة والزبــير ، بلفظ " كيف بإحداكن تنبح عليها كلاب الحوأب " ، ورواه أحمد في مسند عائشة برقم (٢٤٣٠١) ورقــم (٢٤٦٩٨) بلفظ (أيتكن).

(4) شرحه ٢٣٦ .

(5) لم أقف له على سند .

الشعر ، وقد يذكر شطراً من الرجز ، وقد يورد شطرين ، وهو إنما يسوق هذه الشواهد لبيان أمور منها :

ـــ فصاحة اللغة الأولى التي جاءت في كتاب الفصيح ، ومن أمثلة ذلك : يقول : " نصحت لك " وقد جاء (نصحتك بغير حرف الجر) ، والقرآن نطق بالأول ، واستدل على فصاحة لغة القرآن ببيت من الشعر (١) .

ـــ وفي (زَكِنَ ، بكسر العين) يستدل على فصاحتها ببيت من الشعر (٢) .

ـــ ومن اللغويين من ذكر لغتين هما : (لازِبٌ ، ولازِمٌ) وصاحب الفصيح يختار اللغة الأولى لعلوها ، وهكذا فعل الشارح ، واستشهد على ذلك ببيت للنابغة الذبياني (٣) ـــ وفي كلامه على قول صاحب الفصيح : (وسَمَكٌ مَمْلوحٌ ومَلِيحٌ) . نجده يقلل من شأن لغة العامة ويفهم من هذا ضمناً تقديمه للغة العالية الفصيحة ، بقوله : " والعامة تقول : مَالِحٌ ، وليس ذلك بمختار عند الفصحاء " ويوافق ثعلباً في اختياره للغة العالية مستشهداً على فصاحتها ببيت من الرجز (٤) .

ـــ وفي كلامه على قول صاحب الفصيح ، وهو (الفُلْفُلُ ، بضم الفاء) ينكر الشارح لغة العامة ، موافقاً لصاحب الفصيح ، ومستشهداً على مذهبه ببيت لامرؤ القيس (٥) .

ـــ وفي تقديمه للغة الفصاحة ، نجده ـــ أحياناً ـــ يذكر إلى جانبها لغة ثانية ؛ ففي كلامه على قول صاحب الفصيح : (ويَومٌ طَلْقٌ ، وليلةٌ طَلْقَةٌ) يقول : " وقد

---

(١) شرحه : ١٥٤ .

(٢) نفسه : ١٠٩ .

(٣) نفسه : ٢٩٧ — ٢٩٨ .

(٤) نفسه : ٣٢٦ .

(٥) نفسه : ٢٤٢ .

جاء في بعض اللغات : ليلةٌ طَلْقٌ ، بلا تاء التأنيث ، ويستشهد على هذه اللغة ببيت من الشعر[1] .

ــ وأحياناً يستشهد بالشعر على بيان بعض المسائل اللغوية ، كقوله : للتفريق بين: الظِّلّ والفَيءِ : " والظِّلُّ للشجرة وغيرها بالغداة ، والفيءُ بالعَشِيِّ ؛ لأنه يَفِيءُ من جانب على جانب ، أي : يَرْجِعُ ، ويستشهد على ذلك بيت من الشعر[2] .

ــ وقد يستشهد بالشعر ــ أحياناً ــ على بعض المسائل النحوية كقوله : " والأبْوابُ ، جمع باب ، كالأموال جمع مال ، وقد قيل في جمع الباب : بيبان ، كما قيل : جار وجيران ، وقد قالوا في جمع باب : أَبْوِبَةٌ ، وفي ذلك كلام ، ويستشهد على الجمع الأخير ببيت من الشعر[3] .

سابعاً / المعَرَّبُ :

شَارَكَ ابن الجَبَّان شُرَّاحَ الفصيحَ في التنبيه على بعض الألفاظ الأجنبية المعرَّبة ، التي وردت في كتاب الفصيح ، وقد تنوعت تلك الألفاظ لديه ، فأبان عن أصل بعضها ، كالفارسية والعبرانية ، وسكت عن البعض الآخر مكتفياً بالقول : وهو معرب ، وأخرى قال عنها ليست بعربية ، ولم يبن عن أصلها ، وهو في إيراده لهذه المعربات إما أ ن :

١) ينبه عن الاستعمال الأفصح ، ويقدمه ، وهذا ما نهدف إليه في هذا المبحث ومن أمثلة ذلك قوله :

---

(١) شرحه للفصيح : ١٧٨ .

(٢) نفسه : ٣٩٨ .

(٣) نفسه : ٩٦ .

ـــ " وهو الرَّصَاصُ ـــ بالفتح ـــ وقوم يكسرونه ، وزعموا أنه فارسي معرَّب ..."[1]

ـــ " وهو الجَدْيُ ـــ بالفتح ـــ ... ، وزعموا أنه عبراني معرَّب "[2] .

ـــ " وهي طَرَسُوسُ ، والعامة تقولها بتسكين الراء ، وهي أعجمية معرَّبة "[3] .

٢) وفي حالة وجود لغتين في اللفظة الواحدة يذكرهما جميعاً مقدماً اللغة الأفصح والأشهر ، ومن أمثلة ذلك قوله :

ـــ " وهو العَرَبونُ ، والعُرْبانُ في قولِ الفرَّاء ، وهو ما يُسمَّى بالفارسية آرْبُوْن .. "[4]

قلت : والذي ذكر ابن السكيت في الإصلاح : العُرْبانُ والعُرْبونُ ، والأُرْبَانُ ، والأُرْبونُ[5] . ووافقه الجواليقي في المعرب ناقلاً ذلك عن الفرّاء[6] ، والشارح هنا استشهد بما جاء في الفصيح [7] .

ـــ " والسِّرْجينُ ، يُقالُ له : السِّرقين ـــ أيضاً ـــ ، وسُئِلَ الأصمعيُّ عن ذلكَ ، فقال : لا أدْري ما أقُولُ ؛ لأنّه أعجمي معرَّب ، غير أني أقُولُ : الرَّوْثُ " [8] .

ـــ " وهي الطِّنْفِسَةُ والطَّنْفَسَةُ ـــ بالكسر والفتح ـــ ... ، وقِيْلَ إنّها فارسية معرَّبـــة : تَفْسَهْ " [9] .

---

(١) شرحه للفصيح : ١٩٧ .

(٢) نفسه : ٢٠٠ .

(٣) نفسه : ٢٠٤ .

(٤) نفسه : ٢٠٤

(٥) الاصلاح ٣٠٧ .

(٦) المُعرَّب ٤٥٦ .

(٧) ٢٩١ .

(٨) شرحه للفصيح ٢٢٧ .

(٩) شرحه ٣٠٢

ـــ " وتَقُولُ عند الدعاء : أمينَ ـــ بفتح النون ـــ من غير مَدّ ؛ لأنها ليست بعربيَّة ... وقد يقال : آمينَ بالمدِّ ، وهذا يشهد بأن الكلمة ليست عربيَّة ؛ لأن كلام العرب ليس فيه فَاعِيل " [1] .

---

(1) شرحه ٣٠٧ – ٣٠٨

ثامناً / آرَاؤهُ فِي فَصِيْحِ ثَعْلَبٍ :

وَقَفَ الشَّارِحُ موقفاً معتدلاً تجاه ثعلب ؛ فلم يكن متحاملاً عليه كما فَعَلَ ابن دُرُسْتَوَيه ، ولم يُجَامِلْه ويغضْ الطَّرْفَ عمَّا يراه مخالفاً — في نظره — لما ورد عن اللُّغويين الثقات — كما فَعَلَ اللَّبليُّ في بعض المواقف، كما سنرى ذلك في موضعه إن شاء الله — فهو يُثْبتُ لثعلب حقَّه ، كما أنه يعارضه في بعضِ أقواله ، فالشَّارِحُ يَقِفُ من صاحب الفصيح موقفين متباينين بيْن التأييد والمعارضة ، نوجزهما في الآتي :

أولاً — مَوْقِفُهُ المُؤَيِّدُ لِثَعْلَبٍ :

وفيه تتجلى رُؤى مذهبه في اختيار الأفصح ، وخُطَى منهجه في التصويب ، ويكشف عن ذلك قَوْلُه : (والاختيار الأول — يعني اختيار ثعلب — أو قوله : والصحيح الجيد الأول ، وقوله : والذي في الكتاب — يعني الفصيح — هو الأصل ...) .

وهذا بيان لما أجملناه يتضح في قوله :

أ / " والاختيار هو الأول ، أو واختيار الرجل الأول " .

— ففي تقديمه لقول ثعلب : ورَعَدَ الرَّجُلُ ، ينبِّه إلى أنَّه قَدْ يُقَالُ : (أَرْعَدَ وأَبْرَقَ) ، والاختيار هو الأول ، أي اختيار ثعلب [1].

---

(١) شرحه للفصيح ١١٥ - ١١٦ .

قلت هناك خلاف بين اللغويين في (أَرْعَدَ وأَبْرَقَ ، ورَعَدَ وبَرَقَ) ، والذي عليه أكثر اللغويين [1] هو جواز (رَعَدَ وأَرْعَدَ وبَرَقَ وأَبْرَقَ) في السحاب والوعيد ، إلا الأصمعي ، فإنه ينكر (أَرْعَدَ وأَبْرَقَ) في الأمرين [2] . وقد اختار ثعلب رعد الرجل ، ووافقه الشارح في ذلك .

ــ وفي كلامه على لغة الفصيح : أَمَضَّنِي الجرح ، حكى أنَّ قوماً يقولون : مَضَّنِي بغير ألف ، وينبِّه إلى أنَّ الاختيار ما أثبته ثعلب [3] .

قلت : والشارح يؤيد ما اختاره صاحب الفصيح ، حيث لم يروى عن اللغويين (مضني) بغير ألف عدا ما انفرد به صاحب العين[4] ، ولم يعرفها الأصمعي[5] ، لذا لم يذكرها صاحب الفصيح (أعني مضني بغير ألف) .

ب / " والاختيار ما أخبرك به صاحب الكتاب " .

ــ يذكر أنَّ الكَذِبَ : نقيض الصدق ، وينبِّه إلى أنَّ العامَّة تَقُولُ له : كِذْبٌ ، بكسر الكاف ، ويصرِّح بأنَّ الصحيح الجيد الأول[6] . والشارح ــ هنا ــ يوافق ثعلباً في هذا الاختيار .

ــ وفي قوله : " الطَّسُّ والطَّسَّةُ " ، يذكر أنَّ المستعمل عند العامَّة : الطَّسْتُ ، والذي في الكتاب ــ يعني الفصيح ــ هو الأصل[7] . ونراه في هذه المادة موافقاً لصاحب الفصيح أيضاً ، جاعلاً اختياره هو الأصل ، ويعني به الفصيح .

---

(١) انظر الإصلاح ٢٢٦ ، وأدب الكاتب ٣٧٤ ، فعلت وأفعلت للزجاج ، والخصائص ٢٩٣/٣ ، والتهذيب ٢٠٧/٢ ، والصحاح (رعد) .

(٢) فعل وأفعل للسجستاني ص ١٥٠ .

(٣) شرحه ١٥٠ .

(٤) العين (مضض) ١٨/٧ .

(٥) انظر فعل وأفعل ص ١٧٥ .

(٦) شرح الفصيح ٢١٣

(٧) نفسه ٢١٢ .

ثانياً / مَوْقِفُهُ المُعَارِضُ لِثعْلَبٍ :

وفيه يَقِفُ مَوْقِفُ المعارض لثعلب في بعض أقواله ، ومن أمثلة ذلك قولُه :

أ ـــ " وعَجِلْتُهُ : إذا سبقته ، ويُقال : عَجِلْتُ إليك ، وهذا التعدي أكثر استعمالاً من التعدي الذي في كتاب الفصيح " (١) . قلت : والفعل (عَجِلَ) يتعدى بنفسه ، كقولك عجلته ، إذا سبقته ، ويتعدى بحرف الجر أيضاً ، وقد اختار صاحب الفصيح تعديه بنفسه ، إلا أن الشارح يخالف ثعلباً ويرى تعديه بحرف الجر أكثر استعمالاً ، ولعل هذا عائداً إلى مذهبه البصري .

ب ـــ " والسُّمَانَى : طائر معروف ، ويقع ذلك على الواحد والجنس أجمع ، وليست الواحدة سُمَانَاة كما ذَكَرَ ثعلبٌ ؛ لأنَّ عَلَمَ التأنيث لا يَدْخُل على العَلَمِ " (٢). قلت : وهذا الذي أنكره الشارح على ثعلب ليس بمنكر ، فقد قال غير واحد من أئمة اللغة بأن السُّمَانَى جمع ، وواحدة سُمَانَاةٌ ، وليس بين واحده وجمعه إلا حذف الهاء وإثباتها ، كما قالوا ، حَمَامة وحَمَامَات ، وتَمْرة وتَمْرات (٣) .

ج ـــ " وتقول : القومُ أعْدَاءٌ وعِدىً ـــ بكسر ـــ ، ذكر أنهما لُغتان بمعنى واحد ؛ لأن وضع الباب يقتضي ذلك ، وليس الأمْرُ كما زعم "(٤) . قلت : إذا كان الشارح أنكر على ثعلب أن يكون أعْداءٌ وعِدًى ، بمعنى واحد ، فإن جمعاً من اللغويين حكوا ما قاله ثعلب(٥). قال في العين : " والعَدُوُّ : اسم جامع للواحد

---

(١) شرحه للفصيح : ١٤٦ .

(٢) نفسه : ٢٦٩ .

(٣) انظر العين ٢٧٤/٧ (سمن) ، والبحر المحيط ٣٤٧/٨ .

(٤) شرح الفصيح : ٢٨٤ .

(٥) انظر الإصلاح ٩٩ ، وأدب الكاتب ٥٣٦ ، الكامل للمبرد ٤٠٩/١ ، والجمهرة ٦٦٨/٢ (عدو) .

والجميع والتثنية والتأنيث والتذكير ... ويجمع العَدُوُّ على الأَعْداءِ والعِدَى والعُدَى والعُدَاة والأعَادِي ..."[1] .

د ــ " قال ثعلبٌ : وعَامُ الأوَّل ، وهذا رديء ؛ لأنَّ الشيء لا يُضاف إلى وصفه ..."[2] .

قلت : ووجه الخطأ عند بن الجبان أن ثعلباً أضاف الموصوف إلى صفته ، ومذهب الشارح في هذه المسألة على رأي أصحابه البصريين ، أما الكوفيون ــ وعلى رأسهم ثعلب ــ فإنهم يجيزون إضافة الموصوف إلى صفته إذا اختلف اللفظان واتحد المعنى ، واحتجوا بأن ذلك قد جاء في كتاب الله وكلام العرب كثير[3] .

ونخلص مما سبق إلى الأمور التالية :

أ ــ خلا هذا الشرح من مقدمة الشارح ، وكأنه جعل مقدمة صاحب الفصيح مقدمة لكتابه .

ب ــ فيما يتعلق بأبواب الكتاب ومواده ، نجد أن الشارح قد التزم في شرحه بترتيب صاحب الفصيح لأبوابه ومواده اللغوية ، دون تقديم أو تأخير ، فجاءت في ثلاثين باباً .

---

(١) انظر العين (عدو) ٢/٢١٦ .

(٢) شرح الفصيح ٣٢٤ .

(٣) انظر : معاني القرآن للفرّاء ٢/٥٥ ، والانصاف ٢/٤٣٦ ، وشرح المفصل لابن يعيش ٣/١٠

ج ــ يغلب على منهجه طابع الاستقصاء ، فهو يذكر كل ما جاء في كتاب الفصيح ، ولا يغفل شيئاً دون الحديث عنه ، ويغلب على شرحه الطابع النحوي أيضاً .

د ــ لديه ثقة واعتزاز بالنفس وبالرأي ، فنجده أحياناً يخالف ثعلباً وأئمة اللغة منفرداً برأيه عنهم .

هـ ــ ذكر الشارح لغة العامة في مواضع متفرقة من شرحه ، وهو يصوبها في حالة موافقتها لغة العرب ، أو يحكم عليها بالخطأ إذا لم توافق ذلك .

و ــ ذكر الشارح بعض اللغات المروية عن العرب ، ناعتاً إياها بالنعوت الدالة على فصاحتها وعلوها وجودتها .

ز ــ حوى الشرح جمعاً من الشواهد المتنوعة ، والتي يبرهن فيها ابن الجبان على فصاحة ما ذهب إليه .

ح ــ نبه الشارح على بعض الألفاظ الأجنبية المعربة والتي وردت في كتاب الفصيح .

ط ــ اتضح لنا ــ ومن خلال آرائه اللغوية ــ أنه بصري المذهب .

ي ــ اعتنى في ضبطه للألفاظ ، مستعملاً الطرق المعروفة في الضبط كما جاءت في المعاجم العربية .

شَرْحُ الفَصِيْح ، لِلْمَرْزُوقِي

المتوفى سنة ٤٢١هـ

تَرْجَمَةُ المُؤَلِّف :

هو (أبو علي أحمد بن محمد بن الحسن ، من أهل أصبهان ، كان غاية في الذكاء والفطنة ، وحسن التصنيف ، وإقامة الحجج ، وحسن الاختيار ، وتصانيفه لا مزيد عليها في الجودة ، قرأ كِتَابَ سيبويهِ على أبي علي الفارسي ، وتتلمذ له ، وله من التصانيف : كِتَاب (شرح المفضليات) ، وكِتَاب (شرح الحماسة) ، وكِتَاب (شرح أشعار هذيل) ، وكِتَاب (الأزمنة) ، وكِتَاب (شرح الفصيح) ، وغيرها من المصنفات الأخرى ، والأخير هو ما يهمنا منها ؛ فعليه مدار بحثنا هذا . قال الصَّاحِبُ بن عباد : فاز بالعِلْمِ من أصبهان ثلاثة : حائك وحلاج ، وإسكاف ، فالحائك هو المرزوقي مات سنة ٤٢١هـ [1] .

أولاً / منهجه في عرض المادة :

بَدَأَ الشَّارِحُ شرحه ـــ كغيره من شُرَّاحِ الفصيح ـــ بحمد الخالق سبحانه وتعالى ، ثم صلى على النبي المصطفى ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ ثم بدأ كتابه مخاطباً فيه شخصاً لم يحدده ، فكأن المرزوقي أَلَّفَ هذا الشَّرْح بناء على طلب ذلك الشخص السائل ، وأَبَانَ الشَّارح منهجه والمتمثل في الآتي :

أ / إلتزامه بأبواب الفصيح وفصوله ، وعدم خروجه عنها إلا ما تقتضيه نظوم الكلام .

ب / لا يضمن شرحه إلا ما يراه موضحاً لأصول الألفاظ ومبانيها ، ومبيناً لمواردها ومصادرها ، واشتقاقات تلك الألفاظ ومعانيها .

---

(١) انظر ترجمته في معجم الأدباء ٣٤/٥ ، وإنباه الرواة ١٩٥/٢ ، وبغة الوعاة ٣٥٦/١ .

ج / التزامه الاختصار وعدم الإطالة ، فهو يسوق مع كل لفظة أحوالها في البناء ، ونظائرها في السماع ، ويورد من نحوها وتصاريفها ما يستعان به على أحوال نظائره ، وأحكام أشباهها .

د/ ثم بدأ بتفسيره لمقدمة ثعلب تفسيراً لا إفراط فيه ولا تفريط ، فهو يعرض قول ثعلب ، ثم يقوم بشرحه وتوضيحه ، كقوله : " كتابٌ ، هو مصدر كتبت ، ثم يسمى المكتوب كتاباً كما يسمى المخلوق خلقاً ، والمصيد صيْداً " [1] . وقد فعل ذلك في تفسيره لسائر مقدمة صاحب الفصيح [2] .

هـ/ ثم نجده يصدر كل باب بمقدمة يبين فيها قصد ثعلب في هذا الموضع ، كقوله على أول أبواب الفصيح ، وهو باب (فَعَلت بفتح العين) ، " قصده في الترجمة إلى أن ينبه على أن ما يشتمل عليه الباب يجب أن يكون على فعل بفتح العين ، إما من طريق الاختيار ، وإن كان فيه غيرُه من اللغات جائزاً ، وإما لأنه لا يجوز غيرُه " [3] ، وهكذا فعل ذلك في معظم أبواب الفصيح [4].

وتكون تلك المقدِّمة بمثابة المفسِّرة لما بعدها ، وكلامه فيها على جهة الاختصار وعدم الإطالة . فهو مثلاً يتكلم في صدر باب [فَعَلت بفتح العين] عن هذا الوزن ، وكيف يأتي منه المضارع والأمر ، فيتكلم عن الصحيح ثم المعتل العين أو اللام ، ثم يتكلم عما عينه أو لامه حرف حلق ، ثم عن المضاعف منه ،

---

(١) شرحه ص ٢ .

(٢) نفسه : ٢- ٥ .

(٣) نفسه : ٥ .

(٤) انظر شرحه : على سبيل المثال ، باب : فعلت بغير ألف ، وباب فُعل بضم الفاء ، وباب المكسور أوله ، وباب المكسور أوله باختلاف المعنى .

نحو : (شَدَّ و غَرَّ) ، ثم يختم حديثه بالشواذ من الباب ، مما جاء على خلاف القاعدة [1] . ونجده قد فعل مثل ذلك في أغلب شَرْحِه لأبواب الفصيح .

و/ ثم ينتقل إلى تناول مواد الفصيح بالترتيب مادة بعد أخرى ، يذكر فيها معنى المادة ، واشتقاقاتها ومصادرها ، وبعض المسائل النحوية والصرفية ، وينسب اللغات إلى أهلها ، ثم يستشهد على ما ذهب إليه ، ويتضح هذا في أكثر مواد الفصيح ، ومنها على سبيل المثال قوله في أول تلك المواد : " نَمَى المالُ وغيرُه يَنْمِي : إذا زاد ، لا يتعدى فإن أردت تعديته قلت : أَنْمَاهُ اللهُ ، وحكى بعضهم أن أهل الحجاز يقولون في المال وأشباهه : يَنْمُو نُمُوّاً ، وفي الخضاب (يَنْمِي نمواً) وأصله : نُمُويٌ ، لكن الواو والياء إذا اجتمعتا تقلب الواو ياءً وتدغم الياء في الياء .. " [2] .

ز/ اتضح لنا ومن خلال آراء المرزوقي اللغوية السابقة أنه بصري المذهب ، إلا أنه لم يكن متعصباً لمذهبه هذا .

ثانياً / معالم شرحه :

لعل من أبرز هذه المعالم ما يلي :

أ / يتتَّبعُ الشارحُ لغات اللفظة الواحدة فهو يلاحق الفصاحة في مواطن هذه اللهجات ، فيقدم الفصيح ويشير إلى الأصل ، كقوله : "وقد انْتَقَعَ لونُه ، وفيه ثلاث لُغات : (النون والميم والباء) ، وكان الأصل : انْتُقِعَ ، فدخل الميم على

---

(١) شرحه للفصيح ص ٦ .

(٢) نفسه : ٦ – ٧ .

النون ، ودخل الباء على الميم ، كما يُقَـــالُ : "اطمأنَّ ، واطبأنَّ ، وشرٌّ لازمٌ ولازبٌ " [1] ، وما أشبهه .

ب/ يهتم بذكر الفروق المعنوية بين اللغات كقوله : " غَوَىَ الرَّجلُ ، أي : جَهِلَ ، ومصـدره الغيُّ ، والغِوايَةُ ، ولا يجوز غَوِيَ ؛ لأن غوي يقال في الجَدْي إذا أسيء غذاؤه ، يَغْوَى غَوَىً " [2] .

ج/ وينهج الشَّارح نهج الباحثين المدققين ، فلم يكتف بنقل آراء علماء اللُّغة المتقدمين فحسب ، وإنما كان ينقد الآراء ويُصَرِّحُ بالراجح منها ، فكانت له ثقة بالنفس ، واستقلال في الحكم يُسْعِفَه في ذلك حِسُّهُ اللُّغوي وسلامةُ ذوقه .

د / يولي الشَّارحُ عنايةً كبيرةً للاشتقاق وتفريعاته ، وإرجاع معاني المواد اللُّغويّة إلى أصْلٍ واحدٍ ؛ لما بينها من أوجه الشبه والاشتراك . فهو يقول عند قول صاحب الفصـــيح : " شَمَلَهُمْ الأمْرُ " : " ومنه الشَّمْلَةُ في الكساء ، كأنها تَشْمل عِدَّة أشياءَ ، وكذلك المِشْملة ؛ لأنها يُؤْتَزَر بها فتشمل الجسم كله ، والشَّمُول في الخمر قِيْلَ : هـــو منه أيضاً ؛ لأنها تشتمل على العقل " [3] . فالشارح يرى أن : " الشَّمْلَةَ والمِشْتَمِلَةَ والخمر حين تسمى : الشَّمُولَ ، ترجع في اشتقاقها إلى الفعل (شَمَلَ)" وهذا يتكرر عنده في مواضع عدة [4].

هـــ / يهتمُ بالقياس كثيراً وكذلك السماع ، ولا نبعد حين نعد الرجل قياسياً ؛ إذ لا يترك فرصة دون أن يشير إلى القياس في المادة اللُّغوية وتصريفاتها . ويبلغُ اهتمامه بالقياس ذروته حين نَرَاه يَذْكرُ ما يَقْتَضِيه القياس ولم تنطقْ به العرب ،

---

(١) شرحه للفصيح : ٤٧ .

(٢) نفسه : ٧ ، ٨ .

(٣) نفسه : ٢٤ .

(٤) انظر الصفحات : ٢٨ ، ٥٢ ، ٦٦

فهو يُعلِّقُ على قوْل صاحب الفصيح : " عُنِيتُ بحَاجتِكَ " ، فيقول : " وكان القياس عَنَاني كذا فعَنيت ، وأنا عنٍ به . إلا أنَّه لم يستعملْ إلا عُنِيتُ "[1]. فمواضع ذِكْره للقياس وما يَقْتَضِيه كثيرة جداً . هذا مع عناية الشَّارح بالمسْمُوع عن العرب ؛ فمن قوله في ذلك ، نجده — مثلاً — في تفضيله الفتح على الضم في " الحُرُوريةُ " : يقول : " لكن الفتح هو المستفصح في هذه الحروف ، ولا يمتنع أنْ يكون الأقيس أقل استعمالاً "[2] .

فمقـــياس الفصاحة عنده ليس على موافقة القياس ، وإنما على كثرة استعماله عند العرب الفصحاء . ويتضحُ موقفه من القياس بشكل أكبر حين يُوجبه على ما كَثُـــر وشاع ، بقوله : " وبعضهم يقف عند السماع ولا يجعله قياساً ، وليس ذلك بسديد ؛ لأن الشيء إذا كثر في كلامهم واتسع فالواجب القياس عليه ما لم يمنعْ منه مانع "[3] .

و / ينبه على الأساليب الحقيقية والمجازية ، فقد ضمَّن الشارح كلامه إشارات إلى ظاهرة توسع العرب في الأساليب الحقيقية والمجازية منها ، ويَعُدُ ذلك ميزة في كلامها ، حَيْثُ حظي شرحه للفصيح بنصيبٍ وافرٍ من هذا الفن ، والذي تَضَمَّنته صفحاتٌ عديدةٌ من هذا الشرح[4] ، نُوْرِدُ منه على سبيل المثال ، ما يلي :

---

(١) شرحه للفصيح : ٣٩ .

(٢) نفسه : ١٣ .

(٣) نفسه : ٦٦ .

(٤) انظر الصفحات ١٠ ، ١٢ ، ١٧ ، ١٨ ، ٣٢ ، ٣٤ ، ٥٠ ، ٦٨ ، ٧٤ ، ٧٧ ، ٨٢ ، ٨٤ ، ٩١ ، ١٢٢ ، ١٢٥

١) فعند كلامه على قول صاحب الفصيح : (رَبَضَ الكلبُ يَرْبِضُ) يُفسره بمعنى نام ، ويصرِّح بأنَّ مصدره الرُّبوضّ ، وينبِّه إلى أنَّه يقال : ليلٌ رابضٌ على التشبيه[1] .

٢) عند تقديمه لقول ثعلب : (نَحَتَ يَنْحِتُ) ، يذكر أنهم توسَّعوا فيه ، فقالوا : هذا من نَحْتِهِ ، أي : من شبهه ، وإنَّه لكريمُ النَّحِيْتَةِ ، أي : الضَّرِيْبَةِ [2] وهي الطَّبِيْعَةُ والغَرِيْزَةُ .

٣) وعند ذكره لقول صاحب الفصيح : (نُتِجَتِ النَّاقَةُ) يحكي أنهم : توسَّعوا فيه ، فقالوا : نَتِيْجَة هذا الأمرُ كذا وكذا[3] .

٤) وفي : تقديمه لقول صاحب الفصيح : (أدْلَيْتُ الدَّلْوَ) : إذا أرسلتها لتملأها ، أُدْلِيها إدْلاءً ، يصرِّح بأنه يقال : دلاه في كذا توسُّعاً وتشبيهاً [4] .

٥) وفي إيراده لقول ثعلب : (أَجْبَرْتُهُ على كذا) يصرِّح بأنهم توسَّعوا فيه حَتَّى قالوا : جَبَرْتُ الحسابَ جَبْراً [5] .

ز / يتضح مذهبه البصري في معالجته للمسائل اللغوية والنحوية ، وقد صرَّحَ بذلك في شرح الفصيح وفي غيره . فيقول : " مَلَلْتُ الشيءَ في النار أمُلُّهُ وأمْتَلَلْتُهُ ، والشيءُ مملولٌ ومُمْتَلٌّ . وبعض الناس يحمل " مَلْمَلْتُهُ الحمى على الفراش فَتَمَلْمَلَ " .

---

(١) شرحه للفصيح : ١٨ .

(٢) نفسه : ١٤ .

(٣) نفسه : ٤٤ .

(٤) نفسه : ٦٩ .

(٥) نفسه : ٧٢ .

على هذا ، ويقول أصله : مَلَّتُهُ ، وأصحابُنا البصريون يجعلونه بناءً على حدةٍ ، وإن كان مؤدياً لمعناه ، وعلى هذا رَقْرَقتُ ورَقَّقْتُ ، وأشباهه "[1] .

ح / اعتنى الشارح بالمسائل التصريفية : إن طبيعة المادة اللُّغوية المتضمن لها كتاب الفصيح ، تقتضي أن تكون المسائل التصريفية التي يتعرض لها الشَّارح أكثر من المسائل النحوية ؛ فإن الأصل اللغوي والفروع المشتقة منه تقتضي التطرق إلى التصريف ، وبخاصة أن الشرح يتعرض للمفردات أكثر من الجمل ، وحين نطلع على كلام الشَّارح في المسائل التصريفية ، يمكننا أن نتلمس معالم منهجه فيها على النحو التالي :

١) في أول كل باب يذكر المرزوقي المسائل التصريفية المتعلقة في ذلك الباب مفصلة ، لكي يلم القارئ بمضمون الباب ، ففي باب (فعلت بفتح العين) نجد المرزوقي يعطي فكرة موجزة عن هذا الباب ، فيذكر مستقبله وما يجوز فيه من اللغات ثم يذكر الأصل فيه ، ويعلل السبب لهذه الأصالة ، كقوله : " وفَعَلَ مستقبله يكون على يَفْعُلُ بالضم أو يفْعِل بالكسر ، والكسر هو الأصل والضم داخل عليه ، وذلك لمقاربة الفتحة الكسرة .... "[2] .

٢) يُولي الشَّارح عناية فائقة بالقواعد التصريفية ، ولا يألوا جهداً في التنبيه عليها كقوله :
" ومصدر الأول : الرُّعَاف ، جُعل على مثال الأدْواء ، كالزُّكام والصُّداع "[3]وقوله في موضع آخر : " ودَابَّةٌ بها نِفارٌ ، جُعِلَ على وزن العيوب : كالشِّماس والحِران ونحوهما "[4] .

---

(١) شرحه للفصيح : ٥٤ . وانظر تحفة المجد الصريح ٤٠٧ ، ٤٠٨ .

(٢) شرحه للفصيح ص ٥ .

(٣) نفسه ص ١٠ .

(٤) نفسه ١١ .

٣) يَذْكُرُ المسألة التصريفية معتمداً على كلامِ ثعلب ، ثم يوضحها بما يُفْصِحُ عن المقْصودِ ، فيجعل ـــ في بعض الأحيان ـــ مبدأ كلامه من كلامِ صاحب الفصيح ، فهو مثلاً في باب: (فعَلت ، بفتح العين) يذكر وزن (فَعَلَ يَفْعُلُ) ، وما يطَّرِدُ فيه هذا الوزن ، وما يشذُّ منه ، ثم يتناول وزن المضارع منه : صحيحاً كان أو معتلاً ، مضاعفاً أو غير مضاعف ، فيُورِدُ من ذلك ما يتَّضِحُ به المقام ، ويتجلّى به الكلام ، فهو يذكر أن مستقبل (فَعَلَ يكون على يفْعُلُ بالضم أو يفْعِلُ بالكسر) ، والكسر هو الأصل إلا أن تكون عينه أو لامه حرفاً من حروف الحلق ، فإنه حينئذ يجيء على (يفْعَلُ) هذا في الصحيح ، أما في المعتل العين أو اللام : فما كان من بنات الواو فإنه يجيء على يفْعُلُ ، وما كان من بنات الياء فإنه يجيء على يفْعِلُ بكسر العين ، أما المعتل الفاء فإنه يجيء على (يفْعِلُ) بكسر العين ، وأما في المضاعف فإن ما تعدى منه يجيء في الأكثر على يفْعُلُ بالضم ، مثل قدَّ وشدَّ ، وما لا يتعدى منه يجيء على يفْعِلُ بالكسر ، نحو فرَّ وشذَّ .

٤) يهتم المرزوقي بالعلل كوسيلة للإيضاح فهو يجعل الأصل في مضارع (فَعَلَ يفْعِلُ) بالكسر ويجعل الضم فرعاً عليه ، إلا أن يكون عينه أو لامه حرف حلق ، فحينئذ يُفتحُ المضارعُ منه ، ثم يعلل ذلك لكون الحركة مناسبة لاستعلاء حروف الحلق [١] .

٥) أثناء عرض المرزوقي للمسائل التصريفية يتبع ذلك بالشواذ ، فبعد أن ذكر القياس في باب (فَعَلْتُ) أتبع ذلك بقوله : " والشاذ من هذا الباب : أَبَىَ يَأْبَى عن سبويه وقَلَى يَقْلَى ، ورَكَنَ يَرْكَنُ عن بعضهم "[٢] .

---

(١) شرحه للفصيح ص ٥ .

(٢) شرحه ص ٦ .

٦) ومن هذا الباب أنه يذكر الشاذ ، ثم يُبيّن سبب شذوذه عن القاعدة التصريفية ، كقوله في : " فَسَدَ الشيء يَفْسُدُ ، يقال في مصدره : الفَسَاد والفُسُود ، وقيل في ضده ، وهو صَلُحَ : الصَّلاح والصُّلوح ؛ لأنهم يحملون النظير على النَّظير والنَّقيض على النقيض ... ، ومن حيث لم يتعديا كان الأصل فيهما الصُّلُوحُ والفُسُودُ ؛ لأن فَعْلاً أصل فيما يتعدى من الثلاثي ، وفُعُولاً أصل فيما لا يتعدى " (١)

٧) يهتم كثيراً بالتفريق بين مصادر الأفعال إذا اختلفت معانيها ، وهذه الميزة تتكرر كثيراً في ثنايا حديثه ، كقوله وهو يُفرِّق بين : " نُفِسَتِ المرأةُ " ، وبين " نَفِسْتُ " بمعنى بَخِلْتُ ، إذ يقولُ : " ونُفِسَتِ المرأة نِفَاساً فهي نُفَساءُ ، والمولود مَنْفُوسٌ ... ، وكأنه من نفس الدَّمِ ، فأمَّا النَّفاسةُ فمصدر " نَفِسْتُ " أي : بَخِلْتُ "(٢) ، وهذا التفريق مهماً جداً لتحديد المعاني في باب التنقية اللغوية .

ط / تعرض الشارح لبعض المسائل النحوية إلا أن ذلك يعتبر قليلاً جداً إذا ما عَقَدْنا مُقارنةً بينها وبين المسائل التصريفية من النَّاحيةِ العَدَدِيَّة ؛ إذْ تُعَد المسائل النحوية التي تناولها الشَّارح على أصابع اليدين ، لكن هذا الأمْر لا يثير استغراب الباحث ؛ فطبيعةُ الكِتَاب ، والمادة اللُّغوية التي ضمَّنها ثعلبٌ كتابه هي التي توجه مسار الشارح في شرحه وتحدد نوعية المسائل التي يعالجها .
ولكن على قلتها يمكن للناظر أنْ يُدرِكَ بعض سمات منهج الشَّارح في معالجة هذه المسائل النحوية ، ومن هذه السِّمات :

١) أنه يَذْكر المسألةَ معتمداً على كلامِ ثعلب ، لكنه يفصل الكلام فيها ، فثعلب حين يختار لُغــة على أخــرى ، نجده يقول في خطبة كتابه : " فاخترنا أفصحهن " ؛ فيكون الاعتراض على ثعلب سبباً لكلام الشَّارح على أحوال

---

(١) شرحه للفصيح : ٩ .

(٢) نفسه : ٤٨ .

(أفْعَل) ، فهو يذكر أحوال أفعل التفضيل حين يتعرض إلى نقد العلماء لثعلب في هذه المسألة .

٢) تُظهر المسائلُ التي تعرض لها مدى عنايته بالعِلَلِ النحوية ، وهو جزء من عنايته بالتعْليلِ ، فهو يقول عن (عَسَى) : " ويجب أنْ يستعملَ معه (أنْ) ؛ ليفيد مع تقريبه للفعل ما فيه من تراخيه " [١] .

ثالثاً / منهجه في إيراد اللغات :

ويمكن إبراز طريقة الشارح في إيراد لغات العرب من خلال الآتي :

أ / يقدم اللغة الأعلى والأفصح تبعاً لثعلب ، ثم يذكر إلى جانبها لغة ثانية ، وينسبها إلى إحدى قبائل العرب ، كقوله : " ذَوَى العُودُ ، أي : ذَبُلَ وصار بين الرَّطْب واليابسِ ومصدره الذَّيُّ والذُّوِيُّ ، وينبِّه إلى أنَّ فيه لغة حجازية أخرى هي : ذَأَى يَذْأَى فهو ذَاءٍ ، ويصرِّح بأنَّ هذا ليس بكثير " [٢] .

ـــ وفي كلامه على قول صاحب الفصيح : " نَمَى المالُ وغيرُه ... " ، يذكُر أن بعضهم حكى أنَّ بعضَ أهلِ الحجاز يقولون في المالِ وأشباهه : يَنْمُو نمواً ، وفي الخضاب : يَنْمِي ، وينبِّه إلى أنَّ ذلك لا يُعرَّج عليه [٣] .

---

(١) شرحه للفصيح : ٩ .

(٢) نفسه : ٧ .

(٣) نفسه : ٦ ، ٧ .

ب/ يذكر أن في اللفظة لغاتٌ للعرب ، ويصرح بالأفصح منها ، فعند تقديمه لقول ثعلب : بُهِتَ الرَّجُلُ : إذا ورد عليه ما يُحَيِّرُه ، ويصرح بأن فيه لُغات ، أفصحهن ما ذكره ثعلب [1].

ج/ يذكر لغتين في اللفظ الواحد ، ثم يجعلهما سواءً فلا يفاضل بينهما ، فهو يحكـــي في مستقبـــل " أَمَنَ الماءُ " الضم والكسر ، ثم يذكر أنهما لُغتان جيِّدتان [2].

د/ يذكر اللغتين ثم ينبِّه على المختار منهما ، ثم يستشهد على الثانية ، حكى أنّ : أَمَرَّ الشيءُ أي صار مُرًّا ، وينبِّه إلى أنّه يقال فيه : مَرَّ أيضاً ، مصرِّحاً بأنّ المختار الأول ، ثم يستشهد بقول الشاعر :

لَئِنْ مَرَّ فِي كِرْمَانَ لَيْلِي لَطَالَمَا حَلا بَيْنَ تَلَّيْ بَابِلٍ فَالْمُضَيَّحِ [3]

هـ / يهتم بنسبة اللغات إلى قبائلها لتأكيد فصاحتها ، فمن ذلك قوله : "وفيه لُغَةٌ حِجَازِيَّةٌ أُخْرَى : دَأَى ، يَدْأَى " [4] . وفي موضعٍ آخر يذكر أنّ : زُرَّ ، لُغَةُ تميم ، وازْرُرْ ، لُغَةُ الحجاز [5] . ويصرِّح في موضع ثالث أنّه حُكي أنّ قيساً تقولُ : أَهْدَيْتُ العروس فَهَدَيْتُها ، بمعنى : دَلَلْتُها [6] . كما نبَّه إلى أنّ لُغة بني سليم : مَا أَكَاحَ فيه السَّيْفُ ، ومَا كَاحَ [7] .

---

(١) شرحه للفصيح : ٣٩ .
(٢) نفسه : ٥٥ .
(٣) نفسه : ٧٩ .
(٤) نفسه : ٧ .
(٥) نفسه : ٢٣٣ .
(٦) نفسه : ٥٨ .
(٧) نفسه : ٨٢ .

و / وأحياناً يورد اللغة الثانية ، وينسبها إلى أهلها ، ففي كلامه على قول ثعلب: " رَضِع المولودُ " ، يذكر بأنّ الفتح في الضاد لُغة حجازية[1] . وهو هاهنا ينسب اللُّغة الثانية دون الأولى .

ز/ وربما يعلل اللغة التي حكاها صاحب الفصيح : فيذكر أنّ سبب إيرد ثعلب لـــ " رُمْحٌ خَطِيٌّ " ، لأنه ربما كُسِر أوله [2] .

ح/ قد يذكرُ ثلاث لُغات مساوياً بينها من حيث الفصاحة ، فهو يصرِّح أنّ في انْتَقِعَ لَوْنُهُ ، ثلاث لُغات : النونُ ، والميمُ ، والباءُ [3] ..

ط/ كثيراً ما يجعل اختياره لِلُغةٍ على أخرى بالكثرةِ ، حتى أنّك تجده في ثلاث مواد متتالية ـــ كما وردت في الفصيح ـــ ففي (أَنْشَرَ) يصرِّح بأنّ أبا العباس ثعلب اختار أنشر لكثرته [4] وفي : (أمْنَى الرجل) يذكر أنه حُكي فيه : مَنَى ، والأكثر ما اختاره ثعلب [5] . وفي : (أحَاكَ) ينبِّه إلى أنّه روي ما حَاكَ فيه السيف ، إلا أنّه لم يكثر[6]. فتلك ثلاث مواد متتالية يُعَلِّلُ اختياره ، واختيار صاحب الفصيح لها بالكثرة ؛ مِمَّا يُعْطي أهمية كبرى لمبدأ كثرة الاستعمال الذي يبنى عليه القياس ،كمعيار للمستوى الصَّوابي لِلُّغات .

---

(١) شرحه للفصيح : ٢٥

(٢) نفسه : ١٥٠ .

(٣) نفسه : ٤٧ .

(٤) نفسه : ٨١ .

(٥) نفس الصفحة .

(٦) نفسه : ٨٢ .

رابعاً / موقفه من لغات العامة :

ويتضح ذلك في الآتي :

١) ففي باب (فَعَلْت بغير ألف) يذكر المرزوقي أن العامة يخطئون فيه لأنهم يردون هذا الباب إلى (أَفْعَلْتُ) ومن أمثلة ذلك :

ـ يذكر أنَّ صَرَفْتَ القومَ : أي رددتهم عن وجوههم ، وكذلك : صرف الله عنك الأذى ، وينبِّه إلى أنه ليس في الكلام أصْرَفَ ، ويذكر أن العامة أولعت به [1] .

ـ وحكى : شَغَلَني عنك أَمْرٌ ، وذكر أنَّ العامة تُولعُ بأشغل ، وصرَّح بأنَّ كلامهم ليس بشيء[2] .

٢) وفي باب (ما أوله من الأسماء) ينبِّه المرزوقي إلى أن هذا الباب يشتمل على كثير مما تخطيء العامة فيه فيغيرون أوله ، ثم نجده يفصل القول في ذلك فمن أمثلة ذلك :

ـ يذكر أنَّ الجَوْرَبَ والكَوْسَجَ أعجميان ، وينبِّه إلى أنَّ ثعلباً ذكرهما لأن العوام يولعون بضم أولهما[3] .

ـ وفي : طَرَسُوسٌ بلدٌ معروف ، يصرِّح بأنَّ ثعلباً إنما ذكره لأنَّ التعريب لحقه على ما ذكره ، ومثله قَرَبُوسُ السَّرْجِ : مُقَدَّمته ، وينبِّه إلى أنَّ العامةَ تسكن الراء منهما ، ويبيِّن أنَّه ليس في الكلام فَعْلُولٌ إلا قولهم : صَعْفُوقٌ اسم لخول باليمامة[4].

---

(١) شرحه للفصيح ٣١ .

(٢) نفسه ٣٥ .

(٣) نفسه ١٥٠ .

(٤) نفسه ١٥٤ .

ـــ ذكر أنّ العامة تخطئ في قولهم : قَرأتُ سورة السَّجْدَة ، فتكسر السين من (السجدة) ، ويصرِّح بعدم صواب ذلك ؛ لأنها على (فَعْلَة)[1] .

وفي هذا الباب نجد إشارات إلى لغة العامة لكنها ليست بالكثرة التي توحي إليها عبارته أول الباب ، فنجدُه يَصِفُ لُغة العَامَّة ـــ أحياناً ـــ بالرداءة ، فيذكر أنّ : (الفَقْرَ ، بالفتح) قد اختاره ثعلب على الفُقْر وهو لُغةٌ رديئةٌ [2] .

فالمرزوقي يعد هذا الباب تصحيحاً لما تخطيء العامة فيه لكنه لا يفعل ذلك في الباب الذي يليه مع قربهما من بعضهما ؛ إذ يقول في ترجمة : (باب المكسور أوله) : " القصْدُ في هـــذا الباب إلى أنّ ما يجيئ فيه يُكْسَرُ أولـــه اختياراً لا أنّه لا يجُوز غيرُه "[3] ، على أنّ المرزوقي يقول قول ثعلب في هذا الباب : " وليس لي فيه فِكْرٌ ، وتفتح العامَّةُ فاءَه "[4] .

٣) ينبِّه المرزوقي إلى لغة العامة ، دون الإشارة إلى مستواها الصوابي ومن أمثلة ذلك : في باب (فُعِلَ بضم الفاء) :

ـــ حكى : شُغِلْتُ عنك ، ونبَّه إلى أنّ العامة تُولَعُ بأُشْغِلْتُ [5] .

ـــ وكقوله في باب (المكسور أوله) : "بينهما إِحْنَةٌ أي عَدَاوةٌ والعوام تقول : حِنَةٌ "[6] .

---

(١) شرحه للفصيح ١٥٦ .
(٢) نفسه : ١٥١ .
(٣) نفسه : ١٦٦ .
(٤) نفسه : ١٧٢ .
(٥) نفسه : ٣٩ .
(٦) نفسه : ١٧٤ .

ـــ وذكر أنّ : إِنْفَحَةُ الجَدْيِ يخفف ويثقل ، وينبّه إلى أنّ العامة تقول مِنْفَحَةٌ[1]

ـــ وحكى أنّ : الإِجَّاصُ ، واحدة إِجَاصَةٌ ، وزنها فِعَّالَةٌ ، وينّبه إلى أنّ العامة تقول : إنْجَانَةٌ ، وإنْجَاصَةٌ [2] .

٤) وفي باب (ما يقال بحروف الخفض) يقول :

ـــ " زَرَيْتُ عليه ، أُزْرِي زَرْياً وزِرَايَاةً ، أي : عبته ، ولا يستعمل بغير (على) وأَزْرَيْتُ به ، أي : وَضَعْتُ منه وتَنَقَّصْتُ ، والعامة تقول : أَزْرَيْتُ عليه " [3].

فالمرزوقي هنا يذكر (زَرَيْتُ عليه في الثلاثي ، وأَزْرَيْتُ به في الرباعي) ولكن العامة يعكسون الكلام فيضعون (عليه موضع به) .

٥) وأحياناً يؤيد المرزوقي ثعلباً جاعلاً سبب إيراد صاحب الفصيح للمادة أنّ العامَّة يُخطئون فيها ، فيوافق ثعلباً على تخطئة العامَّة ، ويجعل الفصيح ما ذكره ثعلبٌ ، كقولِه : " أغْفَيتُ من النوم ، قال : وإنما ذكره ؛ لأنّ العَامَّة تقول : غَفَوتُ غَفْوة ، والصَّواب ما ذكره " [4] .

ـــ وكقوله : " وفي الزِّئْبَقِ يُقال : دِرِهَمٌ مُزَأْبَقٌ ، بفتح الباء ، لأنه يقال زُؤْبِقَ الدِّرْهَمُ : إذا جعل فيه الزئبق ، والعامة تقول : مُزَبَّقٌ على زُبِّقَ الدرهم ، والفصيح ما اختاره أبو العباس " [5] .

---

(١) شرحه للفصيح : ١٧٥ .

(٢) نفسه : ٢٣٦ .

(٣) نفسه : ٨٨ .

(٤) نفسه : ٨٤ ، ٨٥ .

(٥) نفسه : ١٧٢ .

٦) وأحياناً ينبه إلى أن لُغة العامَّة موافقة لبعض لُغات العرب الفصيحة ، فيذكر أنَّ الكلّوبَ واحد الكلاليب ، ويصرِّح بأنّ العامَّةُ تقول : كُلاّب ، وينقل عن الخليل أنهما لُغتان[1] .

ـ ويحكي أنّ ثعلباً اختار الأُتْرُجّ على سائر اللغات ، معللاً ذلك بأنه أشهر في ألسنة الفصحاء ، وينبِّه إلى أنّ العامَّة مولعة بأُتْرُنْجَةٍ ، ويصرِّح بأنها لغة[2] .

خامساً / مَوْقِفُهُ مِنْ ثعْلَبٍ :

كان في الأعم الأغلب تابعاً لصاحب الفصيح ، موافقاً له فيما ذهب إليه ، مُصَرِّحاً بصواب منهجه وأقواله في فصيحه ، فمن ذلك :

أ/ ينبه على أن ما اختاره ثعلب هو الأفصح والأكثر ، كقوله مُعَقِّباً على قَولِ ثعلب :

(وهَدَيْتُ العروسَ ، إذا زَفَفْتُها) : وما اختاره أكثر وأفصح[3] .

ب/ أحياناً يدافع عن ثعلب ويرد إنكار المنكرين عليه بالدليل ، كقوله عند قول صاحب الفصيح : (عَجِلْتُهُ) وتفسير أبي العباس لها على سَبَقْتُهُ ، وانكار البعض لهذا التفسير . قال الشَّارحُ مدافعاً عن ثعلب : " وليس فيما أُنْكِرَ مستَنْكرٌ ؛ لأن لفظة (عَجِلَ) يستعمل على وجوه ، واستشهد لمذهبه بقوله تعالى : ﴿ وَلاَ تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ ﴾[4] .

---

(١) شرحه للفصيح : ١٦٠ .

(٢) نفسه : ٢٣٦ .

(٣) نفسه : ٥٨ .

(٤) نفسه : ٧٦ .

ج / أحياناً يقدم اختيار ثعلب ويبرره ،وينبه إلى قول العامة ، ويصوب ما ذكره، كقوله على قول صاحب الفصيح : (أغْفَيْتُ من النوم) ، معللاً اختيار ثعلب لأنّ العَامَّةَ تَقُولُ : غَفَوتُ غَفْوَةً ، ويصرِّح بأنَّ الصَّواب ما ذكره ثعلب[1] .

د / يستشهد لما ذهب إليه ثعلب بأقوال كبار العلماء كقوله : " قال أبو العباس ــ يعني ثعلباً ــ وأصله الواو ، يعني (نَشْيان) يَدلُّ على ما قاله : أنّ يعقوب حَكَى عن الكسائي : أنَّ نَشْوان هو الكلام المستعمل " [2] .

هـ / وأحياناً يُفَصِّح ما اختاره ثعلب ؛ لأنه صاحب تنقية ، فهو يذكر أنّ العامَّةَ تقول : مُزَبَّقٌ على زُبِّق الدِّرْهَم ، ويصرِّحُ بأنَّ الفصيح ما اختاره أبو العباس[3] .

وفي المُقابِلِ ، حينما يُخَالِفُ ثعلباً ، فإنَّ القارئ لا يَشْعُرُ بهذه المخالفة ، أو شيئاً من المعارضة ، وإنما يسوق اعتراضه بأسلوب المهذب الملتمس للعذر ، كقوله عندما تعرَّضَ للحديث عن قوله : (هَرَقْتُ الماءَ) : " وَوَضْعُ أبي العباس (أَرَقْتُ الماء) في هذا الباب وقع سهواً منه ؛ لأنّه أَفْعَلْتُ " [4] .

وقال في موضع آخر : (وأَكْفَأْتُ في الشعر) جعله أبو العباس كالإقواء ... وكثيرٌ من الناس يفصلون بين الإكفاء والإقواء ... " [5].

---

(١) شرحه للفصيح ٨٤ ، ٨٥

(٢) نفسه ١٢١ .

(٣) نفسه ١٧٢ .

(٤) نفسه ٣١ .

(٥) نفسه ٦٢ .

سادساً/ شواهده في شرحه :

من خلال دراستي لهذا الشَّرْح تبين لي وفرة الشواهد التي ساقها الشَّارح ، فالمرزوقي — في نظري — يحتل المرتبة الأولى بين شُرَّاح الفصيح من حيث الكم الوفير من هذه الشواهد ، ولا غرابة في ذلك فهو أديب كبير وقد انعكس هذا الفن على شرحه ، وقد استخدم هذه الشواهد للتأكيد على فصاحة الألفاظ التي يذهب إليها ، فَقَلَّمَا تَجدُ باباً من أبواب شَرْحه يخلو من شاهد ما ، وقد تنوعت تلك الشواهد التي ضَمَّنَها شرحه ، فجاءت مُوَزَّعَة كالتالي :

أ / القُرْآنُ الكَرِيمُ :

إنَّ خير ما يُمَثِّلُ أعلى درجات الفصاحة والبيان هو كلام المولى سبحانه وتعالى ، كما أجمع على ذلك علماء العربية ، فنصوصه أوثق الشواهد التي يرجعون إليها ؛ لأنه المُنَزَّه عن اللحن والخطأ . وقد احتل هذا المصْدر المرتبة الأولى من حيث الاستشهاد به ؛ إذ أكثر الشَّارح من الاستشهاد بالآيات القرآنية ؛ كي يبرهن على فصاحة ما ذهب إليه .

— ففي باب (فعلت بكسر العين) يستشهد على فصاحة (خطِفَ الشيء يَخْطَفُ) [1] بقوله تعالى : ﴿ إلا من خَطِفَ الخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهابٌ ثَاقِبٌ ﴾[2] .

---

(١) شرحه للفصيح ص ٢٥ .

(٢) سورة الصافات آية (١٠) .

ـــ وفي باب (فَعَلْت وأَفْعَلْتُ باختلاف المعنى) يستشهد على فصاحة (عَجِلْتُهُ التي بمعنى سبقته)[1] بقوله تعالى : ﴿ وعَجِلْتُ إِلَيكَ رِبِّي لَتَرْضَى ﴾[2] .

ـــ وفي باب (ما يهمز من الفعل) استشهد على فصاحة : (دَارَأْتُ الرَّجُلَ[3] : إذا دافعته) بقول الحق تبارك وتعالى : ﴿ وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسـاً فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا ﴾[4] .

ـــ وفي (باب المفتوح أوله من الأسماء) وعند كلامه على قول ثعلب (وهو الطَّهُورُ)[5] يعني الاسم منه ، ويستشهد على فصاحة هذه اللفظة بقوله تعالى : ﴿ وأنْزَلنا مِنْ السَّمَاءِ مَاءً طَهُوراً ﴾[6] .

ب/ الأشعار :

يحتل هذا المصدر ـــ من شواهده ـــ المرتبة الثانية بعد القرآن الكريم ، وقد تنوعت أساليب الشَّارح في هذه الشواهد على النحو التالي :

كثيراً ما يغفل نسبة البيت إلى قائله ، وقد كثر مثل هذا في شرحه وأحيانا يكتفي بقوله : قال الراجز[7] ، وأحياناً يكون أكثر تعميماً ، كقوله : قال بعضهم ،

---

(١) شرحه ٨٥ .
(٢) سورة طه آية (٨٤)
(٣) شرحه ٩٢ .
(٤) سورة البقرة آية ٧٢ .
(٥) شرحه ١٦٢ .
(٦) سورة الفرقان آية ٤٨ .
(٧) شرحه ١٠١ .

فيذكر عجزاً من بيت [1] ومثل هذا ورد كثيراً في ثنايا شرحه [2] ، وأحياناً يصرح بذكر اسم الشاعر [3] ومن ذلك قوله :

قال الأعشى ، فيذكر له عجز بيت [4] .

قال زهير فيذكر بيتاً له [5] .

قال الحطيئة في عمر ـــ رضي الله عنه ، ويورد له بيتاً [6] .

وهو في ذلك يذكر مادة الفصيح ، ثم يذكر بيتاً من الشّعر ، للدلالة على فصاحة ما ذهب إليه ، فعند كلامه على قول صاحب الفصيح : (قَضِمَتْ الدَّابَةُ شَعِيْرَها) يستشهد على فصاحة (قضمت) فَيَذْكُرُ عَجْزَ بيْتٍ بلا عزو [7] .

ـــ وفي كلامه على قول ثعلب : (أَدْلَيْتُ الدَّلْوَ) يستشهد على فصاحة (أدليت) بقولِه : قال الشّاعِرُ : ... فيذكر بيتاً من الشّعْرِ [8] . وعند حديثه على قول ثعلب : (وجَبَرْتُ العظمَ) يستشهد بعجز بيتٍ بقولِه : وقال الآخَرُ [9] للدلالة على فصاحة (جبرت) .

---

(١) شرحه للفصيح نفسه ١٠٤ .

(٢) انظر الصفحات : ١٥ ، ٢٣ ، ١٦٧ ، ١٧١ ، ١٨١ ، ١٨٤ ، ١٩٢ ، ١٩٩ ، ٢٣١ .

(٣) انظر الصفحات ١٤٩ ، ١٧٦ ، ١٨٤ ، ٢٠٠ ، ٢٠٤ ، ٢٢٠ .

(٤) نفسه : ٢٦ .

(٥) نفسه : ٢٨ .

(٦) نفسه : ٧٧ .

(٧) نفسه : ٢٠ .

(٨) نفسه : ٦٩ .

(٩) نفسه : ٧١ .

ـــ وفي كلامه على قول ثعلب (بَرَدْتُ عيني أَبْرُدُهَا) يستشهد على فصاحة (برد) ببيت لمالك بن الريب [1] .

ـــ وفي باب (المفتوح أوله من الأسماء) وعند كلامه على قول ثعلب (عِرْق النَّسَا) قال : " وقد عيب على ثعلب هذا القول والصواب : (النَّسَا) ويستشهد على فصاحة ما ذهب إليه ببيت لامرؤ القيس [2] .

ـــ وفي باب (المكسور أوله من الأسماء) وفي كلامه على قول ثعلب (وهو الرِّطْلُ) وهو ما يوزن به ويكال ، ويستشهد على فصاحة هذه اللفظة ببيت من الشعر بلا عزو [3] .

ـــ وفي الباب نفسه وفي كلامه على قول ثعلب (والسِّوار لليَدِ) نجده يستشهد على فصاحة هذه اللفظة ببيت للنابغة [4] .

ـــ وفي باب (المهموز) وعند كلامه على قول ثعلب كِلابُ الحَوْأَبِ) يوضح أنه موضع ينسب إليه ثم يستشهد على فصاحة (الحوأب المهموز) ببيت من الشعر بلا عزو [5] .

ج / القُراءات القرآنية :

ـــ لم يُغْفِل المرزوقي القراءات في شواهده ؛ لإثبات صحة بعض اللُّغات التي أهملها ثعلب ويعلل سبب إهماله لها ، فمن ذلك : عند اختيار صاحب

---

(١) شرحه للفصيح : ٣٦ .

(٢) نفسه : ١٤٤ .

(٣) نفسه : ١٦٦ .

(٤) نفسه : ١٧٦ .

(٥) نفسه : ٢٥٠ .

الفصيح : (أَنْشَرَ اللهُ المَوْتى) [1] ، قال : وقد حُكِي (نَشَرَ اللهُ المَوْتى لكنه يعني ثعلباً اختار أنشر لكثرته ، ثم استدل عليها بقراءة (كَيْفَ نُنْشِرُها) [2] .

ـــ وعند كلامه على قول ثعلب (أَرْجَأْتُ الأَمْرَ) [3] : يذكر أنَّ الهمز فيه مُقَدَّمٌ على (أَرْجَيْتُهُ) بالياء ، ... وقُرِئ : ﴿ تُرْجِي مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ ﴾[4] .

ـــ وينَبِّه إلى أنَّ (مَرْفَقَ الإنسانِ) موضع الارتفاق منه بكسر ميمه ، والفتح أكثر وأجود . فأما مرافق الإنسان التي هي منافعه فالميم مكسورة منه في الواحد عند الأكثر ، وقريء ﴿ وَيُهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْفَقًا ﴾[5] بالفتح والكسر ، والمعنى : صلاحاً ورفقاً [6] .

ـــ وفي كلامه على قول صاحب الفصيح (امْرَأَةٌ حَصَانٌ) [7] ، يصرِّح بأنَّه قُرِئَ في القرآن الكريم : (المُحْصِنَاتِ)[8] . وقد استشهد هنا على المعنى ، وكل هذا يدل على حرص المرزوقي على تحديد المعاني من أجل التنقية اللغوية .

ـــ وقد تضمَّن الشرح بعض القراءات الأخرى نشير إليها في مظانها [9] .

---

(١) شرحه : ٨١ .

(٢) سورة البقرة آية (٢٥٩) .

(٣) شرحه : ٩٦ .

(٤) سورة الأحزاب آية ١٥١ .

(٥) سورة الكهف آية (١٦)

(٦) شرحه للفصيح ١٩٤ .

(٧) نفسه ١٠٣ .

(٨) سورة النساء آية ٢٤ .

(٩) انظر شرحه ١١٧ ، ١٤١ ، ١٩٤ ، ٢٢١ ، ٢٩٨ .

د) الحديث الشريف :

إذا كان المرزوقي من مُكْثِري الاستشهاد بالقرآن الكريم ، فإننا نجده من المُقلِّين في الاستشهاد بالحديث النبوي الشريف ، وذلك مقارنة بالشواهد الأخرى ، كالأشعار ، والأمثال ؛ إذ يأتي الحديث في المرتبة الأخيرة من جملة شواهده ، وقد ساق بعضاً من هذه الأحاديث [1] إلا أنَّ منها ما لا يرقى إلى مرتبة ودرجة الأحاديث الصحيحة ، كقوله : " النَاجِشُ ، والخَائِنُ ، والصَّائِدُ سَواءٌ في الأثم "[2] .

ـــ ففي باب (فَعَلت وأفعلت باختلاف المعنى) يقول : " أَذِنْتُ للرجل في الشيء : أي سَوَّغْتُ له فعله ، وأذنت لكذا أي استمعت إليه " . ويستدل على فصاحة ذلك بقوله : وفي الحديث : " ما أَذِنَ الله تعالى لشيء كأذنه لنبي يتغنى بالقرآن " [3] .

ـــ وعند كلامه على قول ثعلب (وأَخْفَرْتُهُ) يفسرها بنقضت العهد ، ويستشهد على فصاحة هذه الكلمة بقوله وفي الحديث : " لا تخفروا الله في ذمته " [4] .

هـــ) الأمثال :

إذا كان الاستشهاد بالشِّعر قد احتل المرتبة الثانية في شَرْحِه ، فإنَّ الاستشهاد بالأمثال يليه في المرتبة ، حيث حوى الشَّرْحُ عَدَداً وافراً منها [5] جاءت كشواهد

على صحة ما ذهب إليه الشّارح ، فلنورد منها على سبيل المثال قولَه : (مَنْ سَلَكَ الجَدَدَ أَمِنَ العِثَارَ) ، فنجده يستشهد بهذا المثل على قول صاحب الفصيح : (عَثَرتُ أَعْثُرُ) بمعنى سقط لوجهه ، فهو يستشهد ــ هنا ــ على المصدر من (عثر) [6] .

ــ واستشهد على الفعل المضارع ، وعلى المعنى بالمثل القائل (إِنَّ الجَوادَ لا يَكادُ يَعْثُرُ) [7] .

ــ كما نجده يستشهد لِقَوْلِ صَاحِبِ الفصيح على (نَطَحَ الكَبْشُ يَنْطَحُ) فيُورِدُ المثل التالي : (عِنْدَ النِّطَاحِ يُغْلَبُ الكَبْشُ الأَجَمُّ) [8] فهو ــ هنا ــ يستشهد بهذا المثل ليبين أن مصدر : (ناطح وانتطح) : النطاح .

ــ ويُورِدُ المثل : (الأَكْلُ سَرَطَانٌ ، والقَضَاءُ لَيَّان) وقد أتى بهذا المثل للاستشهاد على قوله : " وفَرسٌ سُرَاطِيُّ الجَرْيِ وسَرَطَانٌ كأنه يَسْتَرِطُ الجَرْيَ " [9] .

والملاحظ على الشواهد ــ بصفة عامّة ــ أنَّ الشّارِحَ قد يجمع في استشهاده ما بين الآية القرآنية ، والبيت من الشِّعر ، وقد جاء ذلك في أكثر من موضع في

---

(١) شرحه للفصيح : ٣٣ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٥٧ ، ٥٩ ، ٦١ ، ٩١ .

(٢) نفسه ٣٣ ، ولم أقف له على سند

(٣) شرحه للفصيح : ٥٧ والحديث في البخاري باب : الوصية بكتاب الله عز وجل برقم (٧٤٣٥) ورقم (٤٧٦٣) وفي مسلم ، باب : تحسين الصوت بالقرآن ، برقم (٧٩٢) .

(٤) نفسه : ٦١ .

(٥) انظر شرحه للفصيح الصفحات ١٣ ، ١٧ ، ٢١ ، ٣٤ ، ٣٧ ، ٤٠ ، ٥٣ ، ٥٦ ، ٧٣ .

(٦) شرحه للفصيح : ١١

(٧) نفسه : ١٠ ، ١١ .

(٨) نفسه : ١٤ .

(٩) شرحه للفصيح : ٢٠ .

شرحه [1] . وأحياناً يجمع بين الآية القرآنية والمثل [2] ، وقد يجمع بين هذه المصادر جميعاً ــ القرآن والحديث والشعر والأمثال ، كَمَا بيَّنا سابقاً ــ وقد جاء مثل ذلك أيضاً في موضع آخر من شرحه [3] .

ونخلص مما سبق إلى بيان الآتي :

أ / التزم المرزوقي بأبواب الفصيح وفصوله ، كما هو الحال عند ثعلب .

ب / ألتزم الاختصار وعدم الإطالة في شرحه .

ج / اتضح مذهبه البصري في معالجة المسائل اللغوية والنحوية ، وقد صرح بذلك في شرحه .

د/ نهج الشارح نهج الباحثين المدققين ، فهو ينتقد لآراء ويصرح بالراجح منها .

هـ / ضمن الشارح شرحه إشارات إلى ظاهرة توسع العرب في الأساليب الحقيقة والمجازية .

و / اعتنى بالمسائل التعريفية أكثر من عنايته بالمسائل الأخرى .

ز/ كان في معظم شرحه للفصيح مفرداً اللغة الأفصح تبعاً لثعلب .

ح / يدافع عن صاحب الفصيح ، ويرد إنكار المنكرين عليه بالدليل .

ط / عندما يخالف ثعلباً لا يُشْعِر القارئ بهذه المخالفة ، وإنما يسوق اعتراضه على ثعلب بأسلوب المهذب الملتمس للعذر .

ك / استشهد على فصاحة ما ذهب إليه بالقرآن الكريم والقراءات القرآنية ، والحديث الشريف ، والأشعار والأمثال .

---

(٥) انظر الصفحات : ١٥ ، ٢٠ ، ٢٢ ، ٢٩ ، ٦١ ، ٧٧ .

(٦) نفسه : ١١ .

(٧) نفسه : ١٥ .

التَّلْوِيْحُ فِي شَرْحِ الفَصِيْحِ

لأَبِي سَهْلٍ الْهَرَوِي

((المتوفى سنة ٤٣٣هـ))

تَرْجَمةُ المُؤلِّف [1] :

هو : أبو سهل محمد بن علي النحوي ، ولد في اليوم السابع من شهر رمضان سنة ٣٧٢هـــ في هراة ، وإليها ينسب . نشأفي بيت علم وأدب ؛ إذ كان أبوه من العُلماء البارزين ، فتلقى على يديه بدايات تعليمه المبكر ، وبعد بلوغه سن الطلب أخذ يختلف إلى حلقات العلماء ، خاصة علماء اللُّغة ،فأخذ عن أبي عبيد الهروي ، وأبي أسامة الهروي .

قدم به أبوه مصر ، واستوطنها بسبب الأحوال السياسـية في هراة وبلاد خراسان واستقطاب الفاطميين للعلماء وإكرامهم ، كان رحيله بين عامي (٣٩٢ — ٣٩٩ هـــ) . في أثناء قدومه إلى مصر عَرَّجَ على نيسابور و شيراز و بغداد و حلب ، وهي من حواضر العلم المزدهرة في عصره ، سمع الحديث ببيت المقدس ، وقد تمكن بعد وصوله إلى مصر من الالتقاء بعلمائها والأخذ عنهم ، ثم انتهت إليه رياسة المؤذنين بجامع عمرو بن العاص ، ولعله كان يكسب قوته من هذه الوظيفة ، ومن بيع الكتب التي كان ينسـخها ، وكان العلماء يتنافسـون في اقتنائها ؛ لحسن خطه ، وجودة ضبطه . وكانت وفاته يوم الأحد الثالث عشر من المحرم سنة ٤٣٣هـــ ، وعمره واحد وستون عاماً ـــ تقريباً ـــ .

أولاً / منهجه في الكِتاب :

وقبل الحديث عن منهج الهروي في هذا الشرح ، أشير إلى أن له مصنفات عدة ، والذي يعنينا منها تلك المصنفات التي تناولت كتاب الفصيح ، وفي مقدمتها :

---

(١) ـــانظـــر ترجمته في : معجم الأدباء ٢٦٣/١٨ ، وإنباه الرواة ١٩٥/٣ ، وبغية الوعاة ١٩٠/١، ١٩٥ ، والبلغة للقنوجي ٣٣٦، ٣٣٧ ، وتاريخ الأدب العربي لبروكلمان ٢١١/٢

ــ إسفار الفصيح ، وهو من أشهر مؤلفاته ، وسيأتي الحديث عنه في الباب الثاني من هذا البحث .

ــ وله كتاب التلويح في شرح الفصيح ، وهو مدار بحثنا هنا .

ــ وله أيضاً تهذيب كتاب الفصيح . ولكن الذي يعنينا في هذا المقام هو كتاب التلويح في شرح الفصيح ، ويعد اختصاراً لكتاب الإسفار ، والذي أوضح الشارح فيه منهجه بقوله : " ... فاختصرتُ لهم مِنْه أشياء تكفيهم معرفتُها ، وتنشطُهم في حِفْظِها نزارتُها ، وأثْبتُها في هذا الكِتَابِ ووسمته بكتاب : (التلويح في شرح الفصيح)[1] ... " .

وقد رسم الهروي لنفسه منهجاً في هذا الكتاب نوجزه في الآتي :

أ / لم يذكر شاهداً على شيء من الفصول في هذا الكتاب

ب/ لم يذكر جمعاً لاسم ولا تصريفاً لفعل ، ولا مصدراً له .

ج / لم يذكر اسم فاعل ولا مفعول ، إلا ما أثبته ثعلب في الأصل .

د / لم ينبه على شيء من الفصول التي أثبتها ثعلبٌ في غير أبوابها ، وأحالها عن جهة صوابها ، كما جاء في مقدمته .

وإنما فعل الهروي هذا في منهجه طلباً للإيجاز والتخفيف ، وقد صرح بذلك في مقدمته ، وكل ذلك من أجل التنقية اللغوية .

ثانياً / مَعَالِمُ شَرَحِهِ :

ويمكن إبرازها في الآتي :

---

(١) مقدمة التلويح .

أ/ يذكر المعاني التي لم يذكرها ثعلب ، ويقوم بتفسيرها ، فهو يأخذ عبارات ثعلب ثم يوضحها بعبارات قليلة موجزة ، كقوله على سبيل المثال : " وقَنِعَ الرَّجلُ ، إذا رضي باليسير مما قسمه الله له " [1] . وفعل ذلك في معظم مواد الكتاب .

ب/ أحياناً ينبه على أشياء مهمة لم يذكرها ثعلب ، فعند كلامه على قول ثعلب : (وعَسَيْتُ أن أفعلَ ذَاكَ) قال : " أي رجوت وطمعت في فعله ، ولا يُقال منه يَفعلُ ولا فاعل ، ولا يقال منه : يَعْسَى ولا عاسٍ " [2] . وقد نبه إلى هذا لكون عسى فعلاً جامداً .

ج / أحياناً يضبط الكلمة إذا كانت تحتاج إلى ضبط ، كقوله : " وَلَغَ الكلبُ في الماء يَلَغُ ، إذا أدخل لسانَهُ فشرب ، وهو يُوْلَغُ ، بضم الياء وفتح اللام " [3] ، واعتنى بمثل هذا الضبط في أكثر مواد كتابه .

د/ أحياناً ينتصر لثعلب فيما ذهب إليه ، ففي كلامه على قول ثعلب : (وغَلَت القدْرُ فهي تَغْلِي) ، يذهب إلى أن الذي اختاره ثعلب هو الفصيح ، مستشهداً على فصاحة ذلك ببيت لأبي أسود الدؤلي [4] .

---

(٢) التلويح : ١٧ .

(١) التلويح : ٤ .

(٢) نفسه : ٥ .

(٣) نفسه : ٦ .

ثالثاً / مَذْهَبُهُ فِي تَنْقِيةِ اللُّغَةِ كما جاء في شرحه للتلويح :

سار الهروي ـــ في جُلِّ أبواب كتابه (التلويح في شرح الفصيح) ـــ على طريقة ثعلب في الفصيح ؛ فكان في الأغلب الأعم يقتصر على ذكر الأفصح من اللُّغات ، ويغفل ما سواه ؛ لذا جاء تلويحه مختصراً ، حَيْثُ لم يزدْ على فصيح ثعلب سوى النذر اليسير ، خلال تفسيره لبعض المعاني المتعلقة بالدلالات اللُّغوية . ويمكن القول بأن مذهبه في التَّنقية يَتمثّل في متابعته لثعلب في الوقوف عند اللُّغة العالية ، وإغفال ما عداها ، وقد سلك في ذلك مسلكين يتضح معهما منهجه في تنقية العربية ، هما :

أ ـــ مَسْلَك الاختيار :

وهو الغالب على طبيعة الكتاب ، ومن أمثلة ذلك :

ـــ اقتصاره على : ذَوَى العودُ يَذْوِي[1] ؛ لكونها لغة الفصاحة والعلو ، وقد سَكَتَ عن (ذَوِيَ ، يَذْوَي) والتي حكاها جمعٌ من اللُّغويين[2] .

ـــ أفرد : (رَعَفَ يَرْعُفُ)[3] كما حكاها ثعلب وسَكَتَ عن لُغتين حكاهما غير واحد ، هما : (رَعُفْتُ ، ورَعِفْتُ) بضم العين وكسرها [4] .

---

(١) التلويح : ٣ .

(٢) حكاها : ابن السكيت في الإصلاح ١٩٠ ، وابن قتيبة في أدب الكاتب ٤٧٥ ، والسرقسطي في الأفعال ٦٠٤/٣ ، وابن القطاع في أفعاله ٣٩٨/١ ، وانظر : اللسان (ذوى) .

(٣) التلويح : ٤

(٤) حكاهما : ابن السكيت في الإصلاح ١٨٨ ، وابن قتيبة في أدب الكاتب ٤٢٢ ، ٤٧٦ ، وابن مكي في تثقيف اللسان ٢٦٢ ، وانظر الصحاح (رعف) .

ـــ وقف عند لغة الفصيح (رَضِعَ المولودُ يَرْضَعُ)[1] وسكت عن (رَضَعَ ، يَرْضِعُ) والتي حكاها جمعٌ من اللُّغويين [2] .

ـــ اقتصر على : (أَسْفَفْتُ الخُوصَ) ، إذا نسجتَهُ[3] وهي اللغة التي حكاها صاحب الفصيح ، وسكت الشَّارح عن (سَفَفْتُ) ، بغير ألف ، وهي لُغة أيضاً حَكَاها جمعٌ من اللُّغويين [4] .

ب ـــ مَسْلَك التصويب :

وهو المسلك الثاني الذي نحاه الشَّارح في تنقيته ، ومن أمثلة ذلك :

ـــ يرى أن الفصيح أن يقال : لَقِيْتُهُ لَقْيَةً ، بفتح الميم ، ولِقَاةً ، بكسرها ، وأنكر أن لا يقال : لَقَاة ، بفتح اللام ، وصرَّح بخطئها[5] . وقد وافق الشَّارحُ ما حكاه جمعٌ من اللُّغويين [6] .

ـــ يقرر بأنَّ الأفصح أن يقال : تِلْكَ المرأة ، وتيك المرأة ، وينبِّه إلى أنَّه لا يقال : ذِيك المرأة ، وخطَّأ ذلك [7] وقد وافق قولُه ما حكاه جمعٌ من أئمة اللُّغة [8] .

---

(١) التلويح ٨ .

(٢) حكاها : أبو عبيد في الغريب المصنف ٢/٥٨٦ ، ٦٠٧ -٦٠٨ ، وابن السكيت ٢١٣ في الإصلاح ، والسرقسطي في أفعاله ٣/٩١ . وانظر : الصحاح ، والمصباح (رضع) .

(٣) التلويح ٢٥ .

(٤) انظر : الجمهرة ٣/١٢٥٩ ، وفعلت وأفعلت للزجاج ٨٨ ، والصحاح (سفف) .

(٥) التلويح ٩٦ .

(٦) حكاه : ابن السكيت في الإصلاح ٣١١ ، والصفدي في تصحيح التصحيف ٤٥٦ ، وانظر : الجمهرة ٢ /٩٧٧ ، والصحاح (لقي) .

(٧) التلويح ٨٧ ، وانظر ص : ٩٨ .

(٨) حكاه : ابن السكيت ٣٤٢ ، وابن درستويه في شرحه للفصيح ٤٦٧ ، والزمخشري في شرحه للفصيح ٦٥١ ، وابن الجوزي في تقويم اللسان ٨٦ . وانظر : الصحاح (ذا) .

رابعاً / موقِفُهُ مِنَ اللُّغاتِ :

نجده في الأعم الأغلب متابعاً لصاحب الفصيح في إيراد ما ذكره من لغات ، ويمكن إبراز موقفه من هذه اللغات في الآتي :

أ / نجده يقف عند اللغة الأولى التي اقتصر عليها ثعلب ، وقد فعل ذلك في معظم أبواب الكتاب . وقد فصلنا الكلام في ذلك أثناء حديثنا عن مذهبه في تنقية اللغة .

ب / أحياناً يصرح بفصاحة لغة بعينها ويقدمها على غيرها من اللغات ، ففي باب : (ما يُقَالُ بلُغتين) يذكر أن بغدادَ ، بدال غيرُ معجمة ، هي اللُّغةُ الفصحى[1] ، كما هو الحال عند ثعلب .

ج / أحياناً نجده موافقاً لصاحب الفصيح في ذِكْرِ المستوى الصَّوابي لِلُّغَةِ من حيث الفصاحة ، ففي بابِ : (المفتوح أوله من الأسماء) يصرِّح بأنَّ قولهم : الحربُ خَدْعة ــ بفتح الخاء وسكون الدال ، أفْصَحُ اللُّغاتِ[2] . فالهروي ــ هنا ــ يذهب مع ثعلب إلى أن (خَدْعَة) أفصح اللغات ؛ وذلك لكونها لغة الرسول صلى الله عليه وسلم .

د/ وأحياناً يصرح بلغة أخرى سكت عنها صاحبُ الفصيح ، كقوله في بابِ : (من الفرق) : " وهو الظُّفُرُ من الإنسان ، بضم الظاء والفاء ، وتسكين الفاء لُغة أيضا " [3] . وفي موضع آخر حكى : ومن ذوات الحافر والسباع والأطْبَاءُ ، والواحد : طُبْيٌ ، بضم الطاء وسكون الباء ، وينبه إلى أنَّ كسر الطاء أيضاً لُغة[4] .

---

(١) التلويح : ٨٣ .

(٢) نفسه : ٤٦ .

(٣) نفسه : ١٠١ .

(٤) نفسه : ١٠٢ .

هـ / أحياناً يذكر لغتين تبعاً لثعلب ، فهو يذكر في باب : (فَعِلْتُ بكسر العين) : أنّ بَرِئْتُ من المرض ، وبَرَأْتُ أيضاً بالهمز لغتان[1] . وحكى في باب : (فَعِلتْ وفَعَلت باختلاف المعنى) أنّ : سَخِنَ الماءُ وسَخُن ــ بفتح الخاء وضمها ــ لغتان أيضاً[2] ، وقد حوى الكتاب أمثلة أخرى على هذا النوع نشير إليها في مظانها[3] .

و / وأحياناً يتابع ثعلباً حاكياً ما أثبته من لغات ففي باب (المفتوح أوله من الأسماء) يقول " وهو صَدَاقُ المرأةِ لمهرها ، وإن شئت صَدُقَةٌ ، بفتح الصاد وضم الدال ، وصُدْقَةٌ بضم الصاد وسكون الدال ، ثلاث لغات " [4] .

ز/ أما ما يخص لغة العامة فقد وجدت أنّ الهروي قد صرّح بذكر إحداها مما سكت عنها صاحب الفصيح ، وذلك في موضع واحد ــ فقط ــ في كتابه ، فحكى أنّ العامة تقول : كَسَفَت الشَّمْسُ ، وخَسَفَ القَمرُ ، بالكاف فيهما جميعاً ، إذا أنّه لم يشر إلى مستواها الصوابي[5] .

خامساً / عِنَايَتُهُ بِالضَّبْطِ :

اعْــتنى الهرويُّ في كتابه هذا بعمليةِ ضَبْطِ الحروف والحَركَاتِ ، وقد تنوَّعتْ أساليبُ الضَبْطِ لديه ، فكانت على النحو التالي :

---

(١) التلويح : ٨ .

(٢) نفسه : ١٨ .

(٣) انظر نفسه : ٢٧ ، ٣٨ ، ٤٥ ، ٨٨ .

(٤) التلويح : ٤٣ ، وانظر ص ٨٧ .

(٥) نفسه : ٩٩ .

أ / الضَّـبْطُ بالنَّصِّ على الحركة : وهو الأكثرُ عنده ، والغالب على كتابه ومن أمثلة ذلك نَذْكُرُ قوله :

ـــ وهو يُولَغُ : بضم الياء ، وفتح اللام [1] .

ـــ وازْرُرْ عليك قميصك : بضم الراء الأولى ، وسكون الثانية [2] .

ـــ ومثل هذا الضبط ورد كثيراً في ثنايا الكتاب [3].

ب / الضَّبْطُ بالمِيْزانِ الصَّرْفِي : ومن أمثلته ، قولُه :

ـــ ودَفِئ الرَّجلُ فهو دَفْآن ، على مثل سَكِرَ فهو سَكْوان [4] .

ـــ والجرَّةُ مَلأى ماءً ، بالهمز : على وزن فَعْلى [5] .

ج / الضَّبْطُ بالتَّنْظِيرِ : ومن أمثلته عنده ، قولُه :

ـــ وقد وَبِئَتْ ، على مثال : حَذِرَتْ [6] .

ـــ ورجلٌ له رُوَاءٌ ، بالضم والهمز والمد ، على مثال : رُعَاع [7] .

ـــ وهي الحِدْأَةُ ، بالهمز ، وجمعها : حِدَاءٌ ، على مثال : عِنبة وعِنَبْ [8] .

---

(١) التلويح : ٥ .

(٢) نفسه : ١١ .

(٣) انظر الصفحات : ٥ ، ٦ ، ٨ ، ١٣ ، ٤٤ ، ٥٢ ، ٥٧ ، ٦٤ .

(٤) نفسه : ٢٨ .

(٥) نفسه : ٩٢ ، وانظر ٢٧ ، ٦٩ .

(٦) نفسه : ٢٩ .

(٧) نفسه : ٤٢ .

(٨) نفسه : ٥١ .

سادساً / عِنَايَتُهُ بأقْوَال أئِمَّةِ اللُّغَةِ وعُلَمَائِهَا :

نَقَلَ الهرويُّ في تلويحِه عن بعضِ أئمَّة اللُّغة وعُلمائها ، فجَاءَ نَقْلُهُ عَنْ كُلٍّ مِنْ :

يونس [١] ، وأبي زيد [٢] ، و الفرَّاء [٣] ، وابْن الأعرابي [٤] ، وأبي حنيفة [٥] ، وابْــن دريــد[٦] ، وأبي العباس المبرد [٧] ، وابن دُرُسْتَويه [٨] . وهو في نقله عن هؤلاء الأئمة يستشهد على لغة الفصاحة والعلو ، والذي تميز به مذهبه في التنقية اللغوية . .

سابعاً / شواهده :

اعتمد الهروي لبيان فصاحة ما ذهب إليه من أجل التنقية على :

أ / القُرْآنُ الكَرِيمُ :

خَلَتْ صفحات تلويح الهروي الثمان والثمانون الأولى من أي شواهدٍ قرآنية ، ثم تأتي بعدها بندرة في صفحات متقاربة ــ نسبياً ــ في آخره، حيث لم تتجاوز في مجموعها أربع آيات [٩] ، كانت نصيب مؤلَّفه من الاستشهادِ بالقرآنِ الكريمِ .

---

(١) التلويح ٢٨ .

(٢) نفس الصفحة .

(٣) انظر الصفحات ٤٤ ، ٤٥ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ٩٩ .

(٤) انظر الصفحات : ٢١ ، ٢٨ ، ٥٧ ، ١٠٢ .

(٥) نفسه ٩٢ .

(٦) نفسه ٦٢ .

(٧) نفسه ٩٣ .

(٨) نفسه ٨٣ .

(٩) انظر التلويح الصفحات ٨٩ ، ٩٣ ، ١٠٠

ب / القراءات :

وإنْ كان استشهاده بالآيات القرآنية نادراً ، وكان فيها شحيحاً ، فقد انعدمت استشهاداته بالقراءات القرآنية ، وخلا كتابُه منها تماماً .

ج / الحَدِيْثُ الشَّرِيْفُ :

ولم يكن نصيب الأحاديث الشريفة بأفضل من القراءات القرآنية ، حيث خلا (تلويحه) ـــ أيضاً ـــ منها تماماً .

د / الشِّعْرُ :

أكثرَ الهرويُّ من الشواهد الشِّعْرِية ـــ مقارنة باستشهاده النادر بالآيات القرآنية الكريمة ، والمنعدم بالنسبة للقراءات ، والأحاديث النبوية الشريفة ، والأمثال ـــ وقد أَحْصَيْتُ منها واحداً وستين بيتاً ، جاءت منثورة بين ثنايا شرحه ؛ إمّا لبيان فصاحة مادة لُغة ما ، أو لتوضيح معناها الدِّلالي ، أو غير ذلك . وهي في مجملها تعتبر وفيرة ـــ سواء ـــ مقارنةً بغيرها من الشواهد الأخرى ، أو مقارنةً بحجمِ الكِتَابِ ؛ إذ أن التلويح مختصرٌ عن الإسفار ، فلا غرابة من أن يخلو من بعض الشواهد الأخرى ، كما ألمحنا أعلاه .

هـ / الأمثال :

وقـــد اقتصر على ما ذكره ثعلب في باب : (ما جرى مثلاً وكالمثل) ، فلم يستشهد بأي مثلٍ آخر .

التَّصريح بشَرح غَريبِ الفَصِيح

لِلتُّدْمِيري

(المتوفى سنة ٥٥٥هـ)

ترجمة المؤلف :

هو (أحمد بن عبد الجليل بن عبد الله ، ت٥٥٥ هـ) يكنى أبا جعفر ، وأبا العباس ، اشتهر بالتُّدْمِيري ، لأنه أصلة من (تُدْمِير) إحدى مدن الأندلس ، ولم تذكر المصادر تاريخ ولادته ، وذكر السيوطي أنه كان مُقدَّماً في صنعة الأعراب ، ضابطاً للغات ، حافظاً للآداب ، ذا حظ من قَرْض الشعر ، روى عن أبي الحجاج بن يَسْعُون ، وابن وضاح ، وعبد الحق بن عطية ، وصنَّفَ التوطئة في النحو ، وشرح الفصيح وشرح أبيات الجمل ، وشرح شواهد الغريب للعزيزي(١) .

أولاً / سبب تأليفه للكتاب :

أوضح التدميري ومن خلال خطبة كتابه أنَّ السبب في تأليفه لهذا الكتاب عائد إلى أمور منها :

أ / أهمية كتاب الفصيح ، وما حواه من مادة لغوية ، تهدف إلى تنقية اللغة العربية .

ب / شـرح ما يراه في الفصيح بحاجة إلى الشرح والتوضيح مما أغفله ثعلب صاحب الكتاب .

ج / خدمـة للغة العربية ، لغة القرآن الكريم ، وصيانة للسان العربي عن الانحراف والاعوجاج .

---

(١) ترجمته في : إنباه الرواة ٥٤/١٥ ، وجذوة الاقتباس ٦٩ ، وبغية الوعاة ٣٢١/١ ، وإشارة التعيين ٣٢

ثانياً / مَنْهَجُهُ فِي عَرْضِ المَّادةِ :

أ / التزمَ التُّدميريُّ بشرحِ الغريب من معاني الفصيح وألفاظه مُضْرِباً عن الإطالةِ والإسْهابِ ، مُقْتصراً على الإيجاز والاختصار ، وقد صرَّحَ بذلك قائلاً : "وعن وجوب ما قُمْتُ لحُفّاظِه بشرحِ الغريب من معانيه وألفاظه على حسب ما يقتضيه الاقتصار من الإيجاز والاختصار ، ويتضمنه الإضْرابُ عن الإطَالةِ والإسْهابِ " [١] .

ب/ افتتح شرحه لغريب الفصيح بمقدمة ذكر فيها سبب تأليفه لهذا الكتاب ، مبيناً فيه قيمة فصيح ثعلب وأهميته وهذه الأهمية هي التي دعته لشرح كتاب الفصيح .

ج / أبان في منهجه بأنه سيهتم بما يراه في الفصيح بحاجة إلى الشرح ، أي تلك المواد التي لم يشرحها أحد من قبل .

د / سار على طريقة ثعلب في فصيحه ، في ترتيبه لأبواب الفصيح من غير تقديم أو تأخير .

هـ / قسَّمَ الغَرِيْبَ أنواعاً :

١) نَوْعٌ جَاء مُفَسَّراً في الفصيح .
٢) نَوْعٌ آخرٌ أغْفَلَ ثعلبٌ شَرْحَهُ .

وهذا الأخير ـــ الذي أغفله ثعلب ـــ ينقسم إلى قسمين :

ـــ قِسْمٌ وَقَعَ مُفَسَّراً ومَشْرُوحاً في روايات بعض اللُّغويين .

ـــ قِسْمٌ لم يُفَسَّرْ أصلاً في أي رواية من الروايات ، وهذا الأخير هو المقصود عند التُّدميري بشرح غريب الفصيح .

---

(١) انظر مقدمة الشرح ص ٤ .

وها هو يقرر هذه الحقيقة بقوله : " إنَّ غَرِيْبَ هذا الكِتَابِ ينقسم على ضربين ضرب قد فَسَّرَه المؤلِّفُ بنفسه فاكتفينا من ذلك مؤونه التكلُّف ، وضرب قد أهمله وأعرض عن تفسيره صفحاً ، وذلك على قسمين ... "[1] . ولم يُشِرْ التَّدميري في مقدِّمته إلى الطريقةِ التي سَيَتَّبِعُها في شرحِهِ لغَرِيْبِ الفصيح ، أو كَيْفَ سيتعاملُ مع نصِّ الفصيح .

ثالثاً / مَعَالِمُ شَرْحِهِ :

وبدراسة هذا الشرح اتضح لنا الملامح المنهجية التي سلكها التُّدميري في شرح غريب الفصيح ، فأوجزناها في الآتي :

١) الشَّرْحُ بالإيجَاز :

التزم التُّدميري بهذا الشرط في بعض المواضع ، حيث عرض لشرح اللفظ بما يناسبه من معنى ، شرحاً موجزاً ، ومن أمثلة ذلك :

أ / الاقتصار على ذكر المعنى فقط ، فهو يذكر أنَّ معنى : (كَلَّ بصري كُلُولاً) ، أي ضَعُفَ عن الإبْصَارِ والرُّؤْيَةِ ، ويضيف : وكذلك السيف إذا نبا عن القَطْعِ والتأثير[2] .

ب/ يذكر المعنى واللغةَ الثانية ، ففي كلامه على قول ثعلب : (نَمَى المالُ وغيرُهُ يَنْمي) يفسره بمعنى : كَثُرَ وزادَ ، وينبِّه إلى أنَّ المالَ هنا قد يكون الإبل وقد يكون غير ذلك ، ويصرِّح بأنَّ نَمَا يَنْمُو ـــ أيضاً ـــ لُغة[3] .

---

(١) شرحه لغريب الفصيح ٤ ، ٥ .

(٢) نفسه : ٢٢ .

(٣) نفسه : ٧ .

ج / ينبه على الفروق بين المعاني ويذكر بالإضافة إلى لغة الفصيح لغة ثانية كقوله : ففي كلامه على قول صاحب الفصيح (شَحُبَ لَوْنُهُ يَشْحُبُ) ينبِّه إلى أنَّه بالضم والفتح في المضارع ، وهو عنده بمعنى تَغيَّر وقيل تَغيَّر بضمور . ويصرِّح بأنَّ شَحُبَ يَشْحُبُ بالضم فيهما لُغة (١) .

و لم يقتصرْ الشَّارحُ في مجال الإيجاز على شَرْحِه للأفعال ، بل حتى في الأسماء فإنه يستعرض ما فيها من لُغات ، ويشرح بعض معانيها على وجه الاختصار ، ومن أمثلة ذلك :

أ/ يذكر المعنى وأصل الاشتقاق ، كقوله : " وهو في رَخَاءٍ من العيش ، أي في رَغَدٍ منه وسَعَةٍ ، وكأنه مأخوذ من الشيء الرَّخْوِ وهو اللَّيِّنُ الرَّطْبُ " (٢) .

ب / موافقته لثعلب بما ذكره من لغات ، ثم يضيف ما فيها من لغات أخرى أحياناً ، فهو يذكر قول ثعلب : (وهو صَدَاقُ المرأةِ ، وإن شئت صَدُقَةٌ وصَدْقَةٌ) ويصرِّح بأنَّ هناك من زاد لغة ثالثة هي : صِدَاقُ المرأةِ ، بكسر الصاد ــ أيضاً ــ وينبِّه إلى أنَّه معروف(٣) .

ج/ ينبه على الفروق بين الأسماء ، وهذا التنبيه مهم لتحديد المعاني ، وكل ذلك حرصاً على التنقية ، كقوله : " وهو الشَّنْفُ يعني القِرْطُ الذي يُعلَّقُ في الأذن ، وقيل : إنما الشَّنْفُ ما يُعلَّقُ في أعلى الأذن ، وجمعه شُنُوفٌ ، والقِرْطُ ما يُعلَّقُ في أسفلها ، وجمعه أقْرَاطٌ " (٤) .

---

(١) شرحه لغريب الفصيح : ٢٣

(٢) نفسه : ١٩٦ .

(٣) نفسه : ١٩٦ .

(٤) نفسه : ١٩٧ .

د / يجمع ــ أحياناً ــ بين المعنى واللغة الثانية ، فهو يذكر أنّ فصَّ الخَاتمَ هو : الحَجَرُ الذي فيه من ياقوت وغيرِه ، وينبِّه بقوله : وهو معروف ، ويصرِّح بأنَّ فِصَّ الخَاتمَ بالكسر ــ أيضا ــ لُغة [1] .

٢) استطراده في المسائل اللغوية :

وقد جاء هذا الاستطراد في ذكره للفعل (هَرَقَ) فيأخذُ من اهْتمامِ الشَّارح الشيء الكثير ، فينْسَاقُ وراء تَغيُّر أصْل الفِعْلِ ، وما حدث فيه انسياقاً لم يسلمْ معه من التِّكْرَار ، فيستعرض قولاً لسيبويهِ ، ويأتي بالشواهد الشِّعرية على هذا الفعل ؛ ليسْتغرق منه ذلك من الصفحاتِ ثلاث بأكملهنْ [2] . والسبب في هذا الاستطراد ما وجد من خلاف بين النحاة واللغويين حول (هرق) فأراد الشارح أن يُنبِّه على ذلك .

٣) استطراده في ذكر المسائل النحوية :

ــ وقد يتكرَّرُ مثلُ هذا كثيراً في تضاعيف شرحه ، فالفعل : (زَرَرْتُ) استغرق في شرحه وعرض لغاته المختلفة نحو خمس صفحات ملأها بالمباحث النحوية ، مستقصياً لحالات الرَّفع والنَّصب والجرِّ [3] . ويتضح اهتمامه بالتفصيلات النحوية من خلال إعرابه لشواهد الفصيح إعراباً كاملاً ، كما في إعرابه لبيت مالك بن الريب المازني والذي أخذ منه صفحتين كاملتين [4] ، وكذا فعل مع بيت القُطَامي ، فأخذ يعربه كلمة تلو الأخرى ، فأخذ منه ست صفحات [5] .

---

(١) شرحه لغريب الفصيح : ١٩٧ .

(٢) نفسه : ٤٧ .

(٣) نفسه : ٥٨ - ٦٢ .

(٤) نفسه : ٧١ .

(٥) نفسه : ١٧١ — ١٧٦ .

ـــ ويُلاحَظُ اعتِماد الشَّارح في المسائل النحوية على سيبويهِ ؛ إذ تَعَدَّدَ ذِكره له ولأقوالِه في مواضع كثيرة ، بينما نجده يكتفي بالإشارة إلى ما سواه ، بقوله : (وقَوْمٌ من النحويين) ، إلا أنَّ هذا لم يكن ليمنعه من أن يستعرض أوجه الخلاف في بعض المسائلِ النحوية بين سيبويهِ وبين غَيرِه من العلماء البصريين ، كقوله في إعراب لفظ (مُحَيُّوك) [1] .

٤) استطراده في ذكر المسائل التصريفية :

إضافة لما يأتي به التُّدميري من مباحث في الصِّيَغ وأحوال إعرابها في شواهد الفصيح ، يملأ تأليفه بالمباحث الصرفية ، وذلك في تتبعه لأحوال الأفعال ، فيذكر أصولها ويتتبع ما يحدث فيها من إعلال وإبدال وإدغام ، حتى ينتهي إلى ما هي عليه ، كما فعل مع الفعل (حُشْ) في قوله : " حُشْ عليَّ الصَّيْدَ " [2] ، وكذلك في صيغ المشتقَّات كأسماء الفاعلين والمفعولين ، وأسماء المكان والزَّمان ، واسم المرة ، والهيئة ، وقد استغرق هذا الاهتمام بالمباحث الصرفية جانباً هاماً من شرحه على الفصيح ، حتى كاد يَطْغى على الجانب اللُّغوي والأدبي بين ثناياه .

٥) إسناد الأقوال إلى العلماء :

ـــ في الكِتاب حَشْدٌ كبير لأقوال العلماء وشروحهم ، فطبيعة التُّدميريُ في شرحه تعتمد على أن يسند الأقوال إلى أصحابها ، زيادة في التوثيق والتأكيد ، وكل هذا من أجل تنقية اللغة ، لذا فلا غرو أنْ يَكْتَظَّ مثل هذا الشَّرْح بأقوالٍ لأئمة اللُّغةِ وعُلمائها ، فمن أبرز هؤلاء العلماء : الخليل ، والأصمعي ، وابن الأعرابي ، والكسائي ، والفرَّاء ، وابن السِّكِّيت ، وابن قُتيبة ، والزَّجَاجي ، وابن دُرُسْتُويه ، وغيرِهم .

---

(١) شرحه لغريب الفصيح : ١٧١ .

(٢) نفسه : ٦٧ .

٦) يستعرض وجهة نظر المدارس النحوية في بعض المسائل الخلافية كالتي بين مذهب البصريين ومذهب الكوفيين ـــ إذا استدعى الأمر ذلك ـــ ، كما في قوله : " وقال الكوفيون هذا من الشاذ ، وكان يجب أنْ يُقالَ : شائل ؛ لأنه شئ لا يكون إلا للإناث خاصة ، مثل : الحائض والطامث ، قال : وهو عند البصريين جائز حسن ؛ وذلك أنهم يجوزونه على الفعل ، فيقولون : شَالَتِ الناقةُ تَشُولُ فهي شَائلةٌ " (١) .

٧) يكتفي بذكر بعض الأقوال دون أن يحدد مصادره في ذلك ، ففي قوله : "والسَّيْلَحُون ، قرية ببغداد ، قال أبو يوسف ، والعامَّة تقول لها : (السَّالحون) " (٢) دون أنْ يَذْكُرَ اسم الكِتَابِ الذي أخذ منه ، إلا في النَّادِرِ ، وكقولِه : " قال أبو محمد ابن قُتيبة ـــ رحمه الله ـــ " (٣)

وغالباً ما تكون هذه الكنية مبهمة ، كقوله : " قال أبو جعفر " ونقل عنه في موضعين (٤) . وقوله : " أنشدني القاضي أبو محمد " ونقل عنه في ثلاثة مواضع (٥)

٨) ذكره لأعلام بلده : وإذا كان التُّدميري قد أغْفَلَ ذِكْرَ الأندلسيين في استشهاداته الشِّعرية ، فإنه اعتمد أقوال علمائهم ، حيث سَاقَ عَدداً من أبرز

---

(١) شرحه لغريب الفصيح : ٥١٣

(٢) نفسه : ٤٨٧ .

(٣) انظر الصفحات : ٣٤ ، ٥٧ ، ٢٦١ ، ٢٧٧ ، ٣٠٧ ، ٣١٧ .

(٤) نفسه : ٢٣٥ ، ٢٦٤ .

(٥) نفسه : ٤٨٩ ، ٥١٦ ، ٥٢٠ .

أعلامهم ، مثل : الأعلم الشنتمري[1] ، وأبي جعفر النَّحَّاس[2] ، وعبد الدائم القيرواني[3] ، وأبي بكر الزبيدي [4] .

ومع هذا الإنصاف لهؤلاءِ العلماء الأندلسيين ، ولجهودهم اللُّغوية التي لا تُنْكر ــ إذ اعتمد مؤلفاتهم ، ونقل أقوالهم ــ إلا أنَّه لم يُشرْ ولو نزراً يسيراً إلى مؤلفاتهم حول الفصيح ــ لثعلب ــ ، لا سيما عند من سبقوه منهم في شرحه ، كشَرْح مكي بن أبي طالب ، وشرح ابن السِّيد ، علماً بأنه قد نَقَلَ العديد من آراء الشُّرَّاح المشارقة [5] ، فتعرض لمؤلفاتهم ذات الصلة بالفصيح ، سواء شروحه ، أو الانتقادات التي دارت حوله ، فذكر في هذا الصددُ ما قام به أبو اسحاق الزَّجاج ، ونقل رَدَّه على ثعلب [6] ، كما ذكر ــ أيضاً ــ علياً بن حمزة البصري [7] ، وابن دُرُسْتُويه[8] ، بالإضافة إلى نقله عن الزمخشري [9] .

وثمة معالم أخرى أوردها أحد الباحثين [10] ومنها :

أ / دقة التُّدميري في متابعته لأبواب ثعلب ومواده .

ب/ أمانته العلمية عند نقله أقوال العلماء فهو يعزو كل قول إلى صاحبه .

---

(1) شرحه لغريب الفصيح : ٣٨٦ .

(2) انظر الصفحات : ٨٥ ، ١٠٧ ، ٢٣٤ ، ٢٩٤ .

(3) لم يذكره محقق الشرح ، وذكره الشارح في لوحة ٧٨ .

(4) شرحه لغريب الفصيح : ٣٦٨ .

(5) كالزجاج ، وعلي بن حمزة البصري ، وابن درستويه ، والزمخشري

(6) شرحه لغريب الفصيح : ٢٣٥ ، ٢٣٦ .

(7) نفسه : ٤٦١ .

(8) انظر الصفحات : ١٥٧ ، ٢١٢ ، ٢٥١ ، ٢٨٨ ، ٢٩٩ ، ٣٠٧ ، ٣٤٣ ، ٣٦٩ ، ٣٧٣ ، ٣٩٣

(9) نفسه : ١٧ .

(10) ذكرها عبدالرحمن الحازمي محقق كتاب (جهود اللغويين الأندلسيين في التصريب اللغوي إلى نهاية القرن السادس الهجري ، مع دراسة وتحقيق كتاب التصريح بشرح غريب الفصيح للتدميري) ص ٢٦٣ ، ٢٦٤ .

ج / إلمامه بتناول جميع قضايا الفصيح ، كاللغوية ، والنحوية والصرفية والعروضية ، تناولاً شاملاً .

د / انفراده من بين شراح الفصيح ــ المتوفرة شروحهم ــ بشرحه لأبيات الفصيح ، وعنايته بإعرابها إعراباً تاماً ، مع تنبيهه على البحور والزحاف والعلل ، وتحديد الشاهد ووجه الاستشهاد .

هـ / اعْتَمَدَ في شَرْحِه على من سبقه من شُرَّاحِ الفصيح ، فنقل عن ابْنِ دُرُسْتُويه ، وابْنِ خالويهِ والزمخشري ، وقد صرَّح بذلك قائلاً :

" حَكَى الزمخشريُّ في شَرْحِه الفصيح ... " [1] .

" قال ابْنُ دُرُسْتُويهِ ... ، وذَكَرَ ابْنُ دُرُسْتُويهِ ... " [2] .

" قال ابْنُ خالويهِ ... ، وذَكَرَ ابْنُ خالويهِ ... ، وعن ابْنِ خالويهِ ..." [3] .

و / انفراده بإيراد مواد ليست في الفصيح المطبوع بين أيدينا ، ومنها :
(جصَصَ) [4] ، (عَنْــزٌ رَمِيٌّ) [5] ، (أُذْنُ فَاطْعَمْ ، فَقُلْ مابِي طُعْمٌ) [6] .

ز / رُدوده على بعض العلماء في كثير من المسائل اللغوية ، كَرَدِّه على ابن درستويه في أن (نشيان) من الواو ، وليس من الياء [7] . كما خطأ قولهم : (عِرْق النَّسَا) وأن الصواب عنده : (النَّسَا) ؛ لأنه العرقُ بعينه [8] . وكذا رده على

(١) شرحه لغريب الفصيح : ١٧ .

(٢) انظر الصفحات : ١٥٧ ، ٢١٢ ، ٢٥١ ، ٢٩٩ ، ٣٤٣ و ٣٦٩ ، ٣٧٢ ، ٤٩٣ .

(٣) انظر الصفحات : ٢١٠ ، ٢٢١ ، ٤١٥ .

(٤) شرحه لغريب الفصيح : ٢٣٢ .

(٥) نفسه ٣٦٢ .

(٦) نفسه ٣٩١ .

(٧) نفسه ١٥٧ .

(٨) نفسه ١٩٢ .

صاحب (العين) في تعريفه (الأُوقية) بأنها زنة سبعة مثاقيل ، وزنة أربعين دِرْهَماً ، وقال : إن الصواب هو: أنها تختلف باختلاف البلدان والأزمان [1] .

ح / نقله عن ابن جني كلاماً يُرجِّحُ أنه من شرحه للفصيح ، وهذا الشرح مفقود[2] .

رابعاً ـ منْهَجُهُ فِي تَنْقِيةِ اللُّغَةِ ، وكما جاء في شرحه لغريب الفصيح :

أبو العباس التُّدْميري أحد المغاربة الذين اعتنوا بشرح الفصيح ، ويُعَدُّ من أصحاب التَّنقية اللُّغوية ، الذين لا يتعاملون إلا بالأفصح من اللُّغات ، وقد صَنَّفْتُ منهجه في التَّنقية اللُّغوية وِفْقَ المعالم التالية :

١- وقوفه عند اللُّغة العالية التي أفردها أئمة اللُّغة ، وفي مقدمتهم صاحب الفصيح نفسه ومن أمثلة ذلك :

ـــ اقتصر على الفصيح في قوله : (وغَدَرْتُ به أَغْدِرُ)[3] . موافقاً لما حكاه جمعٌ من أئمة اللُّغة [4] .

(١) شرحه لغريب الفصيح ٢٩٢ .

(٢) انظر الصفحات ٣٢١ ، ٣٨٠ ، ٤٣٦ ، ٤٨٥ .

(٣) شرحه لغريب الفصيح : ١٩ .

(٤) انظر : إصلاح المنطق ١٩٥ ، وتصحيح الفصيح ١٣١ ، وأفعال السرقسطي ١١/٢ .

ـــ افرد اللغة العالية في قوله : (سَبَحْتُ أَسْبَحُ)[1] ، وهكذا اقتصر عليها معظم أئمة اللُّغة [2] .

ـــ وقف على لغة الفصاحة في قوله : (ونَفِدَ الشَّيءُ يَنْفَدُ)[3] وقد اقتصر عليها جمعٌ من اللُّغويين [4] .

ـــ لزومه للغة العالية الفصيحة في قوله : (قَلَبْتُ القومَ أَقْلِبُهُمْ)[5] ووافق ما قاله أئمة اللُّغة [6] .

٢- ذِكْرِه لغتين ، مُقدماً الأفصح ، ويتبعها باللُّغةِ الثانية الفصيحة ، ومن أمثلةِ ذلك :

ـــ يصرِّح بأنَّ : نَمَى المَالُ وغيرُهُ يَنْمِي ، هي الأعلى والأفصح ، وينبِّه إلى أنَّ : نَمَى يَنْمُو أيضاً لُغة [7] . وقد وافقه فيما ذهب إليه جَمْعٌ من اللُّغويين ، كالكسائي، وابن السكيت ، وابن دُرُسْتويه ، والسرقسطي [8] وغيرهم [9] .

---

(١) شرحه : ٢٢ .

(٢) انظر : ما تلحن فيه العامة ١٣٨ ، وأدب الكاتب ٣٩٨ ، وتصحيح الفصيح ١٣٦ ، وتقويم اللسان ١١٩ ، وتصحيح التصحيف ٣٠٦ .

(٣) شرحه : ٣٨

(٤) انظر : ما تلحن فيه العامة ١٠٠ ، والإصلاح ٢٠٩ ، وأدب الكاتب ٣٩٨ .

(٥) شرحه لغريب الفصيح :٥٦ .

(٦) انظر : الإصلاح ٢٢٦ ، وأدب الكاتب ٣٧٤ ، وتثقيف اللسان ١٥٣ ، وتقويم اللسان ١٥٢ ، وتصحيح التصحيف ١٢١ .

(٧) نفسه : ٧ .

(٨) ما تلحن فيه العامة ١٣٨ ، والإصلاح ١٣٨ ، وتصحيح الفصيح ٤٠ ، وأفعال السرقسطي ٣/٢٧١ .

(٩) انظر : الجمهرة ٢/٩٩٢ ، والصحاح ، واللسان (نمى) .

ـ والأفصح عنده : غَصِصْتُ بالطعام أغَصُّ ، ويصرِّح بأنَّ غَصَصْتُ أيضاً لغة[1] . ووافقه جَمْعٌ من أئمة اللُّغة ، منهم : ابن السكيت ، وابن قتيبة ، والسرقسطي ، وابن القطاع [2] وغيرهم [3] .

ـ كما أنَّه يصرِّح بعلو وفصاحة : بُهِتَ الرَّجُلُ ، وحكى أنَّ :بَهَتَ ، بفتح الباء ، لُغة [4] . قُلتُ : الأولى هي الأفصح ، كما قرر الشارح ، وبها قرأ الجُمْهورُ . وهناك من صرَّح بثلاث لُغات ، قُرِئ بها ، وهي : (بَهَت ـ كما ذكر التدميري ـ وبَهُتَ ، وبَهِت) [5]

ـ وينبِّه إلى أنَّ : أجَنَّهُ اللَّيْلُ هي الأعلى والأفصح ، ويصرِّح بأنَّ : جَنَّهُ اللَّيْلُ أيضاً لُغة [6] . وقد وافق ما حكاه جَمْعٌ من اللُّغويين [7] .

ـ ويذكر أنَّ : المُنْخُلُ : الغِرْبَالُ ، والمُنْخَلُ ، بفتح الخاء ، أيضاً لُغَةٌ[8] . ووافقه فيما ذهب إليه ابن السكيت ، وابن قتيبة [9] .

---

(١) شرحه لغريب الفصيح : ٣٢ .

(٢) انظر : الإصلاح ٢١١ ، وأدب الكاتب ٤٢٢ ، وأفعال السرقسطي ٢/٢٦ ، وأفعال ابن القطاع ٢/٤٣٦ .

(٣) انظر : اللسان ، والمصباح ، والقاموس (غصص) .

(٤) نفسه : ٨٠ .

(٥) انظر : المحتسب ، تحقيق علي النّجدي ناصف ، وعبد الحليم النّجار ١/١٣٤ ، وأدب الكاتب ٤٠٢ ، وإعراب القرآن لأبي جعفر النحاس ، تحقيق زهير غازي زاهد ١/٣٣٢ ، وأفعال السرقسطي ٤/١١٧ ، وأفعال ابن القطاع ١/ ٨٨ .

(٦) شرحه لغريب الفصيح : ١٢٢ .

(٧) انظر : معاني القرآن للفرّاء ١/٣٤١ ، والإصلاح ٢٩٥ ، وشرح الزمخشري ٢٣٦ ، وأفعال السرقسطي ٢/٢٤٤ ، وأفعال ابن القطاع ١/١٧٧ .

(٨) نفسه : ٢٤٥.

(٩) الإصلاح ١٠٣ ، وأدب الكاتب ٣٧١

وثمة أمثلة أخرى ذكرها الشارح على هذا النوع جاءت مبثوثة في ثنايا الكتاب(1) .

٣– وأحياناً يذكر لغتين دون التمييز بينهما من حيث مستواهما الصوابي ، ومن ذلك :

ـــ ما نقله عن أبي عبيد من أنه يقال : طَلَّ دَمُهُ ودَمَهُ ، وأُطِلَّ دَمُهُ (2) .

ـــ وحكى بَرَّ اللهُ حَجَّكَ ، وأَبَرَّهُ اللهُ أيضاً لغتان(3) .

وقد تضمن هذا النوع ـــ بالإضافة إلى ما ذُكِر ـــ إلى أمثلة أخرى جاءت في مظانها من الكتاب (4) .

٤– ومن معاييره في تنقية اللُّغة ، وَسْمُه لقليل من اللُّغات بالضعف ، ونحوه : ففي موضع ـــ فقط ـــ من أصل الكتاب ذكر الشَّارح لغة واسماً إياها بالضعف ، أو قوله :(لُغَيّة) ، فمن ذلك ما نقله عن ابن الأعرابيّ : بأنَّ أَكْفَأْتُ الإناءَ لُغَيَّةٌ (5) .

خامساً : مَوْقِفُهُ من ثَعْلَبٍ :

ـــ نَجِدُ أنَّ التُّدميري يَنْتَقِدُ قَوْلَ ثعلب أحياناً ، ويحتج لانتقاده بالشَّرْحِ ، كقوله في شَرْحِ (وحَطَبٌ يَبْسٌ كأنَّه خِلْقَة)(6) فيصرِّح بأنَّ قول ثعلب : كأنه خِلْقَةٌ تَجَوُّزٌ منه ، ويضيف : ألا ترى أنه من المُحال أن يكون الحطبُ يابساً في خلقته ؛

---

(١) انظر الصفحات : ٧٠ ، ١٠٠ ، ١٢٨ ، ١٤٥ ، ٢٠٤ ، ٢٤٩ ، ٢٨٠ ، ٣٢١ ، ٤٦٣ ، ٥٢٧ .

(٢) شرحه لغريب الفصيح : ١٨٠

(٣) نفسه : ٩١ .

(٤) نفسه : ٤٦ ، ٥٨ ، ٨٤ ، ٩١ ، ١٥٩ ، ١٨٧ ، ٢٠٤ ، ٣١١ .

(٥) نفسه :١٠٢ .

(٦) الفصيح ٣١٠ .

لأنه نباتٌ ، فلا بد أن يكون فيه أولاً رُطُوبة ، ثم لا يزال يَيْبَسُ قليلاً قليلاً حتى يَصِلَ إلى الغَايةِ وهو في تلك الدرجات كلها يُسَمَّى حَطَباً [١] .

قد يأتي برأي غيرِهِ مِنْ العلماءِ على سبيل الاستدلال على ما قد يكون ثعلبٌ أخطأ فيه ، فقد أورد رأي أبي الوليد ، في قوله : " قال أبو الوليد : والسُّمَانَى يكون واحداً ويكون جمعاً ولا يجوز أنْ يُقَال للواحدة (سُمَانَاة) لئلا يجمع بين علامتي تأنيث ، وهذا خلاف لثعلب كما تَرَى " [٢] .

قلت : ولكن صاحب العين ٢٧٤/٧ ، وابن عباد في البحر المحيط ٣٤٧/٨ (سمن) قد وافقا ثعلباً على أنه جمعٌ وواحدته سمانَاة .

سادساً : اهتمامهُ بتفسير المصطلحات الطّبيّةِ :

انتشرت في تضاعيف تأليفه ، شروح علمية يغلب عليها الطابع الطّبي ، كشَرْحِه للفعل (فُلِجَ) ، حيث إنه ذكر أنّ : فُلِجَ من الفَالج ، ويشخصه بأنّه داءٌ يصيبُ الإنسانَ عند امتلاء بطون الدماغ من بعض الرطوبات ، فَيَبْطُلُ منه الحسُّ وحركات الأعضاء ، ويبقى العليل كالميِّت لا يعْقِل [٣] .

وكذلك حينما يحدد مفهوم (النَّسَا) فيعرفه تعريفاً علمياً بحتاً ، فيذكر بأنّ عرق النَّسَا خطأ عند الجميع أو الأكثر ، وينبِّه إلى أنّ النَّسَا هو العرقُ بعينه ، وهو عرق مستبطن الفخذ يمر بالسَّاقِ والعرقوب حتى ينتهي إلى الرسغ [٤] .

---

(١) شرحه لغريب الفصيح : ٣١١ .

(٢) نفسه : ٣٣٤ ، ٣٣٥ .

(٣) نفسه : ٨٦ .

(٤) نفسه : ١٩٢ .

وأيضاً يستدل بما قاله الأطباء على صحة الشَّرْحِ ، كتعقيبه على شرح ابن خالويه للفظ (الذُّرُّوحُ) ، فيقول : " قال ابن خالويه : وهو سُمٌّ مِنْ السُّموم ، وكذا قال : الأطِبَّاءُ " (١) .

ـــ ويحكي أنَّ الأَرَقَانَ : داءٌ يصيب الإنسان فَيَصْفَرُّ منه بياض عينه وأصله في الزرع ، وهو داءٌ ، وقيل دود يصيب الزرع (٢) .

سابعاً : عنايته بذكر أصول الألفاظ المُعرَّبة :

ويُظْهِرُ اطِّلاعُ التدميري على ما دَخَلَ إلى اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ مِنْ أُصُولٍ فارسيَّةٍ اطلاعاً وَاسِعاً ؛ إذْ لا يَمُرُّ به لفظٌ أو اسمٌ أو صِيْغَةٌ إلا ذَكَرَ أصْلَها الفارسي وتركيبها في هذه اللُّغة ، فإما أن يكون التدميري مطلعاً على تلك اللغة وإما أن يكون قد اطلع على ما أُلِّفَ في علوم العربيَّة من الدَّخيلِ والمعرَّبِ ؛ إذْ يَقِفُ على الألْفَاظِ ويُشيرُ إلى أصُولِها ببراعة ، ويَنْقُلُ رِوَايَاتِ شيوخه في ذلك ، كقوله :
" المُهْرَقُ : الصحيفة ، وأصْلُه بالفارسية : مُهْرَةٌ " (٣) .

وقال في شرح (بأجاً واحداً) : " وإنما هذه كلمة فارسية يؤتى بها على آخر أسماء الطبيخ ، كما يؤتى باللون في العربية في أوائلها ، فيقولون : سِكْبَاجٌ ونَاربَاجَ وزِرْبَاج ، فقولهم : (سِك) اسم للخل ، وقولهم : (نار) اسم للرمان ، وقولهم : (زِير) اسم للكمون ، وأمَّا (باج) الذي في آخره ، فهو بمنـزلة ياء النسب التي في أواخر الأسماء العربية ، ومعناه : اللون ... " (٤) .

---

(١) شرحه لغريب الفصيح : ٢١٧ .
(٢) نفسه : ٣٥٦ ، ٣٥٧ .
(٣) نفسه : ٣٣٨ .
(٤) نفسه : ٣٤١ .

ويذكر في موضع آخر أنّ : الأَرَنْدَجَ واليَرَنْدَجَ : ضَرْبٌ من الجلودِ السُّودِ ، وينبّه إلى أنّ أصلَه بالفارسية : رَنْدَه [1] .

سابعاً / شَوَاهِدُهُ :

وهي تَحتلُ في الكتابِ ــ شرح غريب الفصيح ــ مكانةً بارزةً ؛ لِتنوُّعِ مُسْتوياتِها اللُّغوية والدِّلالية ، فإذا كان الاستشهاد ــ بالقرآن ، والحديث ، والأمثال ، والأشعار ــ أمر قائم عند المؤلفيْن المسلمين العرب ــ القدامى والمحدثين ــ ، وشائع في مؤلفات علوم اللُّغة العربية ــ قديمُها وحديثُها ــ ، فإنّ الاستشهادَ في شرْحِ أبي العباس ــ التّدميري ــ لِغَرْيْبِ الفَصِيْحِ ، يمكن تصنيفه كما يلي :

أ / القُرْآنُ الكَرِيمُ :

فاقت الآيات التي ساقها في شرحه أربعين آية ، قام بثها في ثنايا شرحه ، سواء استشهاداً على فصاحة لفظ أو تفسير معنى ، أو على بعض القضايا الأخرى ، وهو عَدَدٌ كبيٌر إذا ما قيس بِعَدَدِ الآيات التي استشهد بها ثعلب في فصيحه [2] ؛ إذ يبلغ ما نسبته (عشرة أضعاف الشواهد القرآنية التي استشهد بها صاحب الفصيح) . وقد ساق هذه الاستشهادات للأغراض التالية :

١) بيان فصاحة ما ذكره ثعلب وذلك من أجل التنقية ، ومن أمثلة ذلك :

---

(١) شرحه لغريب الفصيح : ٣٥٧ .

(٢) أربع آيات انظر الفصيح فهرس الآيات : ٣٣٠ .

ـــ عند كلامه على قول ثعلب : (ما هذا بضربةِ لازب ولازم)[1] ، يقول : " واللازِبُ : الثابت الملتصق ، من قوله تعالى : ﴿ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ من طِيْنٍ لازِبٍ ﴾[2] .

ويذكر أن (اللازب) هي اللغة الفصيحة مستشهداً على ما ذهب إليه بما حكاه ابن السكيت في الإصلاح [3] .

ـــ وعند كلامه على قول صاحب الفصيح : (ونَبَذْتُ النَّبِيْذَ)[4] ، يستشهد على فصاحة هذا الفعل بقوله تعالى : ﴿ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ ﴾[5]

ـــ وعند كلامه على قول ثعلب : (وهو حَسَنُ القَبُولِ) يقول : " أي التَّقبُّلِ ، يُقال : قَبِلْتُ الشيء قَبُولاً حَسَناً ، وقُبُولاً حسناً ـــ بفتح القاف وضمها ـــ وهما مصدران "[6] . ثم يستشهد على فصاحة هذا اللفظ بقوله تعالى : ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ ﴾[7] .

---

(١) شرحه لغريب الفصيح : ٤١٤ .

(٢) سورة الصافات آية : ١١ .

(٣) ص : ٢٨٨ .

(٤) نفسه : ٦٩ .

(٥) سورة آل عمرن آية : ١٨٧ .

(٦) شرحه لغريب الفصيح : ٢١٩ .

(٧) سورة آل عمران آية : ٣٧ .

٢) التفسير لبعض المعاني الدلالية ، فمن ذلك :

ـــ (النَّحْتُ) بمعنى القَشْرِ[١]. ويستشهد على هذا المعنى بقوله تعالى : ﴿ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴾[٢].

ـــ يحكي أنَّ : أَسِنَ بمعنى تَغَيَّرَ [٣] ، ويستشهد على ذلك بقوله تعالى : ﴿ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٌ ﴾[٤] .

ـــ وفي (أَقْشَعَرَّ) بمعنى (تَقَبَّضَ)[٥] ، استشهد بقوله تعالى : ﴿ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الذينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ﴾ [٦] .

٣) الاستشهاد على وجود المشترك اللفظي ، ومن أمثلة ذلك : كلمة (أُمَّة) فهي تحتمل المعانِي الآتية :

ـــ الحين ، كقوله تعالى ﴿ وَأَدَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ ﴾ [٧] .

ـــ الجماعة ، كقوله تعالى ﴿ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً ﴾ [٨] .

---

(١) شرحه لغريب الفصيح : ٢٢ .

(٢) سورة الصافات آية : ٩٥ .

(٣) شرحه لغريب الفصيح : ٢٧ .

(٤) سورة محمد آية : ١٥ .

(٥) شرحه لغريب الفصيح : ٢٧٢ .

(٦) سورة الزمر آية : ٢٣ .

(٧) سورة يوسف آية ٤٥ .

(٨) سورة القصص آية ٢٣ .

ـــ الرجل الجامع للخير ، كقوله تعالى ﴿ إِنَّ إِبَراهِيمَ كَانَ أُمَّةً ﴾[١] .

ـــ الدين والملّة ، كقوله تعالى ﴿ إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ ﴾[٢] .

٤) كما استشهد ببعض الآيات القرآنية على قضايا صرفية ، كاستشهاده بكلمة (أيْدِي) جمعاً لـــ يد في قوله تعالى ﴿ أُوْلِي الأَيْدِيْ والأَبْصَارِ ﴾[٣] .

ـــ وكاستشهاده على مجيء اسم الفاعل بمعنى المفعول ، بـــ (راضية) بقوله تعالى :﴿ فَهُوَ فِي عِيْشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴾[٤] بمعنى مرضية [٥] .

٥) استشهد ببعض الآيات على بعض المسائل النحوية ، نذكر منها :

ـــ استشهاده على حذف (ياء النداء) في مثل (أَيُّها القومُ)[٦] بقوله تعالى : ﴿ أَيُّهَ الثَّقَلانِ ﴾[٧] ، وبقوله تعالى : ﴿ أَيُّهَ المؤمِنُونَ ﴾[٨] .

---

(١) سورة النحل آية ١٢ .

(٢) سورة الزخرف آية ٢٢

(٣) شرحه لغريب الفصيح ٤٥ .

(٤) سورة الحاقة آية ٢١ .

(٥) شرحه لغريب الفصيح ١٤٦

(٦) نفسه : ١٧٣

(٧) سورة الرحمن آية ٣١٤ .

(٨) سورة النور آية ٣١ .

ب / القراءات :

استشهد فيها بأربع قراءات ، بيانها كالتالي :

١) استشهد على إبدال (الهاء من الهمزة) [١] بقوله تعالى في قراءة شاذة (هِيَّاكَ نعبدُ) [٢] .

٢) استشهد على مجيء (ودع بمعنى ترك)[٣] بقوله تعالى : (مَا وَدَعَكَ رَبُّكَ) [٤] .

٣) كما يستشهد على مجيء (الأَتْرُجُّ بمعنى المُتْكُ)[٥] بقوله تعالى في قراءة شاذة (وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتْكاً) [٦] .

ج/ الحَدِيْثُ الشَّرِيْفُ :

إذا كان صاحب الفصيح نفسه قد اكتفى بالاستشهاد بأربعة أحاديث (صحيحة) ، ـــ فقط ـــ ، فإن التَّدميري ، أوردَ منها حديثين ، وزادَ عليها ثمانية ـــ أي ضعف ما استشهد به صاحب الفصيح ـــ حيث بلغت جملة استشهاداته في شرح غريب الفصيح عشرة أحاديث [٧] .

---

(١) شرحه لغريب الفصيح ٤٨

(٢) سورة الفاتحة آية ٥ .

(٣) شرحه لغريب الفصيح ٨٩

(٤) سورة الضحى آية ٣ .

(٥) شرحه لغريب الفصيح : ٢٣٢

(٦) سورة يوسف آية ٣١ .

(٧) انظر الصفحات ٤٥ ، ٦٩ ، ١٦١ ، ٢١١ ، ٢٢١ ، ٣٠١ ، ٣١٩ ، ٣٧٥ ، ٤١٧ ، ٥٠٢

والغالب في هذه الاستشهادات هو لتفسير معاني ألفاظ وردت في الشرح ، كالرعد والبرق [1] ، والعِرْضِ[2] ، والكَرِشِ [3] ، والأُمَّةِ [4] ، والرُّبَعَةِ [5] ، ويُرِيْنَكَ [6] .

د / الأَشْعَارُ : ويمكن تقسيمها إلى قسمين :

ــ نوعٌ ساقَه ثعلبٌ في الفصيح ، فهو من ضمن شواهده .

ــ نوعٌ ساقَه التدميري ، كاسْتِشْهَادٍ اختَصَّ به شَرْحُهُ .

١) شَوَاهِدُ الفَصِيْح : وَضَعَ التدميريُّ لها منهجاً خاصاً في شرحها ، يمكن إيجاز ملامحه في الآتي :

أ/ الدراسة العروضية : حيث يذْكُرُ البحرَ ، ويحدد نوع عروضه ، واسمه ، ثم يأتي بمثال له ، مع ذكر تفعيلاته .

ب/ يذْكُرُ مَوْضِعَ الشاهدِ منه ، ويَقُومُ بشَرْحِ اللفظ ، ثم يتقصى حالاته وأوزانه .

ج/ يَذْكُرُ المعنى العام للبيت .

د/ يَسْتَشْهِدُ على ذلك .

هـ / يَعْرِبُ البيت إعراباً كاملاً ــ كلمة تلو أخرى ــ .

---

(١) شرحه لغريب الفصيح : ٤٥ .

(٢) نفسه : ١٦١ .

(٣) نفسه : ٢٢١ .

(٤) نفسه : ٣٠١ .

(٥) نفسه : ٣٧٥ .

(٦) نفسه : ٤١٧ .

ـ وقد التزم الشّارح بهذا المنهج في شَرْحِ جُلِّ شواهد الفصيح[1] .

٢) شَوَاهِدُ شَرْحِ غَرِيْبِ الفَصِيْحِ :

وأقصد بها النماذج الشِّعرية التي اختارها التَّدميري في شَرْحِه ، ويمكن تفصيلها على النحو التالي :

أ/ أشعارٌ استدل بها كأمْثِلَةٍ على بحور شَواهِدِ الفصيح .

ب/ أشعارٌ استشهد بها على معاني الألفاظ ، ويغلبُ عليها الإيجاز ؛ إذْ لم يتعقبها بشرح ولم يتتبع فيها حالات الإعراب ، أو غيرها من المسائل النحوية والصرفية ؛ فجاءت مختصرة ، حيث يكتفي فيها أحياناً بقوله : (قال الشَّاعِرُ) ، كشرحه لفظة (الأُبلّة) الذي ذكر من معانيها : " والأُبُلّةُ أيضاً قطعة مِنْ التَّمْرِ " ، قالَ الشَّاعِرُ :

فَيَأْكُلُ مَا رُضَّ مِنْ زَادِنَا   وَيَأْبَى الأُبُلّةَ لَمْ تُرْضَضِ[2]

ج/ أشعار يستشهد بها على معاني أبيات الفصيح ، فيأخذُ شَاهِدَ الفصيح ، وبعد أنْ ينتهي من شرحه يأتي بأبيات مستشهداً بها على المعنى ، كشَرْحِه لِبَيْتِ القطامـي :

إنَّا مُحَيُّوكَ فاسْلَمْ أَيُّهَا الطَّلَلُ   وإنْ بَلِيْتَ وإنْ طَالَتْ بِكَ الطِّيَلُ

---

(١) انظر الصفحات ٩ ، ١٢ ، ٢٠ ، ٢٤ ، ٤٥ ، ٤٨ ، ٦٧ ، ٧٢ ، ١٣٦ ، ١٥١ ، ١٦٨ ، ٢٥١ ، ٣٥٣ ، ٤٣٤ ، ٤٤٠ ، ٤٤٥ ، ٤٤٩ ، ٤٥٤ ، ٤٩٥.

(٢) شرحه ٢٨٤ .

وقد عَقَّبَ عليه بقوله : ومعنى البيت أنَّهُ مرَّ بالدِّيار الخالية ، ووقف على الرسوم البالية فتذكر بها عصر الشَّباب ، وحَنَّ من أجلها إلى أيام التَّصَابِ ، فَسَلَّم عليها ، ودَعَا لها بالسَّلامَةِ ، كما قالَ ذو الرُّمة :

ألا فَاسْلَمِيْ يَا دَارَ مَيَّ على البِلاَ   ولا زَالَ مُنْهَلا بِجَرْعَائكِ القَطْرُ

وإنما فعل ذلك شوقاً إلى سُكَّانها ، وكَنَّى بها عن أهلها وقُطَّانها ، كما قال آخر : ... ، ويورد بيتين حول هذا المعنى ـــ أيضاً ـــ [1] .

د/ هناك أبيات يستشهد بها على صيغة فِعْل مِن الأفعال ، فيورد عدداً منها لشعراء مختلفين ، يحتج بأقوالهم على أحوال ، وصيغ هذا الفعل ، وكيف جاء في كلام العرب ، كما فعل في الفعل (هَرَقَ) ، حيث ذكر أربعة أبيات لأربعة مِنْ الشعراء [2] . وهذا يَدُلُّ على سعة ثقافته الأدبية ـــ عامة ـــ ، واهتمامه الواضح بالمحفوظ الشعري للمادة اللُّغوية في صيغها النحوية المختلفة ، وقد ضمن متن كتابه أشعاراً بلغ عددُ أبياتها فيه حوالي مئتين وواحد وعشرين بيتاً ، منها تسع وثلاثون وردت في الفصيح ـــ لثعلب ـــ فتكون جملة استشهاداته الشِّعرية ـــ الخاصة بشرحه ـــ مائة واثنين وثمانين بيتاً ، وقد حظيت مُقدِّمة كتابه ـــ فضلاً عن ذلك ـــ بثمانية أبيات .

ـــ اقتصار شواهده على شِعْر القدامى من الشعراء ، فلم نجد فيها شيئاً من شعر المحدثين ، وكأنَّ التدميري يوافق في ذلك ثعلباً ، إذ أن الأخير يقرر أن آخر الشعراء الذين يصح الاستشهاد بشعرهم هو : إبراهيم بن هرمة (ت ١٧٠ هـ)

---

(١) شرحه لغريب الفصيح : ١٧٠ ، ١٧١ .

(٢) نفسه : ٥٤ ، ٥٥ .

ـــ لم يلتفتْ التدميري إلى الموروث الشِّعري الأندلسي ، ولم يستشهد في شرحه بشَاعِرٍ منهم ، رغم انتمائه إليهم .

ـــ تَحَمُّله لعِبْءِ التحقيق في نسبة أشعار شواهد الفصيح لأصحابها من الشعراء ، حيث كان يقوم بنسبة البيت إلى قائله ، فإن كان في نسبته خلاف ، ذكره ، ثم بَيّنَ ما فيه من أوجه [1] .

ـــ قام بضبط الأشعار ، وعزَّزَها برواية الأسانيد [2] .

ـــ والملاحظ أنَّ التَّدميري ـــ في غير شواهد الفصيح من الشِّعْرِ ـــ لم يكن يُكلِّفْ نَفْسَهُ بنسبة الأبيات إلى قائليها من الشعراء ـــ في كل الأحوال ـــ ، ولذلك نجده يَعْمدُ إلى عزو بعضها ، ويغضُ الطرف عن البعض الآخر ، ويكتفي فيه بقوله : (قال الشَّاعِرُ) أو (قال آخر) [3] .

ـــ أكثر الاستشهاد بشِعْرِ امرئ القيس ، فجاءت في ستة عشر موضعاً من جملة استشهاداته الشعرية ، ونراه قد يأتي بأبيات له ، أكثر من مرَّةٍ في الصفحة نفسها[4] أو في موضعين متعاقبين ، كقوله في : " امرأَةٌ مِعْطَارٌ " ، أي كثيرة التَّعطر ، أي التَّطَيب ، وضدها : " امرأة مِتْفَالٌ " ، وهي التي لا تمس طيباً [5] .

---

(1) شرحه لغريب الفصيح : ٧١ ، ٧٤ .
(2) انظر الصفحات ٢١٤ ، ٢١٧ ، ٣١٩ ، ٣٤٧ .
(3) نفسه ١٩٤ .
(4) نفسه ١٩٣ .
(5) نفسه ٣٦٤ ، ٣٦٥ .

د / الأمثالُ :

وكان أسلوبه في الاستشهاد بالأمثال ، أنه بعد أن يستكمل شرح المثل الوارد عند ثعلب يورد مجموعة من الأمثال تدور في المعنى نفسه .

والمقصود من هذه الأمثال هو ما ساقه التُّدميري للاستشهاد على شروحه ، باستثناء ما جاء في أصل الفصيح ـــ لثعلب ـــ في باب : (ما جَرَى مَثَلاً أو كالمَثَلِ) ، فقد يأتي بشَرْحِ الكلمة فتوحي له بالمثل ، فيسوق المثل شارحاً لمعناه ، ومبيناً فيما ضُرِبَ له ، ثم تتداعى الخواطر فيسوق المثل يَلْو الآخر ، كقوله في : (حَرَّ) : " وحَرَّ المَمْلُوكُ يَحَرُّ ، بفتح الحاء لا غير ، أي صار حُرًّا ، ويُقال في المثل : (حِرَّةٌ تحتها قِرَّة) ، فالحِرَّةُ : العَطَش ، والقِرَّة : البارد ، ويُضربُ مثلاً للذي يصيبه العطش في اليوم البارد ، والذي يظهر خلاف ما يخفي "[1] .

ـــ ومثل ذلك ، من المثل : " هُدْنَةٌ على دَخَنٍ ، وجماعةٌ على أقْذَاءٍ "[2] ، ومثله : " أعَنْ صَبُوحٍ تَرَقَّقُ " ، و " وَهُوَ يُسِرُّ حَسْواً في ارْتِقَاءٍ "[3] .

ونخلص مما سبق إلى بيان الآتي :

أ / أوضح سبب تأليفه للكتاب .

ب/ دقته في متابعته لأبواب ثعلب ومواده .

ج / نص على التزامه الاختصار والإيجاز في شرحه .

د / اهتم بشرح غريب ما جاء في الفصيح ، وبالذي لم يشرح من قبل .

---

(١) شرحه لغريب الفصيح ١٥٥ .

(٢) نفس الصفحة .

(٣) نفس الصفحة .

هـ / انفرد من بين شُرّاح الفصيح المتوفرة شروحهم بشرحه لأبيات الفصيح ، واعتنى بإعرابها مع تنبيهه على البحور والزِّحاف والعلل ، وتحديد الشاهد ، ووجه الاستشهاد .

و / اعتمد في شرحه على من سبقه من شُرّاح الفصيح .

ز / انفرد عن غيره من الشراح بإيراده لبعض المواد التي لا وجود لها في الفصيح .

ح / يستعرض وجهة نظر المدارس النحوية ، عندما يتعرض لذكر بعض المسائل الخلافية .

ط / عنايته بأقوال العلماء ، وإسناد تلك الأقوال لأصحابها .

ي / اعتمد أقوال بعض علماء بلده ، إلا أنه لم يشر إلى مؤلفاتهم حول الفصيح .

ك/ ردوده على بعض العلماء في كثير من المسائل اللغوية .

ل / استطرد في كثير من المسائل اللغوية .

م / انتقد ثعلباً واحتج لانتقاده بالبرهان والدليل .

ن / اهتم بتفسير بعض المصطلحات الطبية .

س / اعتنى بذكر أصول الألفاظ المُعرَّبة .

ع / استشهد على فصاحة ما ذهب إليه بالقرآن الكريم ، والقراءات ، والحديث الشريف ، والأشعار والأمثال .

شَرْحُ الفَصِيحِ ، لابْنِ هِشَامٍ اللَّخْمِيُّ

المتوفى سنة (٥٧٧هـ)

تَرْجمَةُ المؤلّف :

هو أبو عبد الله محمد بن أحمد بن هشام بن إبراهيم بن خلف اللَّخْمي السبتي ، سكن سبتة . ولم تُشِرْ المصادرُ إلى تاريخ ولادته ، وإنما اكتفت بالقولِ : كان حيّاً سنة سبع وخمسين وخمسمائة ، وتوفي سنة ٥٧٧هـ [(١)] .

أولاً / سَبَبُ تأليفه للكِتَابِ :

بَدَأَ ابْنُ هشام اللَّخمِي كتابه بمقدِّمةٍ قصيرةٍ ، ذكر فيها الأسباب التي دعته لتأليف شرحه هذا على فصيح ثعلب ، ويمكن إيجازها في الآتي :

أ/ أهمية كتاب الفصيح : وقد أشار إلى أهمِّيةِ كِتَاب الفصيح ، وفائدته لأهْلِ العَلْمِ بقَولِه : " وكتاب الفصيح ـــ أعزَّكَ الله ـــ وإن صَغُرَ جِرْمَهُ ، وقَلَّ حَجْمَهُ ، ففائدته كبيرة عظيمة ، ومنفعته عند أهْلِ العِلْمِ خطيرة جسيمة ... " [(٢)] .

ب/ شرح ما وقع في كتاب الفصيح من الألفاظ المُشْكلة ، والمعاني المغفلة .

ج/ التنبيه على ما في الفصيح من الهفوات والسَّقَطات .

د/ أشار إلى أن الشراح السابقين لم يشفوا عليلاً ولم يبردوا غليلاً ، ولا استوفوا غرضاً ، ولا ميزوا من جوهره عرضاً ، وإنما قَصَّرُوا في ذلك .

هـ / رغبته في الثواب والمغفرة من الخالق سبحانه وتعالى .

و/ شكواه من قلة الاهتمام بالأدب والعلم وأهلهما .

---

(١) انظر ترجمته في : البلغة في تاريخ أئمة اللغة ٢٠٩، وبغية الوعاة ٤٨ـــ ٤٩ ، وإشارة التعيين في تراجم النحاة واللغويين : ٢٩٨ .

(٢) انظر مقدمة شرحه ٤٦ .

ثانياً / معالم شرحه :

وتتلخص هذه المعالم في الآتي :

أ/ أبانَ لنا الطريقةَ التي سَلَكَها في شَرْحِه لأبوابِ الفصيحِ بقولِه : " وها أنا أبدأ بشرح أبوابه ، وذِكْرِ المُهِم من معانيه وإعْرابه على طريقة الإيجاز والاختصار ، ومجانبة الإكْثار "[1] .

ب/ ذكر سنده في قراءة الفصيح ، كما فعل التُّدميري في شرحه ، ولعل هذه الطريقة شائعة عند الأندلسيين ، وأبَانَ على أنّه أخذه عن أبي بكر بن العربي ، وذكر سلسلة القراءة المنتهية بالمؤلّف ثعلب[2] .

ج/ أخَذَ في شَرْحِ الفصيح متابعاً لأبوابه الثلاثين ، وما فيها من مواد ، مُسْتفتحاً بذِكْرِ عبارة ثعلب ، وقد يُسْبِقُها بعبارة : (وقولُه) ، أو (وقَوْلُ أبي العباس) ، ثم يُعقِّبُ عليها بقوله : (قال الشَّارِحُ) ، أو (قال المُفَسِّرُ) .

د/ ومن هذه المعالم ــ أيضاً ــ عنايته بأقوال العلماء ، فقد اعتنى كغيره من شراح الفصيح بأقوالِ جَمْعٍ غَفيرٍ من أئمةِ اللُّغة للاستدلال على فصاحة ما ذهب إليه ، مقدماً اللغة الفصيحة التي ذكرها ثعلب ثم يضيف إليها ما رواه اللغويون من لغة ثانية فيها ، ومن أمثلة ذلك :

ــ ففي كلامه على قول صاحب الفصيح : (ذَوَى العودُ يَذْوِي) ينقل عن يونس أنه حكى : ذَوِيَ ، وذئي أَقلُّها[3] .

(١) مقدمة شرحه: ٤٦ .

(٢) المقدمة : ٤٧ .

(٣) شرحه للفصيح : ٤٨ .

ـ وفي كلامه أيضاً على قول ثعلب : (أَقَلْتُ الرَّجلَ البيعَ) يحكي عن الخليل : قِلْتُهُ البيع[1] .

ـ وفي تقديمه للفصيح (أُهِلَّ الهلالُ واسْتُهِلَّ) يحكي أنَّ الكسائيَّ زعم أنَّه يُقالُ : أَهَلَّ الهلالُ وأُهِلَّ واسْتَهَلَّ [2].

ـ وفي كلامه على قول صاحب الفصيح : (عَبَّيْتُ الجيشَ) يصرِّح بأنَّ أبا زيد حكى فيه الهمز ، وابْنُ الأعرابي [3] .

ـ حكى أنَّ الأصْمعيَّ ذكر أنَّ الوُضُوء ، بضم الواو ، ليس من كلامِ العَرَبِ [4] .

ـ وفي كلامه على قول صاحب الفصيح (قَرَرْتُ في المكانِ) ، يذكر أنَّ أبا عبيد حَكى : قَرِرْتُ في المكان [5] .

ـ وبعد تقديمه لقول صاحب الفصيح : (حَرَصَ يَحْرِصُ) يذكر أنَّ هناك من قال : يَحْرُصُ أيضاً ، حاكياً ذلك عن الفرَّاء [6] .

كما ضمن الشارح كتابه أمثلة أخرى على هذا النوع [7] .

---

(١) شرحه للفصيح : ٨٦ .

(٢) نفسه : ٧٢ .

(٣) نفسه : ٩٨ .

(٤) نفسه : ١٣١ .

(٥) نفسه : ٧٥ .

(٦) نفسه : ٥٢

(٧) انظر الصفحات : ٦١ ، ٩٢ ، ١٣١ .

هـ / ومن هذه المعالم كذلك نقله عن المغاربة وهم أهل بلده ، ذاكراً مصنفاتهم ، كقوله :

ـ " .. وأنكَرَهُ الزُّبيدي في كتابه الموضوع بلحن العامّة " [1] .

ـ " وحَكَى صَاعدٌ في الفصوص ... " [2] .

ـ " وحَكَى ابْنُ سيده في المحكم : هَلَّ الهلال " [3] .

ـ " قال الأستاذ أبو محمد بن السِّيْد : حَاكَ فيه السيفُ صحيحٌ ... ، على ما حكى ثعلب " [4] . وهو هنا يشير إلى كتابه (الاقتضاب) .

ثالثاً / مَذْهَبُهُ فِي تَنْقِيَةِ اللُّغَةِ :

وقد تجلى مذهبه في الآتي :

أ/ كان مُتابعاً لثعلبٍ في معظم أبواب الفصيح ، فيذكر اللُّغةَ العالية الفصيحة ، ويَقِفُ عندها ، ومن أمثلة ذلك قولُه :

" كَلَلْتُ : أعْيَيْتُ " [5] .

" نَفَدَ الشيءُ " [6] ، فهو يقف عند حد الفصاحة كما حكاها ثعلب .

---

(1) شرحه للفصيح : ٩٥٤ وانظر : ٢٣٧ .

(2) نفسه : ١٤٠ ، وانظر ١٤٢ .

(3) شرحه للفصيح : ٧٢ ، وانظر ٢٣٥ ، ٢٥١ ، ٢٦٧ ، ٢٩٦٨ ، ٢٩٥ .

(4) نفسه : ٩٢ ، وانظر ١٥١ ، ٢٣٠ ، ٢٤٣ ، ٢٥٢ ، ٢٦٥ .

(5) نفسه : ٥٤ .

(6) نفسه : ٦٠ .

وثمة أمثلة أخرى على هذا النوع ضمنها الشارح شرحه [1] .

ب/ ومن معايره ــ أيضاً ــ أنه يُقدِّمُ في مواضع من كتابه اللُّغة الأفصح ، التي ذكرها ثعلب ، ثم يتبعها باللُّغة الثانية ، دون الإشارة إلى مستواها الصَّوابي ، ومن أمثلة ذلك :

ــ يذكر لغة الفصيح (فَسَدَ الشيء) وينبه إلى أنهم قالوا : فَسُدَ [2] .

ــ يقدم لغة الفصيح (شَحَبَ لونُه) ، وحكى أنهم قالوا : شَحُبَ بضم الحاء [3] .

ــ حكى قول ثعلب (ونَعَشْتُ الرَّجُلَ) ، ويصرِّح بأنهم قالوا : أنْعَشْتُ بالألف [4] .

ــ وفي كلامه على قول ثعلب (جَرِعْتُ الماءَ) ، حكى بأنهم قالوا : جَرَعْتُهُ بفتح الراء [5]

ــ وعند تقديمه لما جاء في الفصيح (ناوأتُ الرَّجُلَ) ، نبَّه إلى أنهم قالوا : نَاوَيْتُ ، بغير همز [6] .

ج/ ذكره لغتين متساويتين في الفصاحة ، ومن أمثلة ذلك قولُه تعقيباً على قول ثعلب :

ــ حكى (نَمَا المالُ يَنْمِي) ويصرِّح بأنهم قالوا في المستقبل : يَنْمُــو ، ويَنْمِي ، ويذكر بأنهما لُغتان فصيحتان [7] .

---

(1) انظر الصفحات : ٥٤ ، ٦٣ ، ٦٧ ، ٧٩ ، ٩٠ .

(2) نفسه : ٥٠ .

(3) نفسه : ٥٥ .

(4) نفسه : ٦٧ .

(5) نفسه : ٨٥ .

(6) نفسه : ٩٩ .

(7) نفسه : ٤٥ .

ـ وذكر أنّه يُقالُ : ذَأَى ، يَذْأَى ، وينبِّه إلى أنهما لُغتانِ فصيحتان ، ولم يخبر بهما ثعلب" [1].

د/ أحياناً يذكر لغتين : مُصرِّحاً بفصاحة إحداهما دون الأخرى :

ـ حكى أنّ بَخَصْتُ عينَ الرَّجُلِ ، بالصاد ، هي الأفصح ، وذكر أنّ فيه لغة أخرى هي : بَخَسْتُ ، بالسين [2].

ـ وفي قوله : " وبينهما بَوْنٌ بعيدٌ " يذكر أنّ فيها لغة أخرى هي (بَيْنٌ)بالياء ، ويصرِّح بفصاحة الأولى [3] .

ـ يذكر أنّ معنى : صَفَقْتُ البابَ أَغْلَقْتُهُ ، ويصرِّح بأنه يُقالُ : أَصْفَقْتُهُ ، بالألف ، وينبِّه إلى أنه يستعمل بالصاد والسين ، والصاد عنده أجود [4] .

هـ / وقد يذكر ثلاث لغات ، ففي كلامه على قول ثعلب : (وبَصَقَ الرَّجلُ ..) يذكر أنّه يقال : بصق وبسق وبزق ، بالصاد والسين والزاي ، وهو البُصَاق والبُسَاق والبُزَاق [5] . قلت وحُكي أنّ كل حرف لغة لقبيلة من قبائل العرب [6] .

---

(١) شرحه للفصيح : ٤٨ .

(٢) نفسه : ٢٩١ .

(٣) نفسه : ٢٦٧ .

(٤) نفسه : ٢٩٢ .

(٥) نفسه : ٢٩١ ، ٢٩٢ .

(٦) انظر البحر المحيط ٤٥/١ .

و/ وأحياناً يذكر أربع لغات ، ففي تعقبه لكلام ثعلب : (ذَوَى العُودُ يذْوِي) يصرِّح بأنه يقال : ذَأَى يَذْأَى ، وينبِّه إلى أنهما لغتان فصيحتان لم يخبر بهما ثعلب ، وينقل عن يونس أنه حكى ذَوِيَ ، وذَئِيَ ، ويصرح بأنَّ الأخيرة أقلها[1] .

ز/ ومن المعايير التي اعتمدها في التنقية ، وسْمُهُ بعضَ اللُّغات ، بالضعف ، أو الرداءة ، أو القِلَّة ، فمن ذلك :

ـ ينقل عن ابن دريد أنه حكى : غَلَقْتُ البابَ ، ويسمها الشارح بالضعف [2] .

ـ وعند كلامه على قول ثعلب (وهو الأَرُزُّ) ذكر أنَّ : أُرُزٌّ هي اللغة الفصيحة ، ونبَّه إلى أنَّ رُنْزٌ لغة للعامة ، ووسمها بالرداءة [3] . قُلْتُ : وقد حكاها جمعٌ من اللُّغويين [4] ، ونسبها ابن دُرُسْتُويه لعبد القيس [5] .

رابعاً / لغات العامة في شرحه :

نَصَّ ابْنُ هشام على ذِكْرِ العَامَّةَ في تسعة وعشرين موضعاً في شَرْحه هذا ، وهو يقصدُ بهم دائرة أوسع من الخاصة ، وقد تجلَّى موقفه من العَامَّة في الآتي :

(١) شرحه للفصيح : ٤٨ .

(٢) نفسه : ٩٠ .

(٣) نفسه : ١٨٤ .

(٤) انظر : الإصلاح ١٣٢ ، وأدب الكاتب ٥٧٥ ، والتلويح ٧٠ .

(٥) تصحيح الفصيح ٣٨٨ .

أ / أحياناً يصرح بتخطئة لغة العامة ، وقد جاء ذلك في مواضع نذكر منها :

ـــ يذكر أنَّ الذي لا يجوز ، ولم تَسْتَعْمِلْه العَرَبُ : العَرْبُون ، بفتح العين وتسكين الراء ، كما تنطق به العَامَّة [1] .

ـــ وفي ذكره للزِّئبَق ، ينبِّه إلى أنَّ العامَّة تسميه : الزَّوْقُ ، ويصرِّح بأنَّ الصواب : الزَّاوُوْقُ [2] .

ـــ وفي تقديمه للغة الفصيح : وهي (الإرْزَبَّةُ) ، يذكر أنَّ العامَّة تقول لها : مِرْزَبَّةَ ، بتشديد الباء ، ويصرِّح بخطئها[3] .

ب/ وأحياناً يجيز ما تقوله العامة ، وقد جاء ذلك في مواضع نذكر منها :

ـــ ففي كلامه على لغة الفصيح : (الإوَزَّةُ) ينبِّه إلى أنَّه قد قيل : وَزَّة ، كما تنطق به العَامَّة [4] .

ـــ وعند تقديمه لقول ثعلب : (شَهِدْنَا إمْلاَكَ فُلانٍ)، يصرِّح بأنَّه يُقالُ فيه : مِلاَك ، كما تقول العَامَّة [5] .

---

(1) شرحه للفصيح ١٢٦ .

(2) نفسه : ١٣٦ .

(3) نفسه : ١٤١ .

(4) نفسه : ١٤١ .

(5) نفس الصفحة .

ــ وحكى : (وتقول ماءٌ ملحٌ) وينبِّه إلى أنَّ قول العامَّة : مَالِحٌ لايُعدُّ خطأً ، وإنما يجبُ أنْ يُقالُ : هي لُغة قليلة [1] ، قلت : وقد وافقه فيما ذهب إليه جمعٌ من اللُّغويين [2] .

ج/ ونجده أحياناً يُخرِّج لغة العام على وجه صحيح ، كقوله :

ــ " وهي إِنْفحَّةُ الجَدْيِ ، ... ، والذي تقول له العامَّةُ : اليَنَقُ " [3] .

ــ " وهو الجِصُّ ، الذي تقول له العامَّةُ : الجِبْسُ " [4] .

خامساً / شواهده :

اعتنى الشَّارح ــ كغيره من شُرَّاح الفصيح الذين سبقوه ــ بالاستشهاد على صحة ما ذهب إليه من اللُّغات التي تضمَّنها الفصيح ، فحوى شرحه جمعاً من الشواهد المتنوعة ، إيجازُها في الآتي :

١) الاسْتِشْهادُ بالقرآن الكريم :

استشهد الشَّارح بآياتٍ من الذِّكْر الحكيم ؛ لبيان فصاحة بعض اللُّغات ، إلا أنه لم يكن من مكثري الاستشهاد بها ، مقارنة بغيره من الشُّراح ، ولا سيما ابن درستويه ، والمرزوقي ، والزمخشري ، جاءت موزعة بين صفحات شرحه .

وهو يستشهد بالآيات القرآنية لأغراض منها :

---

(١) شرحه للفصيح : ٢٧٠ .
(٢) انظر الإصلاح ٢٨٨ ، وأدب الكاتب ٤٠٤ ، وتصحيح الفصيح ٤٩٣ ، وشرح الزمخشري ٦٧٩ .
(٣) شرحه للفصيح : ١٣٩ .
(٤) نفسه : ١٣٦ .

أ / ذكر أن معنى الغي ضد الرشد [1] واستشهد على ذلك بقوله تعالى : ﴿ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ﴾[2] .

ب/ حينما يذكر الاشتقاقات المختلفة لمادة من المواد التي ذكرها ثعلب نجده يستشهد عليها بالقرآن الكريم ، كقوله عندما استشهد على : (بَرِرْتُ وَالِدِي) [3] بقوله تعالى ﴿ كِرَامٍ بَرَرَةٍ ﴾[4] .

ج/ وعند كلامه عند قول صاحب الفصيح (أَرْجَأْتُ الأَمْرَ)[5] يذكر اللغة الثانية ويستشهد عليها بقوله تعالى : ﴿ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ ﴾[6] . قلت : وهذا على تسهيل الهمزة ، وهي لغة قريش .

---

(١) شرحه للفصيح : ٤٨ .

(٢) سورة البقرة ، آية ٢٥٦.

(٣) شرحه للفصيح : ٦٢ .

(٤) سورة عبس آية : ١٦ .

(٥) شرحه للفصيح : ٩٩ .

(٦) سورة الأعراف آية ١١١ .

٢) الاسْتِشْهادُ بالقراءات القرآنية :

كان ابن هشام من ضِمْن الشُّرَّاح الذين اعتنوا بالاستشهاد بالقراءات ، فضمَّن شَرْحه العديد منها ، وغالباً ما يشير إليها ، بقوله : وقُرِئ [١]، وقد استشهد بهذه القراءات لبيان الآتي :

أ / ذكر أن الأُتْرُجَّة بمعنى المتـــك [٢] ، واستشهد عليها بالقراءة (واعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتْكاً)[٣] .

ب/ يرى أن كل ما جمع من المضاعف على (فُعُلْ) [٤] يجوز فيه الضم والفتح لثقل التضعيف ، واستشهد على ذلك بالقراءة (عَلَى سُرَرٍ مُوْضُوْنَةٍ) [٥] .

ج / وعند قوله : " ويُقال : أَرْجَيْتُهُ ،بغير همز ، ... على قـــراءة ورش " [٦] . ثم يستشهد على ذلك بقوله تعالى : (أَرْجِهْ وَأَخَاهُ) [٧] على لغة قريش ، وبها قرأ ورش .

٣) الاسْتِشْهادُ بالحديث الشَّريف :

ــ ضمن ابن هشام شرحه مجموعة من الأحاديث النبوية الشريفة [٨] ، التي استشهد بها على فصاحة بعض ما عَرَضَه من لُغات ، وقد افتتح شَرْحه بقوله :

---

(١) شرحه للفصيح ١٨٢ .

(٢) نفسه : ١٨٢

(٣) سورة يوسف ٣١ .

(٤) شرحه للفصيح : ١٥٦ .

(٥) سورة الواقعة آية ١٥ .

(٦) شرحه للفصيح ٩٩ .

(٧) سورة الأعراف آية ١١١ .

(٨) انظر شرحه للفصيح ١١٨ ، ١١٩ ، ١٨٢ ، ١٩٦ ، ٢١٤ ، ٢٢٨ ، ٢٩١ ، ٢٩٨ .

وجاء في الحديث عن النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ أنه قال : (لا يَفْرَكُ مُؤْمِنٌ مُؤْمِنَةً)[1] ، وقد استشهد به على قول صاحب الفصيح : (امْرأةٌ فَارِكٌ)[2] .

وهو يستشهد بهذا الحديث لكي ينبه إلى أن الفرك خاص بالإناث كما جاء في الفصيح ، ولكنه قد يستعمل للذكور أيضاً .

ــ وعند كلامه على قول ثعلب : (والعُوْدُ مَعْرُوضٌ على الإِنَاءِ) ، قال : وجاء في الحديث : (هَلاَّ خَمَّرْتَهُ ولَوْ بِعُودٍ تَعْرُضُهُ عليه) [3] .

٤) الاستشهاد بالأشعار :

اعتنى الشَّارح كغيره من شُرَّاح الفصيح بالشَّواهد الشِّعرية ، إلا أنه تميَّز بأمور منها :

ــ اهتمامه بنسبة الأبيات ــ وخاصة شواهد الفصيح ــ لقائليها [4] ، بل ويُفَصِّل القول في تعريفه بالشَّاعر ؛ فيذكر لَقَبَهُ ، ويُبيِّن سبب إطلاق هذا اللَّقَب عليه ، ثم ينتهي إلى ذِكْر اسمه كاملاً ، فمن أمثلة ذلك ، قوله :

ــ " والبيت الذي استشهد به ــ يعني صاحب الفصيح ــ يُرْوى للمرقش الأكبر ، وسُمِّيَ مُرَقِّشاً ؛ لأنه يُزَيِّن شِعْره ، واسمه : ربيعة بن سفيان بن سعد بن مالك ... " [5] .

---

(١) في مسلم ، باب : الوصية بالنساء برقم (١٤٩٦) .

(٢) شرحه للفصيح : ٦١ .

(٣) نفسه : ١١١ . والحديث في البخاري باب : تغطية الإناء رقم (٥٣٠١) .

(٤) نفسه : ٥٦ ، ١١٢ ، ٢١٢ .

(٥) نفسه : ٤٩ .

ـــ وعند كلامه على قول صاحب الفصيح : (قَنَعَ قُنُوعاً) ، يقول : " والبيت الذي استشهد به للشَّمَّاخ ، واسمه : مَعْقِلُ بن ضِرار " [١] .

ـــ ويقول في موضع آخر ، مُعَرِّفاً باسم الشَّاعر : " والبيت الذي استشهد به ، هو لِقَعْنب ابن أم صاحب ... " [٢] .

ـــ ومن أمانته في نسبة الأبيات لأصحابها ، ينقل ما قِيل فيه من اختلاف في نسبته ، كقوله : " والبيت الذي أنشد هو لمالك بين الرَّيْب ، وقِيل : لجعفر بن خالد الحارثي " [٣] .

ـــ وأحياناً نجده ينسب الأبيات الخاصة بشرحه إلى قائليها [٤] ، كقوله :

أ/ قال النابغةُ ، فيورد له بيتاً واحداً [٥] .

ب/ قال الطِّرِمَّاح ، فيذكر البيت [٦] .

ج/ قال امرؤ القيس ، فيذكر البيت [٧] .

د/ قال جرير ، فيستشهد بالبيت [٨] .

هـ/ قال عنترة ، فيذكر الشَّاهد [٩] .

---

(١) شرحه للفصيح : ٧٥ .

(٢) نفسه : ٥٩ .

(٣) نفسه : ٦٨ .

(٤) انظر الصفحات : ٦٤، ٨٤، ٩١، ١٢١، ١٤٥ .

(٥) نفسه : ٨٣ .

(٦) نفسه : ٩٠ .

(٧) نفسه : ١٢٠ .

(٨) نفسه : ١٥٤ .

(٩) نفسه : ٢٨٨ .

ـــ لم يقتصرْ الشَّارح على الاستشهاد بشِعْر الشُّعراء فحسب ، بل نجده يستشهد لبعض الشَّاعِرات ـــ أيضاً ـــ ، كقولِه :

أ / قالت جارية من العرب ، فيستشهد لها ببيت [1] .

ب/ قالت الخنساء ، فيذكر الشَّاهد [2] .

ج/ قالت خرنق ، فيورد الشَّاهد [3] .

ـــ وأحياناً نجده يشارك أغلب الشُّراح ، في إغفالهم ذكر اسم الشَّاعر ؛ حيث اقتصر في بعض شواهده بقوله : قال الشَّاعر ، أو قال الرَّاجز [4] .

وتجدر الإشارة إلى الموافقة في المنهج الذي اتبعه الشُّراح المغاربة (التدميري ، وابن هشام اللخمي) فيما يخص العناية بشواهد الفصيح الشِّعرية ، من حيث نسبتها لقائليها ، والتعريف بألقاب أصحابها ، وأسمائهم .

---

(١) شرحه للفصيح : ١٠٢ .

(٢) نفسه : ١١٥ .

(٣) نفسه : ١٥٩ .

(٤) انظر الصفحات : ٥٦ ، ٦١ ، ٧٤ ، ٨٩ ، ٩٧ ، ١٢٨ ، ١٦٥ ، ٢٠١ ، ٢٨٠ ، ٣٩٦ .

ونخلص مما سبق إلى بيان الآتي :

أ/ ذكر ابن هشام اللخمي ستة أسباب دعته لتأليف هذا الشرح .

ب/ ذكر سنده في قراءة الفصيح .

ج / التزم طريقة ثعلب في عرضه لأبواب الفصيح .

د / اعتنى بأقوال العلماء ، ونقل عن أهل بلده .

هـ / كان متابعاً لثعلب في ذكره للغة العالية الفصيحة والوقوف عندها .

و / يقدم اللغة الأفصح ، ثم يتبعها باللغة الثانية ، وقد يذكر لغتين متساويتين فصاحة ، وقد يُخَرِّجُ لغة العامة على وجه صحيح .

ز / استشهد على فصاحة ما ذهب إليه بالقرآن الكريم والقراءات والحديث الشريف ، والأشعار .

الْفَصْلُ الثَالِث

مُوَازَنَةٌ

بَيْنَ شُرُوْحِ الفَصِيْحِ المَشْرِقِيَّةِ وَالمَغْرِبِيَّةِ

فِي حَرَكَةِ التَّنْقِيَةِ اللُّغَوِيَّةِ

وبعد أن تحدثنا عن دور كتاب الفصيح وأثر شروحه ـــ المشرقية والمغربية ـــ في تدعيم حركة التنقية اللُّغوية ، رأينا من المفيد أن نعقد ـــ في هذا الفصل ـــ موازنة يسيرة بين شروح الفصيح مشرقيها ومغربيها ، وفاءً بوعدنا المتقدِّم في بداية هذه الدراسة .

أمَّا الشُّروح المشْرقية التي تضمنتها هذه الموازنة ، فتتمثل في :

١ـــ تصحيح الفصيح لابن دُرُسْتُويه .

٢ـــ شرح الفصيح لابن الجبَّان .

٣ـــ شرح الفصيح للمرزوقي .

وأما الشُّروح المغْربية فتتمثل في الشرحين التاليين :

١ـــ شرح غريب الفصيح للتَّدميري .

٢ـــ شرح الفصيح لابن هشام اللَّخمي .

ونهدفُ من خلال هذه الموازنة إلى معرفة أوجه الاتفاق أو الاختلاف بين هذه الشروح ، وذلك من خلال تلك المواد المختارة من بعض أبواب الفصيح وموادها المتميزة التي تبرز ما نسعى لتحقيقه كمعيار صادق يكشف ما نصبوا إليه من خلال نتائجها .

وتيسيراً منَّا على المتتبع لهذه الموازنة ونتائجها ، فقد بوّبناها على صورة جداول ، حتى يسهل المقارنة بين أوجه الاتفاق أو الاختلاف في أبواب الفصيح ومواده التي دارت فيها أصول هذه الموازنة .

أمثلة الموازنة : ١

الشرح	باب : فَعَلْتُ ، بفتح العين (شَحَبَ لَوْنُهُ)
تصحيح ابن دُرُسْتُويه	وأما قوله : (شَحَبَ لَوْنُهُ) ، فمعناه : تَغَيَّر ؛ إمَّا من سَفَرٍ ، وإمَّا من مَرَضٍ ، أو سوءِ حال ، كما قال الشَّاعر : شَحَبَ الوجْهُ بِلاَ فَائِدَةٍ وذَهَابُ المَالِ مِمَّا قَدْ قُدِرْ وإنما ذكره ؛ لأنَّ العَامَّة تَقولُ : شَحِبَ ، بكسر الحاء ، وهو خطأ ، وبعضهم يقول : شَحُبَ ـــ بضم الحاء ـــ والمستقبل بالضم على أصل الباب ، ومصدره الشُّحُوب ، واسم فاعله : الشَّاحِبُ . (ص ٥١ ، ٥٢) .
شرح ابن الجَبَّان	وشَحَبَ لَوْنُهُ يَشْحُبُ ، شَحْباً وشُحُوباً : إذا تَغَيَّر ، من هُزَالٍ أو شَمْسٍ أو سَفَرٍ . (ص ١٠٤) .
شرح المرزوقي	(شَحَبَ لَوْنُهُ) إذا تَغَيَّر ، ومصدره الشُّحُوبُ والشُّحُوبَةُ (ص ١٥) .
شرح التدميري	وشَحَبَ لَوْنُهُ يَشْحُبُ ، بالضم والفتح في المضارع ، أي تَغَيَّر ، وقِيلَ : تَغَيَّر بضمور . وشَحُبَ يَشْحُبُ ـــ بالضم فيهما أيضاً ـــ لُغَةٌ . (ص ٢٣)
شرح اللَّخمي	شَحَبَ لَوْنُهُ ، تَغَيَّر من سَفَرٍ أو مَرَضٍ أو سوءِ حال . وقالوا : شَحُبَ وفي المستقبل : يَشْحُبُ ويَشْحَبُ . (ص ٥٥)

الموازنة :

أولاً / ابن درستويه في تصحيحه :

ـــ بدأ شرحه لقول ثعلب بتفسيره للمعنى اللغوي .

ـــ انفرد من بين الشرّاح المذكورين بالاستشهاد على فصاحة (شحب) ببيت من الشعر .

ـــ علل ذكر ثعلب للفعل (شحب) ؛ لأن العامة تقوله بالكسر ، وقد خطأه .

ـــ ذكر لغة أخرى للعامة ، وهي : (شَحُبَ) بالضم .

ـــ ذكر بعض المشتقات ، كالمصدر واسم الفاعل .

ثانياً / ابن الجبان في شرحه :

ـــ أفرد لغة ثعلب وهي اللغة الفصيحة العالية ، واقتصر عليها .

ـــ ذكر باب الفعل ، واتفق مع ابن درستويه في ذكره للمصدر (الشُّحُوب) وزاد عليه (شَحْباً)

ثالثاً / المرزوقي في شرحه :

ـــ اقتصر على اللغة الفصيحة العالية التي ذكرها ثعلب .

ـــ اقتصر على تفسيره للمعنى اللغوي ، دون ذكر العلة .

ـــ أضاف مصدراً آخر لم يذكره الشارحان السابقان ، وهو (الشُّحُوبة) .

رابعاً / التُّدميري في شرحه :

ـــ بدأ قوله بذكره لباب الفعل ، ثم أتبع ذلك بتفسير المعنى اللغوي .

ـــ حكى لغتين في الماضي ، منفرداً بهذا عن الثلاثة السابقين ، وهما : (شَحَبَ ، وشَحُبَ) . فأما الأخيرة فقد نسبها ابن درستويه للعامة .

ـــ تفرد عمن سبقه بذكر لغتين في المضارع أيضاً ، هما (يَشْحَبُ ، ويَشْحُبُ) فأما الأخيرة فهي على أصل الباب عند ابن درستويه .

خامساً / ابن هشام اللخمي في شرحه :

ـــ اتفق مع ابن درستويه في تفسيره للمعنى اللغوي .

ـــ وافق التُّدميري في ذكره للغات في الماضي والمستقبل .

ـــ أغفل ذكر المشتقات ، لأنه هكذا ألزم نفسه بمقدمته ، فذكر أنه سيهتم بالمعنى .

نتيجة الموازنة :

ـــ اتفق الشُّرَّاح جميعاً على تفسيرهم للمعنى ، وإن تفاوتوا في ذكرهم للعلة .

ـــ اتفقوا أيضاً على تقديمهم للغة العلو والفصاحة ، كما حكاها ثعلب ، فاقتصر عليها المشارقة ، بينما أضاف المغاربة إلى جانب لغة الفصيح لغة أخرى هي (شحُب) بضم الحاء ، وإن كان ابن درستويه ، وهو أحد المشارقة قد ذكرها ، إلا أنه نسبها للعامَّة وسكت عن مستواها الصوابي .

ـــ انفرد ابن درستويه عن غيره من الشرَّاح بالاستشهاد على فصاحة لغة الفصيح ببيت من الشعر .

ـــ علل ابن درستويه ذكر ثعلب للفعل (شَحَبَ) ، وقد انفرد بذلك عن غيره من الشراح الآخرين .

ـــ خطَّأ ابن درستويه لغة العامَّة (شَحِبَ) ، كما أضاف لغة أخرى للعامَّة هي (شَحُبَ) وسكت عن ذكر مستواها الصوابي ، بينما صرَّح كل من التدميري وابن هشام بأنها لغة .

ـــ انفرد ابن درستويه عن غيره من الشرَّاح بذكره اسم الفاعل (شاحب) .

ـــ اتفق الشرَّاح الثلاثة المشارقة في ذكرهم للمصدر (الشحوب) ، بينما أغفله الشرَّاح المغاربة .

ــ اتفق الشارحان المغربيان على ذكر لغتين في الماضي ، كما ذهبا إلى وجود لغتين في المستقبل ، هما (يشحَب ويشحُب) بفتح الحاء وضمها .

أمثلة الموازنة : ٢

الشرح	باب : فَعِلْتُ ، بكسر العين (جَرِعْتُ الماءَ أجْرَعَهْ)
تصحيح ابن دُرُستويه	(جَرِعْتُ الماءَ أجْرَعه) أي : بلعتُه ، ومنه قيل : تجرَّعتُه ؛ إذا بلَعْتَ منه شيئاً بعد شيء بشدة ، وقال الله عزَّ وجل : ﴿ يتجرَّعُهُ وَلاَ يَكَادُ يُسيغُهُ ﴾ ، ومنه قيل : تَجَرَّع الغيظ ، وجَرَّعتُهُ الهَمَّ ونحوه . والعامَّةُ تقولُ : جَرَعْتُهُ ، بفتح الماضي ، وهو خطأ . (ص ٦١)
شرح ابن الجبَّان	(وجَرِعْتُ الماءَ أجْرَعُهُ جَرْعاً) : إذا جعلته في أقصى فمك ليَنْزِلَ ، فإن أنت أسغْتَ ذلك قليلاً ، قلت : تَجَرَّعْتُه . (ص ١٠٨)
شرح المرزوقي	(جَرِعْتُ الماءَ) يُقَالُ فيه : اجْتَرَعَ أيضاً ، ويُقَالُ : إذا جَرِع بمرة قيل : اجْتَرَعَ ، وإذا تابع مَرَّةً بعد مَرَّة ، قيل : تَجَرَّع . (ص ٢١)
شرح التدميري	(وجَرِعْتُ الماءَ أجْرَعُهُ) أي : بَلعْتُهُ ، وتَجَرَّعْتُهُ : إذا بلعتُ منه شيئاً بعد شيء بشدة ، وجَرَعْتُ أجْرَعُ بالفتح ــ فيهما أيضاً ــ لغة . (ص ٣٢)
شرح اللخمي	(جَرِعْتُ الماءَ) شربته برغبة ، ويُقَالُ : جَرَعْتُهُ . (ص ٥٨)

الموازنة :

أولاً : ابن درستويه في تصحيحه :

ـــ استفتح بتفسيره للمعنى اللغوي .

ـــ فَرَّق بين دلالة (جَرِعَ ، وتَجرَّعَ) ، واستشهد على ذلك بالآية الكريمة .

ـــ ذكر المعنى المجازي للفعل .

ـــ أضاف إلى لغة الفصيح لغة ثانية ، وهي (جَرَعْتُهُ) ونسبها للعامة وخطأها .

ثانياً : ابن الجبان في شرحه :

ـــ أفرد لغة الفصيح واقتصر عليها .

ـــ فسر المعنى اللغوي ، مبيناً الفرق بين (جَرِعَ وتَجرَّعَ) موافقاً لابن درستويه في ذلك .

ـــ انفرد عن جميع الشراح المذكورين بذكره للمصدر (جَرْعاً) .

ثالثاً : المرزوقي في شرحه :

ـــ وافق الشارحين السابقين في التفريق بين دلالة (جَرِعَ وتَجرَّعَ) .

ـــ انفرد عن الشارحين السابقين بذكره لغة ثانية ، وهي :(اجْتَرَعَ ، بمعنى جَرِعَ)

رابعاً : التُّدميري في شرحه :

ـــ يوافق ابن درستويه وابن الجبان في نصه على التفريق بين دلالة (جَرِعَ وتَجرَّعَ)

ـــ يخالف ابن درستويه فيما ذهب إليه من تخطئة لغة العامة ، حيث ينص التُّدميري على أنها لغة .

خامساً : ابن هشام اللخمي في شرحه :

ـــ انفرد عن جميع الشراح المذكورين في تفسيره للمعنى اللغوي للفعل (جرِع) .
ـــ وافق التدميري فيما ذهب إليه من أنَّ (جَرَعَ) بالفتح لغة ثانية .

نتيجة الموازنة :

ـــ اتفق الشرَّاح جميعاً على تقديمهم لغة الفصيح (جرِع) وقد اقتصر عليها المشارقة ، بينما اتفق المغاربة على إضافة لغة أخرى (جرَع) بفتح الراء ، مع تصريحهم بأنها لغة .

ـــ اتفق الشرَّاح الأربعة على التفريق بين دلالة (جَرَعَ و تَجَرَّعَ) بينما أغفل ابن هشام اللخمي ذلك .

ـــ أضاف ابن درستويه إلى لغة الفصيح لغة ثانية (جرَع) بفتح الراء ونسبها للعامَّة ، ووسمها بالخطأ .

ـــ انفرد ابن الجبان عن غيره من الشرَّاح بذكره للمصدر (جَرْعَاً) .

ـــ كما انفرد المرزوقي أيضاً عن بقية الشرَّاح بذكره لغة ثانية (اجترع) بمعنى (جرِع)

ـــ كما انفرد ابن هشام اللخمي عن بقية الشرَّاح الآخرين بتفسيره للمعنى اللغوي تفسيراً مغايراً عما ذكره أولئك الشرَّاح .

أمثلة الموازنة :٣

الشرح	باب : (فَعَلْتُ بغير ألف) رَعَدَ وأَرْعَدَ
تصحيح ابن دُرُسْتُويه	وأما قوله : (رعدت السماء) من الرعد ، و (برقت) من البرق وكذلك قوله : (رعد الرجل وبرق) إذا أوعد وتهدد ، قال : وقد يقال : أرْعَدَ وأبْرَقَ فإن معنى الرعد معروف ؛ وهو صوت الريح في السحاب ، سمي بذلك لما فيه من الرِّعْدة . ومعنى البرق : الضوء اللامع .... ومنه قوله : بَرَّق عينَه ، إذا فتحها جداً ولمعها ، ومنه سمي البُراق الذي تركبه الأنبياءُ صلوات الله عليهم ، وكذلك كل شيء كان منه صوت شديد مرتعد ، يقال منه : رعد وترعد ولذلك سميت السحابة : راعدة وبارقة ، فإن أردت أن شيئاً قد أظهر صوت الرعد أو بريق البرق أو غيره ، فحقه وقياسه أن يقال : أرعد وأبرق بألف ، كما يقال : سقى وأسقى ، بمعنيين مختلفين . ولا يكون معنى رعد وأرعد واحداً ، ولا معنى برق وأبرق واحداً إلا أن يكون ذلك في لغتين متباينتين ، ولذلك قال الكميت : أَرْعِدْ وأَبْرِقْ يَا يَزِيـــ ـــــدُ فَمَا وَعِيْدُكَ لِي بِضَائِرْ (ص ٧٠)
شرح ابن الجَبَّان	ورَعَدَتِ السماءُ تَرْعُد رَعْداً : إذا سمعت صوتاً من دوي السحاب والريح فيه أو من اصطكاك بعضه ببعض . ورَعَدَ الرَّجُلُ إذا تهدد وخَوَّفَ ، وهو مستعار من رَعْدِ السحاب ؛ لأنه مُخوف هائل ، وكذلك بَرَقَ الرَّجُلُ مستعار من بَرْقِ السحاب ، وقد يُقَالُ : أَرْعَد وأَبْرَق، والاختيار هو الأول . (ص ١١٥ ، ١١٦)

شرح المرزوقي	رَعَدَ الرجل وبَرَقَ : أَوْعَدَ وهدد ، وقد يقال أيضاً : أَرْعَدَ و أَبْرَقَ ، وكان الأصمعي يَمْتَنِعُ فيه من أَرْعَدَ وأَبْرَقَ ، ولا يعد قول الكميت حجة في قوله : أَرْعِــدْ وأَبْرِقْ يَا يَزِيــ ـــدُ فَمَا وَعِيْدُكَ لِي بِضَائِرْ وإنما يحتج بقول ابن أحمر : فَأَبْرِقْ بأرضكَ ما بدا لكَ وأَرْعِد . وقد روي في رَعَدَتِ السَّماءُ وبَرَقَت : أَرْعَدَت وأَبْرَقت أيضاً ، والمصدر: الرَّعْد ، والرُّعُود، والرَّعْدَة والبَرْقُ والبُرُوق ، ويقال للمرأة إذا تزينت وتهيأت: أَرْعَدَتْ وأَبْرَقَتْ ؛ وأَبْرَقَ بالسيف : لمع به ، ومن أمثالهم : " رُبَّ صَلَّف تَحْتَ الرَّاعِدَةِ " أي قلة خير من مُتَكَبِّرٍ ومُدَّعٍ ، وأَرْعَدْنَا وأَبْرَقْنَا أي : سمعنا الرَّعْد ورأينا البَرْقَ . (ص ٢٩ ، ٣٠)
شرح التدميري	"ورَعَدَتِ السماءُ من الرَّعْد " أي : سمع منها صوت الرَّعْد ، والرَّعْد فيما روي عن ابن عباس : اسم ملك يزجر السحاب بصوت من نار ، وجاء في الخبر : عن النبي – صلى الله عليه وسلم-: "إن الله تعالى ينشئ السحاب فتنطق أحسن المنطق وتضحك أحسن الضحك ؛ فمنطقها الرعدُ ، و ضحكها البرقُ " وقال أهلُ اللغة : الرَّعدُ صوت السحاب والبَرْقُ نور وضياء يصحبان السحاب . ورَعَدَ الرَّجُلُ وبَرَقَ إذا أوعد وهدد ، فأوعد ؛ مأخوذ من الوعيد ؛ وهو مثل التهديد ، ويقال أيضا : أَرْعَدَ وأَبْرَقَ ، وأنشد في بعض الروايات للكميت بن زيد الأسدي : أَرْعِــدْ وأَبْرِقْ يَا يَزِيــ ـــدُ فَمَا وَعِيْدُكَ لِي بِضَائِرْ وكان الأصمعي ينكر هذه اللغة ويقول : ليس الكميت بحجة ،

وينشد قول المتلمس : فَإِذَا حَلَلْتُ وَدُونَ بَيْتِيَ غَاوَةٌ فَابْرُقْ بِأَرْضِكَ مَـا بَدَا لَكَ وَارْعُدِ (ص ٤٥)	
رَعَدَتِ السماءُ من الرَّعْد ، وهو مَلَكٌ يزجر السحاب . وبَرَقَتْ من البَرْق ، والبَرْقُ : مخاريق من نار مع ملك يسوق بها السحاب ، ويقال أيضا : أَرْعَدَ القومُ وأَبْرَقُوا وأُغيموا إذا أصابهم غَيمٌ ورَعْدٌ وبَرْقٌ ." ورَعَدَ الرَّجُل وبَرَقَ " : إذا أَرْعَدَ وهَدد ، قال المتلمس يخاطب عمرو بن هند : فَإِذَا حَلَلْتُ وَدُونَ بَيْتِيَ غَاوَةٌ فَابْرُقْ بِأَرْضِكَ مَا بَدَا لَكَ وَارْعُدِ وقد يقال : أَرْعَدَ وأَبْرَقَ ، وعليه أدخل الكميت قوله : أَرْعِدْ وَأَبْرِقْ يَا يَزِيـــ ـــدُ فَمَا وَعِيدُكَ لِي بِضَائِرْ والكميت عند الأصمعي ليس بحجة ؛ لأنه مولد . (ص ٦٣ ، ٦٤)	شرح اللخمي

الموازنة :

أولاً : ابن درستويه في تصحيحه :

ـــ فسر معنى الرعد بأنه صوت الريح في السحاب ، وعلل ذلك لما فيه من الرِّعدة ، كما فسر معنى البرق بالضوء اللامع .

ـــ ذكر المعاني المجازية في قولهم : رعد الرجل وبرق .

ـــ ذكر المشتقات لهذا الفعل : (بَرَّق ، بَرْقاً ، تَبْريقاً ، البُراقُ ، بَارِقَة) .

ـــ ينفي أن يكون (رعد وأرعد) بمعنى واحد ؛ وإنما جعلهما لغتين مختلفتين .

ـــ استشهد ببيت الكميت على التفرقة بين معنى (رعد وأرعد) .

ثانياً / ابن الجبان في شرحه :

ــ اتفق مع ابن درستويه في تفسيره للمعنى اللغوي ، وكذلك ذكره للمعاني المجازية .

ــ خالف ابن درستويه ، حيث يرى أنّ (رعد وأرعد) بمعنى واحد .

ــ يفصح (رعد) التي على (فعل) ، ويقدمها على (أرعد) والتي على أفعل بالألف .

ثالثاً / المرزوقي في شرحه :

ــ بدأ بتفسيره للمعنى اللغوي .

ــ ذكر المشتقات (كالرَّعْدِ ، والرُّعُودِ ، والرِّعْدة ، والبَرقُ ، والبُرُوق) .

ــ يذكر المعاني المجازية للفعل .

ــ ينبه من أنه قد يأتي (رعد ، وأرعد) بمعنى واحد ، ذاكراً مذهب الأصمعي في ذلك .

رابعاً / التُّدميري في شرحه :

ــ يفسر المعنى اللغوي للرعد ، ويزيد في إيضاح ذلك بما قاله أهل اللغة .

ــ ينص على أن (رعد وأرعد) بمعنى واحد ، مخالفاً بذلك ابن درستويه .

ــ يذكر شاهد الفصيح ، وهو بيت الكميت للدلالة على أن (رعد وأرعد) بمعنى واحد .

خامساً / ابن الجبان في شرحه :

ــ يوافق التدميري في تفسيره للمعنى اللغوي .

ــ يوافق ابن الجبان والمرزوقي من أنه قد يقال : (أرعد وأبرق) بمعنى (رعد وبرق) مخالفاً في ذلك ابن درستويه .

نتيجة الموازنة :

ـــ بدأ الشرَّاح بتفسيرهم للمعنى اللغوي ، واتفق ابن الجبان مع ابن درستويه في تفسيرهما لذلك المعنى ، بينما جاء تفصير المرزوقي موجزاً غير ملتزم بما ذهب إليه الشارحان السابقان ، وجاء تفسير المغاربة متفقاً مع بعضهم البعض .

ـــ ذكر الشراح المعاني المجازية بالإضافة إلى ذكرهم بعض المشتقات ، وقد تفاوتوا في ذلك .

ـــ اتفق الشرَّاح الأربعة على أنه يقال : رعد وأرعد ، ومثلها : برق وأبرق ، وقد خالفوا ابن درستويه في ذلك حيث أنَّ الأخيرَ أنكر أن يكون (رعد وأرعد) بمعنى واحد ، وإنما جعلهما لغتين مختلفتين .

الشرح	تابع للباب السابق (نَعَشْتُ الرَّجُلَ وأَنْعَشْتُه)
تصحيح ابن دُرُسْتَوَيهِ	وأمَّا قولُه : (نَعَشْتُهُ ، فأنا أَنْعَشُه) فمعناه : رفعته من صرعتُه ، وذلك إذا صُرِع بيدنه فوقع على الأرض ، أو سقط جاهُهُ ، أو ظلمَهُ ظالمٌ فنصرتُه ، أو عَثَر فأخذتُ بيده أو زل في كلامه فأعنتُه أو آسيتُه ، ففي كل ذلك قد نَعَشْتُه أي: رفعتُه ، وأنت نَاعِشُه ، وهو مَنْعُوشٌ نَعْشًا . و مستقبل فعْله : أَنْعَشُهُ ، بفتح حرف المضارعة ، وكل ذلك دليل على أن نَعَشْتُهُ بغير ألف .والعامة تقوله بالألف أَنْعَشْتُه ، وهو خطأ . ومنه قول الشاعر: إذا ما نَعَشْنَاهُ على الرَّحْلِ يَنْثَنِيْ مُسَالَيْه عَنْهُ مِنْ وَرَاءٍ ومَقْدَمِ ولهذا سُمي سرير الميت : نَعْشاً ؛ لأنه يرفع عليه . (ص ٨٣)
شرح ابن الجبَّان	ونَعَشْتُ الرَّجُلَ : إذا رفعتَهُ ، أَنْعَشُهُ نَعْشًا ، ونَعْشُ الجنازة من ذلك ؛ لأن الميِّتَ يرتفعُ به . (ص ١٩)
شرح المرزوقي	نَعَشْتُ الرجل نَعْشًا : سددتُ فقره ، ويقال : انْتَعِشْ نَعَشَكَ اللهُ ، أصله : الرفع ، ومنه : نَعْشُ الجنازة ، ونَعَشْتُهُ : حملته على النَّعْشِ . (ص ٣٤)
شرح التدميري	ونَعَشْتُ الرَّجُلَ أَنْعَشُهُ أي: أخذتُ بيده ورفعتُه ، وهو كناية عن الإحسان إليه ، و منه سُمِّي النَّعْشُ نَعْشًا؛ لأنه يرفع بالأيدي . وأَنْعَشْتُهُ ـــ أيضاً ـــ لغة عن الكسائي ، وقال الأصمعيُّ: لا يُقَالُ ذلك . (ص ٧٠)

نَعَشْتُ الرَّجُلَ : رفعته من صرعته، وقالوا: أَنْعَشْتُ . ص (٦٧)	شرح اللخمي

الموازنة :

أولاً / ابن درستويه في تصحيحه :

ـــ يبدأ في تفسيره للمعنى اللغوي ، ثم يتبعه بذكر المعنى المجازي .

ـــ ينص على ذكره لباب الفعل .

ـــ يجعل وزن (أفعل) من المادة من كلام العامة ، وليس من اللغة في شيء ، ثم يوضح ذلك بالأمثلة .

ـــ يستشهد على فصاحة لغة الفصيح العالية ببيت من الشعر .

ـــ يذكر المشتقات (كاسم الفاعل ، واسم المفعول ، والمصدر) .

ـــ يؤكد المعنى بتعليله لتسمية سرير الميت (نَعْشاً) ؛ لأنه يرفع عليه .

ثانياً / لبن الجبان في شرحه :

ـــ يوافق ابن درستويه في إفراده لغة الفصيح ، ويقف عليها ، يوافقه أيضاً في ذكره لباب الفعل ، وكذلك المصدر (نَعْشاً)

ـــ كما يوافقه في تفسيره للمعنى اللغوي ـــ أيضاً ـــ .

ثالثاً / المرزوقي في شرحه :

ـــ بدأ بتفسيره للمعنى اللغوي ، مخالفاً لتفسيره هذا الشارحين السابقين .

ـــ لم ينص على باب الفعل .

ـــ أضاف قولاً من عنده لم يذكره الشارحان .

ـــ يتفق مع الشارحين السابقين في الوقوف على لغة الفصيح وإفرادها .

ـــ يتفق مع الشارحين السابقين في ذكره للمصدر (نَعْشاً) .

ـــ ثم عاد وذكر أصل المعنى وهو الرفع .

رابعاً / التدميري في شرحه :

ـــ بدأ بتفسيره للمعنى الحقيقي ، ثم أضاف معناً مجازياً ، ويؤكد هذا المعنى بتعليله لتسمية سرير الميت (نَعْشاً) ؛ لأنه يرفع بالأيدي ، متفقاً بذلك مع الثلاثة السابقين

ـــ يذكر بالإضافة إلى لغة الفصيح أن (أنعش) بالألف لغة عن الكسائي ، وإن كان الأصمعي ينكرها .

خامساً / ابن هشام اللخمي في شرحه :

ـــ اقتصر على المعنى اللغوي ، و لم يذكر باب الفعل .

ـــ اقتصر على كلام صاحب الفصيح .

ـــ قدم لغة الفصاحة (نعش) مع نصه على أن (أنعش) بالألف لغة أخرى ، فهو موافق للتدميري في ذكره هاتين اللغتين .

نتيجة الموازنة :

ـــ اتفق ابن الجبان مع ابن درستويه في تفسيرهما للمعنى اللغوي ، وجاء تفسير المرزوقي مغايراً لما ذكره الشارحان ، بينما اتفقا المغربيان في تفسيرهما لذلك المعنى .

ـــ أفرد الشرّاح المشارقة لغة الفصيح ووقفوا عليها ، بينما أضاف المغاربة إلى جانب لغة الفصيح لغة أخرى هي (أنعشه) بالألف ، والتي خطأها ابن درستويه ونسبها للعامّة ، أمّا التدميري فحكاها عن الكسائي ، وإن كان الأصمعي قد أنكرها .

ـــ انفرد ابن درستويه عن الشرّاح الآخرين في ذكره لبعض المشتقات ، كاسم الفاعل والمفعول والمصدر .

ـــ اتفق المشارقة على ذكرهم للمصدر (نعْشاً) ، بينما أغفله المغاربة .

الشرح	باب : فَعِلت وفَعَلت باختلاف المعنى ،(قَنِع وقَنَع)
تصحيح ابن دُرُسْتويه	و أما قوله (قَنِع الرَّجُلُ قَنَاعَةً) ، بكسر النون في الماضي فمعناه رَضي بحظه ، وصبر على ضُرِّه . واسم فاعله : قَنِعٌ بكسر النون بغير ألف ، وقَنُوع على فَعُول في المبالغة . وأما قوله : قَنَعَ ، بفتح النون قُنُوعاً فمعناه سأل وتعرض و طلب . واسم فاعله: قانع ومنه قول الله ـ عز وجل ـ {فَكُلُوا مِنْهَا وأَطْعِمُوا القَانِعَ والمُعْتَرّ}والمستقبل منهما جميعا : يَقْنَعُ بفتح النون ؛ فالأول يجري مستقبله على ماضيه ـ على الأصل ـ . والثاني يُفْتَحُ مستقبله ـ لحرف الحلق ـ وأصله غير ذلك. ومصدر الثاني: القُنُوع ، على فُعول كما قال الشَّماخ : لَمَالُ المَرْءِ يُصْلِحُهُ فَيُغْنِي مَفَاقِرَه أَعَفُّ مِنَ القُنُوعِ (ص ١١٤ ، ١١٥)
شرح ابن الجبَّان	وقد قَنِعَ الرَّجُلُ إذا رضي باليسير ، يَقْنَع (قَنَاعَةَ) ، فأما قَنَعَ ـ بفتح النون ـ قُنوعا فمعناه سأل ، والنون مفتوحة في المضارع منهما جميعا ، تقول : يَقْنَع . (ص ١٢٩)
شرح المرزوقي	وقَنِعَ الرَّجُلُ إذا رَضي قَنَاعَةً فهو قَنِعٌ ، وقد حُكِي فيه القُنُوع و لم يكثر، و يقال : في هذا مَقْنَعٌ ، ورجلٌ مِقْنَعٌ : إذا كان في موضع الرضا ، قال : شُهُودِي عَلَى لَيْلَي شُهُودٌ مَقَانِعُ ورجل قَنُوعٌ : إذا كان دأبه القَنَاعةُ ، وهو قُنْعَانٌ أي : شديد القَنَاعَة والرضا ، و "قَنَعَ" سأل ، مصدره القُنُوع ، واسم الفاعل منه القَانِع ، وفي القرآن الكريم : {وَأَطْعِمُوا القَانِعَ والمُعْتَرّ} . (ص ٥٠)

لم يتعرض التدميري للحديث عن هذه المادة .	**شرح التدميري**
قَنِعَ الرَّجُلُ إذا رضي قَنَاعَةً . وقَنَعَ قُنُوعًا إذا سأل . قال الشارح : وقد قيل: القُنُوعُ في الرضى ، والبيت الذي استشهد به للشماخ ، واسمه معقل بن ضرار ، وبعده: يَسُدُّ بِهِ نَوَائِبَ تَعْتَرِيهِ على الأَيَّامِ كالنَّهَلِ الشُّرُوعِ وقوله : يَقْنَع فيهما جميعا إنما فُتِحت العينُ في مستقبل قَنَع إذا سأل ؛ لأجل حرف الحلق . (ص ٧٥ ، ٧٦)	**شرح اللخمي**

الموازنة :

أولاً / ابن درستويه في تصحيحه :

ــ ضبط عين الفعل ، ثم ذكر المعنى اللغوي .

ــ ذكر المشتقات (اسم الفاعل ، والمصدر ، وصيغة المبالغة) .

ــ نص على أن الفعل الآخر (قَنَعَ) مفتوح النون ، ثم أعقب ذلك بذكر المعنى والمشتقات لهذا الفعل (كالمصدر واسم الفاعل) ، واستشهد على الأخر بالآية الكريمة .

ــ ذكر باب الفعل في المكسور والمفتوح ، أي في القياسي وغيره .

ــ ذكر مصدر الفعل الثلاثي (القُنُوع) مستشهداً على ذلك بما جاء في الفصيح .

ثانياً / ابن الجبان في شرحه :

ــ بدأ بتفسيره للمعنى اللغوي للفعل الأول .

ــ ذكر باب الفعل والمصدر ، فيما يتعلق بالفعل الأول .

ــ ضبط الفعل الثاني بالنص على فتح عينه ، وذكر المعنى والمصدر لهذا الفعل .

ـــ نص على فتح النون في مضارع الفعلين .

ثالثاً / المرزوقي في شرحه :

ـــ ذكر المعنى للفعل الأول ، وتبعه بذكره للمشتقات (كالمصدر واسم الفاعل) .

ـــ أضاف مصدراً آخر ، وهو (القُنُوع) ونبه على قلته .

ـــ انفرد عن الشراح المذكورين بإضافته لاشتقاقات واستعمالات جديدة على الفعل الأول ، واستشهد على ذلك بشطر من الشعر .

ـــ ذكر معنى الفعل الثاني ، ومصدره واسم فاعله ، واستشهد على الأخير بالآية الكريم موافقاً بذلك لابن درستويه .

رابعاً / التُدميري في شرحه :

لم يتعرض للحديث عن هذه المادة .

خامساً / ابن هشام اللخمي في شرحه :

ـــ بدأ بتفسيره للمعنى اللغوي للفعلين جميعاً ، وتبع ذلك بذكر مصدريهما .

ـــ نص على المصدر الذي أضافه ابن درستويه والمرزوقي (القُنُوع) .

ـــ ذكر العلة في فتح العين في المضارع من الفعل الثاني .

ـــ اتفق مع ابن درستويه والمرزوقي على أن فتح العين من الفعل الثاني في المضارع إنما هو لأجل حرف الحلق ، وليس على القياس .

نتيجة الموازنة :

ـــ قدم الشرَّاح الأربعة تفسيرها للمعنى للفعلين ، باستثناء التدميري الذي أهمل هذه المادة

ـ اتفق كل من ابن درستويه والمرزوقي وابن هشام اللخمي على إضافة المصدر (القُنُوع) ، والذي أغفله ابن الجبان، أمّا التدميري فإنه لم يتعرض للحديث عن هذه المادة أصلاً كما أسلفنا .

ـ اتفق ابن درستويه والمرزوقي وابن هشام في ذكرهما لعلة فتح العين في المضارع من الفعل الثاني ، وصرّحوا بأنّه لأجل حرف الحلق ، وليس على القياس .

ـ وافق ابن الجبان ابن درستويه في ضبطهما للفعل الثاني (قَنَعَ) بفتح العين .

ـ انفرد ابن الجبان بالنّص على فتح النون في مضارع الفعلين ، وهذا ما لم نجده عند الشرّاح الآخرين .

ـ وافق المرزوقي ابن درستويه في ذكره لمعنى الفعل الثاني ومصدره ، واسم الفاعل منه ، واستشهاده عليه بالآية الكريمة .

أمثلة الموازنة : ٦

نفس الباب السابق (مَلِلْتُ ومَلَلْتُ)	الشرح
وأما قوله : مَلَلْتُ الشيء في النار أَمُلُّه مَلاً فمعناه: طَبَخْتُ أطْبُخُ طَبْخاً ، و شَوَيْتُ أشْوِي شَيّاً ، وحَنَذْتُ أحْنِذُ حَنْذاً . وهو خبزة تُدخل في رماد حار ، أو رمل حار ، حتى تنضج . ويسمى ذلك خُبْزَ مَلَّة .و المَلَّة : الرماد الحار . وأما قولُه: مَلِلْتُ من الشيء أَمَلُّ ، فمعناه : سَئِمتُ أسْأَمُ ، و غَرِضْتُ أغْرَضُ ، و نحو ذلك ؛ فلذلك جاء على أمثلتهما ؛ بكسر الثاني من الماضي وفتحه من المستقبل. ومصدره: المَلَلُ؛ بفتحتين مثل السَّأَمُ والغَرَضُ ، ونحو ذلك . ومَلالاً كذلك. (ص ١١٩)	تصحيح ابن دُرُسْتُوِيهِ
ومَلَلْتُ الشيء في النار أَمُلُّه : إذا ألقيته فيها لينطبخ أو ليشوى . ومَلِلت من الشيء إذا كرهته بعد ملازمته فتركته أَمَلُّ مَلالا ومَلالَة ومَلَلا . (ص ١٣٢)	شرح ابن الجَبَّان
ومَلَلْتُ الشيء في النار أَمُلُّه مَلاً، وامْتَلَلْتُهُ ، والشيء مَمْلُولٌ ، ومُمْتَلٌّ ، وبعض الناس يحمل "مَلْمَلَتْهُ الحمى على الفراش فتَمَلْمَلَ" على هذا ، ويقول : أصله : مَلَّلَتْهُ ، وأصحابنا البصريون يجعلونه بناء على حدة . وإن كان مؤديا لمعناه ، وعلى هذا رَقْرَقْتُ ورَقَقْتُ وأشباهه ، واسم ما يلقى في النار فيه من الجمر والرماد المَلَّةُ . ومَلِلْتُ من الشيء سَئِمْتُهُ ، ومصدره المَلالُ و المَلالَةَ والمَلَلُ ، ويقال : فلان مِلَّةٌ طِرفٌ أي : يَمَلُّ الشيء ويتطرَّفُه ، ورجل مَلُولٌ للمبالغة . (ص ٥٤)	شرح المرزوقي
ومَلَلْتُ الشيء في النار : ألقيتُه فيها . (ص ٩٦)	شرح التدميري

مَلَلْتُ الشيء في النارِ طبختُ وشويتُ وقَلَيْتُ ، والمَلَّة : الرماد الحار . ومَلِلْتُ الشيء : سَئِمْتُهُ . (ص ٧٧)	شرح اللخمي

الموازنة :

أولاً / ابن درستويه في تصحيحه :

ـــ بدأ بذكره لباب الفعل الأول (مَلَلْتُ) ثم أتبعه بذكر المصدر (مَلاً) .

ـــ ذكر التفسير اللغوي للمعنى ، مع التنظير بالمثال .

ـــ أضاف بعض الزيادات من أجل توضيح المعنى المراد .

ـــ ذكر باب الفعل الثاني ، ثم أتبعه بذكر المعنى والتنظير بالمثال .

ـــ أحياناً ينصُّ بالعبارة على الضبط ، بقصد الزيادة في التوضيح .

ـــ فسّر معنى الملة ، ذاكراً لها أكثر من معنى .

ـــ ذكر المصدر من الفعل الثاني ، وهو : المَلَلُ ، وأضاف إليه مصدراً آخراً : (ملالاً) ، ووافقه بذلك المرزوقي وأضاف مصدرين آخرين .

ثانياً / ابن الجبان في شرحه :

ـــ بدأ بذكر باب الفعل ، ثم أعقبه بتفسير المعنى اللغوي .

ـــ قام بتفسير المعنى اللغوي للفعل الثاني ، وتبعه بذكر باب الفعل .

ـــ ذكر من المشتقات ثلاثة مصادر ، واتفق مع ابن درستويه في إيراده للمصدر الأول (ملالاً) .

ـــ يلاحظ عليه عدم استطراده في الشرح والتوضيح كما فعل ابن درستويه والمرزوقي من بعده .

ثالثاً / المرزوقي في شرحه :

ــ بدأ لذكره لباب الفعل ، ووافق ابن درستويه للمصدر (ملاً) .

ــ أضاف فعلاً آخر لا وجود له عند الشراح المذكورين ، وهو (امتَلَلْتُهُ) .

ــ ذكر بعض المشتقات ، كالمصدر واسم المفعول ، وصيغة المبالغة ، وقد انفرد بالأخيرتين عن الشراح المذكورين .

ــ نبه إلى التفريق بين مذهب الكوفيين ، في الوقوف عند الثلاثي (مَلَلَ) ومذهب البصريين الذين يفرقون بين الثلاثي (ملل) والرباعي (مَلْمَلَ) وإن كان مؤدياً لمعناه .

ــ ذكر الفعل الثاني وفسر معناه اللغوي ، وأتبعه بذكر ثلاثة مصادر له .

ــ يلحظ عليه إضافته لأقوال متنوعة من كلام العرب ، وذلك لما يتمتع به من علم غزير وثقافة لغوية متنوعة .

رابعاً / التدميري في شرحه :

ــ لم يُزد على تفسير المعنى اللغوي للفعل .

ــ ملاحظ قصوره في شرحه لهذا الفعل ، والذي أفاض فيه ابن درستويه والمرزوقي من بعده .

خامساً / ابن هشام اللخمي في شرحه :

ــ فسر المعنى اللغوي بالمترادفات .

ــ ذكر معنى (الملة) موافقاً لابن درستويه في ذلك .

ــ ذكر المعنى الثاني للفعل .

ــ أهمل ذكر المشتقات .

نتيجة الموازنة :

ـــ استطرد كلٌّ من ابن درستويه والمزوقي في شرحهما وتوضيحهما للفعلين ، وهذا ما لم نجده عند الشرَّاح الآخرين .

ـــ انفرد ابن درستويه عن بقية الشرَّاح في إضافته لبعض الزيادات بقصد توضيح المعنى المراد .

ـــ كما انفرد أيضاً بتفسيره لمعنى (المَلَّة) ذاكراً لها أكثر من معنى ، وقد وافقه ابن هشام اللخمي فيما ذهب إليه .

ـــ وخالف ابن درستويه بقية الشرَّاح بتفسيرهُ لمعنى الفعلين ، مع التنظير لهما بالمثال .

ـــ وافق المرزوقي ابن درستويه في ذكره لباب الفعل الأول ، وإضافته للمصدر (مَلاً) .

ـــ اتفق المرزوقي مع ابن الجبَّان في ذكرهما ثلاثة مصادر للفعل الثاني ، وقد وافق الأخير ابن درستويه في ذكره للمصدر (مَلالاً) .

ـــ انفرد المرزوقي بإضافته لفعل آخر لا وجود له عند الشرَّاح الآخرين ، وهو (امْتَلَلْتُهُ) ، كما انفرد أيضاً بذكره لاسم المفعول وصيغة المبالغة ، وهذا ما لم نجده عند غيره من الشرَّاح الآخرين .

ـــ كما انفرد المرزوقي أيضاً بالتنبيه إلى التفريق بين المذهبين في الوقوف عند الثلاثي (مَلَلَ) .

ـــ أيضاً انفرد المرزوقي بإضافته لأقوال متنوعة من كلام العرب يسعفه في ذلك علمه الغزير ، وثقافته اللغوية المتنوعة ، وهذا لا وجود له عند بقية الشرَّاح الآخرين .

ـــ أغفل الشارحان المغربيان ذكر المشتقات اللغوية لهذين الفعلين ، مع قصور التدميري الواضح في شرحه لمعنى الفعلين .

الشرح	باب : ما يُقَال بحروف الخفض (سَخِرْتُ منه)
تصحيح ابن دُرُسْتُويه	وأمَّا قولُه : (سَخِرتُ منه) ؛ فأصله : من تَسْخِير الشيء ، وهو السُّخْرة ، ومن ذلك قول الله ـــ عز وجل ـــ "فَسَخَّرْنَا له الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ " أي : طوَّعناها له ، وذلَّلْناها له ؛ أي: جعلناها مُطِيْعَة . وكذلك قوله : ﴿سَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الجِبَالَ﴾ وكذلك قولهم : سَخَّرْتُ الدَّوَابَّ والسُّفُنَ : إنما معناه : جعلنا ما لغيرنا منقادا لنا . وكذلك سَخِرْتُ منه ؛ إنما معناه : أن تتخذ الرَّجُلَ لك كالمُسَخَّر، فتجعله بالخديعة أو غيرها مُطِيْعاً لك . وإنما قيل: سَخِرتُ منه فأُدْخِلَتْ فيه "من" للتبعيض ، وبُني الفعل منه على فَعِلتُ ؛ لأنه بمعنى عَبِثْتُ وهَزِئْتُ ، ونحو ذلك ، وهو أيضاً كالمطاوعة التي لا تتعدى ، ومستقبله على أَسْخَرُ بالفتح، كما قال الله ـــ تعالى ـــ : ﴿لا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ﴾. وقال تعالى : ﴿إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فإنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴾ . واسم الفاعل منه : سَاخِرٌ ومصدره : السُّخْرِيَّةُ ؛ كأنها منسوبة إلى السُّخْرَةِ ، و لكن علامة التأنيث حُذِفَتْ من مصدره ؛ لدخول ياءي النسب ، ثم أُنِّثَ المصدرُ بعد ذلك ، كما يُقَالُ : العُبودية واللُّصُوصية . وأما قول الله ـــ عز وجل ـــ : ﴿ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا ﴾ فإنما هو نعت الشيء المُسَخَّر ، من السُّخْرَة ، لو وضع موضع المصدر جاز، وقد يكسرون السين منه ، والعامة تقول : سَخِرْتُ بك ؛ فتعدى الفعل بالباء على التشبيه هزئت به . ومَنْ يَزْعم أن حروف الجر تَتَعَاقَبُ يُجِيزُ ذلك . وثعلب وأصْحَابُهُ يعتقدون جواز التعاقب وقد ردَّ على العامة (سَخِرْتُ به) وصوَّب سَخِرْتُ منه .

	والسُّخَرة بفتح الخاء الكثير السُّخْرية . والسُّخْرة : الذي يَسْخَر منه من الناس ، وهو أيضا مصدر مثل : الغُرفَة واللُّعْبة وأشباهها . (ص ١٧٠ ، ١٧١)
شرح ابن الجبّان	تقول : سَخِرتُ مِنْهُ : إذا استهزأتَ به ، والعَامَّةُ تقولُ: سَخِرْتُ به، والقرآنُ نَطَقَ بالأولِ . قال تعالى : ﴿قَالَ إِنْ تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ﴾ . تقولُ : سَخِرَ يَسْخَر سُخْرِيَّةً وسُخْرِيًّا وسِخْرِيًّا، وسَخَراً وسُخُراً فهو سَاخِرٌ . (ص ١٥٢)
شرح المرزوقي	وقوله (سَخِرْتُ منه) واسْتَسْخَرْتُ هو الاختيار ، وبعضهم يعديه بالباء ، وهو قليل ، يجريه مجرى هَزِئْتُ ، وهم يحملون النظير على النظير ، ومصدره : السُّخْرِيُّ والسُّخْرِيَّةُ والسُّخَرُ ، وبعضهم يجعل السِّخْرِيَّ بالكسر من التَّسَخُّر والسُّخْرة، وهو ما تستعمله بلا أجرة و لا ثمن كرهاً و تذليلاً ، ومنه : " سَخَّرَ الله كذا " . (ص ٨٦)
شرح التدميري	قولُه : (سَخِرْتُ منه ، وهَزِئْتُ به) كلاهما بمعنى واحد ؛ أي : استهزأت به واستخففت . وهَزَأْتُ بالفتح ـــ أيضاً ـــ لُغَةٌ . (ص ١٢١)
شرح اللخمي	تقولُ : سَخِرْتُ منه أي : هَزِئْتُ ، يُقالُ: سَخِرْتُ منه وبه ، و أَصْلُ سَخِرْتُ : من تَسْخِير الشيء ، و إنما معناه : أنْ يَتَّخذ الرَّجُل كالمُسَخَّر تجعله بالخديعة أو غيرها مطيعاً لك ، ودخلت مِنْ للتبعيض ؛ لأنك لم تُسَخِّرْه كما تُسَخَّرُ الدواب ، وإنما خَدَعْتَهُ عن بعض عقله . (ص ٩٤)

الموازنة :

أولاً / ابن درستويه في تصحيحه :

ـــ بدأ بذكر أصل الفعل ، واستشهد بشاهدين من آي الذكر الحكيم ، لتوضيح ذلك .

ـــ فسر المعنى اللغوي للفعل ، بأن تتخذ الرجل كالمسخر فتجعله بالخديعة أو غيرها مطيعاً لك .

ـــ ذكر العلة في تعديه (بمن) وبناء الفعل على (فَعِل) لأنه (كعبِثتُ وهزِئتُ) لفظاً ومعنى ، وهو أيضاً كالمطاوعة اللازمة .

ـــ ذكر باب الفعل واستشهد عليه بشاهدين من القرآن الكريم .

ـــ نص على تشديد (السُّخْرِيَّة) ، على النسب إلى (السُّخرَة) وبين سبب التشديد ، وهو دخول ياء النسب ثم تأنيثه بعد ذلك .

ـــ بين سبب التذكر (سُخْرِيًّا) في الآية الكريمة ؛ لأنه نعت الشيء المسخر ، وهو مذكر .

ـــ أفاض في الحديث عن تصاريف الكلمة ، وبيان معنى كل منها .

ـــ أشار إلى أن من يقول بتعاقب حروف الجر قد يجيز : سخرت به .

ـــ ذكر اللغة الثانية ، ثم تخطى ذلك على حمل (سخرت به) على لغة العامة ، وعلل ذلك بأنه على التشبيه بهزئت به . ثم صرح بجواز ذلك .

ـــ ذكر أن الكوفيين يجيزون التعاقب بين حروف الجر ، ثم فرق بين (فُعَلة وفُعْلة) بأن الأولى تطلق على الكثير الفعلي ، وأما الثانية فهو الذي يسْخَر من الناس .

ثانياً / ابن الجبان في شرحه :

ـــ ذكر المعنى ووافق ابن درسوته بقول العامة وصرح باللغة العالية .

ـــ نص على باب الفعل .

ـــ ذكر من المشتقات خمسة مصادر ، بالإضافة إلى اسم فاعل .

ثالثاً / المرزوقي في شرحه :

ـــ وافق ابن درستويه وابن الجبان بأن سخرت منه هو الأصل .

ـــ ذكر حداً وهو أن العرب يحملون النظير على النظير .

ـــ ذكر بعضاً من المشتقات ، ووافق في بعضها ابن درستويه ، ووافق ابن الجبَّان في البعض الآخر .

ـــ أضاف لغة أخرى لا وجود لها عند الشراح المذكورين ، وهي (امْتَسْخَرْتُ) .

رابعاً / التَّدميري في شرحه :

ـــ لم يفض في شرح هذا الفعل وتصريفاته .

يرى الترادف بين معنى (سخرت به وهزئت) .

ـــ تفرد عن الشراح المذكورين بذكره لغة ثانية في (هزأ) .

خامساً / ابن هشام اللخمي في شرحه :

ـــ كان موافقاً لابن درستويه في تفسيره للمعنى اللغوي للفعل .

ـــ خالف الشراح الثلاثة المذكورين بنصه على أنه يقال : (سخرت منه وبه) .

ـــ يعلل دخول من للتبعيض هنا ، بأن يتخذ بمعنى بعض عقله .

نتيجة الموازنة :

ـــ وافق ابن الجبان ابن درستويه في ذكره لأصل الفعل والاستشهاد عليه بالذكر الحكيم ، وبأنَّ (سَخِرتُ منه) هو الأصل ، ووافقهما في ذلك المرزوقي أيضاً .

ـــ انفرد ابن درستويه في ذكره علة تعدية الفعل (سَخِرَ) بمن . وهذا ما لم نجده عند الشرَّاح الآخرين .

ـــ نصَّ ابن درستويه على تشديد (السُّخْرِيَّة) على النسب إلى السُّخْرَةِ ، وبيَّن العلّة في ذلك ، وقد انفرد بهذا عن بقية الشرَّاح الآخرين .

ـــ ذكر لغة ثانية وحملها على لغة العامّة ، وأجازها لمن يرى بجواز تعاقب حروف الجرّ ، ووافقه ابن الجبَّان ، مع تصريح الأخير باللغة الأعلى والأشهر .

ـــ انفرد ابن درستويه عن بقية الشرَّاح الآخرين بالتنبيه إلى رأي الكوفيين في جواز التعاقب بين حروف الجرِّ ، وهذا ما لم نجده عند الشرَّاح الآخرين .

ـــ ذكر ابن درستويه من المشتقات اسم الفاعل (ساخر) والمصدر (السُّخْرِيَّة) ، بالإضافة إلى بعض الصفات ، ووافقه ابن الجبَّان في ذكره لاسم الفاعل ، وأضاف الأخير خمسة مصادر ، كما وافق المرزوقي ابن درستويه في ذكره لبعض المشتقات ، ووافق في البعض الآخر ما ذكره ابن الجبّان ، بينما أغفل الشارحان المغربيان تلك المشتقات .

ـــ انفرد المرزوقي عن غيره من الشرَّاح بإضافته للغة أخرى لا وجود لها عند الشرَّاح الآخرين ، وهي (استَسْخَرْتُ) .

ـــ انفرد التدميري عن غيره من الشرَّاح بتصريحه بالترادف بين معنى (سَخرت وهزئت) كما انفرد أيضاً بإضافته للغة ثانية هي (هزأ) مصرَّحاً بأنها لغة .

ـــ خالف ابن هشام اللخمي بقية الشرَّاح الآخرين بتصريحه بأنه يقال : (سخرت منه وبه) وهما عنده بمعنى واحد ، دون النظر إلى من يقول بتعاقب حروف الجر .

الشرح	باب : المفتوح أوله من الأسماء (الحَرْبُ خَدْعَةٌ)
تصحيح ابن دُرُسْتُويهِ	وأما قوله : (الحرب خَدْعةٌ) هذا أفصح اللغات ذكر لي أنها لغة النبي صلى الله عليه وسلم) فإن أكثر الكلام في هذا ضم الخاء ، وقد روي فتحها عن النبي صلى الله عليه وسلم .ولكن ليس ذلك لأنه كما ذكر ثعلب أنه أفصح اللغات ، ولا لأنها لغة النبي صلى الله عليه وسلم ، ولكن الفتح علامة للمرة الواحدة في هذا وفي كل مصدر مثله ، يقال : خَرجتُ خَرْجَةً ودخلت دَخْلة وركعت ركعةٍ ... فإذا ضموا جعلوه اسم ما يُخْدَع به ، والخُدْعَة أيضاً من الناس الذي لا يزال يُخدَعُ والخُدَعَةُ ، بفتح الدال الرجل الخَدَّاعُ والخَدَعَةُ بفتحتين : جمع الخادع ، وإنما أراد النبي صلى الله عليه وسلم بفتح الخَدْعَة : المرة الواحدة من الخِداع وليس فيها شيء من اللغات بل كل العرب لغتهم النطق بجميع ما وصفنا في مواضعها . (ص ٢٧٩)
شرح ابن الجَبَّان	(الحَرْبُ خَدْعَةٌ) وهي فَعْلَةٌ من الخِدَاعِ ، كالقَوْمَةِ من القِيَامِ ، والمراد أن الحرب يُكفى الإنسانُ أمرها بخدعة واحدة يأتيها ، وذُكِرَ أنَّها لُغة النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ أعْني الفَتْحَ . (ص ٢٠٧)
شرح المرزوقي	(وقولُه : الحَرْبُ خَدْعَةٌ) اختَارَ فتح الخاء على ضَمِّها ، وهي لُغَةٌ أيضاً ، قال : وحُكِيَ أنها لُغةُ النبي ــ صلى الله عليه وسلم ــ . (ص ١٥٧)
شرح التدميري	(والحَرْبُ خَدْعَةٌ) أي : حِيْلَةٌ ومُخادعَةٌ ، والمعنى : أنَّ المَكْرَ والخَديعَةَ في الحرب أنْفَذُ من الإقْدامِ بالجَهْلِ والخَرْقِ ، والحَرْبُ خَدْعَةٌ ، وخُدْعَةٌ ــ أيضاً ــ لُغتان ، ويُقَالُ ثلاث لغات على ثلاث معان : فالخَدْعَةُ

بالفتح المصدر ، والخُدْعَةُ بالضمِّ اسم المصدر ، والخُدَعَةُ بضم الخاء ، وفتح الدال : هي التي تَخْدَعُ الرِّجَالَ ، مثل :الصُّرَعَةُ ، وهو الذي يَصْرَعُ الرِّجَالَ ، واللُّعَنَةُ الذي يَلْعَنُ النَّاسَ . وبَلَغَني أنَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قال هذه الكلمة يوم الأحزاب ، وقد أراد أنْ يُخَاذِلَ بين اليهود وقريش وغطفان . (ص٢١١)	
(الحَرْبُ خُدْعَةٌ) يعني : من خُدِعَ فيها خَدْعَةً ، فزلت قدمه وعطب ، فليس له إقالة ، ومن قال : خُدْعَةٌ ، بضم الخاء وإسكان الدال : أراد أنَّها تُخْدَعُ ، كما يقال (لُعْنَةٌ): إذا كان يُلعَنُ كثيراً ، ومن قال (خُدَعَة) ، بفتح الدال وضم الخاء أراد : أنها تَخْدَعُ أهلها ، كما يقال : رَجُلٌ لُعَنَة وضُحَكَة ، إذا كان يَلْعن الناسَ ويضحَكُ بهم . (ص ١٢٧ – ١٢٨)	الشرح اللخمي

الموازنة :

أولاً / ابن درستويه في شرحه :

ـــ خَطَّأَ ابْنُ دُرُسْتوِيهِ ـــ كما هي عادته ـــ ثعلباً فيما ذهب إليه من أنَّ (خَدْعَة) أفصح اللُّغات ؛ كونها لُغة الرسول ـــ صلى الله عليه وسلم ـــ ؛ حيث يرى أنها ـــ بفتح الخاء ـــ كلام الجميع ، وعلامة للمرَّة الواحدة (اسم المَرَّة) .

ـــ ذكر أن اللغة المشهورة والكثيرة هي (خُدْعَة) بضم الخاء ، وأشار إلى أن الفتح فيها لغة النبي صلى الله عليه وسلم .

ـــ بين معاني بعض الفروق اللغوية ، فالخدعة بضم الخاء وسكون الدال : اسم ما يخدع به . والخُدَعة بضم الخاء وفتح الدال ، هو الشخص الذي يخدع الناس . وأنها بفتحهما جميعاً جمع الخادع .

ــ أضاف معناً آخر من كلام العرب وهو الذي يُخدع كثيراً .

ــ علل فتح الخاء وسكون الدال بأنها المرة الواحدة .

ثانياً / ابن الجبان في شرحه :

ــ بدأ بتفسيره للمعنى اللغوي .

ــ وزن (خَدْعَة) بفعلة ، ونظر لها باللفظ .

ــ نص على أن ثعلباً نسبها للرسول صلى الله عليه وسلم .

ثالثاً / المرزوقي في شرحه :

ــ ذكر أن ثعلباً اختار الفتح على الضم .

ــ أضاف إليها لغة الضم ــ أيضا ــ (خُدْعَة) .

ــ نبه أنها روية عن النبي صلى الله عليه وسلم .

رابعاً / التُدميري في شرحه :

ــ بدأ بذكر المعنى اللغوي وعلله .

ــ ذكر ثلاث لغات تبعاً للمعنى المقصود .

ــ قدم اختيار صاحب الفصيح على غيره من اللغات .

خامساً / اللخمي في شرحه :

ــ ذكر المعنى اللغوي للفعل .

ــ قام بتفسير اللغات ، ونظر لكل لغة ، وذلك لزيادة المعنى .

ــ لديه عمق في ذكره للمعاني المتصلة بهذا الفعل .

نتيجة الموازنة :

ــ بدأ ابن درستويه كلامه بتخطئة ثعلب فيما ذهب إليه من أنّ (خَدَعَ) بفتح الخاء أفصح اللغات ، بينما وافق بقية الشرّاح الآخرين ما حكاه ثعلب .

ـــ صرَّح ابن درستويه أنَّ اللغة المشهورة هي (خُدْعَة) ، وهو بهذا يخالف ما ذكره بقية الشرّاح الآخرين ، والذين يرون أنَّ فتح الخاء ـــ كما ذكر ثعلب ـــ هي الأعلى والأشهر ، وإن كان المرزوقي أضاف (خُدْعَة) إلا أنَّه يرى أنَّ الأفصح ما اختاره ثعلب ، معللاً ذلك بأنَّها لغة النبي صلى الله عليه وسلم .

ـــ انفرد ابن درستويه عن بقية الشرَّاح الآخرين في تعليله لفتح الخاء وسكون الدال في (خَدْع) .

ـــ انفرد ابن الجبَّان عن بقية الشرَّاح الآخرين بذكره (خَدْعة) وأنها على(فَعْلة) ونظر لها باللفظ .

ـــ اتفق الشرَّاح المشارقة الثلاثة على التصريح بأنَّ (خَدْعة) بفتح الخاء لغة رُوية عن الرسول صلى الله عليه وسلم .

ـــ انفرد التدميري عن غيره من الشرَّاح الآخرين بتصريحه لثلاث لغات ، وذلك تبعاً للمعنى المقصود ، مع تقديمه لاختيار ثعلب .

ـــ وافق ابن هشام اللخمي ابن درستويه من أنَّ (خُدْعة) بالضم هي الأعلى والأشهر ، بدليل اقتصار الأول عليها ، وسكوته عن اللغة التي حكاها ثعلب ، وغيره من الشرَّاح الذين ذكرناهم .

الباب الثاني

التَوَسُّعُ اللُّغوي

الفَصْلُ الأوَّلُ

مُصْطَلَحُ التَّوَسُّعِ اللُّغوي

أولاً ــ تَعْرِيف التَّوَسُّع في اللُّغةِ :

الــواو ، والسين ، والعين : كلمة تَدُلُّ على خلاف الضِّيْقِ والعسر . يُقالُ : وَسَعَ الشيءُ واتَّسَعَ ... الخ [1] .

والتَّوَسُّـــعُ خِلاف التَّضْيِّق ، تقول : وَسَّعْتُ الشيءَ فاتَّسَعَ ، واسْتَوْسَعَ ، أي صار وَاسعاً [2] .

والتَّوَسُّعُ : مصدر (تَوَسَّعَ) ، والتَّوَسُّعُ (تَفَعُّل) نحو (التَّكَسُّر) [3] .

والواســـعُ خلاف الضيِّقِ ، كالوَسِيْعِ ، وقد وَسِعَهُ و لم يَضِقْ عنه [4] ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ والأَرْضَ ﴾[5] أي اتَّسَعَ .

ووَسِعَ المكانُ القومَ ، أي اتَّسَعَ ، ووَسُعَ المكان ، بالضم ، بمعنى اتَّسَعَ ، فهو وَاسِعٌ . ووَسَّعْتُهُ بالتَّثْقِيلِ خِلاف ضَيَّقْتُهُ [6] . ومن المجاز : إنه لَيَسَعُنِي ما يَسَعُكَ ، ولا يَسَعُنِي شيءٌ ويَضِيقُ عنك ... ووَسِعَ القومَ عطَاءُ فُلان [7] .

---

(١) مقاييس اللغة ٦/١٠٩ .

(٢) الصحاح (وسع)

(٣) معجم الأوزان الصرفية ، أمين يعقوب ص ٩٠ .

(٤) تاج العروس ، والقاموس المحيط : (وسع)

(٥) سورة البقرة آية ١٥٤ .

(٦) المصباح (وسع) .

(٧) أساس البلاغة (وسع) .

ثانياً ـــ تَعْرِيفُ التَّوسُّع في الاصْطِلاحِ :

ممـــا ســبق ، وجدنا أن اشتقاقات المادة اللُّغوية (وسع) كُلُّها تدور حول التوسُّـــع الـــذي هو خلاف التَّضْيِيق ، وقد استعمل العلماءُ مصطلح (التَّوَسُّع اللُّغوِي) للنمو اللُّغوي ، أو لكل ما فيه نمو للثروة اللفظية في العربية ؛ ولذا فإن كُـــلٌّ رافـــد يُثْرِي هذه اللُّغة ، هو من طرق (التَّوسُّع اللُّغوِي) وهم يقصدون الانطـــلاق باللُّغـــة مـــن الضيق إلى السَّعة ؛ كي تعالج مقتضيات كُلّ عصر من العصور اللاحقة .

وبهذا يُمكننا أنْ نخْلُصَ إلى أنَّ التَّوسُّعَ بالنسبة للُّغة ، معناه : جَعْلُ اللُّغة غنية بمـــا تصرَّف العربُ فيه من الألفاظ والاستعمالات والاشتقاقات المختلفة ، حتى يَسَـــعَ اســـتعمالها جميع شئون الناطقين بها ، وتكون أكثر مرونة وعطاء ، وحتى تكون ـــ أيضاً ـــ واسعة التعبير ، كثيرة المفردات ، متنوعة الدِّلالات ، غنية في أصول الكلمات .

فالتَّوسُّـــع اللُّغـــوي في الاصطلاح يقصد به أن كل ما رُوِي عن العرب في عصـــور الفصاحة ، إنما هو من لُغة العرب ، فكل من يتكلم بلغة أو يقيس عليها ولو كانت نادرة أو رديئة ، فهو مصيبٌ ، ولا يُخطَّأُ ما دام استعماله له وجه في العربية يجيزه ، فالناطق على قياس لغة من لغات العرب مصيبٌ غير مخطيء [1] .

وحُكي أن الفراء روى عن الكسائي قوله : " على ما سَمِعْتُ من كلامِ العربِ لـــيس أحدٌ يلحن إلا القليل . وقال الأخفش عبد الحميد بن عبد المجيد : أنَحْى

(١) الخصائص ١٢/٢ .

النــاسُ مــن لم يُلَحِّنْ أحداً . وقال الخليل : لُغة العرب أكثر من أنْ يُلَحّنَ فيها متكلّمٌ " [1] .

وجــاء في المزهر : " كان الأصمعيُّ يَقُولُ أفصح اللّغات ، ويُلْغي ما سواها ، وأبــو زيد يجعلُ الشّاذَ والفصيح واحداً ، فيجيز كل شيء قِيْل " [2] . وهذا ابن الأعرابي تراه يُلْقي باللائمة على الأصمعي في تشدده ، مصرِّحاً بأنه سمع من ألْف أعرابي خلاف ما قاله الأصمعي [3] .

ويأخــذُ ابن السِّيد البطليوس على ابن قتيبة ، تخطئته قول العامة (ماءٌ مالحٌ) : ويــنص على أنَّ هذا الذي قاله ابن قتيبة قد قال مثله يعقوب ، وأبو بكر بن دريد ، وغيرهما ، ورواه الرواة عن الأصمعي ، وهو المشهور من كلام العرب ، وينبه إلى أنَّ قول العَامَّة لا يُعد خَطأً ، وإنما يجبُ أنْ يُقال : إنها لُغة قليلة[4] .

ورَدَّ الحَريــريُّ كلمات ذكر الخَفَاجيُّ أنها خلافُ الأفصح فقط ، ثم قال الخفاجيُّ مُعلّقاً : " ما أنْكَرَهُ مسموع على رداءته ، وكفى به سنداً لمن استعمله " [5] .

وهــذا ــ أيضــاً ــ أبو بكر الزبيدي يخُطيء قولُ العَامَّة : (سَكْرَانه) فيردُّ علــيه ابــن هشام اللّخمي قائلاً : " فإذا قالها قومٌ من بني أسد فكيف تُلَحَّنُ بها العامَّــة ، وإن كانــت لُغة ضعيفة ، وهم قد نطقوا بها كما نطقتْ بعضُ قبائلَ

---

(١) المدخل إلى تقويم اللسان ٢٨ .

(٢) المزهر ١/٢٣٣ ، وانظر : ص ٣٩ من هذا البحث .

(٣) العربية (يوهان فك ٩٨ ، وانظر لحن العامة لرمضان عبدالتواب ٦٦ ، وانظر ص ٣٩ من هذا البحث

(٤) الاقتضاب ٢/٢٢٣ ، وانظر ص ٥١٧ من هذا البحث .

(٥) شرح درة الغواص للخفاجي ٥١٤ .

العـــربِ " [1] ، فابن هشام يرى : " أن ما اختلف فيه أهل اللُّغة ، لا تُغَلَّطُ فيه العامَّةُ " [2] .

وذاك إمـــام الـــرواة أبـــو عمرو بن العلاء ـــ كما مرَّ بنا[3] ـــ عندما سأله أحدهم قائلاً : أخبرني عما وضعت وسميته عربية ، أيدخل فيه كلام العرب كله ؟ فقـــال أبو عمرو : لا فقال الســائل : كيف تصنع فيما خالفتك فيه العرب وهم حجة ؟ قال : أعمل على الأكثر ، وأسمي ما خالفني لُغات [4] .

ونَخْلُصُ مما سبق إلى أنَّ كُلَّ ما تَكَلَّمَتْ به العرب الفصحاء ، وما قيس على كلامهـــا فهـــو صواب ؛ فالناطق على قياس لُغة من لُغات العرب مصيب غير مخطيء ، وإنْ كان غير ما جاء به خيراً منه ، كما قرر ذلك ابن جني [5] .

فالتَّوسُّـــعُ اللُّغوي ، كان ثمرة لاختلاف تلك اللُّغات ، فالعربُ ـــ كما هو معروف ـــ قبائلُ ، وتنحدر من كل قبيلة بطون متعددة ، وتنتمي إليها أفخاذ ، فعشـــائر ، ثم فصائل ، ولا بد أن يكون ناموس الاختلاف قد عمَّ هذه الأقســام كُلَّها ، فإن لم يكن في أصل اللغة ، ففي امتداداتها من فروع ولهجات .

وذكـــر ابن فارس في الصاحبي (في فقه اللُّغة) باباً [6] نص فيه على وقوع لُغتين في الكلمة الواحدة ، كقولهم : " الحِصاد والحَصاد " ، و " الصِّرام والصَّرام " ، ووقـــوع ثلاث لغات ، نحو : " الزُّجاج والزَّجاج والزِّجاج " ، وأربع لغات في (الصَّداق) ، وخمساً في (الشَّمال) ، وستاً في (القُسْطَاس) .

---

(1) المدخل إلى تقويم اللسان ٣٥ .
(2) نفس المرجع ٥٩ .
(3) انظر : ص : ٤١ من هذا البحث .
(4) طبقات النحويين واللغويين للزبيدي : ٣٤ .
(5) الخصائص ٢/١٢ .
(6) باب انتهاء الخلاف في اللغات .

ونشير هنا ـــ وبشيء من الإيجاز ـــ إلى بعض ملامح التوسع اللغوي ، حيث حدد اللغويون [1] مظاهر الاختلاف في لغات العرب على النحو التالي :

أولاً / فيما يتعلق بالمستوى الصوتي ، ومن أمثلة ذلك :

١) الاخْتلافُ فِي الحَرَكَاتِ :

وفيه تظهر ملامح التَّوسُّع اللُّغويِ في أوْسَعِ أبوابه ، فمن ذلك قولهم :(نَستَعين ، ونِسْـتَعين) ، فَنَقَلَ ابْنُ فارس عن الفرَّاء قوله : " وهي مفتوحة في لُغة قريش ، وأسد . وغيرهم يقولونها بالكسر " [2] . ومن ذلك ـــ أيضاً ـــ قولهم :(تَعْلَمُ ، وتِعْلَمُ) ، و (نَعْلَمُ ، ونِعْلَمُ) ، و(أَعْلَمُ ، وإِعْلَمُ) ؛ فالفتح لُغة أهل الحجاز ، والكسـر لُغة جميع العرب [3] . وهناك من حكى في الفعل الأمر (أزْرُرْ) أربع لغات : (فازْرُرُ حجازية ، وزُرَّ يمانية ، وزُرٌّ قيـية) [4] .

وقـد يكون هذا النوع من الاختلاف ناتج عن تباين الظروف في الحياة البيئية والاجتماعـية ؛ فتميم تجنح إلى الحرف الأشد المفخم ؛ بما يناسب طبيعتها البدوية ، بيـنما تختار قريش الأرق الأنعم لما تتسم به حياتها من مظاهر حضرية اكتسـبتها من موقعها التجاري ، ومكانتها الدينية منذ القدم ، ولهذا حَرَصَ التميميون على الضم ؛ لخشونته ، بينما حرص الحجازيون على الكسر ؛ لرقته .

فتميم تضم ـــ على سبيل المثال ـــ أوائل الكلمات الآتية :

---

(١) انظـر : الصـاحبي في فقـه اللغـة ، تحقـيق عمـر فاروق الدباغ ص ٥٠ ، وما بعدها ، والمزهر ٢٥٥/١ ، والـبلغة في أصول اللغة للقنوجي ١٥٤ ، والدراسات اللغوية عند العرب لمحمد حسين آل ياسين ٣٣٤ .

(٢) الصاحبي في فقه اللغة ٥٠ ، وانظر : دراسات في فقه اللغة لصبحي الصالح ٩٥ .

(٣) انظر دراسات في فقه اللغة ٧٣ ، والدراسات اللغوية عند العرب ٣٣٥ .

(٤) انظر شرح الزمخشري ٨٨ ، ٨٩ .

(رُضْــوان ، أُسْوة ، قُدْوة) ، بينما يكسـرها الحجازيون . كما نُقِلَ عن تميم أنهـا تُسَكِّنُ الكلمات الآتية : (فَخْذْ ، كَبْدْ) ، وذلك في الإفراد . (ورُسْلْ ، وخُمْــرْ ، وفُرْشْ) في الجمع ، بينما يتوالى تحقيق المُتَحَرِّكَاتْ جميعاً عند الحجازيين ، فيقولون : (فَخِذْ ، كَبِدْ ، رُسُلْ ، خُمُرْ) [1] .

٢) الاختلاف في أصوات الحروف :

فهناك مجموعة من الحروف التي شاع الاختلاف في استعمالها بين اللغات ، فمن ذلك :

أ / الاختلاف في السين والصاد والزاي :

وهــو كما مرَّ بنا ، قولهم : " صراط ، وسراط ، وزراط ، فالصاد لغة قريش ، واشمـام الصاد زاياً لغة قيس ، والزاي لغة عذرة وكعب وبني القين والسين لغة عامة العرب " [2] . ومثل هذا أيضاً ما نقل عن الأصمعي : أن رجلين اختلفا في (الصَّقْرِ) ، فقال أحدهما : بالصاد ، وقال الآخر : بالسين ، فتراضيا بأول وَارِدٍ عليهما ، فحَكَيَا له ما هم فيه ، فقال : لا أقول كما قلتما ، إنما هو الزَّقْرُ [3] .

وكذلك في (بصق ، وبزق ، وبسق) حيثُ ذُكر أنها لغات [4] .

---

(١) انظر المخصص ١٤ /٢٢٠ ، ودراسات في فقه اللغة لصبحي الصالح ٩٣ .

(٢) انظر البحر المحيط ١/٤٥ .

(٣) المزهر ١/٢٦٣

(٤) انظر الصحاح والمحكم ٦/١٣٥ (بزق) .

ب / الاختلاف في الثاء والفاء :

فالـثاء عند تميم تقابل الفاء عند الحجازيين ، فتميم تقول : (لِثَام ، وثُوم) ويقابلها عند الحجازيين (لِفَام ، وفُوم) [1] . قلت : وقد وافقت لغة الحجازيين ما جاء في التنزيل ، في قوله تعالى : ﴿ **وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجُ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا** ﴾[2] .

ج / الاختلاف في القاف والكاف :

فَضَّـل التميميون (القاف) على (الكاف) ، فقالوا : قَشَطْتُ الجُلَّ عن الفرس ، بدلاً من (كَشَطْتُهُ) لغة الحجاز ، قال أبو عبيدة : (قريش تقول : (كشَطْتُ) ، وتميم وأسد وقيس تقول : (قَشطْتُ) [3] .

وبعض العرب ، ومنهم بنو تميم يلفظون القاف صوتاً بين الكاف والقاف ؛ أي يلحقونه باللهاة فيقولون : (الكَوم) ، بدلاً من القَوم ، و (كِدْر) بدلاً من قِـدْر ، ويقول عنها ابن فارس : هي لغة سائرة في اليمن ، مثل : (جَمَل) إذا اضطروا ، قالوا : (كَمَل) [4] .

---

(١) انظر اللسان (فوم) .

(٢) سورة البقرة آية ٦١ .

(٣) انظر دراسات في فقه اللغة لصبحي الصالح ٩٥ .

(٤) الصاحبي في فقه اللغة ٥٧ .

ومـــن ذلك ما رواه الأصمعي ، أنه وجد رجلاً خارجاً من الصحراء ، كأنه جذع نخل محترق ، قال : فقلت له : أتقرأ شيئاً من كتاب الله ؟ قال : لا ، قلت : فأعلمك ؟ قال : ما شئت . فقلت : اقرأ (قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونْ) . قال : (كل يا أيها الكافرون) ، قلت : (قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونْ) كما أقولُ . قال : ما أجد لساني ينطق بذلك [1] .

٣) الاختلاف في تحقيق الهَمْزةِ وتسهيلها :

حكـــى أبو زيد أنَّ لغة تميم على نبر الهمز ، أي تحققها ، وتلتزم النطق بها ، ويشاركها في ذلك أكثر البدو ، بينما يُسهِّل أهل الحجاز الهمزة ولا ينبرونها ، إلا إذا أرادو محاكاة التميميين [2] قال أبوزيد : أهل الحجاز ، وهذيل ، وأهل مكة ، والمدينة لا ينبرون [3] .

٤) الاختلاف في الإدغام و الفكّ :

تجـــنحُ تمـــيمٌ إلى ادغام المثْلين ، أو الحرفين المتجاورين المتقاربين ، فالأمر من (غَـــضَّ) : (اغْضـــض) بفك الادغام عند الحجازيين ، وأهل نجد يقولون : (غضَّ) بالإدغام ، فالتضعيف لغة تميم ، ومن وافقها ، والفك لُغة أهل الحجاز [4] . قلـــت : وقد وافقت الأخيرة ما جاء في الذكر الحكيم ، في قوله تَعَالى :

﴿ وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ ﴾[5] .

---

(١) العقد الفريد ٤٧٦/٣ .

(٢) دراسات فقه اللغة ٧٧ .

(٣) اللسان (حرف الهمزة) .

(٤) دراسات فقه اللغة ٩١ .

(٥) سورة لقمان آية ١٩ .

٥) الاختلاف في الحَذْفِ والإثبَات :

ومــن أمثلــته ، قــولهم : (استَحْيَيْتُ ، واستَحيْتُ) فالأولى لُغة الحجاز ، والثانية لُغة تميم وبكر بن وائل [١] . ومثلها قوله : (صَدَدْتُ ، وأَصْدَدْتُ) [٢] .

٦) الاختلاف في التَّقْدِيم والتَّأخير :

ونقصــد بــه تقديم بعض الحروف ــ في الكلمة الواحدة ــ على أخرى ، كقــولهم : جَبَذَ ، وجَذَبَ . وصَاعِقة ، وصَاقِعة [٣] . قُلْتُ : وصَاعِقة أفصح وأشهر ؛ فبها جاء الذكر الحكيم ، في قَوْلِ المولى ــ جَلَّ وعَلا ــ : ﴿ يَجْعَلُوْنَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنْ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللهُ مُحِيْطٌ بِالْكَافِرِيْنَ ﴾[٤] .

وقولُه تَباركَ وتَعَالى : ﴿ فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكّاً فَخَرَّ مُوسى صَعِقاً ﴾ [٥] .

ثانياً / فيما يتعلق بالمستوى الصرفي ، ومن أمثلة ذلك :

أ / الاختلاف في باب الفِعْل :

الحجازيون يقولون : (بَرأْتُ من المرض ، فأنا بَرَاء ، وتميم تقول : بَرِئْتُ من المــرض فأنــا بارِىء ،كما هي لغة سائر العرب [٦] . وأهل الحجاز يقولون :

---

(١) الدراسات اللغوية عند العرب ٣٣٦ .

(٢) الصاحبي في فقه اللغة ٥١ .

(٣) نفس المرجع ٣٣٧ .

(٤) سورة البقرة آية ١٩ .

(٥) سورة الأعراف آية ١٤٣ .

(٦) انظر المزهر ٢/٢٧٦ ــ ٢٧٧ ، والدراسات في فقه اللغة لصبحي الصالح ٨٣ ،.

(ذَأَى البقل يَذْأَى) ولغة نجد — ومنها تميم — (ذَوَى يَذْوِى)[1] ، وأهل الحجاز يقولون : (قلوتُ البُرَّ ، فأنا أقْلوه قَلْواً ، وتميم تقول : (قَلَيْتُ البُرَّ ، فأنا أقليه قَلْياً)[2] .

ب / الاختلاف في التّذكير والتّأنيث :

عقد السيوطي في المزهر[3] باباً قارن فيه بين ألفاظ اختلفت فيها لغة الحجاز عن لغة تميم ، من حيث التذكير والتأنيث ، فمن ذلك أنّ أهل الحجاز يقولون : هي : التَّمْرُ ، وهي البُرُّ ، وهي الشَّعِيرُ ، وهي الذَّهَبُ . وتميم تُذَكِّرُ هذا كله . وفي أعضاء جسم الإنسان : كالعُنُقِ ، والعَضُد ، مؤنثة عند الحجازيين ، ومُذَكَّرة عند التميميين ، وكذا الحال في أسماء الأماكن : كالطَّرِيق ، والسُّوق ، والصِّراط ، والسَّبِيل ، فبينما تُذَكِّرُها تميم ، يُؤَنِّثُها أهلُ الحجاز .

ج) الاختلاف في الصِّيَغ الصَّرْفية :

ذكر السيوطي أنّ الصفة الدالة على أسماء الزراعة هي (فِعَال) ، بكسر الفاء ، على لغة الحجاز ، كقولهم : (حِصاد ، وقِطاف ، وصِرام ....) ، بينما هي (فَعَال) — بالفتح — في لغة تميم[4] ، وبها نزل الذكر الحكيم ، قال تعالى : ﴿ وآتوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ﴾[5] .

---

(١) المزهر ٢/٢٦٣ ، وانظر اللسان (ذوى) .
(٢) المزهر ٢/٢٧٧ .
(٣) نفس المرجع والصفحة .
(٤) المزهر ٢/٢٧٧ .
(٥) سورة الأنعام آية ١٤١ .

ثالثاً / فيما يتعلق بالمستوى النحوي : ومن أمثلة ذلك :

أ / إعمال (ما) وإهمالها :

يقـــول ابـــن جني في (اختلاف اللغات وكلها حجة) : " ألا ترى أنَّ لُغة التميميين في ترك إعمال (ما) يقْبلُها القياس ، ولُغة الحجازيين في إعمالها كذلك ؛ لأنَّ لكل واحد من القومين ضرباً من القياس يُؤخذُ به ، ويُخْلدُ إلى مِثْله ، وليس لـــك أنْ تَـــرُدَّ إحدى اللُّغتين بصاحبتها ؛ لأنها ليست أحقَّ بذلك من رَسيلتها ، لكـــن غايـــة ما لك في ذلك أنْ تتخيَّر إحداهما فتقويها على أُختها ... فأما رَدُّ إحـــداهما بالأخرى فلا . أَوَلاَ تَرَى إلى قول النبي صلى الله عليه وسلم : " نزل القرآنُ بسبعِ لُغاتٍ كُلها كافٍ شافٍ " [1] .

ب/ الاختلاف في نصب الخبر المستثنى ورفعه بالنفي في (ليس) :

وقـــد جاء ذلك فيما حكاه الأصمعيُّ عن أبي عمرو بن العلاء من أنَّ الأخير أجـــاز قولهم : ليس الطيبُ إلا المسكُ برفع الخبر المستثنى ونصبه أيضاً في النفي ، ونبَّه أبو عمرٍ إلى أنَّ النصب لغة الحجاز والرفع لغة تميم [2] .

وقـــد يكون الاختلاف داخل للغة نفسها ، ولا أدلَّ على ذلك مما رُوِي عن الكسائي أنَّ المضارعَ في (نَمَى) إنما هو (يَنْمِي) بالياء ، وقال الكسائيُّ :" لم أسمع (يَنْمُو) بالواو ، إلا من أخوين من بني سليم ، ثم سَأَلْتُ عنه جماعة من بني ســـليم ، فلـــم يعـــرفوه بالواو" [3] . فهذا يدلُ على وجود الاختلاف حتى في

---

(١) الخصائص ٢/ ١٠ . ولم أقف له على سند .

(٢) المزهر ٢/ ٢٧٧ ، وانظر الدراسات اللغوية عند العرب ص ٣٣٩ .

(٣) تحفة المجد الصريح ١٣ .

العشـــيرة الواحدة ؛ لأنّ هذين الأخوين أهلُ بيتٍ واحد تميَّز بهذه اللُّغة عن باقي العشيرة .

ج ـ الاختلاف في عامل الرفع في المبتدأ :

اخـــتلفت المدرستان في هذه المسألة ، أهو الابتداء كما ذهب البصريون ؟ أم هو الخبر كما يزعم الكوفيون ؟ (١) .

ومن اللغويين من ذهب إلى أن كل ما كان لغة لقبيلة قيس عليها (٢) .

ومما سبق ، نستطيع القول : إنّ كثيراً مما دُوِّنَ في كتب اللغة والنحو ، وغيرهما من فنون العربية ، لا يمثل لغة واحدة ، بل لغات كثيرة ، فاستعمالها جميعاً جائز ، ولـــيس بينها فرق ، إلا في الفصاحة ، " فالناطق على قياس لغة من لغات العرب مصيبٌ غير مخطئ " (٣) .

إذاً فلغات القبائل العربية كلها معتدٌ بها ، فالقبائل متكافئة ليس لأحداها سلطة علـــى غيرها ، وإن وجد من اللغويين من صرح بفصاحة لغة قبيلة بعينها ، كما نـــص ابـــن فـــارس علـــى ذلك بقوله : " أجمع علماؤنا بكلام العرب والرواة لأشـــعارهم والعلماء بلغاتهم وأيامهم ، أن قريشاً أفصح العرب ألسنة وأفصحهم لغة ... " (٤) .

---

(١) انظر الانصاف المسألة الخامسة ، وأسرار العربية لابن الأنباري : ٧٢ ، ٧٣ . والمسألة مبسوطة بجلاء ووضوح في كتب النحو .

(٢) المزهر ٢٥٨/١ .

(٣) الخصائص ١٢/٢ .

(٤) الصاحبي في فقه اللغة ٥٥ .

ولعـــل ابن فارس عندما نعت لغة قريش بالفصاحة إنما كان ذلك لمكانة النبي صـــلى الله علـــيه وسلم منها بعد الإسـلام ، وإلا فإن الرواة مختلفون بشأن أي القبائل أفصح [1] .

وإذا مـــا تحدث بعضهم عن لغة بعض القبائل العربية الأخرى ، طالعتك قوائم مـــن الأوصـــاف التي أطلقوها على هذه اللهجات ، كقولهم : (لغة رديئة ، أو شاذة ، أو ضعيفة ، أو قليلة ، أو مرغوب عنها ...) . ولكنهم اصطدموا بلغات في القـــرآن تُنسَبُ إلى قبائل خارجة عن الخارطة التي رسموها لمن يُؤْخَذُ عنهم ، فنشأ جراء ذلك نوع من التأليف ، وهو ما يُسمَّى " بلغات القرآن " ، فهو من أوائـــل الفنون ظهوراً في هذا المجال ؛ حيث أُلّف فيه جمعٌ كثيرٌ من علماء اللغة [2] ، نذكر منهم :

١) هشام الكلبي (ت : ٢٠٤هـــ) ، وكتابه : " لغات القرآن " [3] .

٢) الفرّاء (ت : ٢٠٧ هـــ) ، وكتابه : " لغات القرآن " [4] .

٣) الأصمعي (ت : ٢١٣ هـــ) ، وكتابه : " اللغات في القرآن " [5] .

وكان لهذه الحركة النشطة ، في هذا الضَرْبُ من التأليف نتيجة حتمية ، تتمثل في التأليف حول اللهجات المختلفة بوجه عام ، ومن المفيد أنْ نذكر : أنَّ علماء العـــربية ، ما كانوا ليستخدموا كلمة (لهجة) ، بل استبدلوها بكلمة (لغة) ،

---

(١) انظر المزهر ٤٨٣/٢ ، والكامل المبرد ٣٧١/١ . والتطريز اللغوي ، محمد خليفة الدناع ١٨٧ –١٨٨ .

(٢) انظر : اللهجات العربية في التراث ، أحمد الجندي : ١٣٥ .

(٣) ذكره ابن النديم في الفهرست ٥٩ .

(٤) البحر المحيط ١٩٣/٣ ، وذكره ابن النديم في الفهرست ١٠٦ ، والسيوطي في البغية ٤١١ ، والمزهر ٩٦/١ ، كما عزي له مصنف باسم (كتاب الجمع واللغات) .

(٥) ذكره ابن النديم في الفهرست ٥٩ ، والقفطي في إنباه الرواة ٢٠٣/٢ ، والسيوطي في البغية ٣١٤ .

ومـــن تآليفهم في اللهجات العربية ، تحت اسم : " اللُّغات " ــ كُتُب اللُّغات ــ ، نذكر منها ، ما يأتي :

١) كِتاب اللُّغات : ليونس بن حبيب (ت ١٨٢هـــ) [١] .

٢) كِتاب اللُّغات : لأبي عمرو اسحاق بن مرار الشيباني (ت٢٠٦هـــ) [٢] .

٣) كِتاب اللُّغات : لأبي عبيدة معمر بن المثنى (ت ٢١٠هـــ) [٣] .

٤) كِتاب اللُّغات : لأبي زيد الأنصاري (ت ٢١٤هـــ) [٤] .

---

(١) ذكره ابن النديم في الفهرست ٦٩ .

(٢) ذكره القفطي في إنباه الرواة ١/٢٧٧ .

(٣) ذكره ابن النديم في الفهرست ٨٦ ، وياقوت في معجم الأدباء ١٩/١٦١ .

(٤) ذكره ابن النديم في الفهرست ٨٧ ، والسيوطي في البغية ٢٥٥ ، والمزهر ١/٩٦ .

وهـــناك ثـــبتٌ موسعٌ لأشهر المؤلفات في هذا المجال أورده مؤلف اللهجات العربية في التراث [1]. وقريب من هذه التآليف ، ضربٌ آخرٌ ، عرف باسم " نوادر اللُّغات وشواردُها " ، فممَّنْ أَلّفَ فيه :

١) أبـــو عمـــرو بن العلاء (ت ١٥٧ هــ) ، فقد عزا له صاحب الفهرست مؤلفاً باسم " كِتاب النوادر " [2] .

٢) القاســـم بـــن معن (ت١٧٥ هــ) وقد نسب إليه السيوطي مصنفاً باسم "كِتاب النوادر " [3] .

٣) يونس بن حبيب (ت ١٨٢ هــ) ، وله " كِتاب النوادر " [4] .

٤) الكســائي (ت ١٨٩ هــ) ، وله " كتاب النوادر " [5] .

٥) قطرب محمد بن المستنير (ت ٢٠٦ هــ) ، وذُكرَ له كتاب عنوانه " النوادر " [6] .

٦) أبو زيد الأنصاري (ت٢١٥ هــ) وله كتاب النوادر مطبوع .

٧) الأصمعي (ت ٢١٦ هــ) ، وقد عزا له السيوطي كتاباً باسم " نوادر الأعراب " [7] .

وهـــناك الكـــثير غيرهم ــ غير ما ذكرنا ــ ذَكَرَهُم مُؤلِّف اللهجات العربية في التراث [8] .

---

(١) انظر اللهجات العربية في التراث ١٤٣ ، وما بعده لأحمد علم الدين الجندي .

(٢) ص ١٣٦ .

(٣) البغية ٣٨١ .

(٤) الفهرست ٦٩ .

(٥) الفهرست ١٠٤ ، ١٣٦ ، والسيوطي في المزهر ٩٦/١ .

(٦) الفهرست ٨٤ ، ومعجم الأدباء ٥٣/١٩ .

(٧) البغية ٣١٤ .

(٨) انظر اللهجات العربية في التراث ١٥١ وما بعدها .

ومن هذين الضربين - السابقين - من حركة التأليف اللُّغوي حول اللهجات تحت مسمى اللُّغات ، أو نوادرها ، نلاحظ الصلة الوثيقة بينهما ، وتعزى هذه الرابطة القوية بينهما إلى أن كل من ألف في ضرب منهما ، ألف في الضرب الآخر ، حتى أننا وجدنا منهم من يجمع بين الضربين في مصنف واحد ، وقد جُمِعَ - أيضاً - بين اسميهما ، كما فعل الفرَّاء في كتاب " النوادر واللغات " [1] .

ومن ناحية أخرى ، أخذ هذا النوع من التأليف بُعْداً آخراً ، أكثر رسوخاً وتفصيلاً ، نجده في مؤلفات شملت كل ما يتصل بفنون العربية ، كما في " دواوين القبائل وأشعارها " ، أو كتب القبائل ، فمن أشهر مَنْ جمع دواوين القبائل : أبو عمرو الشيباني ، حيث جمع شعر نيف وثمانين قبيلة [2] . وساق ابن النديم [3] ، أسماء ستة وعشرين ديواناً من دواوين القبائل ، كما ذكر الآمدي في " المؤتلف والمختلف " ستين ديواناً ، لستين قبيلة [4] . ومن المعروف أن دواوين القبائل وكتبها تحوي سجلاً حافلاً بأخبار القبيلة و أيامها ، وحروبها ، كما تحمل في طياتها لهجاتها ولغاتها الخاصة ... فخراً وهجاءً ورثاءً .

وإذا ما عَقَدْنا مقارنة يسيرة بين مواقف عُلماء العربية من ظاهرة اختلاف اللهجات واللُّغات ، لا سيما ما أبرزته ظاهرة اختلاف القراءات ، نجدهم قد انقسموا إلى فريقين ، الأول متشدد في الأخذ والاعتبار لبعض القبائل ويمثله البصريون . والآخر متوسع ويمثله الكوفيون ، فأدخلوا قبائل استنكفَ البصريون أنْ يأخذوا عنها .

---

(١) المزهر ١/٩٦ .

(٢) انباه الرواة ١/٢٢١ .

(٣) الفهرست ٢٣٢.

(٤) انظر مصادر الشعر الجاهلي لناصر الدين الأسد ٥٤٩ .

وقـــد نقل السيوطي [1] عن أبي نصر الفارابي ما يفيد أن الرواة لم يأخذوا في الاعتـــبار لهجات قبائل كثيرة ، ثم أخذ يعدد هذه القبائل . ولم يقبل الكوفيون بتحديد الفارابي ، لأسـباب من أهمها :

أ / أنّ لُغـــات هذه القبائل ـــ التي أنكرها الرواة ـــ جاءت في القرآن الكريم فلُغة غسان وردت في القرآن الكريم أربع مرات ، ولُغة بني حنيفة ثلاث مرات ، ولُغة خزاعة مرتين ، وكذا لُغة لخم [2] .

ب/ كما ورد عن ابن عباس ـــ رضي الله عنهما ـــ أن من القبائل التي ورد القـــرآن بلغـــتها ثقيف[3] ، وعن عمر ـــ رضي الله عنه ـــ قوله : " لا يملين في مصاحفنا إلا غلمان قريش وثقيف " [4] ، وقول عثمان ـــ رضي الله عنه ـــ : " اجعلوا المُمْلي من هذيل ، والكَاتِبَ من ثقيف " [5] .

ج/ كمـــا ثـــبت (أيضاً) أنّ القرآنَ بعضه بلغة جُذَامْ وبعضه بلغة اليمن ، وبعضه بلغة قُضَاعة وبعضه بلغة اليمامة وبعضها بلغة كندة [6] . ونقل السيوطي عن أبي بكر الواسطي أن في القرآن الكريم من اللغات خمسين لغة ، ثم أخذ يعدد تلـــك اللغـــات [7] . وكل ما في الأمر أن بعض اللهجات أسعد به من بعض ، وأكثـــر نصيباً . وعلى هذه الروايات رأوا أن لهجات هذه القبائل فصيحة ؛ لأنها موجودة في القرآن ، ولهذا طعنوا في مقياس الفصاحة الذي وضعها رواة البصرة ،

---

(١) المزهر ١/٢١١-٢١٢ ، والاقتراح ٢٢ .
(٢) الاتقان ١/١٧٦ ، ١٧٧ .
(٣) نفس المرجع
(٤) المزهر ١/٢١١ .
(٥) نفس المرجع والصفحة
(٦) الاتقان في علوم القرآن للسيوطي ١/١٧٦ ، ١٧٧ .
(٧) الاتقان ١/١٧٧ .

وَوَزَنُــوا به لهجات العرب جميعاً . فكانوا بصنيعهم هذا أشدَّ تقديراً لما ورد من لهجات القبائل ، فلم يهملوا شيئاً ، ولهذا كان رجال الكوفة ـــ أيضاً ـــ لمّاحين للمفهوم الشامل للُّغة ، ووَاعِين لطبيعتها ، ففَهِمُوها فهماً أصيلاً ؛ فكل لهجة تمثل جذراً في حقل اللُّغة ، إذ لا يصح إهداره ، أو الحيف عليه .

ولهــذا انتصــر الكسائي على سيبويه في المناظرة التي جرت بينهما ، بمناصرة قبائل العرب له ؛ وذلك لأن الكوفيين وعلى رأسهم زعيم مدرستهم قد توسعوا في الأخذ عن القبائل والمصادر التي أسقطها البصريون . ويُوضِّحُ هذا ما جاء عن الأزهري من أنَّ : " الغالب على الكسائي اللُّغاتُ "[(١)] ، ولن يُضيرَ هذه القبائل ـــ الــتي لم يأخذْ عنها البصريون ـــ مخالفة لهجاتها للهجة قريش ؛ لأن : " الناطق على قياس لغة من لغات العرب مُصيب غير مخطيء "[(٢)] .

والحــق أن هذا الموقف الكوفي كان دافعاً لأصحابه للإعتداد بالقراءات القرآنية ؛ فالقــراءات القرآنية ما هي إلا وجه من وجوه الخلاف بين لهجات القبائل . أما البصــريون فقــد أخضعوها لأصولهم وصنعتهم ، حتى أهملوا أكثرها ، واتهموا أغلــبها بالشــذوذ ، والغلط ، واللحن ، بل ربما حكموا على القراءة بالوهي ، وعلى قارئها بالوهم[(٣)] .

والمتتبع لكتب القراءات ـــ على اختلافها ـــ تستوقفه أكثرها مما تمثل لهجات عربية تجهم لها البصريون ، ووقفوا منها موقفاً متشدداً من المعارضة الصريحة ؛ إذ خالفــت أصــولهم ، وقواعد منهجهم ، فأخذوا في تأويلها تارة ، ورفضها تارة أخرى ، ولهذا كان استقراؤهم ناقصاً حين اعتمدوا على منهج التشدد والجمود

---

(١) مقدمة تهذيب اللغة ٥٢ .

(٢) الخصائص ٢/١٢ .

(٣) الانصاف في مسائل الخلاف لابن الأنباري مسألة : ٦٠ ، تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد

في الأخذ عن بعض القبائل المشهورة ، وأهملوا ما سواها . وهم بذلك يكونوا قد انحــرفوا عن جادة الطريق ، من ناحية بمجانبة قواعد المنهج السليم ، ومن ناحية أخــرى فَوَّتُوا على الباحثين من بعدهم فرص دراسة الجانب اللغوي في فضائه الواسع . فأهدروا حاضراً ــ لهم ــ وحجروا واسعاً ــ علينا ــ .

وعلــى عكس هذا نجد مدرسة الكوفة قد اعتبرت القراءات مصدراً للتشريع اللغــوي ؛ إذ اعتــنت ــ الكوفة منذ تمصيرهاــ برواية القراءات ؛ لأنها كانت مهــبط القُــرَّاء ، وكانت دراساتهم تعتمد على النقل ، وتعتز بالرِّواية والتلقين ، وكانــوا يرون أن اختلاف القراءات يُعْزَى لما بين لهجات القبائل من أوجه خلاف ، فــرأوا أن كــلاً من القُرَّاء قد ذهب في إعراب ما انفرد به من حرفه مذهباً من مذاهب العربية لا يُدْفع ، وقصد من القياس وجهاً لا يُمْنع [(١)] .

وإذا أخــذ البعض بالنهج المتشدد للبصريين ، فإن البعض الآخر وقف ضده منتصراً لمذهب الكوفيين المعتد باللهجات ، فمن أنصار المذهب الأخير نذكر :

١) جمال الدين أبو عبد الله الطائي الجياني الأندلسي (ت ٦٧٢هـ) :

قــال عنه السيوطي : " وأما اللُّغة فكان إليه المنتهى في الإكثار من نقل غريبها والاطلاع على وحشيها ... وأما النحو والتصريف فكان فيهما بحراً لا يُجَارَى ، وحِبْــراً لا يُــبَارَى ، وأمَّا أشعار العرب التي يستشهد بها على اللُّغة والنحو فكان الأئمة الأعلام يتحيَّرون فيه ويتعجبون من أين يأتي بها " [(٢)] .

ويــبدو أن ابــن مالك الجيَّاني من المتوسعين في الأخذ عن القبائل ، لا سيما تلك التي رفض البصريون أن يأخذوا عنها ، فقد اعتمد على لغات بعض القبائل

---

(١) اللهجات العربية في التراث ص ١٥٥ .

(٢) البغية ٥٣ .

كلخـــم وجذام وغسان [1] . وهي القبائل التي لم يأخذ عنها البصريون ، بينما أخـــذ بلهجاتهم الكوفيون ؛ إذ كانت عندهم كلُّها حُجَّة ، وما دامت القبائل ذات أصول عربية فهي ـــ في مذهبهم ـــ حُجَّة في الاستشهاد والأخذ بلهجاتها ، ومما يـــؤكد انتماء ابن مالك للمدرسة الكوفية ، أنه كان يأخذ بالقراءات ويحتج بها ولها ، فقـــد جوز تشديد النون من " اللَّذان واللَّتان" ، كما جوز التشديد مع الياء أيضاً ؛ إذ يقـــول : "والنون إن تشدد فلا ملامة "[2] . والتشديد مذهب الكوفيين بينما رفضه البصريون [3] .

وكـــأن ابـــن مالك في أخذه بالقراءات التي تمثل لهجات عربية ، يرى أن في اللـــهجات حقلاً خصيباً لا يجوز إغفاله ، ويكشف هذا ما جاء في البغية من أنه "كـــان إمامـــاً في القراءات وعللها "[4] كما ردَّ على النحويين المتقدمين الذين يعيبون على حمزة وابن عامر قراءات بعيدة في العربية [5] . ووثَّقَ بعض اللهجات العـــربية بمـــا جاء في الحديث كلهجة طيء ، وأزْد شنوءة ، حيث ألحقتا بالفعل علامـــة التثنية والجمع مع ذكر الفاعل الظاهر بعـــده ، فعضدها ابن مالك ، بقوله صـــلى الله عليه وسلم : " ويتعاقبون فيكم ملائكة " [6] . وكان ابن مالك محقاً ـــ

---

(١) انظر الاقتراح ٢٤ .

(٢) الألفية باب الموصول .

(٣) البحر المحيط ١٩٥/٧ .

(٤) البغية ٥٣ .

(٥) الاقتراح ٧ .

(٦) شواهد التوضيح والتصحيح لمشكلات الجامع الصحيح : ١٩٢ ، لجمال الدين محمد بن عبدالله الطائي ، تحقـــيق محمد فؤاد عبد الباقي ، والحديث في البخاري ، باب : فضل صلاة العصر برقم (٥٣٠) وبـــاب : قـــوله تعالى : ﴿ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ ﴾ برقم (٧٠٤٨) ، وفي مسلم ، باب : فضل صلاتي الصبح والعصر برقم (٦٣٨) .

أيضـــاً ـــ عندما استشهد بالحديث على الرغم من معارضة الكثيرين من رجال العربية في ذلك [1] .

٢) الإمام أثير الدين أبو حيّان الأندلسـي الغرناطي (٦٥٤ ـــ ٧٤٥ هـــ) :

نحْـــوي عصره ، ولُغَويّه ومُفَسّره ومُحَدِّثه ومُقْرِئه ومُؤرخه وأديبه ، أخذ القراءات عن أبي جعفر ابن الطباع ، والعربية عن أبي الحسن الأبّذي ، وأبي جعفر ابن الزبير ، وكان مقدّماً في النحو[2] .

والناظـــر في كتابه " البحر المحيط " ، يلحظ كثرة اللهجات المعزوة إلى قبائلها كثـــرة غامـــرة ، وقد قام الدكتور محمد خاطرٌ بدراسة لبحره المحيط ، ركز فيها على تصنيف جميع ما ورد فيه من القراءات فنسقها وعلق عليها [3] ففتح بصنيعه هذا باباً ، يمكن للباحثين طرقه فيما يماثله من كتب اللغة في هذا المضمار .

وكان أبو حيان يقصد في كتابه إلى القراءات والنحو ، لما لهما باللهجات من صـــلة وثيقة ؛ إذ يعتمد في أوجه الخلاف في القراءات على ما بين اللهجات من فـــروق ، كما أن لهجات القبائل ما هي إلا منحىً من مناحي اللغة الفصحى ، ومســـلكاً مـــن مسالكها . وهو القائل : " إن القراءات جاءت على لغة العرب قياسها وشاذها " [4] .

ويجـــدر بـــنا الإشارة إلى أن موقف الغرب الإسلامي من اللهجات لم يكن ليطعن في بعض اللهجات ، بل كان يرويها وينقلها ـــ هذا ما وجدناه في منهج أئمـــتهم : ابن مالك وأبي حيان ـــ ؛ إذ تعتمد مدرستهم الأندلسية على قراءات

---

(١) خزانة الأدب : المقدمة .

(٢) البغية ٢٨٠/١ .

(٣) القراءات القرآنية في البحر المحيط ، مكتبة الباز ، مكة المكرمة .

(٤) البحر المحيط ٤٩٣/٨ .

قرآنية تميل فيها إلى النزعة الأثرية في الاحتجاج للقراءة [1] ، فسلكت في ذلك طريق السنقل والأثر ، لا القياس والنظر [2] ولهذا برز بالأندلس أئمة من القُرَّاء ، نذكر منهم :

مكي بن أبي طالب القيسي (ت ٤٣٧ هـ) ، وأبو عمر الداني (ت ٤٤٤ هـ) ، والشاطبي (ت ٥٣٨ هـ) ، وغيرهم ممن لم نذكر ، أو الذين ذكرناهم — فيما سبق ، كابن مالك ، وأبي حيَّان — .

فاهتم هؤلاء بكل ما يحيط بلغة القرآن الكريم من قراءات وغيرها ، كاهتمامهم ببيان المصادر اللغوية للقرآن ، ونسبة الألفاظ فيه إلى قبائلها . ولعل ما يؤكد اهتمامهم باللهجات ، أكثر من إخوانهم المشارقة ، ظهور اللهجات في مؤلفاتهم ظهوراً غامراً .

وليس أدَلُّ على هذا من أنَّ ابْنَ سيده الأندلسي قد ضمن معجمه (المخصص) عدداً من القبائل التي عزا إليها — بعد إحصائية قام بها " أحمد الجندي "[3] — بلغت تسعاً وثلاثين قبيلة ، بينما بلغ عددها في الجمهرة ، لابن دريد واحداً وثلاثين قبيلة ، وفي لسان العرب بلغت إحدى وسبعين قبيلة ، كما بلغ عدد اللهجات التي عزا إليها أبو حيَّان الأندلسي في تفسيره لأربع وستين قبيلة .

---

(١) أبو العلي الفارسي ، لعبدالفتاح شلبي ٤٣٠ .

(٢) اللهجات العربية في التراث ٢١٨ .

(٣) اللهجات العربية في التراث ٢٢٠ .

ومِمَّا سَبَقْ نَخْلُصُ إلى :

١. إنّ أئمّـــة المـــذهب البصري ــ المتشدد في الأخذ ــ وضعوا خارطة لمنهج جمعهم ، كانت في نظر الكوفيين ــ والمغاربة من بعدهم ــ قاصرة ومُقصرة في حـــق المفهوم اللُّغوي الشامل ، حيث أخرجوا من اللُّغة ما كان لزاماً أنْ يدخل فيها ويستشهد به في هذا المجال .

٢. إن البصريين الذين أولعوا بالمنطق والقياس ــ لاحقاً ــ اصطدموا بالقراءات واللهجات وغريب القرآن ، فردُّوا منها ما خالفَ جمعهم أو قياسهم .

٣. وعلـــى النقيض من ذلك برز الكوفيون في مجال التَّوسُّع اللُّغوي ، وأقرُّوا ما جاء من كل ذلك ، فسعوا في ذلك باحثين عن الشواهد التي تَعْضُدُه من لهجات القـــبائل المخـــتلفة ، فكل لهجة بالنسبة لهم تمثل جذراً في حقل اللغة إذ لا يصح إهداره ، فأدخلوا قبائل استَنْكَفَ البصريون الأخذ عنها .

وبعـــد هذه المقدمة الموجزة حول مفهوم التَّوسُّع اللُّغوي ، نشير إلى شروح الفصيح الممثلة لحركة التَّوسُّع اللُّغوي في المشرقين ، والتي لم يتوفر لنا منها سوى ثلاثةُ شروح ، اثنان منها يمثلان حركة التَّوسُّع اللُّغوي في المشرق ، وأما ثالثهما ، فيمثل حركته في المغرب ، وهي على الترتيب كما يأتي :

١) إسفار كتاب الفصيح ، لأبي سهل الهروي (ت ٤٣٣هـــ) .

٢) شرح الفصيح ، للزمخشري (ت ٥٣٨ هـــ) .

٣) تحفـــة المجد الصريح في شرح كتاب الفصيح ، لأبي جعفر اللبلي (ت ٦٩١ هـــ) .

وسَنُفَصِّلُ الحديث عن هؤلاء الشُّرّاح والشُّروح الخاصة بهم ـــ في الفصل التالي ـــ قاصدين في سعينا هذا إلى تزويد القارئ بفكرة عامَّة حول مناهج شروحهم ، وما احتوته من خصائص عامَّة ، ثم إبراز مظاهر التَّوسُّع اللُّغوي لديهم بشيء من التفصيل .

الفصل الثاني

مَظَاهِرُ التَّوَسُّعِ اللُّغَوِي
في شروح الفصيح

يقـول سـيبويه : " واعلم أنّ من كلامهم ، اختلاف اللفظين ؛ لاختلاف المعنيين ، واختلاف اللفظين والمعنى واحد ، واتفاق اللّفظين واختلاف المعنيين "[1] ، ولعل في هذا القول إشارة لما يطلقه بعض علماء اللّغة من مسميات لظواهر لغوية قـد ينكـرها غيرهم ، كاطلاقهم اسم الترادف على المفردات الدالة على معنى واحـد ، والمشـترك اللفظـي على الألفاظ المتفقة الدالة على المعاني المختلفة ، والأضداد اللفظ الواحد الدال على معنيين متضادين .

وقـبل الشُّروع في عرض الشُّرُوح الخاصة بالتَّوَسُّع اللُّغَوِي ، أُشيرُ إلى بعضِ المصـطلحات المتعلقة بظاهرة التَّوسُّع اللُّغوي ، وهي ما اعتمدتها كمعايير يسرت لنا سبل استنباط المسالك التي سلكها أصحاب التَّوسُّع في شُرُوحِهم فيما يخص هذا الباب ، وهي بإيجاز كالآتي :

ـ التَّوَسُّعُ عن طريْقِ الإبْدَالِ :

وفـيه يقـول ابْنُ فارس : " من سنن العرب إبدالُ الحروف ، وإقامة بعضِها مُقَـام بعض كقولهم : مَدَحَهُ ومَدَهَهُ ، وفَرَسٌ رِفَلٌ ورِفَنٌ ، وهو كثير مشهور ، قد ألَّف فيه العلماء .... "[2] .

ـ التَّوَسُّعُ عن طريْقِ التَّرَادُفِ :

نقل السيوطي عن الإمام فخر الدين الرَّازي قوله في تعريف المترادف : " هو الألفـاظ المفـردة الدالة على شيء واحد باعتبار واحد "[3] . وعرف الدكتور

---

(١) الكتاب : ٧/١ .

(٢) الصاحبي في فقه اللغة : ٢٠٩ .

(٣) المزهر : ٤٠٢/١.

رمضان عبد التواب المترادفات بقوله : " هي ألفاظ متحدة المعنى ، وقابلة للتبادل فيما بينها في أي سياق "[1]

ـ التَّوسُّع عن طريق الاشتراك اللفظي :

المشترك اللفظي يقصد به : اللفظ الواحد الدالّ على معنيين مختلفين فأكثر ، دلالة على السواء عند أهل تلك اللغة[2] .

ـ التَّوَسُّع عن طَرِيْق الأَضْدَّادِ :

قال السيوطي في المزهر : " إذا وقع الحرف عَلى معنيين متضادين فالأصل لمعنى واحد ، ثم تداخَلَ الاثنان على جهة الاتساع ، فمن ذلك : الصَّريم ، يُقال لليل صريم ، وللنهار صريم ؛ لأن الليل ينصرم من النهار ، والنهار ينصرم من الليل ؛ فأصل المعنيين من باب واحد وهو القطع " [3] .

ـ التَّوَسُّعُ عن طَرِيْق الاشْتِقَاق :

حكى ابن فارس : " أجمع أهل اللُّغة ـــ إلا من شذ منهم ـــ أن للغة العرب قياساً ، وأن العرب تشتق بعض الكلام من بعض ، واسم الجن مشتق من الاجتنان ، وأن الجيم والنون تدلان أبداً على الستر ، تقول العرب للدرع : جُنة ، وأجنه الليل ، وهذا جنين ، أي هو في بطن أمه ... " [4] .

---

(٤) فصول في فقه اللغة : ٣٠٩ .

(١) المزهر ٣٦٩/١ .

(٢) المزهر : ٤٠١/١ .

(٣) الصاحبي في فقه اللغة : ٦٦ .

ـ التَّوسُّعُ عن طريق جمع اللغات :

وهـــو مـــن الظواهر اللغوية المشهورة في هذا الباب ، وقد أشار إلى ذلك ابن فارس في فقه اللغة ، في باب القول في اختلاف لغات العرب [1] .

هـــذه بعض المعايير التي اعتمدناها وفق مفاهيمها الاصطلاحية ومدى ارتباطها بظاهـــرة التوسع ، ونضيف إليها أبرز المسالك التي انتهجها أصحاب التوسع ، كالتوسع عن طريق ذكر أكثر من لغتين ، أو تساويهما من حيث الفصاحة ، أو عن طريق وسم لغة العامة بالجودة ، وغيرها مما سنضمنه هذه الشروح بأقسامها الثلاثة ، وهي :

ـــ كتاب إسفار الفصيح لأبي سهل الهروي .

ـــ شرح الفصيح للزمخشري .

وهذان الشرحان يمثلان الشروح المشرقية . أما الشرح الثالث فهو :

ـــ كتاب تحفة المجد الصريح في شرح كتاب الفصيح ، لأبي جعفر اللبلي ، الذي يمثل الشروح المغربية . وهذه الشروح هي مدار حديثنا في الصفحات التالية .

---

(١) الصاحبي في فقه اللغة : ٥٠ .

أولاً ــ كتاب إسْفَار الفَصِيح لأبي سَهْل الهرَوِي

(المتوفى سنة : ٤٣٣هـ)

كتابه (إسفار الفصيح) :

يعد هذا الكتاب من أهم المصنفات المشرقية التي اهتمت بالتصويب اللغوي وتنقية اللسان العربي من الخطأ واللُّكْنة ، وهو أحد الشروح التي ألفت على فصيح ثعلب قام بتأليفه أبو سهل الهروي[1] فكان غزيراً في مادته ، تناول فيه مؤلفه قدراً كبيراً من مفردات اللغة وشروحها ، وعرض لعدد من المسائل المهمة في اللغة والنحو والصرف ، واهتم بإيراده لأقوال جمع من أئمة اللغة ، وانفرد ببعض آراءه العلمية . ولأهمية هذا المصنف فقد قام الباحث أحمد سعيد قشاش بتحقيقه معتمداً في ذلك على نسختين ونال به درجة الدكتوراه من الجامعة الإسلامية ، بالمدينة المنورة كلية اللغة العربية عام ١٤١٦ هـ والكتاب يقع في مجلد واحد .

أولاً ـ المعالمُ التي تميَّز بها هذا الشَّرْح :

١ـ بدأ الشَّارح بمقدمة ، حَمَدَ فيها المولى ـ جَلَّ وعَلا ـ ، ثم صلَّى على النبي وآله ـ صلى الله عليه وسلم ـ ثم ثَنَّى بمخاطبة أَحَدَ وزراء الصَّنْهاجيين [2] ذاكراً أنَّه هَذَّب لَه كتاب (الفصيح) ـ لثعلب ـ إلا أنَّ الشَّارح ، أَنْكَرَ على ثعلب إثباته فصولاً عِدَّة في غيرِ أبوابها المترجمة بها ، واسْتِكْثاره ما أهمله من تفسير فصوله ، وطلب الوزير إليه إبانتها ، وإيضاحها ؛ فعمل الشارح على أنْ يزيد في إبانة ما فسَّره صاحب الفصيح ، وإيراد مصادر الأفعال التي أهملها؛ لإشْكَالِها واختلافِها ، وأسماء الفاعلين والمفعولين ؛ لأنه لم يذكرْها ـ ثعلب ـ كلَّها ، فَبِسبب ما تَقَدَّم ؛ أخرج شرحه هذا ورفعه إلى ذلك الوزير ، وسمه بـ (إسفار كتاب الفصيح) ،

---

(١) سبقت ترجمته في ص ٢٦٠ من هذا البحث

(٢) وهو : شهاب بن علي بن أبي الرجال الشيباني .

وأوضح فيه منهجه بقوله : " ثم لما سألتني تفسيره ، واستعجلتني فيه ؛ عملت لك هذا وقصدتُ الإيجاز والاقتصار في التفسير ؛ ليقرب عليك حفظه "[1] ثُمَّ وعد الوزير بأنه مُتَمِّمٌ له وللمُتأدبين أمثاله شروحه ، إنْ أمْهَلَه القَدَرُ .

٢ـ أعْقَبَ مقدمته بتناول مقدمة الفصيح شارحاً ـ بإسهاب ـ لما احتوته من مفردات ؛ فأخذ منه ذلك العديد من الصفحات [2] .

٣ ـ في عرضه لمواد الفصيح التزمَ بذْكرِ نصِّ الفصيح وعبارته قبل أنْ يشرع في شرحها ، ففعل ذلك في جُلِّ شرحه .

٤ـ اهتم بذكر المشتقات ، وخاصة اسم الفاعل والمفعول ، كما نصَّ على ذلك في مُقدمته[3] .

٥ ـ حَوَى الشرح قدراً كبيراً من مفردات اللُّغة وشروحها ، بحيث يَجِدُ قارئه شرحاً وافياً ، لأغلب ألفاظ الفصيح .

٦ ـ ومن هذه المعالم أيضاً عنايته بأقوال العلماء : اعتنى الشارح ـ كسابقيه ولاحقيه من شُرَّاح الفصيح ـ بأقوال أئمة اللغة ، مصرحاً بذكر أسمائهم ومصنفاتهم تارة ، ومغفلاً إياها أحياناً، أو مكتفياً بذكر المؤلف من غير ذكر كتابه ، أو مصرحاً بعبارات تفيد نقله عن بعض تلك المصادر ، كقوله : " قال بعض أهل اللغة ، وقيل ، وقال بعض أهل النحو ... "

وبما أن الهروي يهدف في إسفاره إلى شرح كتاب الفصيح لثعلب ، فلا غرابة أن تكون مصادره الأولى في هذا الشرح ، هي بعض شروح الفصيح التي سبقته ،

---

(١) شرحه للفصيح ص ٢ .
(٢) انظر الصفحات ٣-١٢
(٣) انظر ص ٢ .

والــتي احــتلت المرتبة الأولى في قائمة مصادره ، ويأتي في مقدمتها (تصحيح الفصيح) لابن دُرُسْتُويه وقد أكثرَ النَّقْلَ عنه[1] ، ويليه في المرتبة الثانية شرح ابن الجَبَّان ؛ حيث افتتح به الشارح ناقلاً عنه في مواضع كثيرة [2]ــ أيضاً ــ .كما صــرح الهــروي بــنقله عن ابن خالويه ، بقوله : "وفي رواية عن ابن خالويه ، أوقوله : ورأيت أيضا في نسخة مروية عن ابن خالويه " [3] .

وإنْ كانــت شُروح الفصيح قد احتلت المرتبة الأولى في قائمة مصادر الشارح ، فإنــه لم يُغْفِــلْ أقوالَ الأئمة المتقدمين ، فقد نقل عن شيخ الرواة أبي عمرو بن العلاء ، وعن الخليل بن أحمد ، وعن تلميذه سيبويه ، وعن خلف الأحمر ، والنضر بن شميل ، والفرَّاء ، وأبي عبيدة ، والأصمعي ، وأبي زيد ، وابن الأعرابي ، وابن السكيت ، والسجستاني ، والمبرِّد ، والزجَّاج ، وغيرهم . والملاحظ في نقْله عن هؤلاء الأئمة إغفاله ذكر الكسائي ، فلم يرد له ذكرٌ في شرحِه ، ولعلَّ نقله عن تلميذِه الفرَّاء ، قد أغناه عن ذلك .

ثانياً ــ لُغات العَامَّة في الإسفار :

تَطَــرَّق الهروي ــ كغيره من شُرَّاحِ الفصيح ــ إلى ذِكْرِ لُغات العَامَّة ، وقد سَلَكَ في ذلك ثلاث مسالك بارزة ، نُبَيِّنُها في الآتي :

ــ أولاً : تصْويبه لبعض لُغات العَامَّة :

يُصــوِّبُ بعضَ لُغات العامَّة ، فيَصِفُ بعضها كلغة للعرب ، ويَصِفُ أُخرى بالفصــاحةِ وسيتضح ذلك عند بسْط الحديث حول مذهبه في التَّوسُّع اللُّغوي ،

(١) نقل عنه في اثنين وثلاثين موضعاً أولها ص ١٠٨ وآخرها ص ٤٥٣ .

(٢) نقل عنه في أربعة وعشرين موضعاً : أولها ص ٢٢ ، وآخرها ص ٤٥٣ .

(٣) انظر الإسفار : ١٤٩ ، ١٥٣ .

ولا بأس من ذكر مثالين ، فيما يتعلق بتصويبه لِلُغة العامَّة ، كي يتضح المقصود ، فمن ذلك :

ذكــر ثعلب في الفصيح [1] أن في (الخاتم) لغين فصيحتين ، هما : خاتِم ، خاتَم ، بكسر التاء وفتحها . وحكى ابن سهل أن العامة تقول : خواتيم ، بزيادة الياء ، ويبين أنها لغة للعرب فصيحة [2] ، قلت : قال سيبويه : " سمعنا من يقول ممن يوثق به من العرب : خُوَيتيمٌ ، فإذا جمع قال : خواتيم " [3] .

وفي موضع آخر من الكتاب يذكر أن : (البُصاقَ) بالضم هي اللغة الفصيحة المــروية عن ثعلب ، ثم يذكر أن العامة تقول : البُزاق ، بالزاي للبصاق ، وينص علـــى أنها لغة ـــ أيضاً ـــ عن العرب [4] . قلت : والصاد لغة قريش والزاي لغة عذرة وكعب وبني القين [5] ، واللغتان حكاهما ابن الســكيت وابن قتيبة [6] .

ـ ثانياً : التقليلُ من شأن لغة العامَّة :

يُصَرِّحُ بذكر لُغة العَامَّة ، إلا أنه يُقَلِّل من شأنها ، مستخدماً العبارات التالية :

ـــ ليس ذلك بمختار عند الفصحاء : فيذكر أنَّه لا يقال : سمكٌ مَالِحٌ ، وينبِّه إلى أنـــه جاء عن بعض العرب قولهم : مَالِحٌ ، ويصرِّح بأنَّ العامَّة على هذه اللغة ،

---

(١) الفصيح : ٣١٧ .
(٢) انظر الإسفار ٤٠١ ، ٤٠٢ .
(٣) انظر الكتاب ٣/ ٤٢٥ ، ٤/ ٢٤٩ .
(٤) الإسفار ٤٤٨ .
(٥) انظر البحر المحيط ١/ ٤٥ .
(٦) انظر الإصلاح : ١٨٤ ، وأدب الكاتب : ٢٨٧ ، والتاج : (بصق)

ولـــيس ذلك بمختار عند الفصحاء [1] ، قلت : ووافقه فيما ذهب إليه ابن السكيت وابن قتيبة والزمخشري [2] .

ـــ وليس هذا بالجيد : ومن أمثلة ذلك : ففي كلامه على قول ثعلب : (وثيابٌ جُـــدُدٌ) بضم الدال ، حكى أنّ العامَّة تفتح الدال ، ويذكر بأنّه قد تَكلَّمَ بهذه اللُّغة بَعْضُ العرب ، ويسمها بعدم الجودة [3] . قلت : وقد تكلم بهذه اللغة بعض تميم وبعض كلب [4] .

ـــ ثالثاً : تخطئة لُغة العَامَّة :

يصرح بتخطئتها ، وقد جاء ذلك بعبارات مختلفة ، كقوله :

ـــ هذا من خطأ العامة :

فعند كلامه على قول ثعلب : " وهو عِرْقُ النَّسَا ... يحكي أن الأصمعي أنكر ذلـــك ، وقـــال : و لاتقل عِرْق النَّسَا ، كما لا يقال : عِرْق الأَكْحَل ، ... ، وقالـــوا : هـــذا من خطأ العامة " [5] ، قلت : هكذا رواه ثعلب وابن السكيت وغيره من أئمة اللغة [6] .

ـــ والعَامَّةُ تَغْلَطُ فيه : كقوله " وتقول : عندي زوجان من الحَمَام ، والعامة تغلط في هذا فَتُسَمِّي الاثنين زوجاً " [7] .

---

(1) الإسفار ٤٢١ ، ٤٢٢ .

(2) انظر الاصلاح : ٢٨٨ ، وأدب الكاتب : ١٦٥ ، وشرح الفصيح الزمخشري : ٢٠٢ .

(3) الإسفار : ٢٨٩ .

(4) انظر البحر المحيط : ٩/١٠٠ ، ١٠/ ٧٩

(5) الإسفار : ٢٠٦-٢٠٧ .

(6) انظر الفصيح : ٢٨٩ ، والاصلاح : ١٦٤ ، والجمهرة ٢/١٠٧٤ ، والمقاييس ٥/٤٢٢ (نسى)

(7) الإسفار : ٤١٣، ٤١٤ .

ـــ والعَامَّةُ تُخالفُ العَرَبَ :

يذكـــر أن الفصيح هو قولهم : حُجْزَةُ السَّراويل ، وينبه إلى أن العامة تخالف العـــرب في الجيم ، فتقلبها زاياً ، فتقولُ : حُزَّةُ [1] . قلت : وحكى ابن الأعرابي (حُـــزَّة) كمـــا تنطق بها العامة وذكر أنها لغة [2] . وفي موضع آخر يذكر أن العامة تخالف لما ورد به السّـماع عن العرب في قولها : عُوْدٌ يُسْرٍ، بالياء [3] قلت : وحكـــى الأزهري في التهذيب١٣/٦١ عن ابن الأعرابي قوله : " هذا عود أُسُر ويُسُر "

ـــ والعَامَّةُ لا تُمَيِّزُ بَيْنهما :

يذكر أبو سهلٍ أن الفصيح أن يقال : جئنا من رأْس عَيْن ، بغير ألف ولام في عَـــيْن ، وينبه إلى أن العامة تقول : رأس العَيْن ، فتزيد فيه الألف واللام ، وأنْكرَ أهل العلم بالنحو واللغة ذلك [4] . قلت : ذكر علي ابن حمزة في (التنبيهات) خلاف ما قال الشارح ، فحكى : " إنما يقال جاء من رأس عين إذا كانت عيناً نكـــرة غـــير معروفة ، فأما هذه العين التي في الجزيرة فلا يقال فيها إلا من رأس العين" ، واستشهد على ذلك ببيتين من فصيح الشعر [5] .

ثالثاً ـــ المُعَرَّبُ في إسْفَارِ الفَصِيح :

لم ينفـــردْ الهروي ـــ عن غيره من شُرَّاح الفصيح ـــ فيما يتعلق بالألفاظ المعرَّبة ، والـــتي وردت في ثنايا الفصيح ، بل سلك مسلك نظرائه من شُرَّاح الفصيح في

---

(١) الإسفار : ٢٩٥ ، ٢٩٦ .

(٢) انظر المدخل إلى تقويم اللسان : ٦٠ ، وشرح ابن هشام اللخمي : ١٥٩ .

(٣) الإسفار : ٢٨٩ .

(٤) نفسه : ٤٢٤ .

(٥) انظر التنبيهات : ٣٠٦ .

ذلـــك ، فتحدث عن مجموعة من الألفاظ المُعَرَّبة ، وأوضح منها ما هو فارسي معرب ـــ وهو الغالب على هذه الألفاظ ـــ وأحياناً يقول : أعجمي مُعَرَّب ، ولم يذكـــرْ من أيِّ لغة هو ، كما ذكر لفظاً نبطياً مُعرَّباً . وإليك بعض الأمثلة على ذلك :

يذكر أن الرَّصَاصُ فارسي معرَّب [١] .

وفي موضع آخر ينبه على أن الجورب أصله فارسي [٢] .

ويذكر أن الإهْلِيْلَجَ ـــ بكسـر الهمزة واللام الأولى وفتح الثانية ـــ دواء معروف ، وهو مُعرَّبٌ من الفارسية ، وأصل الفارسية هندية [٣] .

ويصرح بأن الفُلْفُلُ أعجمي معرَّب [٤] .

وفي موضـــع آخـــر من الشرح يذكر أن الأُبُلَّةَ اسم مدينة معروفة عند البصرة ، وهي نبطية معرَّبة [٥] .

ومثل هذه المعربات تكرر ورودها في ثنايا الكتاب [٦] .

---

(١) الإسفار ٢٠٨ .

(٢) الإسفار : ٢١٥ ، والمعرب ٢٤٣ .

(٣) نفسه : ٢٥٦ ، والمعرب ١٣٣ .

(٤) نفسه : ٢٩٠ ، والمعرب ٤٧ .

(٥) نفسه : ٢٩٦ ، ٢٩٧ ، والمعرب ١٠٩ ، ١١٠ .

(٦) انظـــر الصفحات : ٢١٥ ، ٢٢٦ ، ٢٤٢ ، ٢٤٥ ، ٢٥٥ ، ٢٦٢ ، ٢٧٤ ، ٢٨١ ، ٣٢٥ ، ٣٨٤ ، ٤١١ ، ٤١٦ ، ٤٢٠ .

رابعاً ــ مَوْقِفُهُ من ثعْلَب :

تتضح مواقف الهروي من صاحب الفصيح في موقفين متباينين ، وتتلخص في الاستدراك عليه ، أوالانتصار له ، وإيجازهما في الآتي :

أولاً ــ موقف المستدرك عليه :

وَتَمَثَّل ذلك في تنبيهاته على بعض الألفاظ التي وضعها ثعلبٌ في غير أبوابها مما لا تغلط فيها العامة .

ــــ ففي أول باب : (المفتوح أوله من الأسماء) ينبه أبو سهل إلى أن أبا العباس ثعلب ذكر في هذا الباب أربعة وعشرين فصلاً خارجة عن بابه [1] .

ــــ وفي موضع آخر : نَبَّه إلى ألفاظ لا تغلط فيها العامة ــ كما زعم ثعلب ــ إلا أنه سرعان ما يبحث عن مخرج لما ذهب إليه ثعلب ، كقوله : " وليس الظَّبْيُ والجِــرْو من هذا الباب (المفتوح أوله من الأسماء) ، ولا تغلط فيه العامة ، وإنما ذكره ثعلب ــ رحمه الله ــ ؛ لأن جمعهما في القلة والكثرة كجمع الجَدْي " [2] .

ــــ وفي موضع آخر من الباب نفسه ، وفي كلامه على قول ثعلب : (وهو أَبْيَنُ من فَلَقِ الصُّبْحِ ، وفَرَقِ الصُّبْحِ) ، ينَبِّه إلى أنَّ العامة لا تغلط في هذين الفصلين [3] .

ــــ وقال في أول باب : (المضموم أوله) : " قال أبو سهل : ذكر أبو العباس ثعلــب ــ رحمــه الله ــ في هــذا الباب أحد عشر فصلاً خارجة عن ترجمته ، والعامة لا تغلط في الحرف الأول منها ؛ لأنها تضم أوائلها كلها ، كما تتكلم بها

---

(١) الإسفار : ٢٠٥ .

(٢) نفسه : ٢١٢ .

(٣) نفسه : ٢١٦ .

العـــرب ، وإنمـــا تغلط في الحرف الثاني منها " [1] . وذَكَر من هذه الألفاظ : (النُّغَبَة ، والقُلْقَة ، والجُلْدَة ، والضُّغْطَة ، وجُدُدٌ ، ...) [2] .

وقـــد اهتم الشارح بالتنبيه إلى مثل هذه الاستدراكات [3] . كما نبَّه ـــ أيضـــاً ـــ على بعض الأخطاء الصرفية واللغوية ، التي وقع فيها ثعلب ، ومن ذلك ، قوله : " وذكر أبو العباس ـــ رحمه الله ـــ عِجْتُ ، بكسر العين، في هـــذا الباب غلط أيضا ، والقول فيه كالقول في عِمْتُ، بكسر العين " [4] . وقد جاءت تنبيهاته إلى مثل تلك الأخطاء اللغوية ، في أكثر من موضع من شرحه [5] .

ثانياً ـــ مَوْقِفُ المُنْتَصِرِ لهُ :

إذا كـــان الشَّارحُ قد استدرك على ثعلب في فصيحه في مواضع منه ، فإنه قد انتصر له في مواضع أُخَرْ ، مصرحاً بصحة ما ذهب إليه ثعلب مستخدماً في ذلك بعض العبارات ، كقوله : وهو كلام صحيح ، والأفصح والأكثر ما اختاره ثعلب ، والذي ذكره أهل اللغة موافق لقول ثعلب ، وإليك تفصيل ما أوجزناه :

ـــ يصرح بأن قول ثعلب (وهو السُّماني لهذا الطائر) كلامٌ صحيح . دل به على طائر واحد ، لقوله : (لهذا الطائر) [6] .

---

(1) الإسفار : ٢٨٧ .
(2) نفسه : ٢٨٧ – ٣٠٢ .
(3) نفسه : ٣٠١ ، ٣٠٢ ، ٢٨٧ ، ٢٩٨ ، ٢٩٩ .
(4) نفسه : ٩١-٩٢ .
(5) نفسه : ٩١ ، ٩٣ ، ١٠٧ ، ٢٩٦ ، ٣٩٦ ، ٤٥٢ .
(6) نفسه : ٣٣٦ .

ـــــ أنكـــر بعض اللغويين على ثعلب أن يكون أعداءٌ وعدىً بمعنى واحد ، فصرح أبو سهل الهروي بأن الذي ذكره جِلَّةُ أهل اللغة مُوافِقٌ لقول ثعلب [1] .

ـــــ أبـــان الهروي أن العامة تكسر أوائل الكلمات التالية : (كَبْد ، فَخْذ ، كَــرْش ، فَحث) وتسكن الحرف الثاني منها ، ونبه إلى أنها لغة لبعض العرب ، ولكن الأفصح والأكثر فيها ما اختاره ثعلب ـــ رحمه الله ـــ [2] .

ـــــ وفي موضـــع آخر يذكر أن في النِّطَعِ ، بكسر النون وفتح الطاء ، أربع لغات وينبه على أن ما اختاره أبو العباس هو الأفصح [3] .

خامساً ـــ مَظَاهِرُ التَّوَسُّع في شَرْحِ الهرَوِي :

تعـــددت مظاهر التَّوسع اللغوي لدى الهروي ؛ حيث شملت مسالكه فيه : التوســـع عن طريق إبدال الحروف للكلمة الواحدة ، أو عن طريق التحريك لها بصـــورتين مختلفـــتين ، أو توسعه فيها بالاشتقاق ، والترادف ، والتضاد ، ومن مظاهـــر توســـعه ـــ أيضاً ـــ تصويبه لبعض لغات العامة ووسمها بالفصاحة ، وتفصيل كل ذلك في الآتي :

أ ـــ التَّوَسُّعُ عن طريق (الإبْدَال) : فمن ذلك :

ـــ الابدال بين الهاء والهمزة :

ذكر الهروي أن (الهاء) في قولهم : (هَرَقْتُ الماءَ) أصلها هَمْزة ، وهي مبدلة منها للتخفيف وكثرة الاستعمال ، والأصل : أرَقْتُ [4] .

---

(1) الإسفار : ٣٩٩ .
(2) نفسه : ٢٣٢ .
(3) نفسه : ٢٦٥ .
(4) نفسه : ٥٤ .

ــ بين اللام والراء :

ومن ذلك ما حكاه عن بعض اللغويين ، كقولهم : وهو أَبْيَنُ من فَلَقِ الصُّبْح ، وفَـرَقِ الصُّبْح [1] . قلت : ذكر ابن هشام اللخمي في شرحه للفصيح أن : أهل الحجاز يقولون (فلق) وبنو تميم يقولون (فرق) بالراء [2] .

ــ بين الهمزة والواو :

ومـن ذلك قولهم : وهو الإِكَافُ والوِكَافُ [3]. قلت : وذكر السيوطي في المزهر أن : الوكاف بالواو لغة الحجاز ، والإكاف بالهمزة لغة تميم [4] .

ــ بين الباء والميم :

كقولهم : ما هو بضَرْبَةِ لازِبٍ ، وبالميم إن شئت [5] .

ــ بين اللام والنون :

ومـن ذلك قولهم : وهو أَشَدُّ سَواداً من حَلَكِ الغُراب وحَنَكِ الغُراب ، واللام أكثر [6] .

ــ بين الواو والياء :

كقولهم : وبينهما بَوْنٌ بعيد بالواو ، وبَيْنٌ أيضاً بالياء [7] .

---

(١) الإسفار : ٢١٦ .

(٢) نفسه : ١٢٤ ، ١٢٥ .

(٣) نفسه : ٢٥٢ .

(٤) نفسه : ٢/٢٧٦ .

(٥) نفسه : ٣٧٦ .

(٦) نفسه : ٤٠٥ .

(٧) نفسه : ٤١٧ .

ـ بين الصاد والزاي والسين :

واللغة الفصيحة كما يراها الهروي هي : لصِقْتُ به ، بصاد مكسورة ، إلا أنه ينبه إلى أن قول العامة : لَزِقْتُ ولَسِقْتُ ، بالزاي والسين ، هما لغتان للعرب أيضاً [1] ، نلحظ هنا أنه قد أجاز الإبدال بين هذه الأحرف الثلاثة وكل حرف منها يمثل لغة قبيلة من العرب ، فالصاد لغة قريش ، والزاي لغة عذرة وكعب ، والسين لغة عامة العرب [2] .

ب ـ التَّوَسُّعُ عن طريقِ الحَرَكَةِ :

وهذا النوع هو الغالب على طبيعة الكتاب ، ونوجزه بذكر بعض الأمثلة ، الموضحة لذلك ، فمن خلالها يتضح لنا أن هذا النوع من التوسع يكون بذكر لغة واحدة :

ـ حكى الهروي عن ثعلب : (وفَسَدَ الشيء يَفْسُدُ ، ويَفْسِدُ ، بالضم والكسر) . وقد اقتصر أصحاب التنقية على لغة الضم ، وأضاف الهروي لغة الكسر [3] .

ـ ومثل ذلك قوله : " ونَفَرَ الرَّجُلُ والدَّابة يَنْفُرُ ، ويَنْفِرُ ، بالضم والكسر ، حيث اقتصر أصحاب التنقية على لغة الضم وأضاف الشارح إليها لغة الكسر [4] .

---

(١) الإسفار : ٤٨٨ .

(٢) انظر البحر المحيط : ١/٤٥ .

(٣) انظر الإسفار : ١٥ .

(٤) نفسه : ١٧ .

ـــ وفي موضـــع آخر يحكي قولهم : يقال : طَلَقَتِ المرأةُ ، بفتح الطاء واللام ، وطَلُقَـــتْ ، بضـــم اللام . فاقتصر أصحاب التنقية على لغة الفتح بينما أضاف الهروي لغة الضم [1] .

ـــ وفي موضع آخر من الكتاب يقول : " وأرْضٌ وَبِئَةٌ ، على فَعِلَةٍ ، ووَبِيْئَةٌ أيضاً على فَعِيْلَةٌ ، وإن شئت قلت : أرض موبوءة على مفعولة ، فأضاف الشارح هنا لغة ثالثة على زنة (مفعولة) [2] .

ـــ ويقول في موضع آخر : " وثوبٌ مُزأبِرٌ بالهمز وكسر الباء ، ويروى مُزأبَرٌ ، بفتح الباء ، فالهروي أضاف إلى لغة الفصيح لغة ثانية وهي الأخيرة [3] .

ـــ وقد يتوسع بذكر أكثر من لغتين : حيث إنه ذكر أن في الإصبع بكسر الهمزة وفتح الباء لغات [4] . قُلْتُ : وذُكِرَ فيها عَشْرَ لُغاتٍ [5] ، ولعلَّ الشَّارِح يعنيها .

ـــ ويحكي أن في النِّطَعِ ، بكسر النون وفتح الطاء ، أربع لُغات [6] .

---

(١) الإسفار : ١٦٩ .

(٢) نفسه : ١٤٤ .

(٣) نفسه : ٢٤٥ .

(٤) نفسه : ٢٥١ .

(٥) انظر المنتخب لكُراع : ٥١١/١ ، ٥٣٧ والمدخل لتقويم اللسان : ٨٠ ، والمذكر والمؤنث لابن الانباري ٣٣٧/١ ، والمثلث للبعلي : ١٦٣ تحقيق الأستاذ الدكتور سليمان العايد ، والغرر المثلثة للفيروز أبادي : ٢٦٦

(٦) الإسفار : ٢٦٥ ،وهذه اللغات جاءت في الغريب المصنف : ٦٦٥ ، والإصلاح ٩٨ ، ١٦٩ ، وأدب الكاتب ٤٢٣ ، والمدخل إلى تقويم اللسان ٨٧ .

ج ـ التَّوَسُّعُ عن طريْق الاشْتِقاق :

أحـــياناً ينـــبه في توسعه إلى رد هذه المشتقات إلى أصولها التي اشتقت منها كقوله :" والكتاب مُشْتَقٌ من الكَتْبِ ، وهو الجمع والضم " [1] ، ثم ينتقل إلى تفســـير كلمة (الناس) فيرى أنها مُشْتَقَّةٌ من الأَنَسَةِ ، وهي الاسْتِئْنَاس ؛ لأنَّ بعضـــهم يَأْنس ببعض ، ولا يَأْنس بغيرهم من الحيوان [2] . ويقول في موضع آخر : " والبهـــيمة مأخوذة من الإبهام ، وهو اشتباه الشيء ، فلا يُدْرَى وَجْهُهُ " [3] . والمِنْقَارُ عنده مُشْتَقٌ من النَّقْرِ ، وهو النَّقْر والحَفْر [4]. وقوله في موضع آخر : " الجـــنة البســـتان ... وأصلها من السِّتر ؛ لأن الموضع لا يسمى جنة حتى تستتر أرضه بالشجر ... " [5] .

ـــ وفي كلامـــه على قول صاحب الفصيح (رَهَنْتُ الرَّهْنَ) ، يسوق اشتقاقها : كالمُرْهِن ، والرَّاهِن ، والمَرْهُون ، والرِّهَان ، والرُّهُن [6] .

ـــ ويرى أنَّ أحدَ أبوا ب الفصيح ــ والذي وَسَمَه ثعلبٌ بـــ (باب منه آخر) ـــ قد اشتمل على عدد من الألفاظ التي تعود كُلُّها إلى أصل واحد في الاشتقاق ، مُصرِّحاً بقوله : " وأصلُ هذا الباب كُلِّه من التغْطِيَة والسَّتْرِ " [7] .

---

(٤) الإسفار : ٤ .
(٥) نفسه : ٦ .
(٦) نفسه : ٣٥٦ .
(٧) نفسه : ٤٥٣ .
(٨) نفسه : ٢٨٠ .
(١) الإسفار : ٥٨ .
(٢) نفسه : ٣٦٦ .

د ـ التَّوَسُّعُ عن طريقِ التَّرَادُف :

لم يُصرِّحْ الهرويُّ بهذا المصطلح ، إلا أنه يُفهمُ ـ عن طريق تتبع شرحه لبعض ألفاظ الفصيح ـ إقْراره لظاهرة التَّرادُفِ ، ويتضح ذلك من قوله : " وعَضِضْتُ الشيء ، مثل كدَمْتُ سواءً : إذا قبضت عليه بأسنانك " [1] . كما يَرَى أنَّ العقوبة والعذاب بمعنى واحد [2] .

ـ ويصرح بأن : هزئت به مثل : سخرت منه في الوزن والمعنى [3] .

ـ وفي موضع آخر من الكتاب يذكر أن : جَرًى وقَمَنٌ ، بمعنى واحد ؛ بمعنى حقيقٌ وخليقٌ وجديرٌ [4] .

ـ وينبه إلى أن العام والحول والسنة بمعنى واحد [5] .

هـ ـ التَّوَسُّعُ عن طريقِ تَصْويب بعْضَ لُغاتِ العَامَّة :

هناك العديد من الأمثلة حول هذا الضرب من التوسع في إسفار الهروي [6] ، وقد سبق أنْ أشرنا لبعض منها ، في أثناء عرضنا لبعض مواقفه من لغات العامة ـ في مبحث تصويبه للغة العامة ـ ، حيث وَسَم قولَ العامةِ (خواتيم ، بزيادة الياء) بقوله : هي لغة فصيحة للعرب [7] ، وقول العامة (البُزَاقُ ، بالزاي)

---

(1) الإسفار : ٣٤ .
(2) نفسه : ٣٨ .
(3) نفسه : ١٣٢ .
(4) نفسه : ١٩٧ .
(5) نفسه : ٤١٦ .
(6) الإسفار : ٢٣٠ ، ٢٣٢ ، ٢٣٥ ، ٢٦٥ ، ٤٠٦ ، ٤٢١ .
(7) نفسه : ٤٠١ ، ٤٠٢ . وانظر الكتاب لسيبويه ٤٢٥/٣ ، ٢٤٩/٤ .

بدلاً من الصاد بقوله : هي لغة أيضاً عن العرب (1) . وأشرنا في موضع آخر لمادة (لصِــقْتُ بـــه) ـــ ضمن أمثلة توسعه عن طريق الإبدال ـــ ، حيث وردت بالصاد ، والزاي ، والسين ، وكانت بالحرفين الأخيرين من لغات العامة ، وقال الهروي : هما لغتان أيضاً عن العرب (2) . وفيما يأتي نورد المزيد من الأمثلة على هذا النوع :

ـــ ذكر أن جمع : الدَّانِقُ والدَّانَقُ دَوانِقُ ، والعامة تقول : دَوَانيق بالياء ، فيكون جَمْعُ دانَاقٍ ، وهي لغة للعرب في الدَّانِقِ (3) . قلت : وحكى سيبويه هذه اللغة (4) . بينما وصف ابن سيده هذا الجمع بالشذوذ (5) .

ـــ وذكر أن الطسُّ ، بغير هاء ، هي اللغة الفصيحة ، والطَّسْتُ بالتاء ، لغة للعرب أيضاً ، ونبَّه إلى أنَّ العامة لا تتكلم إلا بهذه اللغة (6) .قلت : وقد نسبت هذه اللغة إلى قبيلة طيء (7) .

ـــ وعند كلامه على قول صاحب الفصيح : وهو (العُنُقُ) ، بضم النون ، ذكر أن العامة تُسكِنُها وبعضهم يفْتحُها ، وهما عند العرب لغتان (8) . قلت : وتسكين النون لغة بني تميم وربيعة (9) .

---

(1) الإسفار : ٤٤٨ ، وانظر الصحاح والمحكم (بزق)

(2) نفسه : ٤٤٨

(3) نفسه : ٤٠١ .

(4) الكتاب : ٢٤٩/٤ .

(5) انظر المحكم (دنق) .

(6) الإسفار : ٤٠٣ .

(7) انظر التهذيب (طس) ٢٧٤/١٢ .

(8) الإسفار : ٢٩٠ .

(9) انظر تثقيف اللسان : ٣٠٠ .

ـ وحكى عن ثعلب قوله : وهو (الجُبُنُ) : للذي يؤكل ، بضم الباء ، ويصرح بـــأن العامة تُسكن الباء منها ، ويرى أن ذلك ليس بخطأ ، بل هما لغتان جيدتان [1] ، قلت : والجُبُنّ بضم الباء وتشديد النون لغة ثالثة فيها حكاها الكسائي وابن السكيت وعلي بن حمزة [2] .

ونخلص مما سبق إلى بيان الآتي :

ـ التزم الهروي بذكر نص الفصيح وعبارته أثناء عرضه لمواد الفصيح .

ـ ضمن الشارح شرحه قدراً كبيراً من مفردات اللغة وشروحها .

ـ اعتنى بذكر المشتقات بأنواعها ، والترادف والمشترك اللفظي بنوعيه .

ـ اعتمد كثيراً على شروح الفصيح التي سبقته وفي مقدمتها شرح ابن درستوية ، وشرح ابن الجبّان ، واللذان يأتيان في مقدمة مصادره اللغوية .

ـ اعتنى بالنقل عن أئمة اللغة المتقدمين وصرح بذكر أسمائهم .

ـ وقف من لغة العامة ثلاثة مواقف : فصوّب بعضها عندما توافق لغة من لغات العرب ، وأحياناً يقلل من شأنها ، وقد يصرح بخطئها عند مخالفتها للغة العرب .

ـ ذكر مجموعة من الألفاظ المعربة مما أصلها الفارسية أو النبطية أو الهندية .

ـ وقف الشارح من صاحب الفصيح موقفين : موقف المنتصر له ، وتصريحه بفصاحة ما ذهب إليه ثعلب ، وموقف المستدرك عليه ، وتنبيهه إلى بعض الألفاظ التي وضعها صاحب الفصيح في غير أبوابها .

---

(١) الإسفار : ٢٩٢-٢٩٣ .

(٢) انظر ما تلحن فيه العامة : ١٢٧ ، والاصلاح : ١١٨ ، والتنبيهات : ١٨٣ .

ـــ اهتم بظاهرة توسع العرب في كلامها ، فذكر : التوسع عن طريق الإبدال ، والتوسع عن طريق تغيير الحركة ، والتوسع عن طريق الاشتقاق ، والتوسع عن طريق الترادف ، والتوسع عن طريق تصويبه لبعض لغات العامة .

ثانياً ـــ شَرْحُ الفَصِيْح للزَمخْشَرِي

(المتوفى سنة : ٥٣٨ هـــ)

تَرْجمة المؤلّف (1) :

هو محمود بن عمر بن أحمد الزمخشري ، وقيل : محمود بن عمر بن محمد بن عمـــر الزمخشري ، ويُكنّى أبو القاسم ، لُقّبَ بـــ (جار الله) ؛ لمجاورته البيت العتيق بمكة المكرمة ، ثم أصبح هذا اللقب علماً عليه ، ولد بزمخشر إحدى قرى خوارزم سنة سبع وستين وأربعمائة هجرية ، وتوفي سنة ثمان وثلاثين وخمسمائة هجرية .

كتابه (شرح الفصيح) :

يمـثل هذا الكتاب أحد الشروح المشرقية التي تناولت فصيح ثعلب بالشرح والبـيان ، لمؤلفه أبي القاسم الزمخشري ، والذي يذكر الدكتور فؤاد سزكين في كـتابه (تاريخ التراث العربي) المجلد الثامن الجزء الأول ، ص : ٣٣١ أن هذا الشـــرح كتب في القرن السابع الهجري ، وقد قام بتحقيقه الباحث ابراهيم ابن عبدالله بن جمهور الغامدي على نسخة واحدة ، ونال بها درجة الدكتوراه ، من جامعة أم القرى بمكة المكرمة ، كلية اللغة العربية عام ١٤١٧هـــ ، ويقع الكتاب في مجلدين .

أولاً ــ قيمة هَذَا الشَّرْحُ :

وتبرز قيمة هذا الشرح من خلال اهتمامه بشرح مقدمة الفصيح واستقصائه لها ، فالشارح بَدأ كتابه بتفسير مقدمة الفصيح ، وقد فصَّل القولَ في ذلك ، فبدأ بتفسير كلمة (هذا) ، قائلاً : " ها : تنبيه ، وذا : اسم يُشارُ به إلى شيء حاضر

---

(١) انظـــر معجم في الأدباء ١٩ / ١٢٦ ، انباه الرواة : ٣/٢٦٥ ، ووفيات الأعيان ٥/١٦٨ ، وبغية الوعاة : ٢/ ٢٧٩ .

..." [1] وقد أسهبَ في بيان أحوالها ، ذاكراً صيغ الإفراد والتثنية والجمع ، والتذكير والتأنيث ، وشرح ذلك فيما يقرب من نصف صفحة ، ثم انتقل بعد ذلك إلى بيان كلمة (كتاب) فذكر مشتقاتها ، فأبان عن اسم الفاعل منه ــ مثلاً ــ بقوله : " وسُمّي الكاتب كاتباً ؛ لأنه يجمع بين الحروف بعضها إلى بعض " [2] .

ثم تابع تفسيره ، فعرَّف الكلام الفصيح بأنه : الخالص من اللحن ، مُدَلِلاً على ذلك بذكره معانٍ للفصاحة . واختتم تفسيره لمقدمة صاحب الفصيح بقوله : " أَلَّفْنَاهُ : جمعناه ، والتأليف : الجمع ... " [3] . أمَّا خاتمةُ كتابه فقد جاءت موجزة في عبارته التالية : " تَمَّ الكتابُ والحمد لله رب العالمين ، وصلواته على سيدنا محمد النبي وآله الطاهرين وسلامه " [4] .

ــ وقد امتاز هذا الشرْحُ بغزارةِ المادة العلمية وتنوعها ، مما يدل على سعة إطلاع الزمخشري وعمق ثقافته ، فمن ذلك : عنايته بأقوال أئمة اللغة ، واهتمامه بالمسائل النحوية والتصريفية وبالمشتقات وإرجاعها إلى أصولها كما اهتم بلغات العرب ، بالإضافة لعنايته بلغات العامة ، كما اهتم بالاستشهاد بفصيح كلام العرب وفي مقدمته القرآن الكريم الذي يمثل قمة الفصاحة ، ثم الشعر العربي والحديث الشريف ، كما اعتنى بظاهرة الترادف والمشترك اللفظي بنوعيه ، وسيأتي تفصيل ذلك في موضعه .

---

(٢) المقدمة : ٥ .

(١) المقدمة : ٦ .

(٢) المقدمة : ٩ .

(٣) خاتمة الكتاب : ٧١١ .

عِنَايَتُه بِأقْوَالِ العُلَمَاءِ :

تَبرزُ عنايته ـــ في شرحِه ـــ بأقوالِ أئمة اللغة ، ولا سيما المتقدمين منهم ، ولا أدلَّ على ذلك من استفتاحه لأولِ مواد شرحه بقوله على " نَمَى المالُ يَنْمِي " : " بالياء اختيار نقلة اللغة كالفرَّاء ، والكسائي ، وأبي عبيدة ، وأبي زيد "[١]. وفي موضع آخر من الكتاب ينقل عن الأصمعي والفرَّاء والكسائي قولهمُ : كَبَتُّ المالَ .... [٢] .

ـــ وفي كلامه على قول ثعلب : (فَرِكت المرأةُ زوجها تَفْرَكُهُ) أبان الشارح أنه يقال : فَرَكَتْ تَفْرُك ، ويصرِّح بأنَّه حكاها كل من : الكسائي ، وأبو عبيد ، واللحياني [٣] .

ـــ وذكر أن العامة تقول : أجِنَ الماء يأجَنْ ، وينبِّه إلى أنها لغة حكاها ابن الأعرابي والكسائي [٤] .

ـــ وحكى أنه يقال : خِيطان ، وخَيطان ، بكسر الخاء وفتحها ، روى ذلك أبو حاتم عن الأصمعي في كتاب الطير ، كما نص الشارح على ذلك [٥] .

وهكذا كان لعنايته بأقوال اللغويين نصيبٌ وافرٌ في الكتاب [٦] .

---

(١) شرحه للفصيح : ١١ .

(٢) نفسه : ٣٦ .

(٣) نفسه : ٦٢ .

(٤) نفسه : ٣٤

(٥) نفسه : ٤٧٦ .

(٦) انظر الصفحات ١٩٠ ، ١٩٧ ، ١٩٩ ، ٢٣١ ، ٢٨٨ ، ٣٦١ ، ٣٨٧ .

عِنَايَتُه بِمَسَائل العَرَبِيَّة :

وكمـا اعتنى المصنف بأقوال أئمة اللغة ، فقد اعتنى أيضاً بمسائلِ العربيَّة ، وخاصة النحو والصرف ، وفيما يلي إشارة موجزة لذلك : ففي الجانب النحوي ، نقل عن الكسائي قوله : " بُني أمسِ على الكسر ؛ لأن أصله : أَمْسَى يُمْسِي ، كقـولك : أمْـسِ عندنا . فإذا دخلت عليه الألف واللام أجريت عليه وجوه الإعـراب ؛ لأنـه حينئذ خرج من شبه الفعل ، فتقولُ : مضى لأمسُ ، وكان عـندي لأمسَ ... " [1] . كما تضمن شرحه إشارات متفاوتة تدل على عنايته بهذه المسائل النحوية [2] ، إضافة إلى عنايته بالمسائلِ الصرفية ، فاهتم بأبنية كلام العـرب ، وبيان الفصيح منها ، فأبان الشارح أوزان جل المواد التي عرض لها ، ومـا اعترى بعضها من العلل الصرفية ، وتوضيح آرائه في الكلمة الموزونة وبيان أصولها [3] .

ومـن عنايـته بمسائل العربية تبرز عنايته بالجموع : فقد اهتم المؤلف أثناء شرحه للمواد اللغوية بجمعها وبيان نوع هذا الجمع ، والأوجه الجائزة فيه ، وبيان مـا هو قياسي منه أو سماعي ، معتل أو صحيح ، وما كان أصله مصدراً أو صفةً ، كما أنه نبه على نوادر الجمع وغرائبه ، وبعض صيغ الجموع القياسية المطردة [4] .

كمـا اهـتم بظاهرة المذكر والمؤنث فتحدث المؤلف عن هذه الظاهرة من خلال تتبعه لما أورده ثعلب ، وأبان عن الصيغ التي يستوي فيها المذكر والمؤنث ،

---

(١) شرحه : ٦٨١ ، ٦٨٢ .

(٢) انظر الصفحات : ٣٥٦، ٣٨٥، ٣٨٦، ٥٣٩، ٦٩٠

(٣) انظر الصفحات : ١٩١ ، ٣٢٦ ، ٣٥٦ ، ٥٥٣ ، ٦٠٩ .

(٤) انظر الصفحات : ٢٢٠ ، ٢٢٦ ، ٣١٨ ، ٣٣٧ ، ٣٦٨ ، ٣٧٨ ، ٣٨٠ ، ٥٥٢ ، ٦٦٧ .

كصـيغة فَعَّـال ومِفْعَـال ومَفْعِيل ، وأبان عن الألفاظ التي يشترك فيها المذكر والمؤنث ، أو يختص بها أحدهما[1] .

ثانياً ـ لُغَةُ العَامَّة في شرْحِ الزمخشري :

تعد عناية الشارح بلغة العامة من أبرز مظاهر توسعه اللغوي ، وقد سلك في ذلك أساليب متنوعة ، منها :

أ ـ يَسِمُ لغةَ العامة بالجودةِ ، مع تقديمه للُغةِ الأشْهَرْ والأفْصَحْ :

ومن أمثلة ذلك ، قولُه :

ـــ ففي كلامه على قول ثعلب : (وفَلَجَ الرجلُ) يذكر أنّ أفلج لغة جيِّدة ، والعامـة مُولعة بها [2] . قلت : فصَّحها أحد اللغويين حاكياً إياها عن أئمة اللغة الثقات [3] .

ـــ وعند تقديمه لقول صاحب الفصيح : (عنيت بحاجتك) ذكر أن العامة تقول : عَنَـيْتُ بحاجَتِكَ ، وهي على ما ذكر ابن الأعرابي جيِّدة [4] . قلت : وقال المطرز : هما لغتان فصيحتان [5] .

---

(١) انظر الصفحات : ٤٩٧ ، ٥٩٢ ، ٥٩٣ ، ٦٠٥ .

(٢) شرحه للفصيح : ٧٣ .

(٣) انظر تحفة المجد : ٢٣٢ .

(٤) شرحه للفصيح : ٦٢٤ ، ٦٢٥ .

(٥) انظر الاقتضاب : ٢١٩/٢ ، وأفعال السرقسطي : ٣١٥/١ ، وتحفة المجد الصريح : ٣٠١ .

ـ وفي كلامه على قول ثعلب : (شتان ما هما) يصرح بأن العامة تقول : شتَّان ما بينهما ، وهي عند الفرَّاء جيِّدة [1] . قلت : والأخيرة فصَّحها ابن السيد البطليوسي ، وأنكرها الأصمعي وغيره [2] .

ب ـ بنسبتها إلى إحدى قبائل العرب ، مقدّماً لغة الفصاحة عليها :

ومن أمثلة ذلك :

ـ ففي كلامه على قول ثعلب : (وعَجَزْتُ عن الشيء أعْجِزُ) يذكر أن العامة تقول : عَجِزَ يَعْجَزُ ، وهي لغة في هذيل ، رواها الفرَّاء [3] . قلت : وحُكي عن أبي زيد أنها لغة لبعض قيس [4] .

ـ وفي كلامه على قول صاحب الفصيح : (وهِلتُ عليه التراب) ينبِّهُ إلى أن العامة تقول : أهَلَتُ التُّراب ، وهي لغة في هذيل [5] . قلت وحكاها أبو عبيد ، والمطرز عن ابن الأعرابي [6] .

ـ وعند تقديمه لقول ثعلب : (حَلَمْتُ في النوم أَحْلُمُ) يصرح الشارح بأن العامة تقول : حَلُمْتُ في النَّوم ، وهي لغة قيس ، على ما ذكر أبو زيد [7] .

---

(١) شرحه : ٢٢٤.

(٢) انظر الإصلاح : ٢٨١ ، وأدب الكاتب : ٤٠٣ ، والمزهر : ٣١٩/١ ، والصحاح (شتت) والاقتضاب : ٢٢٢/٢ ، وقد فصحها المصنف فيه .

(٣) شرحه للفصيح : ٢٤ .

(٤) تحفة المجد : ٧١ .

(٥) شرحه للفصيح : ١٠٥ .

(٦) انظر الغريب المصنف : ٥٧٤/٢ ، والمحكم ٢٧٦/٤ (هلل)

(٧) شرحه للفصيح : ٢٩٩ .

ـــ وفي موضع آخر من شرحه يقول : هي الفَحِثُ ، والعامَّة تقول : فِحْثٌ ، وينص على أنها لغة لتميم [1] .

جـ ـ يُثْبِتُها دون ذكرٍ لمستواها الصَّوابي :

ومن أمثلة ذلك :

ـ ففي كلامه على قولهم : بَرَدْتُ عَيْني أَبْرُدُها يذكر أن العامَّة تَقُولُ : أبْرَدْتُها [2] . قلت : والأخيرة وسمت بالرداءة [3] .

ـــ وفي كلامـــه على قول صاحب الفصيح أيضاً(وأعْقَدْتُ العَسَلَ وغيرَه) ، يصـــرح بأن العامَّة تَقُولُ : عَقَدْتُ [4] . قلت : واللغة الأخيرة ذكرها غير واحد من اللغويين [5] .

ـــ وفي موضع آخر من شرحه يقول : وهي الرَّحا ، بفتح الراء ، وينبه إلى أن العامة تَقُولُها بكسر الراء [6] . قلـــت : والأخيرة أنكرها ابن السكيت ، وسكت عنها ابن الجوزي [7].

د ـــ يَسِمُها بالضَّعفِ ، وعَدَمِ الجودة :

وقد استخدمَ في وَسْمِهِ لها بذلك ـــ الضعف ـــ عبارات مختلفة ، كقولِه :

---

(1) شرحه للفصيح : ٤٢٠ .

(2) نفسه : ١١٠ .

(3) انظر أفعال ابن القطاع : ٣١٢/٢ ، والصحاح (برد) .

(4) شرحه للفصيح : ١٨٢ .

(5) انظر الإصلاح : ٢٢٧ ، وتقويم اللسان : ٦٣ .

(6) شرحه للفصيح : ٣٦٤ .

(7) انظر الإصلاح : ١٦٢ ، وتقويم اللسان : ١١٠ .

ـــــ لغة ضعيفة : فعند ذكره لغة الفصاحة : (أَمَرَّ الشيء) ، نبه إلى أن العامَّة تقول : مَرَّ ، ويذكر أنها لُغة ضعيفة (١) .

ــــ وهي لغة رذلة : قدَّم لغة الفصاحة : (أَغْلَقْتُ البابَ)، ونبه إلى أن العامة تقول : غَلَقْتُ ، وصرَّح بأنها لُغة رَذِلة (٢) .

ــــ وعند كلامه على قول صاحب الفصيح (وهو صَدَاقُ المرأةِ) ، يذكر أن العامَّة تَقُولُ : صِداق ، وينقل عن الفرَّاء : بأنها أرْذَل اللُّغات (٣) .

هـ ـ أحياناً يخطئها :

ومن أمثلة ذلك :

ــــ ففي كلامه على قول ثعلب : (وفَسَدَ الشيء يَفْسُدُ) يصرح بأن العامَّة تَقُولُ : انْفَسَدَ ، ويسمها بالخطأ (٤) .

ــــ وعند تقديمه لقول ثعلب : (وعَلَفْتُ الدَّابة) ، يذكر أن العامة تَقُولُ : أَعْلَفْتُ ، بالألف ، ويصرح بخطئها (٥) . قلت : وحكى اللبلي أنه يقال : علفت الدابة ، وأعلفتها بالألف ، راوياً ذلك عن أئمة اللغة (٦) .

ثالثاً ـــ مَوْقِفه من ثعْلب :

---

(١) شرحه للفصيح : ٢١٩ .
(٢) نفسه : ٢٢٠ .
(٣) نفسه : ٣٦٧ ، وانظر : ٤٥٠ ، ٦٦٣ .
(٤) شرحه للفصيح : ١٥ .
(٥) نفسه : ٨٦ .
(٦) انظر تحفة المجد : ٢٥٤ .

إذا كـــان ابْـــنُ دُرُسْتُويه ـــ رحمه الله ـــ قد تحامل على ثعلب وخطأه في بعض المواضع ، وانتقده في مواضع أخرى ، وكان الهروي ـــ رحمه الله ـــ قد استدرك علـــى ثعلب في بعض الألفاظ التي وضعها في غير أبوابها ـــ كما أشرنا سابقاً ـــ فإن موقف الزمخشري كان مخالفاً للموقفين السابقين ، وذلك من خلال انتصاره لثعلب في مواضع من كتابه ، مستخدماً العبارات التالية :

أ ـــ والفصيح ما ذكره :

ـــ نبه الشارح على أن في (امْتُقِعَ لونُهُ) أربع لغات ويصرح بأن أفصحهن ما ذكره أبو العباس [1] .

ـــ ويذكر أن العامة تقول : (قُلُنْسُوَةٌ) وينبه إلى أن الفصيح ما ذكره أبو العباس وهو (قَلَنْسُوَةٌ) [2] .

ـــ ويذكر أيضاً أن العامة تقول : (صَبْرٌ) ، ويصرح بأن الفصيح ما ذكره أبو العباس ، وهو (الصَّبِرُ) [3] .

ب ـــ ما اختاره أبو العباس أفصح : يذكر أن في (النِّطَع) أربع لغات ، وينص على أن ما اختاره أبو العباس أفصح ، وهو (نِطَعٌ) [4] .

ج ـــ والأجود ما اختاره أبو العباس : يذكر أن (الحِبْرُ) : المداد وينبه إلى أن هذا هو اختيار أبي العباس ، حكاه عن الفرّاء ، وصرَّح الشارح بجودته [5] .

---

(١) شرحه للفصيح : ١٢٨ .

(٢) نفسه : ٦٤٠ .

(٣) نفسه : ٤٢٣ .

(٤) نفسه : ٤٧١ .

(٥) نفسه : ٤٧٦ .

أما موقفه الثاني من ثعلب فهو موقف المستدرك عليه ، وتمثل ذلك في الآتي :

أ ـ **يصرح بعدم فصاحة ما ذكره ثعلب** : حيث إنه يرى أن قول ثعلب (عِبْتُ عليه) ليس بفصيح ، وإنما الفصيح قولهم (عِبْتُهُ) [1] .

ب ـ **يورد الخلاف بين ثعلب وغيره من أئمة اللغة** : ففي قوله : " بأسنانه حَفْرٌ وحَفَرٌ " يصرُّ بأن أبا العباس سوّى بينهما ، ونبه إلى أن الكسائي يرى أن (الحَفْرَ) أجود [2] .

ج ـ **يحكي الخلاف بين ثعلب وابن قتيبة ، وينتصر للأخير على ثعلب** : ففي كلامه على قول ثعلب : (ماءٌ شَرُوبٌ وشَرِيبٌ) للذي بين الملح والعذوبة ونبَّه إلى أن أبا العباس جمع بينهما ، وفرّق غيره ، فقال : الشَّروب للذي يشرب عند الضرورة ، والشَّريبُ الذي فيه أدنى ملوحة ويشرب على ما فيه ويصرح بأن هذا القول أجود [3] .

رابعاً ـ المُعَرَّبُ في شرحِ الزمخشري :

ذَكَرَ الزمخشريُّ في شرحِه كثيراً من الألفاظ الأعجمية المُعرَّبة ، والتي بلغت ما يقارب من تسعة وأربعين لفظاً ، وقد جاء هذا بصيغ مختلفة ، منها :

قوله : فارسي مُعرَّب ، وهو الغالب على هذه الصيغ .

---

(١) شرحه للفصيح : ٢٢٥ .

(٢) نفسه : ٦٥٤ .

(٣) نفسه : ٦٦٠ ، ٦٦١ ، وانظر أدب الكاتب : ١٦٥ .

ومن أمثلة ذلك :

ـ يذكر أن العامة تقول : جُورَبٌ ، وهو فارسي مُعَرَّبٌ (١) .

ـ وينقل عن أبي زيد أن الكَوْسَجَ والكَوْسَقَ فارسي مُعَرَّبٌ (٢) .

ـــ أحـــيانا يذكـــر اللفظة المعربة ، مكتفيا بقوله : أصله أعْجمي ، أو أصله فارســـي(٣) أو : ((ويُقالُ : إنَّه فارسيٌّ))(٤) ، وقد ينقل عن بعض اللّغويين قولهم ، بأن الكلمة فارسية مُعَرَّبة (٥) .

ـــ أحيانا يُخالفُ مُشدِّداً في تعريب بعض الكلمات التي يرى أكثر الناس بأنها عربية صحيحة (٦) . أو يذكر اللفظة الأعجمية معلقاً عليها بقوله : ((وليست الكلمـــة بعـــربي محض)) (٧) . وبالرغم من تشدده هذا ، نجده أحياناً يورد اللفظة المعـــرَّبة دون إشـــارة منه إلى تعريبها (٨) . أو يكتفي بإشارة عابرة حول تعريبها ، كقـــوله : ((فلـــيس مـــن كلامهم)) (٩) ، وأحياناً نجده يسهب في حديثه عن خصائص الفارسية إذا عُرِّبت (١٠) .

---

(١) شرحه للفصيح : ٣٨٢ .وانظر المعرب : ٢٤٣ .

(٢) نفـــس الصـــفحة ، وانظر ٤٣٣ ، ٤٣٤ ، ٤٤٣ ، ٤٥٥ ، ٤٦٦ ، ٤٨٢ ، ٥٠٥ ، ٥٣٩ ، وانظر المعرب : ٥٤٠ .

(٣) شرحه للفصيح : ٤١٠ .

(٤) نفسه: ٥٨٧ .

(٥) نفسه : ٦٧٢ .

(٦) نفسه : ٤٨٢ .

(٧) نفسه : ٦٥٥ .

(٨) شرحه للفصيح : ٤٣ – ٤٤١ .

(٩) نفسه : ٤٤١ .

(١٠) نفسه : ٤٥٥ .

خامساً ـــ مَظَاهِرُ التَّوسُّع في شَرْحِ الزمخشري للفصيح :

ومن هذه المظاهر ، نذكر ما يلي :

أ ـــ التَّوسُّع عن طريق الإبدال :

ومن أمثلة ذلك :

ـــ الإبدال بين الهمزة والياء والميم والباء : يذكر الشارح أربع لغات في (أَوْمأْتُ إلى الشيءِ) وهي : أَوْمأْتُ ، وأَوْمَيْتُ ، وَوَمَأْتُ ، وَوَمَيْتُ ، ويصرح بأن الهمز أجـود ، وينبه إلى جـواز إبدال الميم باءً ، كقولهم : أَوْبَأْتُ وَوَبَأْتُ ، بمعنى واحـد[1] . قلت : وسم ابن درستويه (أوميتُ) بأنها من لغات العامة ، وجوز هذا في القياس ، إلا أنه بالهمز أفصح ، ورفضها ابن السكيت والجوهري[2] .

ـــ بين اللام والراء : كقولهم (هو أبين من فَلَقِ الصُّبْحِ ، وفَرَقِ الصُّبْحِ)[3] . قلت : وهي باللام لغة أهل الحجاز وبالراء لغة تميم[4] .

ـــ الإبدال بين الهمزة والواو : ذكر الشارح أن : (الإِكَافُ والوِكَافُ ، لغتان جيدتان ، وكذلك : إِشَاحٌ ووِشَاحٌ ، وإِسَادةٌ ووِسَادةٌ)[5] . قلت : مرَّ بنا ما قرره السيوطي في المزهر من أن الواو لغة لأهل الحجاز ، والهمز لغة تميم[6] .

---

(١) نفسه : ٢٤٨ .

(٢) انظر تصحيح الفصيح : ١٨٢ ، والإصلاح : ١٤٨ ، والصحاح (ومأ)

(٣) شرحه للفصيح : ٣٨٥ .

(٤) انظر شرح الفصيح لابن هشام اللخمي : ١٢٤ ، ١٢٥ .

(٥) شرحه للفصيح : ٤٥٢ .

(٦) ٢٧٦/٢ .

ـ بين الباء والميم والتاء : أورد الشارح قوله : (ما هذا بضَرْبةٍ لازِبٍ ولازِمٍ) ، وحكى عن الفرّاء أنهما لغتان ، ونبه إلى وجود لغة ثالثة فيهما وهي لاتِب [1] .
قلت : والأخيرة نسبت لقيس فيقولون : طين لاتبٌ [2] .

ـــ بين اللام والنون ، كقولهم : (أسود حَالك وحَانك ، وهو أشَدُّ من حَنَكِ الغــراب ، وحَلَكِ الغراب) وينبه على أن اللام أكثر [3] . قلت : ومن اللغويين من فرق بينهما من حيث المعنى ، فقال : حلك الغراب : لونُه ، وحنك الغراب : منقاره [4] .

ـــ بين الميم والباء والنون والهاء : كقولهم (امْتُقِعَ لونه : إذا تغير) ، يحكي أنَّ فيه أربع لغات : امْتُقِعَ بالميم ، وابْتُقِعَ بالباء ، وانْتُقِعَ بالنون ، واهْتُقِعَ بالهاء [5] .

ـــ بين الواو والياء : ذكر الشارح لغة الفصيح (وبينهُما بَوْنٌ بَعيدٌ) ، ونبه إلى أن العامّة تقول : بَيْنٌ بعيدٌ ، وجوّز ذلك ، حاكياً إياها عن يعقوب [6] .

ـــ بين الصاد والسين والزاي : جاء في الفصيح : (وهو الصَّقْرُ ، بالصاد) ، ونبَّه إلى أن العامَّة تقولُها بالسين ، وصرح بأنها لُغة ، وبالزاي لُغة ثالثة ، ويذكر أن كُلّ صاد بعْدها قاف أو طاء أو غين ، أو دال ، فإن لغات العرب تختلف فيها ، منهم من يقول : بالزاي ، نحو : الصَّقْرُ ، والسَّقْرُ، والزَّقْرُ ، والصِّراط ، والسِّراط ، والزِّراط ، ويضيف : بأنه يقال : أصْدَقُ ، ومنهم مَنْ يقولُ : أزْدَقُ [7] . قلت :

---

(1) شرحه لفصيح : ٦٢٥ ، وانظر الابدال لابن السكيت : ٤٨، ٦٢ .
(2) انظر معاني القرآن للفراء : ٢/٣٨٤ .
(3) شرحه للفصيح : ٦٥٨ .
(4) انظر اللسان (حلك)
(5) شرحه للفصيح : ١٢٨ ، وانظر الإبدال لابن السكيت : ٧٩ .
(6) نفسه : ٦٧٥ .
(7) نفسه : ٦٩٣ .

والصـــاد لغة قريش ، والسين لغة عامة العرب ، والزاي لغة عذرة وكعب وبني القين [1] . وحكى الصاغاني أنَّ : " الزراط لغة في السراط " [2] .

ــ ومثل هذا الإبدال ما حكاه في موضع آخر : وبَصَقَ الرَّجُلُ ، إذا رَمَى البُصَاقَ ، وكـــذلك : بَـــزَقَ ، وينبِّه إلى أنَّ العامَّة تقول : بالسين ، ويصرِّح بأنها لغة لبعض العرب[3] .

ب ــ التَّوسُّعُ عن طريق تغيير الحركَةِ :

وهذا النوع أكثر من سابقه وروداً في ثنايا الكتاب ، وقد يكون :

١) بذكـــر لغـــة واحدة : حكى عن الكسائي أنه قال : سِوارٌ وسُوارٌ بالكسر والضم لغتان جيدتان [4] .

اقتصر أصحاب التنقية على اللغة الأولى بينما أضاف الزمخشري لغة الضم .

٢) ذكره للغتين : كقوله : " الحَرْبُ خَدْعَةٌ ، فيها ثلاث لغات : خَدْعَةٌ ، على وزن تَمْرَةٌ ، وخُدَعَةٌ مثال رُطَبَة ، وخُدْعَةٌ مثال بُسْرَة " [5] .

اقتصـــر أصـــحاب التنقية على : (خَدُعَة) بفتح الخاء وضم الدال ، وأضاف الزمخشري اللغتين الأخيرتين .

---

(٢) البحر المحيط : ١/٤٥ .

(٣) انظر : التكملة والذيل والصلة : ٤/١٣٢ .

(٤) شرحه للفصيح : ٧٠١ .

(٥) نفسه : ٤٥٣ .

(٦) نفسه : ٤٠٢ .

٣) ذكـــره لــثلاث لغات : كقوله : " وفي الشَّمال لغات " ، اقتصر أصحاب التنقية على اللغة الأولى (الشَّمَال) بينما ذكر الزمخشري ـــ بالإضافة إلى ما سبق ـــ ثلاث لغات : شَمْأَل ، شَأْمَل ، شَمَل [١] .

وذكر أن في الإِصْبَع أيضاً ثلاث لغات : وهي : إِصْبِعٌ وزان : إِذْخِر ، أُصْبُعٌ مثال : أَبْكَمٌ ، وأَصْبَعٌ تقدير : أَبْلَم [٢] .

اقتصر أصحاب التنقية على اللغة الفصيحة الأولى ، وأضاف الزمخشري اللغتين الأخيرتين .

كما حكى أيضاً ثلاث لغات في : النِّطَع [٣] والأُضْحِيَّة [٤] .

٤) ذكـــره لخمس لغات : ذكر خمس لغات في (الأَرُزّ) : أَرُزٌّ بفتح الهمزة وتشديد الزاي ، وهي اللغة التي اقتصر عليها ثعلب وأصحاب التنقية ، وأُرْزٌّ ، بضم الهمزة وتشديد الزاي ، وأُرُزّ ، وأُرْزّ ، ورُزّ ، ورُنْزٌ [٥] .

٥) يذكر لغة واحدة في الأفعال ، ومن أمثلة ذلك : حكى أنَّ في سَخُنَ الماءُ ثلاث لغات : سَخَنَ ، وهو الأجود ، وسَخُنَ ، وهو كثير ، وسَخِنَ [٦] . وينبِّه إلى أنَّ الكســـر لغـــة هوازن[٧] . وذكر ثعلبٌ وأصحاب التنقية (سَخَنَ ، وسَخُنَ) . وأضاف الشارح لغة الكسر .

---

(١) شرحه للفصيح : ٧٠ .

(٢) نفسه : ٤٤٩ ، وانظر الإصلاح : ١٧٤ ،و أدب الكاتب : ٥٧٤

(٣) شرحه للفصيح : ٤٧١ ، وانظر الغريب المصنف : ٦٦٥ ، والإصلاح : ٩٨، ١٦٩ ، وأدب الكاتب : ٥٧٤ والمدخل إلى تقويم اللسان : ٧٧

(٤) نفسه : ٥٢١ ، وانظر الإصلاح : ٢٩٨ ، وأدب الكاتب : ٥٧٤ .

(٥) نفسه : ٥٦١ ، وانظر أدب الكاتب : ٥٧٥ ، والإصلاح : ١٣٢ .

(٦) نفسه : ١٤٧ .

(٧) انظر تحفة المجد : ٤٠٠ .

٦) ويذكـــر أن في (بُهِتَ الرجلُ) ثلاث لغات : بُهِتَ ، بَهِتَ ، مثل دُهِشَ ، ودَهِشَ . ويقال بَهَتَ على وزن سَكَتَ [١] .

٧) ذكره ثلاث لغات في الأفعال : يذكر أن في (مسَّ) أربع لغات : مَسِسْتُ ، ومَسَسْتُ ، ومَسْتُ ، بفتح الميم ، ومِسْتُ بكسرها [٢] .

وقـــد اقتصـــر علماء التنقية على ذكر اللغة الأولى (مَسِسْتُ) بينما أضاف الزمخشري الثلاث لغات الأخيرة .

وحكى ان في : (ازْرُرْ) أربع لُغات : ازْرُرْ حجازية ، وَزُرِّ يمانية ، وَزُرُّ قَيْسِيَّة ، ويُقال : زَرَّ العير أتانه : إذا عضَّها [٣] .

ففـــي هذا النوع من أنواع التَّوسُّع اللّغوي ، أبان الشَّارح عن اختلاف هذه اللُّغات ، كنتيجة طبيعية عن الاختلاف في أصل الحركات .

ج ـ التَّوَسُّع عن طريق التَّرَادُف :

وقـــد أورد الشَّارح بعضَ الألفاظِ المترادفة ، مما يدل على إثباته لهذه الظاهرة اللُّغـــوية في مجال التَّوسُّع اللّغوي ، ومن أمثلة ذلك حكى : " وقالوا في الجُرْحِ : أمَـــدَّ الجُرْحُ لا غير ، كما قالوا : أغَثَّ " وينبِّه إلى أنَّ المِدَّةَ والغَثِيثَةَ بمعنى واحد [٤] . وفي موضـــعٍ آخر يذكر أنَّ من أسماء الدَّلْو : السَّجْلُ ، والذَّنُوب ، والمدارة [٥] . وهكذا ، نجد أن مثل هذه الظاهرة تتكرر في مواضع متفرقة من شَرْحِه [٦] .

---

(١) شرحه للفصيح : ١١١ .
(٢) نفسه : ٤٦ .
(٣) نفسه : ٨٨ ، ٨٩ .
(٤) نفسه : ٢١٤ .
(٥) نفسه : ١٩٩ .
(٦) انظر الصفحات : ١٣٨ ، ١٩٩ ، ٢١٤ ، ٣٤٢ ، ٣٤٣ ، ٤٢٢ .

د ـ التَّوَسُّعُ عن طريق المُشْتَرك اللَّفظِي :

وقد أشار الشارح إلى هذه الظاهرة في مواضع متفرقة من كتابه ، بل صرح بها قائلا : " وقد تجيء الكلمة لمعنى ومثلها لمعنى يخالفه " [1] . ومن أمثلة هذا الضرب من ضروب التَّوسع اللُّغوي ، يصرِّح بأنَّ القلب يقع على أربعة معانٍ : القلبُ : قلب الإنسان ، والقلبُ : مصدر قَلَبْتُ ، والقلبُ : نجم في السَّماء من نجوم الشِّتاء ، والقلبُ : قلبُ النَّخْلَة [2] .

هـ ـ التَّوَسُّعُ عن طريق الأضْدَاد :

والشارح يثبت هذه الظاهرة ـ أيضاً كسابقتها ـ بقوله : " وقد تجَيء الكلمةُ لمعنى ، ومُثلها لمعنى يضاده ، فافهم " . وكان تصريحه واضحاً جلياً حول هذه الظاهرة ، عند تفسيره لكلمة (البيع) بمعنى الأخذ والعطاء [3] .

و ـ التَّوَسُّعُ عن طريْق وَسْم لغَة العَامَّة بالجَوْدَة :

ومن مظاهر التَّوسُع ـ أيضاً ـ لدى الزمخشري ، ارتضاؤه للغة العامة ، ووسمها بالجودة ، أو بالنص عليها كلغة منسوبة لمن حكاها من اللغويين المشهورين ، أو يشير إلى ذكر العلماء لها دون أن يسميهم ، أو بجوازها ، أو يجمع بين جودتها وفصاحتها ، وفيما يلي تمثيل موجز لكل ما سبق :

---

(١) شرحه للفصيح : ٢٩٤ .

(٢) نفسه : ٨٢ ، ٤٣ .

(٣) نفسه : ٤٢٧ - ٤٢٨ ، وانظر : ٦٧٥ .

ـــ ففي كلامه على قول ثعلب : (وفَلَجَ الرَّجُلُ على خصمه) [1] ، يذكر أن أفْلَجَ ـــ أيضاً ـــ لغةٌ جَيِّدةٌ ، والعَامَّة مُولعَةٌ بها [2] . قلت وقد حكاها أبو جعفر اللبلي عن الأئمة الثقات [3] .

ـــ وجاء في الفصيح : (وقد جَهَدَ دَابَّتَهُ)[4] . ونبه الزمخشري إلى أن العامة تقـــول : أجْهَدَ ، ويصرِّح بأنها لغة جيِّدة فصيحة [5] . قلت : ووافق الزمخشري في فصاحة اللغة الأخيرة غير واحد من أئمة اللغة [6] .

ـــ وعند كلامه على قول صاحب الفصيح : (وُسَهَمَ وَجْهُهُ)[7] نبه الزمخشري إلى أن العامة تَقولُ : سَهُمَ ، مصرحاً بجوازها [8] . قلت والأخيرة حكاها الفراء والجوهري وغيرهما [9] .

ـــ وعند كلامه على قول ثعلب : (حَرَمْتُ الرَّجُلَ عطاءه)[10] وينبه إلى أن العامَّـــةُ تَقولُ : أَحْرَمْتُهُ ، وينص على أنها لغة أبي عبيد[11] . قلت : وهذه اللغة الأخيرة حكاها أبو عبيد وابن القطاع وابن سيدة في المحكم [12] .

---

(١) الفصيح : ٢٦٥

(٢) شرحه للفصيح : ٧٣ .

(٣) تحفة المجد : ٢٣٢ .

(٤) ٢٦٩ .

(٥) شرحه للفصيح : ١٠٦ .

(٦) انظر فعلت وأفعلت للزجاج : ١٨ ، وأفعال ابن القطاع : ١٤٧/١ ، وتحفة المجد : ٢٩٧ .

(٧) الفصيح : ٢٦١ .

(٨) شرحه للفصيح : ٣٢

(٩) انظر الإصلاح : ٢٠٧ ، والصحاح ، واللسان (سهم)

(١٠) الفصيح ٢٦٧ .

(١١) نفسه : ٩٥ ، ٩٦ .

(١٢) انظر الغريب المصنف ٥٧٠/٢ ، وأفعال ابن القطاع ٢٠٧/١ ، والمحكم : ٢٤٧/٣ (حرم) .

ـــ قال صاحب الفصيح : (وهو الرَّصَاصُ) [1] . وينبه الشارح إلى أن العامةَ تقول : رِصَاصٌ ، مصرحاً بأنها لغة حكاها العلماء [2] .

ـــ وعند كلامه على قول ثعلب : (وهو الفَقْرُ)[3] . يذكر الشارح أن العامَّة تقول : الفُقْرُ ، بالضم ، ويصرح بأنها لغة حاكياً ذلك عن الكسائي [4] .

ز ـ التوسع عن طريق نسبة لغات العامة إلى قبيلة من قبائل العرب :

ويفهم من هذا ضمناً تأصيل الشارح وتفصيحه لهذه اللغة ، وقد يشير أحياناً إلى المصادرِ التي استقى منها لُغة قبيلة ما ـ كهذيل ، وقيس ، وتميم ، وربيعة ـ فيقولُ : رَوَاها الفرَّاء ، أو ذَكَرها أبو زيد ، وهكذا .... وكأنه بنهجه هذا يؤكِّدُ على صحتها ، ضمن نظرته التوسعية في لُغاتِ العربِ ، فبعد أن يُقدِّم لغة صاحب الفصيح يتبعها بلغة العامة ، ناسباً إياها ، إلى إحدى قبائل العرب ، فمن ذلك نَذْكُرُ ما يأتي :

ـ قال صاحب الفصيح : " وعَجَزْتُ عن الشيء أعجِز " [5] . ونبه الشارح إلى أنَّ العامةَ تَقولُ : عَجِزَ ، ويصرح بأنها لغة في هذيل رواها الفرَّاء [6] . قلت : ونسبها أبو زيد لبعض قيس [7] .

---

(١) ٢٨٩ .

(٢) شرحه للفصيح : ٣٦٦ .

(٣) الفصيح : ٢٩١ .

(٤) شرحه للفصيح : ٣٨٤ .

(٥) ص ٢٦١ .

(٦) شرحه للفصيح : ٢٤ .

(٧) انظر تحفة المجد : ٧١ .

ـ وعند كلامه على قول صاحب الفصيح : " وهِلْتُ عليه التُّراب " [1] يذكر الشـــارح أن العامَة تَقولُ : أَهَلْتُ التَّراب ، مصرحاً بأنها لغة لهذيل [2] . قلت : والأخيرة ذكرها غير واحد من أئمة اللغة [3] .

ـــ وعند تقديمه لقول ثعلب : " حَلَمْتُ في النوم "[4] ينبه إلى أن العامَّةَ تَقولُ : حَلُمْتُ ، بضم اللام ، ويصرح بأنها لُغةُ لقيس على ما ذكر أبو زيد [5] .

ـــ وفي كلامـــه على قول صاحب الفصيح : " ليس لي في هذا فِكْرٌ " . ينبه الشارح إلى أن العامة تقول : " فَكْرٌ ، بالفتح ، ويذكر أنها لغة ربيعة [6] . . قلت والأخيرة حكاها غير واحد من اللغويين [7] .

ـــ وعند كلامه على لغة الفصيح : (وهو الضِّلَعُ) [8] . ينبه إلى أن العامة تَقولُ : ضِلْعٌ ، ويصرح بأنها لغة وينسبها لبني تميم [9] . قلت : وحكى ابن السكيت عن أبي زيـــد (ضِلَعَ و ضِلْعَ) فالفتح لغة الحجاز ، والتسكين لغة تميم ، والتسكين قليل والفتح أجود في أدب الكاتب [10] .

---

(١) الفصيح : ٢٦٨ .

(٢) شرحه للفصيح : ١٠٥ .

(٣) انظر الغريب المصنف ٥٧٤/٢ . وأفعال ابن القطاع : ٣٦٢/٣ . والصحاح والمحكم (هيل) .

(٤) الفصيح : ٢٨٣ .

(٥) شرحه للفصيح : ٢٩٩ .

(٦) نفسه : ٤٤٣ .

(٧) انظر الإصلاح : ١٦٥ ، والصحاح (فكر)

(٨) الفصيح : ٢٩٠ .

(٩) شرحه للفصيح : ٤٧٠ – ٤٧١ .

(١٠) انظر الإصلاح : ٩٨ ، ٩٩ . وأدب الكاتب : ٣٨٤ .

ـــ وذكر أن في الأُرُزّ ـــ وكما مرّ بنا ـــ ست لغات ، ونبه إلى لغة غير مشهورة وهي : (رُنْزّ) ، بالنون ، ونسبها لعبد القيس [1] .

ونخلص مما سبق إلى بيان الآتي :

ـــ ذكر أحد الباحثين أن هذا الشرح كُتب في القرن السابع الهجري .

ـــ امتاز هذا الشرح بغزارة المادة العلمية وتوسعها ، مما يعكس سعة اطلاع مؤلفه وعمق ثقافته .

ـــ اعتنى بذكر أقوال علماء اللغة المتقدمين مصرحاً بذكر أسمائهم . .

ـــ اهتم بذكر لغات العرب ، كما اهتم بالمسائل النحوية والتصريفية ، واعتنى بالمشتقات والترادف والمشترك اللفظي بنوعيه .

ـــ اهتم بلغات العامة ، وصرح بجودة بعضها ، وأحيانا ينسبها إلى إحدى القبائل العربية ؛ لكي يدلل على فصاحتها ، وقد يثبتها دون ذكر لمستواها الصوابي ، وأحيانا يضعفها ، وفي مواضع قليلة يخطئها .

ـــ اهتم بذكر المعربات ، فضمن شرحه الكثير من تلك الألفاظ المعربة .

ـــ وقف من صاحب الفصيح موقفين متباينين ، موقف المنتصر له ، وموقف المستدرك عليه .

ـــ اعتنى بظاهرة التوسع اللغوي من خلال : التوسع عن طريق الإبدال ، والتوسع عن طريق تغيير الحركة ، والتوسع عن طريق الترادف ، والتوسع عن طريق المشترك اللفظي بنوعيه .

ـــ التوسع عن طريق نعت لغة العامة بالجودة .

ـــ التوسع عن طريق نسبته لغة العامة إلى قبيلة من قبائل العرب ، ويفهم من هذا ضمناً ارتضاؤه لها كلغة فصيحة.

---

(١) شرحه للفصيح : ٥٦١ . وانظر الإصلاح : ١٣٢ ، وأدب الكاتب : ٥٧٥ ، وإسفار الفصيح : ٣٢٩ ، والصحاح (أرز)

ثالثاً ــ كِتَابُ تُحْفَةِ المَجْدِ الصَّرِيْحِ فِي شَرْحِ كِتَابِ الفَصِيْحِ

لأبي جعفر اللَّبْلِّي

(المتوفى سنة : ٦٩١هـ)

تَرْجَمَةُ المُؤلِّفِ (1) :

هو الشيخ أحمد بن أبي الحجاج يوسف بن علي بن يوسف الفِهْرِي اللَّبْلي ، يُكنى أبا جعفر ، ويُلقب بصدر الدين ، وهو لقبٌ لم يشتهرْ به في المغربِ ، ولعلّه لقبٌ أطْلقَه على نفسه ، لّما صار إلى مصر والشام محاكاة منه للمشارقة آنذاك .وُلِدَ اللَّبْلي في مدينةِ لِبْلَة غرب الأندلس ، وهي مدينة تبعد عن إشبيلية حوالي أربعين ميلاً ، وكان مَوْلده بها سنة ٦١٣هـ وقيل سنة ٦١٠هـ ، وقيل : سنة ٦٢٣هـ .

وفي مَسْقطِ رأسه لِبْلَة بدأ حياته العلمية ؛ حيث تَتَلْمَذَ على أبي زكريا يحيى بن عبد الكريم الفندولابي ، فلمَّا عزَّ بلده عن تحقيق طموحه العلمي ، رحلَ إلى إشبيلية التي كانت تزخرُ بعلومها وثقافتها ، فترل بها ، وأخذ عن علمائها ردحا من الزمن ، حتى ارتحل عنها ــ إبان سوء الأحوال السياسية ببلاد الأندلس ــ إلى المغرب ، فأخذ عن علمائها ، ثم إلى تونس ومنها بدأ ترحاله ببلاد المشرق ، فحج ولقي جماعة من الأئمة بالإسكندرية ومصر والشام والحجاز ، وبعد رحلته الطويلة إلى بلادِ المشرق عَادَ إلى تونس ، فاستقر بها ، ثم اشْتغلَ فيها بالإقراءِ حتى مات ــ رحمه الله ــ سنة ٦٩١هـ في غرة المحرم ، ودفن بدارِه بعْد صلاة العصر (2) .

---

(1) انظر ترجمته في : بغية الوعاة ٤٠٢/١ ، ونفح الطيب ٢٠٨/٢ ، وكشف الظنون٢٤٧/١ ، وتاريخ الأدب العربي لبروكلمان ٢١٢/٢ .

(2) انظر مقدمة بغية الآمال للبليّ تحقيق الأستاذ الدكتور سليمان العايد ، وانظر مقدمة تحقيق تحفة المجد .

كتابه (تحفة المجد الصريح في شرح كتاب الفصيح) :

يعد هذا الكتاب من أعظم ما وصل إلينا من شروح الفصيح المغربية ، والممثلة لحركة التوسع اللغوي فالمؤلف أبان لنا ـــ ومن خلال مصنفه هذا ـــ عن توسع العرب في لغاتهم وأصل لنا تلك اللغات التي أوردها مدعماً مذهبه في فصاحتها بما حاكـــه عن أئمة اللغة الثقات من خلال سنده اللغوي . ويرى بعض الباحثين أن أبـــا جعفر اللبليُّ قد ألّف شرحه هذا في إشبيلية في بلاد الأندلس ويرجحون أنه كـــان في الفتـــرة الـــتي قبل سنة ٦٤٧هـــ . وقد وقف العالم الهندي الأستاذ عبدالعزيـــز المـــيمني[1] على نسخة كاملة لهذا الشرح في حجته عام ١٣٧٦هـــ وذكـــر أنهـــا تقع في مجلدتين ضخمتين ، إلا أنه لم يصلنا من هذا الكتاب سوى الســـفر الأول ، والـــذي ينتهـــي عـــند الباب السادس من الفصيح وهو باب (فَعَلْـــتُ وأَفْعَلْتُ باختلاف المعنى) وقد حقق هذا السفر الباحث عبدالملك الثبيتي ، على نسختين ونال به درجة الدكتوراه من جامعة أم القرى بمكة المكرمة ، كلية اللغة العربية عام ١٤١٧هـــ والكتاب يقع في مجلد واحد .

أولاً ـــ قِيمَةُ الكِتَابِ :

ذَكَـــرَ اللّبلي في مقدمتِه أنّه ألّفَ كتابه هذا استجابةً لرغبةِ الوزير أبي بكر بن الوزيـــر أبي الحسن ، والذي رأى أن يرفعه ـــ أي الكتاب ـــ إلى ذي الوزارتين أبي القاســـم بن ذي الوزارتين أبي علي . ومن هنا سُمِّي الكِتابُ : " تحفة المجد الصريح "، وقد أثنى المؤلف ـــ في مقدمته ـــ على هذين الرجلين .

---

(١) ذكره الأستاذ الدكتور سليمان العايد في مقدمة تحقيقه بغية الآمال ص ٤٧ . ، ونقل عنه محقق تحفة المجد في مقدمته .

وقـد أبـانَ اللَّبلي عمَّا قام به من عمل في هذا التأليفُ ، قائلاً : " فشرحت الكـتاب شـرح استيفاء واستيعاب ، وتكلمت عن شواهد أبياته ، بما عنَّ في معانيها من اغراب ، وفي ألفاظها من إعراب ، واستدركت ما يجب استدراكه ، مسـهلا لكلامه ، وقاصدا لإكمال ما تحصل الفائدة به وإتمامه ، وانتصرت له حيث يمكنني الانتصار ، ورددت على ما تُعقب عليه رداً يُرتضى بحكم الإنصاف ويختار " (١) .

ويعـد هذا الكتاب من أوسع شروح الفصيح التي وصلت إلينا ، وقد احتفظ بثـروة أدبـيَّة ولُغويَّة كبيرة ، تتمثل في عدد المُؤلفات التي اعتمد عليها اللَّبْلي ، والنقول التي أوردها ، وقد ضاع الكثير من هذه المؤلفات ، ولم يبق منها إلا هذه الـنقول التي اعتمد عليها اللَّبلي ، فحفظ بذلك جانباً من هذا التراث المفقود ، كمـا اعـتمد بعض الدارسين من المعاصرين في دراساتهم ، على هذه النقول في إماطة اللثام عن بعض الحقائق ؛ فاعتمد عاطف مدكور في دراسته للفصيح على تحفة المجد فيما نقله من كتاب (البهي) للفرَّاء ، فقال : " وإذا كان هي الفرَّاء لم نعثـرْ عليه ، فقد عثرَ عليه أبو جعفر اللَّبلي ، وعدَّه من مصادر كتابه (تحفة المجـد الصـريح) ويذكر ذلك في مقدمته ، ثم هو بعد ذلك يضمن كتابه ثلاثة نقـول عن الفرَّاء في كتابه (البهي) ، وهو بهذا هيأ لنا عقد مقارنة بين الفصيح والبهي ، فحَسَمَ ذلك الخلاف " (٢) .

وقـد ضاعت بعض شروح الفصيح الأندلسية ، ولم نعلم عنها شيئاً لولا ما نقله لنا اللبلي ، وهو بهذا الصنيع قد رد على الفصيح ـــ كما قرر أحد الباحثين

---

(١) مقدمـته ص ٣ ، قلـت : والغالب على ذلك انتصاره له ممن انتقده أو عارضه أو تحامل عليه ، وفي استدراكه عليه تجده يلتمس له العذر والحجة .

(٢) انظر الفصيح : ٤٧ .

ـــــ ثروة لغوية كانت ضائعة [1]. فذكر في شرحه نقولاً عن شرح ابن مكي بن أبي طالب، وشرح ابن صاف اللّخمي، وشرح ابن طلحة الإشبيلي. ومن ناحية أخرى، فإنَّهُ بالرغم من وفرة المؤلفات التي نقل عنها اللَّبلي، كان يُسْنِدُ كلَّ قولٍ إلى قائله، ويَذْكُـــرُ الكتاب الذي ينقل عنه، ويورد أوجه الاتفاق أو الاختلاف بين العلماء، مـــوثقاً نقوله بذكر المصادر وأسماء مؤلفيها. فهذه فضيلة للرَّجُلِ، فهو لم يدع شيئا لـــيس له، وهذا يَدُلُّ على إحاطتِه وشمولِ عِلْمه، على أنَّ كثيراً من الكُتُبِ التي نَقَلَ عـــنها قـــد تـــربتْ بين أصابع الأيام، فكان بذاك الصنيع خير عونٍ للباحثين على التعـــرف عمـــا احتوته تلك الكنوز المفقودة. فاشتمل الكتاب على نقول كثيرة من مصادر لغوية عالية القيمة لا يزال بعضها مفقوداً مثل: جامع القزاز، وموعب اللغة لابن التياني، وواعي اللغة لعبدالحق الأزدي، والمبرز ليونس، والبهي وكتاب المصادر للفرّاء، وكتب النوادر وغيرها [2].

كمـــا حَسَـــمَ النّزاعَ الذي نَشَبَ بين بعض العُلماء حول نِسْبة بعضها إلى أصـــحابها، كما حدث في اختلافهم في نِسْبةِ الفصيح نفسه، فكانت الحيرة بين نِسْـــبته إلى ثعلـــب أو الفرّاء ـــ كما أشرنا سابقاً ـــ حتى عثرنا في تحفته على القـــول الصحيح [3]. ويُبرز المؤلف دفاعه عن صاحب الفصيح وينصفه وينتصر له ممن انتقده أو عارضه أو تحامل عليه.

ومن ناحية أخرى، لم تكتـــب التحفة أهمية من حيث حجْم الشَّرْح ووفرة مادتـــه اللُّغـــوية والأدبية والنحوية، فحسـب، بل لكونها ثمرة جهود عدد من العلماء تراكمت على مرور حقب من الزمان حَظِيَ فيها الفصيح بعناية فائقة من الشرح والتحليل، فجاءت تجمع خيوط هذه الشروح وتطعمها بما أُلِّفَ في اللغة

---

(١) انظر مقدمة تحقيق الفصيح لعاطف مدكور: ١٩١.

(٢) انظر خطبة المؤلف: ٤-٨.

(٣) انظر الفصيح: ١٨٩.

من مباحث منذ القدم وحتى عصر المؤلف (القرن السابع الهجري) ؛ ولذا كان طبيعـيا أن يظهـر هـذا الشرح بهذا الحجم الكبير ـ لما حواه من استْقصاء واسْـتيعاب لمادة الفصيح اللُّغوية ، والأدبية والنحوية والصرْفية ، إضافة لأساليب التَّوسُّع اللُّغوي المتنوعة ـ وأنْ ينالَ إعجابَ الناسِ ، وأنْ يحْظى باهتمامِهم .

وكم كانت سعادة الباحثين غامرة ، وكم كانت هذه الثروة اللُّغوية النَّفيسَةُ جَمَّـة وهائلة ، لو وصلت إلينا أبواب الفصيح الثلاثين كاملة وافية ، فما هذه التُّحْفَة الغزيرة في مادتها ، والتي أتحفنا بها صاحبها إلا جزء يسير ، بل أقل من اليسير ، مقارنة بأبواب الفصيح ؛ حيث إنَّ الشَّارح انتهى بها إلى الباب السادس ـ فقط ـ وقد مَثَّلَ هذا السِّفْر الأول لهذه التحفة ، ولعَلَّ باحثاً يُوَفَّقُ إلى صَنِيع أبي جعفر ، فيتحف المكتبة العربية بباقي التُّحْفَة .

ثانياً ـ المَنْهَجُ الَّذي سَارَ عَلَيْه فِي شَرْحِه :

أوضح منهجه في تناول كل مادة من مواد الكتاب ، بقوله : " ورتبتُ الكلام فـيه أولاً على مَدْلُولِ اللَّفظ ومعقوله ومسموعه ومقوله ، وإن كان فعلا أتيت بلغاته وأنواع مصادره ، واسم فاعله ومفعوله ، وربما أثبت بالمرادف والمشترك ، وسـلكت من التعليل في بعض المواضع واضح المسالك ، وأخذت ذلك من أئمة اللغة المشهورين بالتبريز ، ونفضت فيه الدواوين ما بين المستوعب منها والوجيز ... "[1] فكـان هـذا منهجه في تحفته ، وخطَّته في تأليف كتابه ، وقد حَرَصَ على الاسْتقصاء والاسْتيعاب ، مما جعل شرْحه يفوقُ سواه من شُرُوحِ الفصيح ، فـيما احتواه من مادة لغوية ؛ لاعتماد شارحه على الكثير من المصادر اللغوية ،

---

(١) نظر خطبة المؤلف ص : ٤ .

فغلب عليه طابع الاستدراك في عرضه للمواد اللُّغوية ؛ لذا فهو من أوسع شروح الفصيح ، وأغزرها مادة .

ولمعرفة طريقته في هذا الشَّرْح ، نسوق نموذجاً من نماذج الفصيح ، وهو أول مـــادة افتتح بها ثعلب فصيحه ، وهو قوله في باب : (فعَلتُ بفتح العين) : " نَمَى المالُ وغيرُه يَنْمِي " ،فبدأ اللبليُّ بشرح معنى الفعل ، فقال : " تَقُولُ : نَمَى المالُ ، أي زَادَ وكَثُرَ ، قاله غير واحد : " ثم يذكر لغة ثانية في الماضي ، حكى : وفي نَمَى لغة ثانية ، يُقالُ : نَمُوَ ، على وزن ظَرُفَ ، حكاها صاحب الواعي ، ومـــن خَطِّه . وحكاها أبو القاسم السعدي في أفعاله . ثم انتقل إلى ذكر اللغات في مضارع هذا الفعل ، فصرَّح أنَّ في مضارع نَمَى بفتح العين لُغتان : يَنْمِي على وزن يَرْمِـــي ، كما ذكره ثعلب ، ويَنْمُو على وزن يَدْعُو . ثم ساق ثلاثة شواهد شعرية : أحدها على يَنْمُو ، والآخرين على يَنْمِي ـــ بلا عزو ـــ .

ثم انتقل إلى الدفاع عن ثعلب ، راداً اعتراض ابن هشام اللخمي على ثعلب ، مُدَلِّلاً على ما ذهب إليه بما نقله أئمة اللغة الثقات عن الكسـائي ، قائلا : " فإذا كان الكسائي على مرتبته من حفظ كلام العرب وإمامته لم يسمعها (أي يَنْمُو) إلا من رجلين من العرب ، فهذا دليل على قلتها " (١) .

ونجـــده قـــد أسهب في شرح هذه المادة ، فأورد كل ما سمع من مصادر هذا الفعل ، ناسباً ذلك إلى المصادر التي ورد فيها ، ذاكراً الاختلاف في تحديد دلالة المال ، ثم أورد مجموعة أفعال تستعمل في نفس دلالة ((نَمَى المالُ)) ، وهو يشير في ذلـــك إلى المتـــرادف ، والذي اهتم به في كتابه أكثر من اهتمامه بالظواهر اللغوية الأخرى ، كالمشترك اللفظي ، والأضداد .

---

(١) تحفة المجد : ١١/٨ .

ولَعَلّ هذا الشرح جمع بين ميزتين ، هما : غزارة المادة العلمية التي استوعبها ، وأمانــة الشَّارِحُ ودِقَّتُهُ ، كما في قوله التالي ـــ من نفس النموذج الذي تناولناه ـــ قال الشيخ أبو جعفر : ما قاله ابن هشام من أنهما لغتان فصيحتان غلط ، وإنما اللغة الفصيحة (يَنْمِي) فقط ، وهي التي ذكرها ثعلبٌ بدليل ما نقله الأئمة الـثقات . قال الجوهري في كتابِ الصِّحاح : " نَمَى المالُ وغيرُه ، وربما قالوا : يَـنْمُو . قال الكسائي : ولم أسمعه بالواو إلا من أخوين من بني سليم ، ثم سألت عـنه بني سليم فلم يعرفوه بالواو . قال الشيخ أبو جعفر : وحكى هذا أيضا أبو عبـيد في المصـنف عـن الكسائي [1] . ثم ينتقل اللَّبليُّ إلى ذكر مصادر الفعل ويتعقبها في كتب اللغة ويذكر ما حدث فيها من قلب وإدغام [2] .

ــ ظاهرة الاستطراد في شرح المادة اللغوية ، وهو على نوعين :

ـــ استطراد بسيط ، وسرعان ما يخرج منه إلى الموضوع ، كقوله : " وإن كان بعـض اللغويين فرَّق بين يَنْمِي ويَنْمُو ، فقال : يَنْمِي للمالِ ، ويَنْمُو بالواو لغير المال ، كما فرَّقوا بين يَزْبِدُ بالكسر ، ويَزْبُدُ بالضم ، فقالوا : زَبَدَ يَزْبِدُ ، بكسر المستقبل إذا أعطاه وزَبَدَ يَزْبُدُ ، بضم المستقبل إذا أطعمه الزُّبد [3] .

ــ واستطراد طويل ، قد يستغرق منه الصفحة بكاملها ، كشرحه لكلمة المال، ومـا يعـني العربُ باستعمالهم لهذا اللفظ ، فاستَعَرضَ أقْوالُ ابن سيده في كِتابِه (العريص) ، والمطرِّز في كِتابِه (الياقوت) ، والقالي في أماليه ، وابن السِّيد في مـثله ، وغيرهم [4] . ثم يستطرد مرة أخرى لمعاني الفعل (نَمَى) ومرادفاتها ،

---

(١) تحفة المجد : ١٣ .

(٢) نفسه : ١٦-١٧ .

(٣) نفسه : ١٥-١٦ .

(٤) نفسه : ١٧-١٨ .

فـيقولُ : " يُقَالُ : نَمَى المال ، وصَفَا ، وعَفَا ، ووَفَى ، وخَبَى ، وأَخْبِي ، بهمز وبغير همز "[1] .

ثالثاً ـــ موقفه من لغات العامة :

وقف أبو جعفر من لغات العامة موقفين بيانهما في الآتي :

أ ـ تصويبه للغة العامة وتعقبه لمن خطأها :

ومن أمثلة ذلك :

ـــ أنكر الكسائي قولهم : (يَحَفُّ الثوبُ) ويرى أن الصواب : يَجِفُّ بكسر الجيم ، فيرد عليه أبو جعفر بما حكاه صاحب الفصيح من أن الناس يستعملون اللغتين جميعاً[2] ، مع تصحيحه للغة الكسر (يَجِفُّ) وينقل عن الأئمة الثقات إثباتهم للغتين معاً[3] .

ـــ وفي موضع آخر من الكتاب ينقل أبو جعفر ما حاكاه المطرز في شرحه عن ثعلب عن سلمة عن الفرّاء أنه لا يجوز أن يقال : (هَلِكَ بكسر العين) في لغة من اللغات ، فينقل الشارح عن أحد اللغويين أنه يقال : هَلِكَ يَهْلَكُ بالكسر في الماضي[4]. مجوزاً لغة الكسر .

---

(١) تحفة المجد : ١٨ .

(٢) نفسه : ١٠١ .

(٣) انظر الغريب المصنف ٥٨٦/٢ ، والإصلاح : ٢٠٧، وأفعال ابن القطاع : ١٨١/١ ، والمنتخب لكراع : ٥٥١/٢

(٤) تحفة المجد : ٨٤-٨٥ .

ــ كما نقل أبو جعفر عن أحد اللغويين أن الأصمعي أنكر قولهم (عَسِيْتُ بالكسر) (١) ثم يرد عليه الشارح من أنه يقال : عسيت بالفتح ، والكسر ناقلاً ذلك عن الفرّاء وثعلب وغيرهم من أئمة اللغة (٢) .

ــ ونقل ابن السكيت في الإصلاح (٣) أن الأصمعي أنكر قولهم (غَوِي) بكسر العين في الماضي ، ويرى أنه لا لغة فيها سوى فتح العين في الماضي (غَوَى) بينما ينقل أبو جعفر عن أئمة اللغة كابن الأعرابي والمطرز وأبي عبيدة وصاحب الواعي وغيرهم أنه يقال : غوِي الرجل يغوَى بكسر الواو في الماضي وفتحها في المستقبل (٤) .

ــ كما أنكر الأصمعي أيضاً قولهم : (نَكِلْتُ بالكسر) ، وصرَّح بأنّه لا يقال ذلك . وحكى أبو جعفر (٥) هذه اللغة التي أباها الأصمعي عن جمع من أئمة اللغة ، وقد حكوها جميعاً عن ثعلب ونسبها بعضهم لقبيلة تميم (٦) .

ــ وينكر الشارح أيضاً على كل من أبي حاتم في (تقويم المفسد) وأبي الفتح المراغي في (لحنه) تخطئتهما للغة العامَّة (حَرِص) بالكسر ، حيث إنهما يذهبان إلى أن الصواب : (حَرَصَ بالفتح) فيرى أبو جعفر أن لغة الكسر ليست بخطأ (٧) . مستشهداً بما حكاه عن الأئمة الثقات (٨) .

---

(١) تحفة المجد : ٣٦-٣٧ .

(٢) انظر الاصلاح ١٨٨ ، والمحكم ١٥٧/٢ (عسى)

(٣) ص : ١٨٩ .

(٤) تحفة المجد ٢٦ .

(٥) نفسه : ١٠٣-١٠٤ .

(٦) انظر أفعال السرقسطي ٢٢١/١ ، وأفعال ابن القطاع : ٢٦٧/٣ ، والتهذيب : ٢٣٦/١ ، والمحكم : ٢٩/٧ ، والمخصص : ٦١/١٥ ، ٦٥ (نكل) .

(٧) تحفة المجد : ٧٤-٧٥ .

(٨) انظر أفعال ابن القطاع ٢٤٣/١ ، والجمهرة ١٣٤/٢ ، والمحكم ١٠٤/٣ (حرص)

ـــــ وخطــأ ابن درستويه قول العامة : (زَرَدْتُهُ) بفتح الراء في الماضي ويرى بأن الصـــواب : (زَرِدَ) بكســـر الراء ويصرِّح أبو جعفر بفصاحة لغة العامة [1] . مستدلاً على ما ذهب إليه بما حكاه جمع من اللغويين [2] .

ـــــ وفي موضع آخر من الكتاب يخطأ الزمخشري قول العامَّة : (خَمِدَتْ بكسر المـــيم) ، إذ يـــرى أن اللغة الفصيحة (خَمَدَتْ) بفتح الميم ، بينما يصرِّح أبو جعفر بصحة لغة العامة حاكياً ذلك عن المطرز عن ثعلب عن ابن الأعرابي [3] .

ـــــ وفي موضـــع آخـــر من شرحه يحكي أبو جعفر [4] أن ابن هشام اللخمي والـــتدميري في شرحيهما للفصيح قد أنكرا على ثعلب قوله : (إن ذوى العود بمعـــنى جف) ثم يبين خطأهما ، وصواب ما ذهب إليه ثعلب واستدل على ذلك بما حكاه يعقوب في الإصلاح [5] ، وابن فارس في كتابه المجمل [6] ، وأبو علي القالي في المقصور والممدود [7] .

وما هذه إلا نماذج مختصرة من أمثلة كثيرة نحسَب أنها قد أبانت عن المقصود ، وإلا فالكتاب تضمن بين دفتيه الكثير من هذه التصويبات [8] .

---

(١) تحفة المجد : ١٤٦ .

(٢) انظر أفعال ابن القطاع ٩٥/٢ ، والجمهرة ٢٤٥/٢ ، والمحكم واللسان (زرد)

(٣) تحفة المجد : ٦٩ .

(٤) نفسه : ١٩ .

(٥) ص : ١٩٠ . وانظر أدب الكاتب : ٣٦٦

(٦) ٣٦٢/٢ .

(٧) ص : ٩٤ .

(٨) انظـــر تحفـــة الصفحات : ١٥٥ ، ١٥٧ ، ١٦٣ ، ١٦٨ ، ١٧٣ ، ١٨٨ ، ٢٥٥ ، ٢٧٨ ، ٢٨٩ ، ٢٩٢ ، ٢٩٧ ، ٢٩٨ ، ٣١٥ ، ٣٤٠ ، ٤٧٧ .

ب ـــ أما موقفه الثاني من لغات العامة ، فيتمثل في تخطئته لها ، مؤيداً بذلك من سبقه من اللغويين : فمن ذلك :

ـــ ما نقله الشارح عن أبي حاتم في لحنه أن العامّة تقول : (نَعُسَ) بضم العين ، وهو خطأ . وقد وافق الشارح ما ذهب إليه أبو حاتم ونص على أنه لا يذكر في (نَعَسَ) سوى الفتح مع بحثه عنها [1] .

ـــ أنكر ابن درستويه على العامة قولهم : (أنبذت بالألف) ، وخطأها ، ويرى أن اللغة الفصيحة : (نَبَذْت) بغير ألف [2] . ويوافقه أبو جعفر القول ، ناقلاً عن بعض اللغويين خطأ لغة العامة [3] .

ـــ كما خطأ ابن درستويه ـــ أيضاً ـــ قول العامة : (أَشْغَلَنِي بالألف) [4] ، ويرى أن الصواب : شَغَلَنِي بغير ألف . ويوافق أبو جعفر ما قرره الأول مستشهداً بما حكاه بعض اللغويين ، ومنهم يعقوب في الإصلاح [5] ، والقزاز في الجامع ، وتخطئتهم لغة العامة [6] .

(١) تحفة المجد : ٥٧ — ٥٨ .

(٢) تصحيح الفصيح : ٨١ .

(٣) تحفة المجد : ٢٦٢ ، وانظر الإصلاح : ٢٢٥ ، وأدب الكاتب : ٢٨٧ ، وتقويم اللسان : ١٧٨ .

(٤) تصحيح الفصيح : ٨٥ .

(٥) ص : ٢٢٥ .

(٦) تحفة المجد : ٢٧٤ .

رابعاً ـــ مَوْقِفُهُ مِنْ ثَعْلَب :

كـــان موقفُ أبي جعفر اللَّبليِّ ـــ بشكل عام ـــ موافقاً لثعلب في أغلب ما جاء في فصيحه ، إلا أننا نجد بعض الإشارات ـــ في بعض القضايا ـــ التي تُوحِي لنا بوجود ثلاثة مواقف وقفها صاحب التحفة من صاحب الفصيح ، إيضاحهما في الآتي :

أ ـــ موافقته له :

ونعـــني بذلك متابعته وموافقته لثعلب ، حيثُ إننا نجد الشارح متابعاً لثعلب فيما تحقق له أن ليس فيه إلا لغة واحدة ، ومن أمثلة ذلك :

ـــ ذكـــر ثعلب في فصيحه أن اللغة العالية الفصيحة هي (دَمَعَتْ عَيْنُه) [(١)]، وصرح أبو جعفر على أنها مفتوحة العين ، كما حكاها ثعلب ، ولم يسمع أحد يذكرها بالكسر[(٢)] .

ـــ ويفرد صاحب الفصيح أيضاً لغة الفصاحة والجودة ، وهي (نَعَسَ) [(٣)] ، ويوافقه أبو جعفر مصرحاً أنه لا يذكر فيها سوى الفتح مع بحثه عنها [(٤)].

ـــ وفي موضع آخر من الكتاب أيضاً يحكي أبو جعفر أنه يقال في الماضي (نَطَحَ) بالفتح كما ذكر ثعلب [(٥)] ، ويبين أنه لا يذكر فيه سوى الفتح [(٦)] .

---

(١) الفصيح : ٢٦١ .
(٢) تحفة المجد : ٤٤ .
(٣) الفصيح : ٢٦١ .
(٤) تحفة المجد : ٥٨ .
(٥) الفصيح : ٢٦١ .
(٦) تحفة المجد ٩٨ .

ـــــ أيضاً جاء في الفصيح : (نَحَتَ يَنْحِتُ) [1] فوافق أبو جعفر ما حكاه ثعلب ، مصرحاً بأنه لا يذكر في الماضي سوى الفتح [2] .

ومثل هذه الموافقات تكررت في ثنايا التحفة [3] .

ب ــ موقف المستدرك عليه :

هناك بعض الإشارات التي تفيد اعتراض الشَّارحُ على ثعلبٍ في بعضِ آرائه ، ولقد تميَّز أسلوبُ أبي جعفر في جملة انتقاداته ، بلين الجانب تجاه ثعلب ، وذلك مـــا كشفت عنه محاولاته في التماس العُذْر لثعلب فور تقديم وجه الانتقاد ـــ من قِـــبَلِه ، أو من قِبَلِ الآخرين ـــ لبعض ما جاء في الفصيح [4] ، فمن ذلك قولُه : " وكـــان حَقُّ ثعلب أن لا يذكر (بَرَيْتُ) القلمَ في هذا الباب ؛ لأن هذا الباب إنمـــا هـــو (باب فَعِلْتُ بكسر العين) وبَرَيْتُ بالفتح " [5] . ومع ذلك نجده يلتمس العذر لما ذهب إليه ثعلب [6] .

وقولُه : " صَدَقْتَ ليس من الباب ؛ لأنَّه (فَعَلَ) بفتح العين ، والباب (باب فَعِـــلَ بكســـرها) ، فكان الأستاذ أبو علي يَقُولُ وقت القراءة عليه : إنما أتى بصَـــدَقْتُ وليس من الباب ؛ لأنَّ العَرَبَ تَقُوْلُهما معاً ، فتَقُولُ : صَدَقْتَ وبَرِرْتَ .... " [7] فهو في تعليله هذا يلتمس العذر لثعلب .

---

(١) الفصيح : ٢٦١ .

(٢) تحفة المجد ٩٩ .

(٣) انظر الصفحات : ٦٩ ، ١٣٤ ، ٣٩٠ ، ٤٧٤ .

(٤) انظر التحفة : ١٨٢ ، ٢١٣ ، ٣٦١ .

(٥) نفسه : ١٨١ .

(٦) نفسه : ١٨٢ .

(٧) نفسه : ٢١٣ .

وفي موضع آخر ينبه إلى أنه قد أُخذَ على ثعلب في إدْخاله (هَرَقْتُ) في هذا الباب ؛ لأن هذا الباب إنما هو باب (فَعَلْتُ بغير ألف) ، وهَرَقْتُ من باب (أَفْعَلْتُ بالألـــف) .[1]. وهو إذ يُقِرُّ بهذا النَّقْدِ فإنه سُرْعان ما يأتي بالعُذْرِ لثعلب ، ويتبه إلى أنه إنما أدخله في هذا الباب مراعاة للفظ ؛ لأنّ لفظه ثلاثي [2] .

ويـــرى الشارح أيضاً أن قولهم : نَفِسْتُ ليس من هذا الباب (باب : فُعِلَ ــ بضم الفاء) ؛ لأن هذا الباب إنما هو لما لم يُسَمَّ فاعله ، وهذا سُمِّي فاعله ، ولكن كعادته يختمُ أبو جعفر انتقاده بتقْديم العُذْرِ وإيجادُ المخْرج لثعلب [3] .

ويصـــرح في موضـــع آخر من أنه قد أُخِذَ على ثعلب إدْخالُه في هذا الباب (فعلـــت وفعَلت باختلاف المعنى) عُمْتُ في الماءِ مع عِمْتُ إلى اللّبنِ ؛ لأنَّ هذا الباب إنما هو موضوع لذكر اللفظين اللتين هما متفقتان في الحروف مختلفتان في المعنى [4] .

ج ــ موقف المنتصر له :

إذا كـــان أبو جعفر اللّبليُّ مهذباً في انتقاده لثعلب في بعض الجوانب ، وفي بعـــض المواضع ــ على قلتها ــ من تحفته ، فإنه قد أظهر مُناصَرَتَهُ له في مواطن كثيرة ، مُصرِّحا بها في مُقَدِّمته ، بقوله : " وانتصرت له حيث أمكنني الانتصار ، ورددت على من تعقب عليه رَدًّا يُرْتضى بحكم الإنصاف ويُختار " [5] .

---

(١) تحفة المجد : ٢٤٢ ، ٢٤٣ .

(٢) نفسه : ٢٤٣ .

(٣) نفسه : ٣٦١ .

(٤) نفسه : ٤١١ .

(٥) مقدمة التحفة .

والحقيقةُ أنَّ أبا جعفر اللَّبليَّ صَدَقَ في انتصاره لثعلب في أغلب ما ذهب إليه من آراء ، فتارة يعلل لما قد يؤخذ عليه ملتمساً له العذر ، وتارة يرد على أقوال علماء اللغة وشراح الفصيح وانتقاداتهم لثعلب في بعض المواقف ، فكان رده على كل من ابن هشام اللَّخْمي ، وابن دُرُسْتَويه ، وابن طلحة موفقاً . وقد يتناول المردود عليهم فُرادى ، وتارة يجتمع عليه قولان ، أو يتفق ثلاثتُهُمْ على رأي ، فيخالفهم متصدياً للدفاع عن ثعلب .

وإليك بعض الأمثلة التي جَسَّدَتْ لنا معالم انتصاره لثعلب ، وصور الدفاع عنه بشتى السُّبُل التي أجملناها :

ففي التماس العذر لثعلب يقول : " وإنَّما ذَكَرَ (غَبِنَ) في هذا الباب (فُعِلَ بضم الباء) وليس بابه ؛ لاشتراكه مع غُبِنَ في الحروف ، وليُبَيِّنَ افتراقهما من جهة المعنى " [1] .

وقوله : " ويمكن أن يكون الذي حمل ثعلباً على أنْ ذكر (هَرَقْتُ) في هذا الباب (فَعَلْتُ بغير ألف) ، وإنْ كان ليس بابه ؛ أنَّ كلامَه في هذا الباب إنما هو فيما يُقَالُ من الأفعالِ بغير ألفٍ في الأفْصَحِ ، وكان في (هَرَقْتُ) لُغتان : هَرَقْتُ وأهْرَقْتُ .... " [2] .

ومنها رده على زعم ابن هشام اللَّخْمي بأن ثعلباً أغْفَلَ ذكر يَنْمُو واقتصر على يَنْمِي بوصفها اللغة الفصيحة ، وقبل أن يرد اللَّبليُّ على ابن هشام ، أورد رأيه فيما أُخِذَ على ثعلب ، ثم فسَّر ما وقع فيه من غلط ، فانتصر بذلك لثعلب

---

(١) تحفة المجد : ٣١٧ .

(٢) نفسه : ٢٤٤ .

مدعماً موقفه بما نقله الأئمة الثقات ، وإليك وقائع الرُّدُود التي جرت على لساني صاحبيها في الآتي :

في (ينمـي وينمو) أخذ ابن هشام اللخمي على ثعلب كونه ذكر(يَنْمِي) فقـط ، ولم يذكر معها (يَنْمُو) ، قال : وهما لغتان فصيحتان ، فكان حقه أن يذكـرها . فصرَّح أبو جعفر بأنَّ ما قاله ابن هشام من أنهما لغتان فصيحتان غلط ، وينصُّ على أنَّ اللغة الفصيحة إنما هي (يَنْمِي) فقط ، وهي التي ذكرها ثعلب بدليل ما نقله الأئمة الثقات [1] .

ويَـرُدُّ على اعتراض ابن دُرُسْتُويه ، في قوله : (أَنْهَكَهُ السلطان عقوبة) بأنَّ هـذا لـيس من الباب (فَعِلْتُ بكسر العين) ؛ لأنه على (أَفْعَلَ) ، بالألف ، وليس هذا موضعه ، فيصرِّح أبو جعفر بأنَّه يُجَابُ عن هذا بأنْ يُقَالُ : ذكره على معنى التَّتْميم بالفرق بينه وبين ما اشْتَرَكَ معه في اللَّفْظِ ، كذا كان يُجِيْبُ الأستاذُ أبو علي شيخنا وقت القراءة عليه [2] .

ويجـيءُ ردُّه على تفسير الرأي المُخالف لثعلب والمُتَفَق عليه من قِبَلِ السابِقَيْن ــــ ابن درستويه وابن هشام ــــ بقوله : " قال أبو جعفر : فَسَّرَ ثعلبٌ شُدِهْتُ بشُـغِلْتُ ، وأنْكَرَهُ ابن دُرُسْتُويه ، وقال ليس معناه : شُغِلْتُ ، وفَسَّرَه بالدَّهَشِ والتحيُّرْ ، وكذا فَسَّرَه ابن هشام في شَرْحِه ، ورأيتُهُ في خطِّه ، وتبع في ذلك ابن دُرُسْـتُويه . قـال أبو جعفر : أما إنكارهما أنَّ شُدِهْتُ ليس معناه شُغِلْتُ فغير صـحيح ؛ بدليل ما حكاه أئمة اللغة " . فنقل الشارح ما حكاه أبو زيد ، وابن

---

(١) تحفة المجد : ١٢ .

(٢) تحفة المجد : ١٧٤ .

ســيده وصاحب الواعي عن الكسائي ، وكُراع في المجرد ؛ من أن شُدِهْتُ بمعنى شُغِلْتُ ، كما فسرها ثعلب [1] .

أما تصدِّيه لهم ؛ إذ أجمع ثلاثتُهُم على رمي ثعلب بالوهم ، فقد كان من أبرز مواقف انتصاره لثعلب وأقواها ، فَرَدَّ عليهم قولهم ووهمهم ، في قوله : " وقال ابن دُرُسْتُويه : ـــ وهو قَوْلُ الأكثرين ـــ الهَدْيُ والهَدِيُّ اسمان لِمَا أُهْدِي إلى البيت مـــن الإبـــل والغنم ، وغيرها ، ... فتوهم ثعلبٌ أنهما مصادر على الحقيقة . قال الشيخ أبو جعفر : وكذا قال ابن هشام في شَرْحِه ، ورأيتُه بخطِّه ، وكذا قال ابن طلحة في شَرْحِه ـــ أيضاً ـــ والذي أوْقَعَهم في هذا الوهْم أنهم ـــ ابن دُرُسْتويه ، وابـــن هشـــام ، وابن طلحة ـــ رأوا الهَدْيَ والهَدِيَّ قد جاءا مع الفعل الذي هو أهْـــدَيْتُ ، فاعتقدوا أنهما مصدران لمجيئهما مع الفِعْلِ الذي هو أهْدَيْتُ ، وليس كـــذلك ؛ بل هما مفعولان لا مصدران ، كما أنَّ العَرُوسَ في قوله : (أهْدَيْتُ العَـــرُوسَ) مفعـــول بأهديت ، كذلك : الهَدْيُ ، والهَدِيُّ مفعولان بأهديت ؛ لأنهما اسمان لما يُهْدَى وليسا بمصدرين . فخرج من هذا أنهم هم الذين وهَمَوا لا ثعلب " [2] .

خامساً ـــ مَذْهَبُهُ فِي التَّوْسُّعِ اللُّغَوِي :

تعددت مسالك التوسع اللغوي لدى أبي جعفر اللَّبلي ، فمن أكثرها : ذكره لُغـــتين فأكثر ، ومن أدقها تعقبه لابن دُرُسْتُويه وتصحيحه لبعض لُغات العَامَّة ، ومـــن أبرزها : تفرده بذكر بعض اللُّغات القليلة ، إضافة للأساليب المطروقة من قِبَل غيره من أصحاب التَّوسُّع اللُّغَوي : كالإبدال ، والترادف ، والمشترك اللفظي ، وغيرهـــا . وفيما يأتي تفصيل موجز لما أجملناه في هذا الجانب ، مدعماً ببعض

---

(1) تحفة المجد : ٣٤٦ ، ٣٤٧ .

(2) نفسه : ٤٢٩ ، ٤٣٠ .

الأمـــثلة التي تبرز كلٌّ من مظاهر توسعه اللُّغوي ، وقد يُصَرِّحُ بعددِ اللُّغاتِ إذا زادتْ عن اثنتين ، أو يذكر اللُّغتين ثم يقول : زاد " المطرِّز " أو " صاحب الواعي " ، أو " ابـــن ســـيده في المحكم " . . . فتلك ثلاث لُغات "، وكأنه في سعيه هذا يُـــدَعِّمُ مذهـــبه في التوسُّعِ بالدَّليلِ ، ويكشف لنا بنهجه هذا عن سعة اطلاعه وغزارة علمه وأمانته العلمية في البحث والتنقيب وجمع أقوال علماء اللُّغة في لُغة مادة بعينها ، بما لا يدع مجالاً للشك في صحَّة مذهبه التوسُّعي . وقد يُصَرِّحُ عن اللُّغتين ثم يُثْبتُ مصادره فيهما بذكر العلماء الثقات أو يستشهد ببعض القراءات أو بذكـــر القبائل التي تبنى لُغة كل منهما، وإذ لم يُصَرِّحْ عن اللُّغتين ، فإنه يجْنحُ في هـــذه الحالة لبيان الحكم في الجودة أو الفصاحة ، مقارناً بينهما ، ويتضح كل ذلك في الأمثلة الآتية :

١ــ توسعه في ذِكر لغة واحدة :

ذكـــر أبو جعفر أنه في حالة إضافة (عـسى) إلى المضمر فإن فيه لغتين : عَسَيْتُ بفـــتح الســين ، كما حكاها ثعلب ، وعَسِيتُ بكسر الســين ، وهي قراءة نافع لقوله تعالى :

﴿ فَهَلْ عَسِيْتُم إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴾ (١) .

اقتصـــر ثعلـــب على (عسَيت بفتح العين)وأضاف الشارح لغة ثانية (عسِيت بكسرها) (٢)

---

(١) سورة محمد آية : ٢٢ .

(٢) تحفة المجد : ٣٦ .

٢ ــ ذِكره لغتين :

ـــــ ففـــي باب (فعلت بفتح العين) ذكر أبو جعفر أن في ماضي (ذوى) ثلاث لغات : ذَوَى بالفتح ، وذَأَى بالهمز ، وذَوِيَ بالكسر [١] .

ـــــ وحكى أبو جعفر أيضاً رَعَفَ ، ورَعُفَ ، بفتح العين وضمها ، وزاد نقلاً عن المطرِّز وابن سيده في المحكم ، وابن السيد في مثلثه : رَعِفَ ، بكسر العين .

اقتصر ثعلب على لغة واحدة وهي : (رَعَفَ) وأضاف الشارح اللغتين الأخيرتين ، نقلاً عن أئمة اللغة [٢] .

ـــ وفي موضع آخر من شرحه يذكر أن في (شتم) ثلاث لغات في الماضي : شَتَمَ ، خفيف التَّاء ، وشَتَّمَ ، ثقيل التَّاء ، وتشَتَّمَ [٣] . فنرى أن أبا جعفر قد أضاف لغتين غير مشهورتين إلى (شتم) الفصيحة التي ذكرها ثعلب .

---

(١) تحفة المجد : ٢٤ ، وانظر الإصلاح : ١٩٠ ، وأفعال ابن القطاع : ٣٩٨/١ .

(٢) تحفـــة المجد : ٤٨ ، وانظر أدب الكاتب : ٣٦٧ ، وأفعال السرقسطي : ٨٧/٣ ، والمحكم : ٨٦/٢ ، والمخصص : ٨٥/٥ .

(٣) تحفـــة المجـــد : ٥٦ . وانظر أفعال ابن القطاع ١١٩/٣ ، والمثلث للبعلي : ١٥٧ ، وشرح ابن هشام اللخمي : ٥٢ ، والمحكم : ٥١٣/٥ (شتم)

ـــــ وفي نفس الباب أيضاً اقتصر ثعلب على اللغة الفصيحة (لَغَبَ) بفتح العين في الماضـــي وأضاف الشارح لغتين هما : (لغِب ولغُب) ، حاكياً ذلك عن جمع من اللغويين [1] .

ـــــ وفي بـــاب (فعِلت بكسر العين) نقل أبو جعفر عن يعقوب بن السِّكيت عن الفـــرَّاء أنَّه يقال : سَرَط وسَرِط ، بالفتح والكسـر ، ... ، وحَكَى أيضاً عن ابن طلحة : سَرِطْتُهُ ، بالكسـر ، وسَرَطْتُهُ ، بالفتح ، وسَرَّطْتُهُ بالفتح وتشديد الراء .

فـــإذ كان صاحب الفصيح وقف على (سَرِط) فإنَّ الشَّارح أضاف لغتين هما : (سَرَط وسَرَّط) [2] .

٣ ــ توسعه بذكر ثلاث لغات :

ــ ذكر صاحب الفصيح أن : بَرِئْتُ من المرض ، هي لغة تميم ، وبَرَأْتُ من المرض لغـــة أهل الحجاز ، وأضاف أبو جعفر نقلاً عن ابن خالويه أنه يقال : بَرُؤَ ، بضم الراء ، مثل : بَرُعَ ، عن القزَّاز وابن سيده ، وابن القطاع ، وعن ابن التَّياني ، وعن ابن السيِّد في مُثلَّثه ، وزاد القزَّاز : بَرِي يَبْرَى ، و بَرَا يَبْرُو [3] .

اقتصـــر ثعلب على : (برئت وبرأت) وأضاف الشارح نقلاً عن أئمة اللغة ثلاث لغات في الماضي كما صرح بها .

---

(١) تحفة المجد : ٦٠ ، ٦١ .

(٢) تحفة المجد : ١٤٥ ، وانظر الجمهرة : ٣٥٢/٢ ، والصحاح (سرط)

(٣) تحفة المجد : ١٧٦ . وانظر أفعالابن القطاع ١/ ٩٩ ، واللســان (برأ)

وقــد ســبق أن أشرنا ــ في مقدمة هذا المبحث ــ إلى أن أكثر مظاهر توسُّع اللَّبلي في اللغات جاء في هذا الضرب خاصة ، وذلك ما لاحظناه عن طريق التتبع لما ذكره من لغتين أو زاد عليهما [1] .

٤ ــ ومــن توســعه أيضاً عِنَايَتُهُ بِبَعْضِ لُغَاتِ القَبَائِلِ ونسبتها إلى أصحابها :

اعتنى أبو جعفر اللَّبليُّ بذكر لغات القبائل العربية، فَيُصَرِّحُ في مواضعَ مُتَفَرِّقةٍ مــن شرحِه ، عن بعضِها ، كلُغَاتِ : أهل الحجاز ، وأهل المدينة ، وأهل نجد ، وبــني ســليم ، وبني تميم ، وهوازن ، ومضر ، وطي ، وبني عامر ، وتغلب ، وإليك تفصيل ذلك :

ــ ففي باب (فعلت بكسر العين) يذكر أن في (برِئت من المرض) لغتين هما (بَرِئْتُ) وهي لُغَةُ بني تميم ، و (بَرَأْتُ) وهي لُغَةُ أَهْلِ الحِجَازِ [2] .

ــ وفي باب (فَعَلْت بغير ألف) ذكر أن في (حَلَلْت من إحرامي) لغتين ، هما : حَلَّ لُغَةُ أَهْلِ الحِجَازِ وتميمُ تَقُوْلُ : أَحْلَلْتُ [3] .

ــ وفي باب (فَعِلت وفَعَلت باختلاف المعنى) يذكر أن في (قَرَرْتُ بالمكانِ لغة أخرى وهي (قرِرت بكسر الراء) وينسبها لأَهْلِ الحِجَازِ [4] .

(١) انظر الصفحات : ١٨٢ ، ١٩٨ ، ٢٠٦ ، ٢١١ ، ٢١٥ ، ٢٣٦ ، ٢٥٠ ، ٢٦٠ ، ٢٧٩ ، ٢٨٢ ، ٢٩٥ ، ٣٠٤ ، ٣٠٧ ، ٣١٣ ، ٣٢٧ ، ٣٣٠ ، ٣٥٠ ، ٣٦٤ ، ٣٨٩ ، ٣٩١ ، ٣٩٨

(٢) تحفة المجد : ١٧٥ . وانظر لغة تميم ، لضاحي عبدالباقي : ٣٦٤ ، والصحاح (برأ) .

(٣) تحفة المجد : ١٧٢ . وانظر لغة تميم : ٣٦٣ ، والصحاح واللسان (حلل) .

(٤) تحفة المجد : ٣٦٧ ، وانظر الغريب المصنف ٥٨٥/٢ ، وإصلاح المنطق : ٢١٣ . وأفعال ابن القطاع ٤٧/٣ ، والصحاح والمحكم : ٧٧/٦ (قرر) .

ـــــ وفي نفس الباب يحكي نقلاً عن الأئمة الثقات أن في (سخن الماء) ثلاث لغات : سَخَنَ وسَخُنَ وسَخِنَ وقال : " والكسر لغة هوازن [1] .

ــــ وينقل الشارح أيضاً عن إحدى الأعرابيات أنه يقال : الهَدَايا ، بالفتح وهي لُغَة مضر ، وسفلاها تقول : الهُدَايا بالضَّمّ [2] .

ــــ ويذكر أن في : هديت العروس إلى زوجها ، لغة أخرى ، هي : (أهْدَيتُ بالألــف ، وقال عنها : هي لُغَةُ طَيِّىء [3] . قلت وفي معاني القرآن للأخفش ٢/ ٥١٧ أهديتها لغة قيس ، وهديتها لغة تميم .

ـــ وفي باب (فعلت وأفعلت باختلاف المعنى) ينقل عن الزمخشري عن الخليلِ : أن لُغَةَ أَهْلِ المدينة : حَضِرَ ، بالكسر [4] .

ــــ وفي باب (فعلت بفتح العين) لم يذكر في (نَعَسَ) سوى الفتح مع بحثه عــنها ، وحكــى في مســـتقبلها لغتين نقلاً عن أئمة اللغة هما : ينعُسُ بالضم ، وينعَسُ بالفتح ، ناسباً الأخيرة لبعض بني عامر [5].

---

(١) تحفة المجد : ٤٠٠ ، وانظر أدب الكاتب : ٣٢٥ ، وأفعال ابن القطاع : ٢/١٤٩ ، والمحكم : ٥/٥٠ (سخن)

(٢) تحفة المجد : ٤٣١ ، وانظر الكتاب ٤/٣٩٠ ، ٣٩١ ، والمحكم : ٤/٢٦٩ .

(٣) تحفة المجد : ٤٣١ .وانظر أفعال ابن القطاع : ٣/٢٦٤ . والمحكم : ١٤/٢٧٠ .

(٤) تحفة المجد : ٤٥٥ . وانظر الكتاب : ٤/٤٠ ، والإصلاح : ٢١٢، ٢١٣ ، والخصائص ١/٣٧٤ — ٣٨٠ ، وشرح الزمخشري : ١٧٣ .

(٥) تحفة المجد : ٥٨ .

ـــــ وفي باب (فعلت بغير ألف) ذكر أبو جعفر أن في (الوتد) لغتين : (وَتِدٌ ووَتَـــدٌ) بالكســر والفتح ، وأضاف عن يعقوب في الإصلاح عن أبي عبيدة لغة ثالثة هي (وَدٌّ) ونسبها إلى أهل نجد [1] .

ـــــ وفي موضـــع آخر من الكتاب ينقل عن أبي عبيد في الغريب المصنف وعن اللحياني في نوادره أن في (هَرَقْت الماء) لغتين ، هما : هَرَقْت وأَهْرَقت ، بالألف وقال عن الأخيرة أنها لتغلب [2] .

وهو في نسبته لهذه اللغات إلى قبائلها إنما فعلَ ذلك للتأكيد على فصاحة اللغة الـــتي يحملـــونها علـــى أنها من لغات العامة ، فالشارح هنا ، أصل تلك اللغات وفصحها بنـــسبتها إلى هذه القبائل العربية الفصيحة .

٥ ـــ ومـــن توســـعه ـــ أيضاً ـــ عنايته باللغات التي تفرد بها بعض اللغويين :

أورد اللبلـــي في شرحه بعض اللُّغات غير المشهورة ، وقدْ صَرَّحَ بذلك في بعضِ الصفحات كقوله عن بعض أئمة اللُّغة : " ولم أرها لغيره " أو " ولم أر أحداً من النحويين حكاه " ، كما أشار في بعض المواضع إلى قلتها ، كقوله : " خَفَّفَ بعضُ العربِ ، فقالوا : ... " ، أو " يُقَالُ كذا " ، وقد تكرر مثل هذا في كتابه تحفة المجد ، ومن أمثلة ذلك :

---

(١) تحفة المجد : ٢٩٥ . وانظر الإصلاح : ١٠٠ . قلت قال سيبويه في الكتاب ٤٨٢/٤ : " وَدٌّ أصلها وَتِدٌ وهي الحجازية الجيدة ، ولكن بني تميم أسكنوا التاء كما قالوا في فَخِذٍ : فَخْذ فأدغموا .. "

(٢) تحفة المجد : ٢٤٤ . وانظر الغريب المصنف : ٧٠٧/٢ . والصحاح (هرق)

ـ ففي باب (فعلت بفتح العين) يذكر أن الكَزْبَ بالزاي لُغة في الكَسْبُ [١] .
قُلْتُ : وهي لُغةٌ غريبةٌ بإبدال السين زاياً في الكَسْبُ ، ولا أَقُوْلُ إنها قليلة ، بل هي نادرة .

ـ ونقل عن عبدالحق ما حكاه عن الرِّياشي أن (سِفْتُهُ) لغة في سَفِفْتُ الدواء [٢] .

ـ ونقل الشارح عن القزاز أيضاً أن بَرِيَ يَبْرَى بكسر الراء في الماضي دون همز لغة في بَرِئتُ وبَرَأت من المرض [٣] .

ـ وفي الباب نفسه يحكي أيضاً أن ثعلباً قال : وأَنْشَدْتُكَ ، بالألف ، ذكرها في أماليه ، ولم يرَها لغيره [٤] .

ـ وفي باب (فَعلت وفَعَلت باختلاف المعنى) يقول : وقَرِرْتُ به عَيْناً ، ثم يذكر أن بعض العرب خَفَّفَ ، فقالوا : قَرْتُ وقِرْتُ [٥] .

ـ وفي الباب نفسه ذكر فِعْلاً من مترادفات : بزغت الشمس وهو (برقت) بالقاف . وقد ورد هذا في حديث أنس " أتينا أهل خيبر حين برقت الشمس "[٦] وحكى قول الهروي هكذا الرواية ، يقال : برقت الشمس وبزغت [٧]. فاللغة المشهورة هي بزغت وصرح الشارح بإضافة لغة غريبة غير مشهورة .

---

(١) تحفة المجد : ١٣٢ . وانظر اللسان (كزب) .
(٢) تحفة المجد : ١٦٥ ، وانظر أفعال ابن القوطية : ٧٠ .
(٣) تحفة المجد : ١٧٥ -١٧٦ .
(٤) تحفة المجد : ٢٥٦ . وانظر المخصص : ١١٤/١٣ ، واللسان (نشد) .
(٥) تحفة المجد : ٣٦٨ .
(٦) صحيح مسلم ، باب : إعتاقه أمة ثم يتزوجها برقم (١٥٥) ، وفي غزوة خيبر برقم (١٣٦٥)
(٧) تحفة المجد : ٤١٦ ، وانظر الغريبين للهروي : ١٧١/١ .

ـ وفي باب (فعلت بفتح العين) نقل أبو جعفر عن المطرز في شرحه عن ثعلب مـا حكاه الأخير من أنه يقال : عَمِدْت بكسر الميم ، وينص الشارح أنه لم ير أحداً حكاه سواه (1) .

ـ وفي موضع آخر من الكتاب : ينقل الشارح عن ابن هشام اللخمي قوله ٢ : (غدِرَ) بكسر الدال ، ويذكر أنه لم يعرفه من غيره مع بحثه عنه ٣ .

ـــ وفي نفس الباب نقل من خط ابن هشام اللخمي عن ابن سراج أنه يقال : العَسْـلُ ، بالتسـكين ، وهي لغة في العسل ، ثم ينص على أنه لم ير أحداً من اللغويين حكاه مع بحثه عنه (4)

ـــ وفي (باب فعلت بغير ألف) يحكي عن كُرَاع في المجرَّدِ أنّه يُقَالُ : المَذْيُ ، بدال غير معجمة ، وهي لغة في (المني) ويصرِّح بأنّه لم يرها لأحد من اللغويين سواه (5) .

وقـد تكرر في ثنايا الكتاب عناية الشارح بذكر كثير من هذه اللغات والتي تفرد بها أصحابها (6) .

٦ ـ التَّوَسُّعُ عن طريْق الإبْدَال :

وممّا توسَّعَ فيه المغاربة ـ خاصة ـ الإبدال بين الحروف ، فيذكر أبو جعفر اللَّبليُّ في تحفته : في (هَرَقْتُ الماءَ) أنّ أصل هَرَقْتُ : أَرَقْتُ ، والعرب تبدل من

---

(١) تحفة المجد : ٨٣ .

(٢) انظر شرحه للفصيح : ٥٣ .

(٣) تحفة المجد : ٨٠ .

(٤) تحفة المجد : ٣٧٨ ، وانظر شرح ابن هشام ٧٦ .

(٥) تحفة المجد : ٢٣٣ . وانظر المجرد (مد)

(٦) انظر تحفة المجد : ٣٢ ، ٥٤ ، ٩٥ ، ٣٧٨ ، ٣٨٠ .

الهمـــزة هاءً ، ومن الهاء همزة للقرب الذي بينهما من حيث إنهما من أقصى الحلق ، فجاز أنْ يُبْدَلَ كُلٌّ واحد منهما من صاحبِه ، فمن إبدال الهاء من الهمزة قولهم : إياك وهياك ، وأنرت الثوب وهنرته [1] .

ومن هذا الضرب أيضاً :

ـــ إبدال السين صاداً : فقد نقل الشارح ما حكاه ابن سيده من أنه يقال : (سَـــخَنَ الماء وصَخَنَ ، بالسين والصاد) [2] . فالسين المهموسة تأثرت بصوت الخـــاء المفخـــم تأثـــراً رجعياً ، فأبدلت بصوت من مخرجها وهو الصاد ؛ لكي يتناسب في النطق مع الخاء .

ـــ إبدال السين زاياً : ذكر أبو جعفر : أن العَرَبَ تُبْدِلُ من السين زاياً في كثير من كلامها ، كما قالوا : لسبته العقرب ، ولزبته [3] ، فاللغة المشهورة (لسبته) وهـــناك من حكى اللغة الثانية [4] . حيث ذكر أبو جعفر أن السين عندما تجاور الـــباء المجهورة تتأثر بها تأثراً رجعياً فتبدل بصوت من مخرجها وهو الزاي المجهور يتناســـب مع الباء . وكذلك : الزراط ، وأصله السراط ، قلت : ذكر صاحب البحـــر المحيط أن كل حرف لغة لقبيلة بعينها [5] ، ومن هذا النوع ـــ أيضاً ـــ قولهم : فطس الرجل ، وفطز [6] .

---

(١) تحفة المجد : ٢٤١ ، ٢٤٢ . وانظر الابدال لابن السكيت : ٨٨ ، والخصائص ١/٣١٥ . والاقتضاب : ٢/٢٤١ .

(٢) تحفة المجد : ٤٠١ ، وانظر المحكم : ٥/٣٩ (سخن)

(٣) تحفة المجد : ١٣٢ .

(٤) انظر المجرد لكُراع (لــز ، لس) ، والمنتخب : ٢/٦٥٨ .

(٥) البحر المحيط : ٢/٤٥ .

(٦) تحفة المجد : ٩٢ . وانظر أفعال ابن القطاع : ٢/٤٧٢ ،

ـــــ ومــــن الأمثلة التي مرَّتْ بنا ــــ في المبحث السـابق ــــ كلُغات تَفَرَّد بِذِكْرِها اللبلي وعددناها ضِمْنَ اللُّغات القليلة ، نَذْكُرُ منها : (الكَرْبُ والكُسْبُ) [1] ، و (بَزَقَتْ الشمس وبَزَغَتْ) [2] . والأخيرة جاءت عن طريق إبدال الغين قافاً .

ـــــ ابدال الصاد زاياً : حكى أبو جعفر أن العرب تبدل من الصاد زاياً : كقولهم : (فَصَدْتُ الناقة وفَزَدْتُها) [3] . قلت : وعلى ذلك جاء قولهم : (لم يحرم من فُزِدَ له) [4].

ـــــ إبدال التاء زاياً : ومن ذلك أيضاً إبدالهم التاء زاياً : (فزد في فزت) . قال عنها ابن سيده هي لغةٌ تميمية [5] .

ــ إبدال النون جيماً : ينقل أبو جعفر عن بعض اللغويين أن العرب تبدل النون جيماً كقولهم : أَجَنَ الماء وأَجَمَ . حاكياً ذلك عن ابن التَّياني عن قطرب [6] .

٧ ــ التَّوَسّعُ عن طريْقِ التَّرَادُفِ :

يعد أبو جعفر من أكثر المتوسعين في هذا الباب ، فهو يعطي مترادفات كثيرة للأفعــال والأسماء ، يسوقها جميعاً كما فَعَلَ مع الفِعْلِ (غَثَتْ نَفْسي) [7] فيذكر : غَثَتْ نَفْسُه ، ولقِسَتْ ، وخَبُثَتْ ، وضَاقَتْ ، وتَبَعْثَرت ، وتَمَذَّرَت ، وتَرَمَّضَتْ ،

---

(١) انظر ص : ٤٤١ من هذا البحث .

(٢) انظر ص : ٤٤١ من هذا البحث .

(٣) تحفة المجد : ٢٩٣ . وانظر الكتاب : ١١٤/٤ .

(٤) انظر الكتاب : ١١٤/٤ ، ومجمع الأمثال للميداني : ١١٣/٣ .

(٥) المخصص : ٢٧٠/١٣ .

(٦) تحفة المجد : ١٢٤ ، والابدال لابن السكيت : ٧٨ .

(٧) تحفة المجد : ١٢٩ ، ١٣٠ .

وتَعَــرَّبت ، وتَمَقَّسَــتْ ، وحكى الشارح عن محمد ابن ابان أنه زاد : رانت ، وغانت ، وجاشت نفسه ، وينبه أبو جعفر أنها كلها بمعنى واحد .

وفي الفعــل (لَدَغَــتْهُ العقْربُ) (1) ، حكى : لَسَبَتْهُ ، وأَبْرَدَتْهُ ، وَوَكَعَتْهُ ، وكَوَتْهُ ، ولَسَعَتْهُ ، وشَحَطَتْهُ ، ويصرِّحُ بأنها جميعاً بمعنى واحد .

ولغِبَ الرَّجُلُ ، وأعْيا ، وتَعِبَ ، ونَفِهَ ، وبَدِدَ ، وينص الشارح أنها كل ذلك بمعنى تعب ، أي أن كل ذلك بمعنى واحد (2) .

ويــنقل أبو جعفر أيضاً عن أئمة اللغة أربعة وأربعين لفظاً كلها بمعنى : مات . نذكر منها قوله : هلَكَ ، وفَادَ ، وجنَّصَ ، ودَنَف ، وهَرْوَزَ ، وعَصَدَ ، وهَبَزَ ، وفَطَسَ ، وطَفَسَ ، وقَفَسَ .... (3) .

وفي موضــع آخــر يــنقل أبو جعفر عن بعض أئمة اللغة ، كأبي عبيد وابن السكيت أنه يقال : لقِمْتُ اللقمة ، وزرِدْتها ، وبلِعْتُها ، وصرِطْتها ، وسَلِجْتُها ، وينبه إلى أن كل هذه الألفاظ بمعنى واحد (4) .

ولم يقتصــر الشــارح في توسعه على معاني الأفعال فحسب ، بل كان من المتوســعين أيضاً في معاني الأسماء المترادفة ، فيذكر منها : الشمس ، وإلاَهة على وزن فِعالة ، وأُلاهة على وزن فُعالة ، والأليهةُ والضُّح ، والضَّحَاءُ ، والسَّراجُ ، والبيضاء ، وبُوح ، وبَرَاحِ على وزن قَطَامِ ، وبَرَاحُ بالرفع ، ومَهَاةُ ، والشَّرْقُ ، والشَّــرْقَةُ بتسكين الراء فيهما والشَّرَقَ بفتح الراء ، والشَّارِقُ ، والشَّرِيقُ ، وحَنَاذِ ،

(1) تحفة المجد : ٣٧٩ .

(2) تحفة المجد : ٦٢ .

(3) تحفة المجد : ٨٩-٩٠ ، وانظر نوادر أبي زيد : ٥١٤ ، والغريب المصنف : ٣٣١/١ ، والمنتخب : ١/ ٣٤٣-٣٤٥ ، والمخصص : ١١٩/٦-١٢٦ .

(4) تحفة المجد : ١٤٧ ، وانظر الغريب المصنف : ٢١٢/١ ، والإصلاح : ٢٠٨ .

والعَـيْنُ ، كلـها أسماء للشمس وهي بمعنى واحد ، وقد حكى ذلك عن بعض اللغويين .[1]

ومـن أسمـاء الـنار ــ أعاذنا الله وجميع إخواننا منها ــ النار ، والمأنوسة ، والويبصـة ، والوابصـة ، والسَّكَن ، وقد حكى الشارح هذه الأسماء كلها عن المطرز[2] .

٨ــ التَّوسُّـعُ عـن طريْق المُشْتَرِكِ اللَّفْظِي : وهذا الضرب على نوعين :

أ ــ التوسع الإيجابي :

وفي هذا النوع من التوسع نَجِدُ أبا جعفر اللَّبليُّ يُمَثِلُ نَهْجَ المغارِبَةِ أُسْوَةً بإخوانهم المشـارِقَةِ ، وفي نَهْجِ هؤلاءِ وهؤلاءِ إِثْراءٌ لِلُّغةِ وتَوَسُّعٌ مَحْمُودٌ في أساليبَ التَعْبِيْرِ ، تشْتَرِكُ فيه الألْفاظُ وتَتَعدَّدُ به المعاني ، فمن ذلك :

يذكر أبو جعفر أنَّ الشَّرْقَ يأتي بمعانٍ منها : الشرق : الشمس ، يُقَالُ : اقعد في الشَّـرق ، أي : اقعـد في الشَّمْسِ ، والشّرق : الضوء ، والشَّرق : خلاف الغرب ، والشرق : موقع الشمس في الشتاء[3] .

ويذكر أيضاً أن الشِّرْكَ يكون بمعنى الشّريك ، ويكون بمعنى النصيب ، ويكون مصدر شركت الرجل في ماله ، وكل شيء يكون لقوم فيه سهم فهو مشترك ؛

---

(١) تحفة المجد : ٤١٨ ، ٤١٩ . وانظر الاقتضاب : ٣٣٦/٢ -٣٣٧ ، والمخصص : ١٨/٩-٢٣ (صفة الشمس وأسمائها) .

(٢) تحفة المجد : ٦٨-٦٩ . وانظر الخصائص : ٢٣/٢ ، واللسان (أنس) .

(٣) تحفة المجد : ٤٢٠ ، وانظر المحكم : ١٠٢/٦ (شرق)

ولـذلك قالـوا : الطَّريق مشترك ، والحديث مشترك ، أي يشترك فيه من سمعه فيتساوون فيه .... [1]

وأوضح أبو جعفر أن (الحصور) يأتـي لمعان ، ذكر منها : الرجل الذي لا يأتي النسـاء ، فكأنـه حبس عما يكون من الرجال ، ويكون بمعنى : الشخص الذي لا يتيسر له اللفظ ، فيقال : قد حصر منطقه ، ويكون بمعنى : الكاتم للسر ، أي يحبس السر في نفسه [2] .

وفي موضع آخر يذكر أبو جعفر أن معنى (نحت) : نجر ، ونقل عن التدميري في شـرحه للفصيح أنه بمعنى : قشّر [3] . ونقل أيضاً عن صاحب الواعي أنه بمعنى : نكح ، يقال : نحت الرجل المرأة إذا جامعها ، ويكون أيضاً بمعنى (أنضى) يقال نحت السفر البعير إذا أنضاه [4] .

وبين أبو جعفر أيضاً أن (العَسَلَ) يأتي لمعانٍ منها : عسلت الطعام إذا جعلت فـيه عسـلاً ، والعسل أيضاً مصدر عسل الله العبد إذا حببه إلى الناس[5] . وفي الحديث " إذا أراد الله بعبد خيراً عسله " [6] .

---

(1) تحفة المجد : ٢١١ ، وانظر شرح الزمخشري : ٣٧٥ ، والمحكم : ٤٢٦/٦ ، واللسان (شرك) .

(2) تحفة المجد : ٤٦١ ، وانظر معاني القرآن للزجاج : ٤٠٧/١ ، والجمهرة : ١٣٤/٢ (حصر)

(3) شرح غريب الفصيح للتدميري : ٢٢ .

(4) تحفة المجد : ٩٩-١٠٠ ، وانظر افعال ابن القطاع ٢٤٤/٣ ، والمحكم : ٢٠٣/٣ ، واللسان (نحت)

(5) تحفة المجد : ٣٧٨ .

(6) أخـرجه الإمام أحمد ، في مسنده ، حديث رقم (١٧٣٣٠) ، ٥ /٢٢٥ ، ونصه : قال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : " إذا أراد الله عز وجل بعبدٍ خيراً عَسَلَه ، قيل : وما عسله ؟ قال : يفتح الله عز وجل له عملاً صالحاً قبل موته ثم يقبضه عليه " . وانظر : غريب الحديث لابن قتيبة ٩٠/١ .

وأبـــان الشـــارح أيضا أن العُرْجَةَ : الضَّلَع ، والعرجة أيضاً : موضع العَرَج من الرجل [1]

ويذكـــر الشـــارح في موضع آخر من الكتاب أن العطاس يقع على ما يصيب الإنسان ، ويقع على معنى الصبح أيضاً ، كما نص على ذلك بعض اللغويين [2]

ب ــ التوسع السلبي (الأضداد) :

ومـــن مظاهر توسُّع المغاربة ــ أيضاً ــ ما وجدناه في تحفة المجد لأبي جعفر اللبلي من الأضداد ، فمن ذلك :

يذكـــر أن الظَّـــنَّ بالظاء ، مصدر ظننت الشيء : إذا شككت وإذا تيقنت ، وينبه إلى أنه من الأضداد ، ناقلاً ذلك عن بعض أئمة اللغة [3] .

وفي موضـــع آخر من الكتاب ينقل الشارح عن بعض أهل العلم : إنَّ القُنُوعَ قـــد يكون بمعنى الرضا ، والقانع بمعنى الراضي ، وينص على أنهما من الأضداد . وحكى عن الجوهري جواز أن يكون السائل سُمِّي قانعاً ؛ لأنه يرضى بما يعطى قل أو كثر [4] .

ويـــنقل أبو جعفر أيضاً عن يعقوب في كتاب الأضداد من أن قسط : جار ، وقسط : عدل ، وأقسط بألف : عدل لا غير [5] .

---

(١) تحفة المجد : ٣٩٠ ، وانظر العين : ٢٢٣/١ ، والمحكم : ١٨٧/١ (عرج)

(٢) تحفة المجد : ٩٤ ، وانظر تصحيح الفصيح : ٤٩ ، والمحكم : ٢٨٨/١ (عطس) .

(٣) تحفة المجد : ١٨٦ ، وانظر أدب الكاتب : ١٨٠ ، والأضداد لابن الأنباري : ١٤ ، والمجرد لكُراع (ظن) .

(٤) تحفة المجد : ٣٧٢ .

(٥) نفسه : ٤٤٤ .

أيضاً ينقل الشارح ما حكاه كراع في المجرَّد وابن القطاع في أفعاله بأن قولهم : (نَشَدْتُ الضالة) بمعنى : طَلَبْتُها وعَرَّفْتُها وهو من الأضداد [1] .

ويختــتم هذا النوع بما قرره أبو جعفر من أن (التَّهْلُكَ) من الأضداد لأنه يقال في الضعف والقوة [2] .

٩ ـ التوسع عن طريق عنايته بذكر المثلثات اللغوية :

اهتم الشارح بذكر المثلثات اللغوية وقد اعتمد في هذا كثيراً على ما ذكره ابن السيد في مثلثه [3] . ومن امثلة ذلك :

ففــي كلامــه على قول ثعلب (ورَعَفْتُ أرْعُفُ) يصرِّح أبو جعفر أن في الماضي ثلاث لغات : رَعَفَ ، ورَعُفَ ، ورَعِفَ . حاكياً ذلك عن ابن السِّيد في مثلثه [4] .

وفي موضع آخر يذكر أن في (فسد) ثلاث لغات : فَسَدَ ، وفَسُدَ ، وفَسِدَ . حاكياً ذلك عن جمع من أئمة اللغة [5] .

ويذكــر أبــو جعفر ــ أيضاً ــ أن في مستقبل (نحت) ثلاث لغات : يَنْحِتُ ، ويَنْحَتُ ، ويَنْحُتُ [6] .

---

(١) تحفة المجد : ٤٤٨ ، وانظر المجرد لكُراع (نش) وأفعال ابن القطاع ٢/٢٢٥ .

(٢) تحفة المجد : ١٧١ .

(٣) انظــر الصــفحات : ٤٨ ، ٧٢ ، ١٣٣ ، ١٤٠ ، ٢٠٠ ، ٢١٤ ، ٢٧٣ ، ٣٥١ ، ٣٨٥ ، ٣٩٦ ، ٤٠٦ ، ٤٩٢ .

(٤) ٢/٣٠ .

(٥) تحفــة المجــد : ٢٣ ، وانظر الإصلاح : ١٨٩ ، وأدب الكتاب : ٣٢٥ . والمجرد لكُراع (فس) ، وأفعال ابن القطاع : ٢/٤٦٢ .

(٦) تحفة المجد : ٩٩،١٠٠ ، وانظر المحتسب : ٢/٥ ، والمنتخب لكُراع : ٢/٥٥٤ ، وبغية الآمال : ٧٣ ، والمثلث للبعلي : ١٦١ .

وفي موضع آخر من الكتاب يذكر أن في (سخن) ثلاث لغات في الماضي : سخن وهي لغة الفصيح ، وسَخُنَ ، وسَخِنَ [1] .

وينقل الشارح ما حكاه ابن سيده في المحكم أن في (الخفارة) ثلاث لغات : الخَفَارَةُ ، والخِفَارَةُ ، والخُفَارَةُ ، وهي جُعْلُ الخفير [2] .

---

(١) تحفة المجد : ٣٩٩-٤٠٠ ، وأدب الكاتب : ٣٢٥ ، وأفعال ابن القطاع : ١٤٩/٢ ، والمخصص : ٦٨/٩ ، ٦٢/١٥ .

(٢) تحفة المجد : ٤٤٥ ، والمحكم : ١٠٦/٥ (خفر) ، والمثلث للبعلي : ١٣٢ .

ونخلص مما سبق إلى بيان الآتي :

ــ ألف أبو جعفر اللبلي شرحه هذا في مدينة اشبيلية من بلاد الأندلس ، وقد رجح بعضُهم أن تأليفه كان قبل سنة ٦٤٧ هـــ .

ــ يعتبر هذا الشرح من أعظم وأعلى الشروح التي وصلت إلينا والممثلة لحركة التوسع اللغوي .

ــ كشف لنا الملف في هذا الكتاب عن الكثير من شروح الفصيح المفقودة ، وهو بهذا العمل قد كسى الفصيح ثروة لغوية كانت ضائعة .

ــ تضمن الكتاب نقولاً كثيرة عن مصادر لغوية عالية القيمة ، لا يزال بعضها مفقوداً .

ــ اعتنى الشارح بلغات العامة ووقف منها موقفين : موقف المصوب لها عند موافقتها للغة من لغة العرب ، وموقف المنكر لها عند مخالفتها ذلك .

ــ وقف من صاحب الفصيح ثلاثة مواقف : موقف المتابعة والموافقة لثعلب ، وموقف المنتصر له حيث كان موافقاً له في أغلب ما جاء في الفصيح ، وثالثهما موقف المستدرك عليه ، وقد كان مهذباً في موقفه هذا ، فامتاز بلين الجانب والبحث عن الأعذار لصاحب الفصيح .

ــ كان من أعظم المتوسعين في شرحه هذا ، وقد تجلى مذهبه في التوسع اللغوي في الآتي :

ــ التوسع عن طريق إضافة لغة إلى ما ذكره صاحب الفصيح ، أو لغتين أو ثلاثاً أو أكثر لم نجد لهن ذكراً عند ثعلب .

ــ ومن توسعه أيضاً عنايته بكثير من لغات القبائل ونسبتها إلى أصحابها .

ــ ومن توسعه عنايته أيضاً باللغات التي تفرد بها بعض اللغويين

ــ اهتم أيضاً بتعقبه لبعض اللغويين ، وتصويبه لبعض لغات العامة .

ـــ ومن توسعه أيضاً : التوسع عن طريق الإبدال ، التوسع عن طريق الترادف ، التوسع عن طريق المشترك اللفظي بنوعيه .

مُوازَنَةٌ
بين الشُّروح المشرقية والشُّروح المغربية
في حركة التَّوسُّع اللُّغوي

وبعد أن تحدثنا عن مظاهر التَّوسُّع في هذه الشروح الثلاثة ، نتبعها بعقد موازنة بينها ، وهي: إسْفَارُ الفصيح ، لأبي سَهْلٍ الهروي ، وشَرْحُ الفصيح ، للزمخشري ، وهذان الشرحان يمثلان الشُّرُوح المشرقية . أمَّا الشَّرْحُ الذي يُمثل الشُّرُوح المغربية في هذه الموازنة ، فهو : تحفة المجد الصريح في شرح كتاب الفصيح ، لأبي جعفر اللَّبلي .

وأشير إلى أنني بدأتها بالباب الأول : (باب : فعلت ، بفتح العين) ، وختمتها بالباب السادس : (باب : فعلت وأفعلت باختلاف المعنى) ، والسبب في اقتصاري على هذه الأبواب الستة ؛ أن تحفة المجد الصريح — والذي يمثله السِّفر الأول — ينتهي عند الباب السادس من أبواب الفصيح — كما أشرنا سابقاً — . ولكي تكون الموازنة شاملة لمواد هذه الشروح الثلاثة ، كان لا بد أن تكون المقارنة محصورة في هذه الأبواب الستة .

وأُنَبِّه أيضاً إلى بعض المصطلحات التي اعتمدتها في إيضاح نتائج هذه الموازنات ، فإذا قُلْتُ : (الشُّرَّاح) فإنني أقصد بهم هؤلاء الثلاثة — فقط — (الهروي ، والزمخشري ، واللَّبلي) ، وكلما وردت كلمة : (الشَّارِحَين ، أو الشَّارِحَان) فالمراد بهما اثنان من الثلاثة ، والسياق يُحَدِّدُهما .

الشرح	باب : فَعَلْتُ ، بفتح العين (نَمَى يَنْمِي)
شرح الهروي (الإسفار)	يُقَالُ: (نَمَىَ المالُ وغَيْرُهُ يَنْمِي) نَمَاءً ونُمياً، إذا كثر وزاد لتناسله، فهو نامٍ، على مثال مَضَى يَمْضِي مَضَاءً ومُضياً، فهو ماضٍ. والمال عند العرب هو: الإبل والغنم، وغير ذلك مما يتناسل، ويسمون النخل والذهب والفضة، وغير ذلك مما يقتنى ويكتسب مالاً أيضاً . ونَمَاءُ الشيء بالمد: زيادته وكثرته على ما عُرِفَ من حاله ومقداره .ومنه قول الراجز : يا حُبَّ لَيْلَى لا تَغَيَّر وازْدَدِ وانْمِ كَمَا يَنْمِي الخِضَابُ في الْيَدِ (ص : ١٣)
شرح الزمخشري	تَقُولُ: (نَمَىَ المالُ يَنْمِي) بالياء اختيار نَقَلَة اللُّغة كالفرَّاء والكسائي ، وأبي عبيدة ، وأبي زيد ، وقال الكسائي : ما سمعت من أحد من العرب يقول: (يَنْمُو بالواو إلا أخوين من بني سليم ، ثم سألت عنه بني سليم فأنكروا ذلك) ، وقال الخليل رحمه الله يَنْمُو بالواو أفصح واعتبروا المصدر منه، لأنه بالواو. قال: نَمَا يَنْمُو نُمُواً مثل نَبَا يَنْبُو نُبواً وسَمَا يَسْمُو سُمُواً، وأمَّا النَّمَاءُ فلا يدل على أحد الوجهين؛ لأن فعالاً تجيء من ذوات الياء والواو جميعاً ، كقولهم : قضى يقضي قضاء، وجفا يجفو جفاء ، فأما الخضاب فلا يقال إلا بالياء ، أنشد الفرَّاء : **يـــا حُبَّ لَيْلَى لا تَغَيـــَّر وازْدَدِ وانْمِ كَمَا يَنْمِي الخِضَابُ في الْيَدِ** ويقال : في النسبة نَمَوِيَّةٌ إلى أبيه ونَمَيِّيَّةٌ، ويُقَالُ : انْمَيْتُهُ أيضاً، ونَمَيْتُ أنا بمعنى انْتَمَيْتُ، قال الشَّاعِرُ: **أنا ابْنُ مَحْكَانَ أخْوَالِي بَنُو مَطَرٍ أَنْمِي إِلَيْهِمَ وكَانُوا مَعْشَراً نُجُبَا** (ص : ١١)

شرح اللبلي (تحفة المجد الصريح)	قولُه : (تقول نَمَىَ المال)قال أبو جعفر: أي زاد وكثر، قاله غير واحد.وفي نَمَى لغة ثانية يقال: نَمُوَ، على وزن ظَرُفَ، حكاها صاحب الواعي ومن خطّه، وحكاها أيضاً أبو القاسم السعدي في أفعاله. وفي مضارع نَمَى بفتح العين لغتان: يَنْمِي على وزن يَرْمِي ، كما ذكره ثعلب، ويَنْمُو على وزن يَدْعُو، قال الشَّاعِرُ في يَنْمِي : والشَّيءُ تَحْقِرُهُ وقَدْ يَنْمِي. وقال الشَّاعِرُ في يَنْمِي أيضاً : **ما زالَ يَنْمِي جده صاعداً منذ لدن فارقــــــه الحال** وأنشد اللحياني في نوادره عن الكسائي في يَنْمُو : **يا حُبَّ لَيْلَى لا تَغَيَّر وازْدَدِ وانْمُ كَمَا يَنْمو الخِضَابُ في الْيَدِ** وأخذ ابن هشام اللخمي على ثعلب في كونه ذكر يَنْمِي فقط ولم يذكر معها يَنْمُو ، قال : وهما لغتان فصيحتان ، فكان حقه أن يذكرهما.قال أبو جعفر: ما قاله ابن هشام من أنهما لغتان فصيحتان غلط، وإنما اللُّغة الفصيحةُ يَنْمِي فقط ، وهي التي ذكرها ثعلب بدليل ما نقله الأئمة الثقات الأثبات.قال الجوهري في كتابه الصحاح: نَمَى المال وغيره، يَنْمِي، وربما قالوا: يَنْمُو، قال الكسائي: ولم أسمعه بالواو إلا من أخوين من بني سليم، ثم سألت عنه بني سليم فلم يعرفوه بالواو.قال أبو جعفر: وحكى هذا أيضاً أبو عبيد في المصنف عن الكسائي، وصاحب الواعي أيضاً عن الكسائي.فإذا كان الكسائي على مرتبته من حفظ كلام العرب، وإمامته، لم يسمعها إلا من رجلين من العرب فهذا أدل دليل على قلتها، فكيف تكون كـــ (يَنْمِي) . وقال صاحب الواعي، ومن خطّه: نَمَى الشيء يَنْمِي ، ويَنْمُو ، والأفصح: يَنْمِي.وقال أبو علي القالي في مقصوره وممدوده: يُقَالُ: نَمَى المالُ يَنْمِي ، ويَنْمُو ، والأفصح يَنْمِي . وقال ابن دُرُسْتَويه في تصحيحه: يَنْمُو لغة لبعض العرب وليست بخطأ ،

ولكن ينمي أعلى وأعرف.وقال أبو حاتم في كتابه تقويم المفسد يُقَالُ: نَمَى الشيء يَنْمِي، ولا يُقَالُ: يَنْمُو، وحَكَى أبو حاتم أيضاً عن الأصمعي أنه قال: العامَّةُ يقولون: يَنْمُو بالواو، ولا أعرف ذلك بثبت.وقال الزمخشريُّ في شرحه لهذا الكتاب: (يَنْمِي بالياء) ، اختيار نَقَلَة أهْل اللُّغة كالفرَّاء، والكسائي، وأبي عبيدة، وأبي زيد . وكذا قال ابن الدهان اللُّغوي في شرحه لهذا الكتاب : (يَنْمِي بالياء) اختيار نَقَلَة أهْل اللُّغة. قال أبو جعفر : فخرج من هذا الذي نقلناه عن الأئمة أن (يَنْمِي) أفصح من (يَنْمُو) فلذلك لم يذكرها ثعلب ، وأنَّ أخذ ابن هشام ، ومن كان على مذهبه ليس بشيءٍ . (ص : ١١)	

الموازنة :

أولاً : أبو سهل الهروي في إسفاره :

ــ بدأ بتفسيره للمعنى .

ــ وقف عند اللُّغة الأفصح (نَمَى ــ يَنْمِي) ، وهو اختيار صاحب الفصيح .

ــ نظر الشَّارِح على ما ذكره من بناء هذه المادة ، وقد تَفَرَّدَ بهذا التنظير عن الزمخشري واللَّبلي .

ــ شرح معنى الكلمة وذكر من مشتقاتها مصدرين ، واسم فاعلٍ ونظر لها .

ــ استطراده في شرح : معنى المال ، وهذا لا نجده عند الشَّارِحَين الآخرين .

ــ استشهد على فصاحة (نَمَى ــ يَنْمِي) ببيت من الرجز ، وقد وافقه فيه كل من الشَّارِحَين .

ثانياً : الزمخشري في شرحه :

ـــ أغفل تفسير المعنى .

ـــ نقل عن أئمة اللغة فصاحة وعلو (نمى ـــ ينمي) .

ـــ موافقته لأبي سهل الهروي في التزامه بنصِّ الفصيح ، إلا أنه لم يُفَسِّرْ المعنى اللُّغوي للمادة ـــ اهتم بذكر اللُّغات في الكلمة ؛ فذكر أيضاً : لُغة لبعض بني سليم (نَمَا ـــ يَنْمُو) .

ـــ نقل رأي الخليل في الانتصار لِلُغة بني سليم وفصاحتها ، قال : لأن المصدر وهو النمو يأتي منها .

ـــ اهتم بذكر مشتقات الكلمة : (نما ، ينمو ، انم ، نمواً ، والنماء) . والتنظير لها .

ـــ زاد معنى آخر وهو (النماء) بمعنى النسب (نميته ، ونموته واوية يائية) .

ثالثاً : اللبلي في تحفته :

ـــ ذكر المعنى ثم زاد في (نما) الماضي لغة أخرى عن صاحب الواعي ، وهي (نَمُوَ)

ـــ ذكر مآخذ ابن هشام اللخمي على ثعلب في كونه ذكر (يمني) فقط ولم يذكر معها (ينمو) وأنهما لغتان فصيحتان ثم رد عليه ابن هشام بأن ذلك غلط وأن اللغة الفصيحة (ينمي) فقط واستدل على ذلك بما نقله عن أئمة اللغة الثقات كالكسائي والجوهري وأن الكسائية لم يسمعها إلا من أخوين من بني سليم وأن بني سليم أنكروها .

ـــ اهتم بنقل أقوال أئمة اللُّغة الذين سبقوه ، أسند فصاحة (ينمي) إلى كبار أئمة اللغة الذين سبقوه أمثال : الكسائي ، والفرَّاء وأبي حاتم ، وأبي

عبيدة ، وابن دُرُستَويهِ ، والقالي ، وغيرهم . وخلص إلى عدم فصاحة نَمَا يَنْمُو .

ــ اطالته في شرح وبيان بعض المفردات .

ــ انتصر لثعلب لإفراده (يَنْمِي) دون غيرها ، وغَلَّطَ من خالفه ، وهذا مما تميز به عن الشَّارِحَين السابقين .

ــ اهتم بالنقل عن بعض شراح الفصيح ، كابن درستويه ، والزمخشري ، واللَّخمي ، وغيرهم ، وهذا ما لا نجده عند الشَّارِحَين السابقين .

نتيجة الموازنة :

ــ اتفق أبو سهل الهروي مع أبي جعفر اللبلي في تفسيرهما للمعنى ، بينما أغفل الزمخشري ذلك ، كما استطرد الأول في شرحه لمعنى المال ، وهذا لا نجده عند الشارحين الآخرين .

ــ اقتصر أبو سهل على اللغة الفصيحة ، اختيار ثعلب ، وأضاف الزمخشري لغة ثانية ، ناسباً إياها لبعض بني سليم ، إلا أن أبا جعفر رفضها .

ــ اتفق الشراح على علو وفصاحة (ينمي) واستشهدوا على ذلك بالشعر .

ــ أضاف الزمخشري لغة ثالثة في الماضي (أنميته) ، وقد انفرد في هذا عن الشارحين الآخرين ، كما انفرد أيضاً بزيادة معنى آخر وهو : (النَّما) بمعنى النسب ، كقوله : (نميته ونموته) .

ــ انفرد الزمخشري بنقله فصاحة (ينمو) عن الخليل ، وأنها أفصح من (ينمي) مخالفاً بذلك لأقوال أئمة أهل اللغة .

ــ اتفق الثلاثة على ذكر بعض مشتقات الفعل .

ــ زاد أبو جعفر أنَّ في الماضي لغة أخرى وهي (نَمُوَ) ، عن صاحب الواعي ، وقد انفرد بهذا عن الشارحين الآخرين .

ـــ كما تفرد أبو جعفر عن الشارحين الآخرين أيضاً بدحضه لما ذهب إليه ابن هشام اللخمي من تفصيحه لـ (ينمو) ، وغلطه في ذلك ، مفرداً فصاحة (ينمي) فقط . وانتصاره لثعلب في هذه المسألة .

ـــ اهتم أبو جعفر بنقله لأقوال أئمة اللغة الذين سبقوه حول فصاحة (ينمي) ، وهذا ما لا نجده عند الشارحين الآخرين .

ـــ كما نقل عن بعض شرّاح الفصيح الذين سبقوه ، وهذا ما لا نجده عند الشارحين السابقين .

أمثلة الموازنة : ٢

الشرح	(ذَوَى يَذْوِي)
شرح الهروي (الإسفار)	(وذَوَى العُودُ) الرطب (يَذْوِي) بالكسر، ذَيًا وذُوِيًا أيضاً، مثل (مُضياً) ، فَهُوَ ذَاوٍ، وفي كثير من نسخ الكتاب: (أي جَفَّ) وهو غلط وإنما هو مثل ذَبَلَ سواء في الوزن والمعنى ، وذلك إذا ابتدأ في الجفاف فلان واسترخى لقلة رُطوبته ، ولم يتناه في اليبس، والمستقبل من ذَبَلَ يَذْبُلُ بالضم، ومصدره ذَبْلٌ وذُبولٌ، واسم الفاعل ذَابِلٌ. وقال الشَّاعرُ في ذَوَى: رأيتُ الفَتى كالغُصْنِ يَهْتَزُّ نَاعِماً تَرَاهُ عَمِيْماً ثم يُصْبِحُ قَدْ ذَوَى (ص : ١٣)
شرح الزمخشري	قولُه: (ذَوَى العودُ يَذْوِي) : إذا ذبل وذهبت نُدوتُه، ويُقَالُ ذَوِي يَذْوَى بمعناه والمصدر من الأول الذَّي والذُّوِيُّ ؛ وفيه لُغة ثالثة ذَأَي بالهمز يَذْأَى ذَأْواً، وهي لغة بيشة ، قال ذو الرُّمة : أَقَامَتْ بِهِ حَتَّى ذَأَى العُودُ في الثَّرى والفاعل لجميع اللُّغات ذاوٍ ، وفي الخبر: (كان عمر رضي الله عنه يستاك بعود ذاوٍ وهو صائم) . (ص : ١٣)
شرح اللبلي (تحفة المجد الصريح)	وقولُه: (وذَوَى العُودُ يَذْوِي) قال أبو جعفر: أي ذَبُلَ ، حكاه كراع في مُنظِّمه ، وغيرُه . قال ابن هشام ومن خطِّه: ولا يُقَالُ جَفَّ.قال أبو جعفر : وثبت في بعض النسخ (أي: جَفَّ).ومعنى جَفَّ: يَبِسَ، وسيأتي تفسيره إن شاء الله تعالى.فقال أبو العباس التدميري في شرحه لهذا الكتاب: ليس ذلك بشيء ، ولا تصح هذه الرواية عن ثعلب؛ لأن الذَّاوي ليس الجاف على الإطلاق ، قال: وقد فسر ذلك ذو الرُّمة فقال

وأبْصَرْنَ أنّ القِنْعَ صَارَتْ نِطَافُه فراشاً وأنّ البَقْلَ ذَاوٍ ويَابِسُ

قال: فانظر كيف قسّم البقل هاهنا على ضربين: فجعل منه يابساً، وذَاوِياً، فاليابس معروف، والذّاوِي الذي ذَبُلَ وقلّتْ رُطُوبته . قال أبو جعفر: وهذا الذي قال التدميري وابن هشام من أنه لا يُقَالُ ذَوَى بمعنى يَبِسَ فاسد، بدليل ما حكاه أئمة اللُّغة، قال يعقوب في الإصلاح:ذَوَىالعُودُ يَذْوِي ذُوِيّاً، وذَأَى يَذْأَى ذَأْواً :يبس.وقال ابن فارس في كتابه المجمل: ذَوَى العُودُ يَذْوِي: إذا يَبِس.وقال أبو علي القالي في كتابه المقصور والممدود: والذّوَى مصدر ذَوَى العُودُ يَذْوِي ذَوَى : يَبِسَ .وأما البيت الذي استدل به التدميري فليس فيه دليل لاحتمال أن يكون من عطف الشيء على نفسه إذا اختلف اللفظان، قال عنترة بن شداد :

أقْوَى وأقْفَرَ بعد أُمّ الهَيْثَمِ

والإقْوَاءُ والإقْفَارُ سواء .

وقال آخر :

فَقَدَّمَتْ الأَدِيمَ لِرَاهِشَيهِ وألْفَى قَوْلَهَا كذباً ومَيناً

والكذب والمين سواء .

وقال آخر :

قد رَابَنِي مِنْكِ يا أسماءُ إعراضٌ فدام منكم لنا مَقْتٌ وإبْغاضٌ

والمقْتُ والإبْغَاضُ واحد .

وقال آخر :

ألا حَبّذا هِنْدٌ وأَرْضٌ بِهَا هِنْدٌ وهندٌ أتى من دُونِهَا النَّأْيُ والبُعْدُ

والنّأْيُ هو : البُعْدُ ، إلى غير ذلك من الأبيات ، وهي كثيرة جداً ، فخرج من هذا أن ما ذكره ابن هشام والتدميري من أن ذَوَى لا تكون بمعنى يبس خطأ.وينبغي أن تعلم أن ذَبُلَ يُقال بمعنيين : فأحد المعنيين هو الذي دَقّ بعد أنْ كان رَيّان، عن الزبيدي في مختصره .

ويُقال: بمعنى يَبِسَ، حكاه ابن التياني في مختصر الجمهرة فقال يُقال: ذَبُلَ العُودُ وغيره ذبلاً، وذبولاً: يبس، فعلى هذا مَنْ فَسَّر ذَوَى بِذَبُلَ كما فسَّره كراع في المنتظم وغيرُه فقد أساء؛ لأنه فسره بلفظ مشترك، فلم يبين معناه، ومن فسَّر ذَوَى بأحد المعنيين اللذين ذكرناهما فقد أصاب .

وقد فسَّره الأصمعيُّ على ما حكاه عنه أبو حاتم في لحنه بتفسير لا شيء أجلَى منه، فقال يُقال: ذَوَى العُودُ: إذا ذَبُلَ و لم يبلغ الجفوف وفيه ندى باق، فهذا التفسير في نهاية من الوضوح والبيان.

قال ابن هشام: ذَأَى يَذْأَى لُغةٌ فَصِيْحَةٌ كَذَوَى و لم يخبر بها ثعلب .

قال أبو جعفر: وهذا الذي قاله ابن هشام من أن ذَأَى فصيحة كَذَوَى المفتوحة العين خطأ، والذي يدل على فساد ما قاله أن أئمة اللُّغة حكوا بخلاف قوله، قال يونس في نوادره يقول ناس من العرب: قد ذَأَى العشب يَذْأَى، فيهمزون، وبعضهم ذَوَى يَذْوِي وهو الكثير.

وقال ابن فارس في كتابه المجمل: ذَوَى العُودُ يَذْوِي، وبعضهم يقول: ذَأَى يَذْأَى، والأولى أجود.وقال القالي في المقصور والممدود: أجود اللُّغات ذَوَى بفتح العين، ثم ذَأَى، ثم ذَوِيَ بكسر العين .

وقال ابن دريد في الجمهرة: ويقول قوم من العرب: ذَأَى العُودُ، وليس باللُّغة العالية . وقال ابن سيده في المخصص في باب يبس العشب: يُقال ذَوَى البقلُ يَذْوِي ذَوْيًا، وذَأَى يَذْأَى ذَأْيًا، وذَوِي يَذْوَى، والفصحى عند الجميع هي الأولى من هذه اللُّغات يعني ذَوَى بالفتح .وقال مكي في شرحه: ذَوَى بفتح العين أفصح من ذَوِي بالكسر، ومن ذَأَى.

قال أبو جعفر: فتبين بما ذكرناه أن أخذ ابن هشام على ثعلب في

كونه لم يَذْكرْ ذَأَى كما ذكر ذَوَى، ليس بشيء ؛ لأن ذَوَى بفتح العين فصيحة كما قدمناه، وذَأَى ليست فصيحة مثلها، فلذلك لم يذكرها.قال أبو جعفر: قد قدمنا أن في الماضي ثلاث لغات: ذَوَى بالفتح ، وذَأَى بالهمز، وذَوِي بالكسر ، وحكى هذه اللغات ابن القطاع في أفعاله ، وزاد : (ذَئِيَ) قال أبو جعفر: ويُقال في المستقبل من ذَوَى بالفتح: يَذْوِي بالكسر، وفي مستقبل ذَأَى بالهمز: يَذْأَى بالفتح، وفي مستقبل ذَوِي بالكسر: يَذْوَى بالفتح .

قال أبو جعفر: ويُقال في الصفة من ذوى بالفتح : ذاوٍ ومن ذَوِيَ بالكسر ذَوٍ ، ومن ذأى بالهمز ذاء ، قال ابن سيدة في المخصص : وذَئِيٌّ ، وقال أبو جعفر ويقال في المصدر من المفتوح ذَيٌّ وذُوِيٌّ ، وفي المكسور: ذَوًى عن مكي ، وعن ابن القطّاع ، وفي المهموز: ذَأْيٌ، وذَأْوٌ عن ابن سيده في المخصص وعن ابن القطاع، وذُئِيٌّ عن ابن الأعرابي في نوادره .

(ص : ١٩)

الموازنة :

أولاً : الهروي :

ـــ ذكر مصدرين للفعل (ذَوَى) ونظر لهما .

ـــ ثم ذكر المستقبل والمصدر واسم الفاعل ، واستشهد ببيت من الشعر على المعنى الصحيح لذوى (ذَبُلَ) .

ـــ وقف عند اللغة الفصيحة لاختيار ثعلب .

ـــ استشهد على ما ذهب إليه من فصاحة (ذوى) بالشاهد الشعري المذكور

ـــ غلّط ما جاء في بعض نسخ الفصيح من أن معنى ذَوَى :جَفَّ، وذكر أن المرادف لها هو ذَبُلَ.

ثانياً : الزمخشري :

ـــ ذكر المعنى اللُّغوي لهذه المادة ، متفقاً مع الشَّارِحَين في ذلك .

ـــ توسَّع في ذكر اللُّغات الواردة في الكلمة ، فذكر ثلاث لغات ، ونسب اللغة الثانية إلى أهلها ، واستشهد عليها بيت من الشعر .

ـــ ذكر مصدرين لذوى متفقاً مع الشارح السابق .

ـــ ذكر اسم الفاعل من جميع اللغات ، واستشهد عليه بالأثر

ثالثاً : الليلي :

ـــ بدأ بتفسير المعنى ، ثم نقل قول ابن هشام في بعض النسخ (جف) وسيأتي .

ـــ اعترض على التدميري في تفسيره لقول ذو الرمة : (ذاوٍ ويابسٍ) ودحضه وأبان بأن ذلك من عطف الشيء على نفسه ، واستشهد بثلاث من الشعر .

ـــ كما اعترض أيضاً على التدميري وابن هشام فيما ذهبوا إليه من أن (ذوى) لا تكون بمعنى يبس ، وخطأهما في ذلك ، واستدل على صواب مذهبه بأقوال أئمة اللغة .

ـــ ذكر التفسير الصحيح عن الأصمعي ونوه به .

ـــ إنبرى للرد على ابن هشام في كون (ذأى يذأى) لغة فصيحة كذوى وأن تعلباً لم يذكرها ، فاستطرد في النقول عن اللغويين موضحاً أن (ذوى) هي اللغة الأفصح ، وأن (ذأى) أقل منها فصاحة .

ـــ ذكر لغات الماضي مرتبة حسب فصاحتها وزاد عن ابن القطاع لغة رابعة (ذَئِيَ) ، وذكر المضارع من كل لغة فيها ، ثم ذكر المصادر المختلفة من الأفعال الأربعة .

ـــ ذكر الصفات من الأفعال الثلاثة الأولى .

نتيجة الموازنة :

ـــ غلّط أبو سهل من ذهب إلى أن (ذَوَىَ) بمعنى جَفَّ ، وإنما الصواب عنده : ذَبُلَ .

ـــ اتفق الشراح الثلاثة على تفسيرهما للمعنى اللغوي للفعل .

ـــ وافق الزمخشري أبا سهل في ذكرهما مصدرين للفعل (ذوى) ، والتنظير لهما .

ـــ وقف أبو سهل عند اللغة الفصيحة اختيار ثعلب ، واستشهد عليها ببيت من الشعر ، بينما أضاف الزمخشري لغة ثانية ، ناسباً إياها إلى أهلها ، ومستشهداً عليها ببيت من الشعر أيضاً .

ـــ ذكر الزمخشري أسم الفاعل من جميع اللغات ، واستشهد عليه بالحديث ، وهذا ما لا نجده عند الشارحين الآخرين .

ـــ حكى أبو جعفر أربع لغات في الماضي ، ناقلاً ذلك عن أئمة اللغة الثقات ، وقد انفرد بهذا عن الشارحين الآخرين ، ولا غرابة في ذلك فالرجل من أئمة التوسع اللغوي .

ـــ تفرد أبو جعفر أيضاً في الرد على ابن هشام اللخمي فيما ذهب إليه من أن (ذأى يذأ) لغة فصيحة كَذَوى وأنّ ثعلباً أهملها ، وخلص إلى أن (ذَوَىَ) هي العالية الفصيحة ، والثانية أقل منها فصاحة ، وهذا التفصيل لا نجده عند الشارحين الآخرين .

ـــ ذكر أبو جعفر الصفات من الأفعال الثلاثة الأولى وقد انفرد بهذا عن الشارحين الآخرين .

أمثلة الموازنة : ٣

الشرح	باب : فَعِلتُ بكسر العين (قَضِمَتِ الدَّابَّةُ شَعِيرَهَا)
شرح الهروي (الإسفار)	يُقال: (قَضِمَتِ الدَّابَّةُ شَعِيرَها) ، وما أشبهه في اليُبْسِ ، تَقْضَمُ قَضْماً بكسر الضاد في الماضي ، وفتحها في المستقبل ، وسكونها في المصدر: إذا أكلته فإن أكلت الرَّطْبَةَ قِيْلَ: خَضِمَتْ تَخْضَمُ خَضْماً بالخاء. وهي قَاضِمَةٌ وخَاضِمَةٌ ، والمفعول مَقْضُوم ومَخْضُوم. ص : ٣٢
شرح الزمخشري	تقولُ: (قَضِمَتِ الدَّابَّةُ شَعِيرَها تَقْضَمُ) قَضْماً والقَضْمُ : أكْلُ شيء يابس بأطراف الأسنان والخضم أكل شيء رطب بجميع الفم، ومنه قَوْلُ أبي ذَرٍّ: (تَرْعَى الخطائطَ وتَرِدُ المطائطَ وتأكلون خَضْماً ونَأكُلُ قَضْماً والموعد الله). قال الشَّاعِرُ : تَبَلَّغْ بِأَخْلاقِ الثِّيابِ جَدِيْـدَهَا وَبِالْقَضْمِ حَتَّى تُدْرِكَ الخَضْمَ بالْقَضْمِ والقَضِيمُ : اسم لِمَا يُقْضَمُ فَعِيلٌ بمعنى مَفْعُول والطَّحِينُ والعَجِينُ والعَصِيرُ. والقَضِيْمُ أيضاً: صحيفة بيضاء وجمعه قَضَمٌ كما تقول: أديمٌ وأَدَمٌ وأَفِيْقٌ وأَفَقٌ وإهَابٌ وأَهَبٌ وسَدِيفٌ وسَدَفٌ. والقَضِيمُ أيضاً: حَصِيرٌ صغير لطيف النسج ومنه قول الشاعر : عَلَيْهِ قَضِيْمٌ نَمَّقَتْهُ الصَّوَانِعُ وأما القَضِيْمَةُ بالهاء فالنَّطَعُ ومنه قول الشاعر: كالقَضِيْمَةِ قَرْهَبِ والقَرْهَبُ: الثور المسن ويُقال ما عنده قَضَامٌ أي: شيء يؤكل كما

يُقال: طعام ، ولا يُقال من الخَضْمِ خَضَامٌ فاعلم . ص : ٤١	
قولُه: (قَضِمَتِ الدَّابَّةُ شعيرَها تَقْضَمُهُ) . قال أبو جعفر: قال صاحب الواعي معناه: أكلته، وكذا ما أشبه الشعير في اليُبْسِ. قال: وأصل القَضْم: الدّقُّ، وفي الحديث: (فأعطانيه ــ يعني: السِّواك ــ فَقَضِمْتُهُ)(١) أي: كسرته، قال: والكسر لا يكون إلا في الأشياء الصلبة، قال: ومعنى خَضِمَت:أكلت الرُّطَبَ. قال أبو جعفر: ما ذكره عبدالحق من الفرق بين القَضْم والخَضْم، واختصاص القَضْم بأكل اليابس، والخَضْم بأكل الرطب، قد قاله غير واحد. قال محمد بن أبان في كتابه العالَم، وابن سيده في كُتُبِه، وابن جنِّي، وابن دُرُسْتُويهِ، وغيرهم: القَضْمُ لليابس، والخَضْمُ للرُّطْب.وحَكَى أيضاً محمد بن أبان، وابن سيده، وكراع في المنظَّم: أنَّ القَضْمَ الأكل بأطراف الأسنان، والخَضْمَ بالفم كله. قال أبو جعفر: وهذا راجع إلى القول الأول في المعنى؛ لأن الإنسان ما يأكل بأطراف أسنانه إلا الأشياء الصلبة، ويأكل بجميع فمه الأشياء اللينة، فكأنه في المعنى آيل إلى أنَّ القَضْمَ أكل اليابس ، والخَضْم أكل الرطب. وكذا قال مكي في شرحه، قال: إذا كان القَضْمُ أكل الشيء بأطراف الأسنان فكأنه أكل الشيء القليل، والخَضْمُ أكل الشيء بالفم كله فكأنه أكل الشيء الكثير، وأنشد : تَبَلَّغْ بِأخْلاقِ الثِّيَابِ جَدِيْدَهَا وبِالْقَضْمِ حَتَّى تُدْرِكَ الخَضْمِ بِالْقَضْمِ قال أبو جعفر: وحَكَى صَاحِبُ الواعي عن الكسائي : أنَّ الخَضْمَ للإنْسَانِ بمنزلة القَضْمِ للدَّابَةِ.وجاء ابن جني في الخصائص وأبدى برعمه حكمة في استعمالهم القضم لليابس والخضم للرطب ، وقال	شرح اللبلي (تحفة المجد الصريح)

(١) صحيح البخاري باب : مرض النبي صلى الله عليه وسلم برقم (٤١٧٤) ورقم (٤١٨٥)

: اختاروا الخاء لرخاوتها للرطب، والقاف لصلابتها لليابس، وذكر أشياء من هذا النحو مما حاكت فيه المعاني بالألفاظ.فقال أبو محمد بن السِّيد : لَعَمْرِي إنّ العربَ رُبَّما حاكت المعنى باللفظ الذي هو عبارة عنه في بعض المواضع، ويوجد تارة ذلك في صيغة الكلمة، وتارة في إعرابها. فأما في الصِّيغة فقولهم للعظيم الرَّقَبة: رَقَبانيٌّ، والقياس رَقَبيٌّ، وللعظيم اللِّحْية: لِحْيانيٌّ، والقياس لِحْيِيٌّ، وللعظيم الجُمَّة: جُمَّانيٌّ، فزادوا في الألفاظ على ما كان ينبغي أن تكون عليه، كما زادت المعاني الواقعة تحتها.وكذلك يقولون: صَرَّ الجُنْدُبُ: إذا صوّت صوتاً لا تكرير فيه، فإذا كثّر الصوت قيل: صَرْصَرَ. وأما محاكاتهم المعنى بإعراب الكلمة دون صيغتها فإنا وجدناهم يقولون: صَعَدَ زيدٌ في الجبلِ، وضَرَبَ زيدٌ بكراً، فيرفعون اللفظ كما ارتفع المعنى الواقع تحته.قال أبو محمد: ولكن هذا قياس غير مطرد، ألا تراهم قالوا: أسد وعنكبوت، فجعلوا اللفظين مخالفين للمعنيين، وقالوا: زيدٌ مَضْرُوب، فرفعوه لفظاً وهو مَنْصُوب معنًى، وقالوا: مات زيدٌ، وأَمَاتَ اللهُ زيداً، وأحدهما فاعل على الحقيقة، والآخر فاعل على المجاز.فإذا كان الأمر على هذا السبيل، كان التشاغل بما تشاغل به ابن جني عناء لا فائدة فيه.قال أبو جعفر: ويُقال: قَضَمْتُ وقَضِمْتُ، وخَضَمْتُ وخَضِمْتُ، بالفتح والكسر فيهما، حكى ذلك ثابت في لحنه، ولم أر أحداً حكى الفتح في قَضَمْتُ إلا ابن طلحة. وأما خَضَمْتُ بالفتح أيضاً فقد حكاه أبو مسحل، وابن القطّاع .

(ص : ١٢٨-١٤١)

الموازنة :

أولاً : الهروي :

ــ ضبط الفعل بالعبارة ، وذكر المصدر منه .

ــ ذكر المعنى ثم فرق بين أكل اليابس وبين الرطب ، فجعل القضم لليابس ، والخضم للرطب .

ــ ذكر من المشتقات اسم الفاعل والمفعول من الفعلين .

ثانياً : الزمخشري :

ــ ذكر المصدر وفرق بين معنى القضم والخضم ، متفقاً مع الشارح السابق .

ــ استشهد عليهما بحديث وبيت من الشعر .

ــ ذكر المشتقات من الفعل كالقضيم وعرَّفه ، وذكر بعض معانيه ، واستدل عليه بشاهدين من الشعر .

ــ فسَّر بعض مفردات أحد الشاهدين .

ثالثاً : اللبلي :

ــ ذكر المعنى وأنه في اليابس ، وأصّله ، واستشهد عليه بالحديث ، وذكر أيضاً معه معنى الخضم وأنه في الرطب ، وفرَّق بينهما .

ــ حشد أقوال كثير من اللغويين على هذا التفريق بين المعنيين .

ــ أرجع الأكل بأطراف الأسنان بالقضم ، والأكل بالفم كله بالخضم إلى المعنى الأول .

ــ نقل عن الكسائي اختصاص الخضم للإنسان والقضم للدابة ، فلم يفرق بينهما .

ـــ ساق رأي ابن جني وأكده بنص كلام ابن السيد الذي قرر في آخره أن هذا قياس غير مطّرد لا فائدة منه .
ـــ ذكر ما ورد في الكلمة من لغات : قَضَمْتُ وقَضِمْتُ ، وخَضَمْتُ وخَضِمْتُ ، بالفتح والكسر فيهما) وهذا لا نجده عند الشّارِحَين .

نتيجة الموازنة :

ـــ اتفق الشراح الثلاثة في تفسيرها للمعنى ، كما اتفقوا أيضاً على التفريق بين القضم والخضم ، وإن كان أبو جعفر قد أسهب في حشده لأقوال أئمة اللغة في التفريق بين المعنيين ، وهذا الإسهاب لا نجده عند الشارحين الآخرين .
ـــ انفرد أبو سهل الهروي عن الشارحين الآخرين باهتمامه بالضبط بالعبارة .
ـــ اتفق الزمخشري مع أبي سهل الهروي في ذكرها لبعض مشتقات الكلمة كالفعل المستقبل والمصدر واسم الفاعل والمفعول .
ـــ انفرد الزمخشري عن الشارحين الآخرين في استشهاده ببيت من الشعر على معنى (قضم) .
ـــ حكى أبو جعفر اللبلي ما ورد في الكلمة من لغات (قضِمت ، وخضِمت) بفتح العين وكسرها ، وهذا ما لا نجده عند الشارحين الآخرين .
ـــ كان أبو جعفر أكثر تأصيلاً لمعنى (القضم) واستشهد عليه بالحديث ، وقد تفرد عن الشارحين بذلك .

أمثلة الموازنة : ٤

الشرح	(بَلِعْتُ الشيءَ أَبْلَعُهُ)
شرح الهروي (الإسفار)	(وكذلك بَلِعْتُ الشيءَ) بكسر اللام (أَبْلَعُهُ) بفتحها، بَلْعاً بسكونها، وهو معروف المعنى، أي أنزلته من حلقي حتى يستقر في المَعِدَةِ وأنا بَالِعٌ وهو مَبْلُوعٌ . ص : ٣٢
شرح الزمخشري	قولُه: (بَلِعْتُ الشيءَ أَبْلَعُهُ) بَلْعاً، وهو: إرسال الطعام في الحلق من غير مضغ ، والعَامَّةُ تقولُ: بَلَعْتُ، والأول أفصح ويُقالُ: البَلْعُ يكون للطعام والشَّراب، والدليل عليه قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي﴾ والبَلُّوعَةُ: البِئْرُ تُجعل للماءِ يَنْصَبُّ فيها، مأخوذ من ذلك.والبَلاَعُ: اسم لما يُبْلَعُ من طَعَام أو شَرَاب، كما تقولُ: طَعَامٌ لما يُطْعَمُ وشَرَابٌ لما يُشْرَبُ، قال الرَّاجزُ: لَقَــدْ تَجَشَّأْتُ وقُلْتُ هَاعِ مَا ذُقْتُ مُذْ خَــرَجْتُ مِنْ بَلاَعِ غَيْــرَ ثَّانِي عُلَــبِ يَبَاعِ وعُلْبَتَيْــنِ فِي مَقِيلِ الزَّاعِ ويُقَالُ: بَلِعَ الرَّجُلُ، وأَبْلَعْتُهُ، كما تَقولُ: طَعِمَ وأَطْعَمْتُهُ، ومنه قولُهم: في الاستمهال: (أَبْلِعْنِي رِيْقِي) وسَعْدُ بُلَعَ نجم، يقال : إنه سمي بذلك لأنه يطلع عند ابتلاع الأرض ماء الطوفان . ص :٤٢

وقولُه: (وكذلك بَلِعْتُ الشيءَ أَبْلَعُهُ).قال أبو جعفر: البلع: هو إرسال الطّعام في الحلق من غير مضغ، عن الزمخشري، وابن الدهان. قال الزمخشري يقال: البلع يكون للطّعام والشّراب. والدليل عليه قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي﴾ . وقال : والبَلاَعُ اسم لما يُبْلَعُ من طعام ، أو شراب ، كما تقول : طعام لما يطعم ، وشراب لما يشرب . قال ابن التياني ، وابن سيده : وبَلِعَ الماءَ : جَرِعَهُ . قالا: وبَلِعَ الرَّجُلُ الشيءَ وابْتَلَعَهُ. وزاد ابن سيده: وتَبَلَّعَهُ، حكاه عن ابن الأعرابي. وقال ابن التياني في مختصر الجمهرة: وكل شراب بَلوع ، ورجل بُلَع، وامرأة بُلَعة: كثير الأكل. قال و في المُوعِب : والبَلْعَةُ من الماء بفتح الباء كَالْجَرْعَة.قال أبو جعفر: قال ابْنُ دُرُسْتُويه: وإنما ذكر ثعلب بَلِعْتُ لأنَّ العَامَّة تفتح ماضيه، وهو خطأ، إنما ماضيه بالكسر لا غير.قال أبو جعفر: الفتح في بَلِعْتُ ليس بخطأ كما قاله ابْنُ دُرُسْتُويه، وحَكَى صَاحِبُ المُوعِب عن الفرَّاء أنه قال: بَلِعْتُ الشيءَ وبَلَعْتُهُ لُغتان، والكسر أجود من الفتح، قال: ويَبْلَعُ بالفتح باللُّغتين جميعاً.قال أبو جعفر: وحَكَى الفتح أيضاً في بَلَعْتُ يعقوب في كتابه فَعَلْتُ وأَفْعَلْتُ.قال أبو جعفر: قال ابْنُ دُرُسْتُويه: وسُمِّيَتْ البَالُوعَةُ على فَاعُولَة، والبَلُّوعَةُ على فَعُّولَة ؛ لأنها تبلع الماء ، وهي البَوالِيعُ والبَلاَلِيعُ . وقال المطرِّزُ في شرحه ويُقَالُ لها أيضاً: البَلُّوقَةُ، وجمعها بَلاَلِيقُ قال : وقد جاءت البَلاَّعَةُ والبَلاَّقَةُ على وزن عَلاَّمَة.قال ابْنُ دُرُسْتُويه: وقد يُستعارُ في غير ذلك، فيُقَالُ: ابْلِعْنِي رِيْقِي أي: امهلني حَتَّى أقولَ وأفعلَ. وقال ابن سيده في المحكم: والمَبْلَعُ، والبُلْعُومُ، والبُلْعُمُ، كلُّه مجرى الطَّعام. ص : ١٤١	شرح اللبلي (تحفة المجد الصريح)

الموازنة :

أولاً : الهروي :

ـــ ذكر المصدر .
ـــ ذكر المعنى مع قوله معروف .
ـــ ذكر من المشتقات : اسم الفاعل ، واسم المفعول مع المصدر السابق .

ثانياً : الزمخشري :

ـــ ذكر المصدر وزاد المعنى (من غير مضغ) .
ـــ ذكر لغة العامة (بَلَعتُ) بالفتح ، ونص على فصاحة لغة الكسر .
ـــ جعل البلع للطعام والشراب ، واستشهد عليه بالآية المذكورة .
ـــ يذكر بعض الاشتقاقات المأخوذة من الفعل المذكور ، ويشرح معناها ، ويمثل لها .
ـــ نبه على أن (بلع) لازم ويُعدَّى بالهمزة .

ثالثاً : اللبلي :

ـــ ذكر المعنى تبعاً للزمخشري وابن الدهان في القيد .
ـــ ذكر أن : بَلَعَ وابْتَلعَ وتَبلَّع بمعنى واحد .
ـــ اعترض على تخطئة ابن درستويه للغة العامة (بلعت) بالفتح ، ونقل عن اللغويين أنها لغة ، مع نصه على فصاحة الأولى .
ـــ صرح بذكر لغتين هما : البالُوعة والبلُّوعة ، ووزنهما وعلل تسميتهما ، وذكر جمعهما .

ـ وزاد نقلاً عن المطرّز البُلوقة ، والجمع بلاليق ، والبَلاّقة على وزن علاّمة ، والبالُوعة لغة في البلُّوعة .

ـ ونقل عن ابن درستويه استعمالاً مجازياً ، وعن ابن سيده اشتقاقات هي ، البُلْعوم والمَبْلَعُ والبُلْعُمُ ، وذكر معناها .

نتيجة الموازنة :

ـ قدم ابو سهل الهروي تفسيره للمعنى ، بينما جاء تفسير أبي جعفر اللبلي متفقاً مع ما ذكره الزمخشري .

ـ وقف أبو سهل على اللغة الفصيحة التي ذكرها ثعلب . بينما أضاف الشارحان الآخران لغة ثانية ، وهي : (بَلَعْتُ) بفتح الماضي ، ونسبها الزمخشري للعامة ، وهي عنده فصيحة إلا أنه ينص على أن (بَلِعْت) بكسر العين أفصح ، وكذا قال أبو جعفر ، عندما أنكر على ابن درستويه تخطئته للغة العامة ، وأصلها نقلاً عن صاحب الموعب عن الفرّاء ، وخلص إلى فصاحتها مع تقديمه للغة الأولى .

ـ انفرد الزمخشري عن الشارحين الآخرين في التنبيه على أن (بَلَعَ) لازم ويعدّى بالهمزة .

ـ انفرد أبو جعفر عن الشارحين الآخرين في ذكره لغتين هما : البَالُوعة والبلُّوعة ووزنهما ، وعلل تسميتهما ، وذكر جمعهما .

ـ زاد أبو جعفر عن المطرز : البُلُوقة ، وذكر جمعها ، وكذلك : البَلاّقة وذكر وزنها ، وهذا ما لا نجده عند الشارحين الآخرين .

ـ كما نقل أبو جعفر أيضاً عن ابن درستويه استعمالاً مجازياً ، ونقل أيضاً عن ابن سيده بعض الاشتقاقات ، وذكر معناها ، وهذا ما ا نجده عند الشارحين الآخرين .

ـــ انفرد أبو جعفر عن الشارحين السابقين أيضاً في حشده لأقوال أئمة اللغة في الاستدلال على صحة ما ذهب إليه ، بالإضافة لنقله عن بعض شراح الفصيح الذين سبقوه ، وهذا ما لا نجده عند الشارحين الآخرين .

أمثلة الموازنة : ٥

الشرح	باب : فَعَلْتُ بغير ألف (فَلَجَ الرَّجُلُ على خَصْمِه)
شرح الهروي (الإسفار)	وفَلَجَ الرَّجُلُ على خَصْمِه يَفْلُجُ بضم اللام في المستقبل، ومَصْدَرُهُ فَلْجٌ بفتح الفاء وسكون اللام: إذا غلبه بالحُجَّةِ وظهر عليه بها . والاسمُ الفُلْجُ بضم الفاء وسكون اللام، وهو الظفر والظهور على الخصم . والرَّجُلُ فَالِجٌ والخصم مَفْلُوجٌ عليه. والخصم: هو الذي يخاصمك . ص : ٥١
شرح الزمخشري	(وفَلَجَ الرَّجُلُ على خَصْمِه يَفْلُجُ) فَلْجًا والفُلْجُ : الاسم إذا ظفر وأَفْلَجَ أيضاً لُغة جيِّدة. والعَامَّةُ مولعة بأَفْلَجَ. والفَلَجُ أيضاً : النهر الصغير، والفَلْجُ: أرضٌ لبني جعدة وغيرهم بِنَجْد. ص : ٧٣
شرح اللبلي (تحفة المجد الصريح)	وقولُه: (وفَلَجَ الرَّجُلُ على خَصْمِه) قال أبو جعفر : أي ظهر عليه وغلبه بالحُجَّة، عن غير واحد. قال التدميري ومن خطِّه : وهو مأخوذ من الفَلْج، وهو الظَّفر. وقال اللحياني في نوادره يُقَالُ: لِمَنْ الفَلَجُ والفَلْج؟ بفتح الفاء مع تسكين اللام وتحريكها، والفُلْجُ بضم الفاء وسكون اللام، ويُقَالُ: أَفْلَجْتُ فلاناً على فلان، ويُقَالُ: فالَجْتُ فلاناً ففَلَجْتُه، وأنا أَفْلُجُه، أي: خصمته وغلبته. قال أبو جعفر: ويقال في الماضي : فَلَج، وأَفْلَج بالألف، ذكره

صاحب الواعي، وابن القطاع، وثابت، وأبو عبيدة وحكاها أيضاً قطرب في فعلت وأفعلت، قالا : وقال بعضهم: فلجهم: إذا فَلَج عليهم. ويقال في الصفة من فَلَج: فَالِجٌ وفَلْجٌ، كما يُقَالُ بَالِغٌ وبَلْغٌ، وثَابِتٌ وثَبْتٌ، عن الكُراع في المجرد. ويُقَالُ في المصدر من فَلَج: الفُلْج بضم الفاء وتسكين اللام والفَلَجُ بفتح الفاء واللام وفي المصدر من أَفْلَجَ على القياس: الإفْلاج . ص : ٢٣١-٢٣٣	

الموازنة :

أولاً : الهروي :

ـــ ضبط الفعل في المستقبل ، وذكر مصدره ، وضبطه أيضاً .

ـــ ذكر الاسم منه ، وضبطه بضم الفاء ، وفسَّر معناه .

ـــ ذكر من المشتقات اسم الفاعل واسم المفعول .

ـــ فسَّر معنى الخصم في قول ثعلب .

ثانياً : الزمخشري :

ـــ ذكر المصدر والاسم من غير ضبط ، وفسَّر المعنى .

ـــ أضاف لغة ثانية ، ووسمها بالجودة ، ونبه إلى ان العامَّة مولعة بها .

ـــ ذكر بعض المعاني المشتركة (للفلج) .

ثالثاً : الليلي :

ـــ فسر المعنى ونقل عن التدميري أصل اللفظ والمعنى .

ـ نقل عن اللحياني اللغات في (الفلج) وذكر بعض استعمالاتها .

ـ ذكر أن في الماضي لغتين بمعنى .

ـ ذكر الصفة من فلج (فالج ، وفَلْج) ونظر لهما .

ـ ذكر المصدر من (فَلَجَ) ، والمصدر القياسي من (أَفْلَجَ) .

نتيجة الموازنة :

ـ اتفق أبو جعفر مع أبي سهل الهروي في تفسيرها للمعنى ، وإن كان الأول قد نقل عن التدميري أصل اللفظ والمعنى ، بينما اكتفى الزمخشري بتفسيره للمعنى بقوله : إذا ظفر

ـ اتفق الزمخشري مع أبي سهل الهروي في ذكرهما المصدر ، وزاد الأخير في ضبطه للفعل في المستقبل ، وذكر مصدره وضبطه أيضاً .

ـ انفرد أبو سهل عن الشارحين الآخرين في ذكره لاسم الفاعل والمفعول ، وفي تفسيره لمعنى الخصم في قول ثعلب .

ـ اقتصر أبو سهل على لغة صاحب الفصيح ، بينما أضاف الشارحان الآخران لغة أخرى ، وهي : (أفلج) بالألف ، ووسمها الزمخشري بالجودة ، ونبَّه إلى أن العامة مولعة بها ، كما حكاها أبو جعفر أيضاً عن أئمة اللغة الثقات .

ـ تفرد الزمخشري عن الشارحين الآخرين في ذكره لبعض المعاني المشتركة (بالفلج) .

ـ نقل أبو جعفر عن اللحياني اللغات في الفلج ، ذاكراً بعض استعمالاتها ، وهذا ما لا نجده عند الشارحين الآخرين .

ـ تفرد أبو جعفر عن الشارحين الآخرين في ذكره الصفة من (فلج) ونظر لهما .

ـــ نبه أبو جعفر إلى ذكر مصدرين لـ (فلج) كما ذكر المصدر القياسي من (أفلج) ، وهذا ما لا نجده عند الشارحين الآخرين .

ـــ اعتنى أبو جعفر بأقوال أئمة اللغة : كأبي عبيد وقطرب ، وثابت ، واللحياني ، وابن القطاع ، والتدميري ، واهتم بإسناد كل قول إلى قائله ، وقد تفرد بهذا عن الشارحين الآخرين .

أمثلة الموازنة : ٦

الشرح	باب : فَعِلْتُ وفَعَلْتُ باختلاف المعنى (نَقِهْتُ ونَقَهْتُ)
شرح الهروي (الإسفار)	(تَقُولُ: نَقِهْتُ الحديثَ) بكسر القاف أَنْقَهُهُ بفتحها، نَقْهاً ونَقَهاً بسكونها وفتحها، فأنا نَقِهٌ بكسرها، (مثل فَهِمْتُ) أَفْهَمُ فَهْماً وفَهَماً، فأنا فَهِمٌ ، في الوزن والمعنى. (ونَقَهْتُ من المرض أَنْقَهُ) بفتح القاف منهما : أي بدأ في البُرْءِ في عَقِبِ العلّة ، والمصدر النُّقُوهُ، بوزن الدُّخول ، والفاعل نَاقِهٌ. ص : ٨٣
شرح الزمخشري	تَقُولُ: (نَقِهْتُ الحديثَ، مثل : فَهِمْتُ) أَنْقَهُ نَقَهاً، بكسر القاف في الماضي، ورَوَى أبو زياد الكلابي: نَقَهْتُ الحديث، والأجود نَقِهْتُ، ولكل واحد منهما وجه في القياس.فَمَنْ قال: نَقِهْتُ، أخْرَجَهُ على بناء عَلِمْتُ وفَهِمْتُ، ومَنْ قال: نَقَهْتُ: ألحَقَهُ ببِناءِ: دَرَيْتُ وشَعَرْتُ . وقولُه: (نَقَهْتُ من المرض أَنْقَهُ) نُقُوهاً ، والفتح فيه أفصح ، ويجوز فيه الكسر ، وقد جاء بهذا المعنى، على فَعَلْتُ وفَعِلْتُ جميعاً ، قالوا: بَرِئْتُ و بَرَأْتُ ، وبَلِلْتُ وبَلَلْتُ ،فأنا أَبِلٌ وأَبَلٌ، والنَّاقِهُ: هو الذي أدْبَرَتْ علّتُهُ وأقْبَلَ بُرْؤُه). ص : ١٣٣
شرح اللبلي (تحفة المجد الصريح)	قولُه: (نَقِهْتُ الحديثَ مثل: فَهِمْتُ).قال الشيخ أبو جعفر: قد فَسَّرَهُ ثعلب، فأغنى عن تفسيره، وكذلك فَسَّره غيره، قال التدميري: كأنه والله تعالى أعلم لمّا فَهِمَهُ بعد جهله كان في ذلك بمنزلة مَنْ صَحَّ جِسْمُهُ بعْد سَقَمِه، فهما في معنى واحد، إلا أنَّه فُرِّقَ بينهما إذا كان أحدهما للجسم، والآخر للنفس.قال الشيخ أبو جعفر: ويُقَالُ أيضاً:

نَقَهْتُ الحديثَ بفتح القاف، عن أبي عبيد في المصنف، وعن يعقوب في الإصلاح.

وحَكَى اللُّغتين أيضاً اللحياني في نوادره، وقال : (يُقَالُ: قد نَقِهْتُ حديثَكَ بالكسر أَنْقَهُ نَقَهاً ونُقُوها، ونَقَهْتُ حديثَكَ أَنْقَهُ نُقُوهاً).وحكى المرزوقي في مصدر نَقِهَ بالكسر: نَقَاهَةً، وفي الصفة فيه: نَاقِهٌ ونَقِهٌ.

ويُقَالُ: نَقَهْتُ بفتح القاف، ولكل واحد منهما وجه في القياس، فَمَنْ قال: نَقِهْتُ بالكسر، أخرجه على بناء عَلِمْتُ، ومَنْ قال: نَقَهْتُ بالفتح، ألحقه ببناء دَرَيْتُ وشَعَرْتُ؛ كذا قال الزمخشريُّ في معناها في شرحه لهذا الكِتَاب.ويُقَالُ: فَهِمْتُ الحديثَ فَهْماً وفَهَماً، بتسكين الهاء وتحريكها بالفتح، واسم الفاعل: فَهِمٌ لا غير.

وقولُه: (نَقَهْتُ من المرض).في معناه قولان: قيل إذا بدأ فيه البُرْء، كذا قال القزّازُ، وقال ابْنُ دُرُسْتُويه: بَرَأْتُ، ولذلك جاء على وزنه لَمَّا كان في معناه، قال: كما جاء نَقِهْتُ الحديثَ بالكسر على وزن فَهِمْتُ لَمَّا كان في معناه . ويُقَالُ أيضاً نَقِهْتُ بالكسر، والمصدر منه: نَقَهٌ بالتحريك، ومن المفتوح: نُقُوهٌ . ويُقَالُ: نَقِهَ الرَّجُلُ من مرضِه، وبَرِئَ، وبَرَأَ، وبَرَا بغير همز . وأَسْخَاتَّ ، وإصْخَاتَّ ، بالصاد ، وتقشقش ، وبَلَّ ، وأَبَلَّ ، وامْتَبَلَّ ، واطْرَغَشَّ ، وغسق ، وأحطف ، وطَرْغَشَ ، وتَطَشَّ ، وافْرَنْقَعَ ، وأَسْوَى ، وانسل ، وأفاق ، وأَفْطَمَ ، واحْرَنْشَم .

ص : ٣٦٤

الموازنة :

أولاً : الهروي :

ــ ضبط الماضي والمضارع ، وذكر مصدرين وضبطهما .
ــ ذكر الصفة وضبطها أيضاً .
ــ ذكر المضارع والمصدرين والصفة من تنظير ثعلب ، ونبه إلى أن تنبيه ثعلب في الوزن والمعنى .
ــ واتفق مع ثعلب إلى أن (نقه) بالفتح بمعنى آخر ، وأن المضارع بالفتح من الفعلين المختلفين في المعنى .
ــ ذكر معنى الفعل الآخر والمصدر ، ونظر له ، وذكر اسم الفاعل منه .

ثانياً : الزمخشري :

ــ ذكر لغة ثعلب والمضارع والمصدر منها .
ــ نبه على أنها بكسر القاف ليمهد للغة الثانية التي أضافها ، ووزان بينهما ، وصرح بأن الأولى هي الأجود ، ونبه كذلك إلى أن لكل منهما وجهاً في القياس .
ــ وفي المعنى الآخر ذكر المصدر ، وذكر في الفعل لغة أخرى هي نقِهت بالكسر ، وأقر بأن لغة الفتح أفصح ، وانهما جاءا عن العرب بمعنى واحد ، ومثل لهما ، وفسَّر معنى الفعل (نقهت من المرض) .

ثالثاً : اللبلي :

ــ استغنى بتفسير ثعلب وأكده بما نقله عن التدميري ، وأضاف عنه أنهما يرجعان إلى معنى واحد ، إلا أنه فُرِّقَ بينهما إذ كان أحدهما للجسم والآخر للنفس .

ـ أفاد لغة ثانية (نقَت) بالفتح عن أبي عبيد وعن ابن السكيت واللحياني ، ونقل عبارته .

ـ نقل عن المرزوقي المصدر (نقاهة) ، والصفة (ناقه ، ونَقِه) من نقه بالكسر .

ـ ذكر اللغة الثانية ، ونص الزمخشري السابق فيها .

ـ ذكر مصدري (فهمت) الذي نظر به ثعلب وضبطهما ، وأن الصفة منه (فَهِمٌ) .

ـ ذكر معنيين في الفعل الثاني عن القزاز وابن درستويه ، وأضاف لغة الكسر فيه أيضاً ، وذكر المصدر منه .

ـ ذكر المصدر من المفتوح وهو (نُقُوهٌ) .

ـ ذكر خمسة عشر مرادفاً (لنقَهَ من المرض بالفتح) .

نتيجة الموازنة :

ـ وافق الزمخشري أبا سهل الهروي في تفسيرهما للمعنى ، بينما اكتفى أبو جعفر بتفسير صاحب الفصيح نفسه ، وعضده بما نقله عن التدميري أيضاً .

ـ تفرد أبو سهل عن الشارحين الآخرين في ضبطه للماضي والمضارع ، وفي ذكره مصدرين ونصهما ، وتنظيره على ما ذكر ، واتفق معه أبو جعفر في ذكرهما الصفة (نَقِهٌ) وزاد الأخير : نَاقِهٌ .

ـ نبه أبو سهل إلى أن تنظير ثعلب في الوزن والمعنى ، وهذا ما لا نجده عند الشارحين الآخرين .

ـ اقتصر أبو سهل على لغة الفصيح (نقِهت) بكسر القاف في الماضي .

ـ أجمع الشراح الثلاثة على ذكر المصدر (نُقُوهاً) عند كلامها على الفعل الآخر .

ـــ اتفق أبو جعفر مع الزمخشري على وجود لغتين في الماضي (نَقِهت) بكسر القاف وفتحها ، ولغة الفتح هي المقدمة عندهما جميعاً ، كما أجمع الاثنان أيضاً على ذكر لغتين في الفعل الثاني والمسند إلى المرض ، مع تقديمهما للغة الفتح (نَقَهَ) .

ـــ انفرد أبو جعفر عن الشارحين الآخرين في ذكره لمعنيين في الفعل الثاني ناقلاً ذلك عن القزاز وابن درستويه .

ـــ أورد أبو جعفر خمسة عشر مرادفاً (لنَقَه من المرض) بالفتح ، وهذا ما لا نجده عند الشارحين الآخرين .

ـــ اعتنى أبو جعفر ـــ وكعادته ـــ بحشده لأقوال أئمة اللغة كأبي عبيد ، وابن السكيت ، واللحياني ، وغيرهما ، للاستدلال لما ذهب إليه ، وهو في كل ذلك يسند كل قول إلى قائله ، وقد تميز بهذا عن الشارحين الآخرين .

ـــ وكما اعتنى أبو جعفر أيضاً بأقوال أئمة اللغة ، فإنه اهتم كذلك بالنقل عن بعض شراح الفصيح كابن درستويه ، والمرزوقي ، والتدميري ، وهذا ما لا نجده عند الشارحين الآخرين .

أمثلة الموازنة : ٨

(أَسِنَ الرَّجُلُ يَأْسَنُ)	الشرح
(وأَسِنَ الرَّجُلُ) بكسر السين (يَأْسَنُ أَسَنًا) بفتحها فهو أَسِنٌ بكسرها، والقصر ، على فعل، وآسِنٌ بالمد، على فاعل : إذا غُشِي عليه من ريح البئر المنتنة الماء أو الفاسدة الهواء إذا نزلها. وفي نسخة أبي سعيد الحسن بن عبدالله السيرافي النحوي، وأصْلِهِ الذي رواهُ عن أبي بكر محمد بن علي النحوي المعروف بمبرمان عن ثعلب —رحمه الله— (إذا مات من رِيْح الحَمْأَة) .وأَسَنَ الماء بفتح السين يَأْسِنُ ويَأْسُنُ بكسرها وضمها (أَسْنًا بسكونها،وأُسُونًا): (إذا تَغَيَّر) طعمُهُ وريحُه وفَسَدَ ؛ فلا يشربه من نتنه ؛ فهو آسِنٌ بالمد . ص : ٩٠-٩١	شرح الهروي (الإسفار)
قولُه: (أَسِنَ الرَّجُلُ يَأْسُن أَسَناً : إذا غشي عليه من ريح البئر) فهو آسِنٌ (وأَسَنَ الماءُ يَأْسِنُ أَسْنًا وأُسُونًا : إذا تغير) ويُقال: " لَبَنٌ الأَسُونِ : تغيَّر طَعْمُهُ، والأَجُون : تغيَّر لَوْنُهُ " ، ويُحتَجُّ بقوله — عزَّ وجَلَّ — : ﴿ فِيْهَا أَنْهَارٌ مِنْ ماءٍ غَيْرِآسِنٍ وأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ ﴾ ، قال الفرَّاءُ : ويُقال: وَسَنَ الماءُ فهو وَاسِنٌ .قال الكسائيُّ: أَسَنَ الماءُ وأَسِنَ فهو أَسِنٌ وآسِنٌ ، ومنه قراءة ابن كثير: (مِنْ مَاءٍ غَيْرِ أَسِنٍ) . ص : ١٥٢	شرح الزمخشري
وقولُه: وأَسِنَ الرَّجُلُ يَأْسَنُ : إذا غُشِي عليه من ريح البِئْر . قال الشيخ أبو جعفر: يعني: إذا شَمَّ ريح الماء الأَسِن ، وشَمَّ نفس بئر فَغُشِي عليه، عن ابن خالويه.	شرح اللبلي (تحفة المجد الصريح)

فَغُشي عليه، عن ابن خالويه.

قال التدميري: وهو مأخوذ من الماء الأسِن ،وهو المُتغيِّر، فكأنه لما شم رائحته غُشي عليه. قال الشيخ أبو جعفر: وقال الشّاعرُ:

قَدْ أَتْرُكُ القِرْنَ مُصْفراً أنامِلُهُ   يَميلُ في الرُّمْحِ مَيْلَ المَائِحِ الأَسِنِ

ويُقال أيضاً وَسِنَ بالواو ، حكاها يعقوب، وعبدالحق اللُّغوي، وغيرهما.

قال التدميري : وكأنه ــ والله تعالى أعلم ــ مأخوذ من الوَسَنِ الذي هو ابتداء النُّعاس؛ لأن الغَشْيَ أيضا شبيه بالنوم.وقوله:"وأَسَنَ الماءُ يَأْسِنُ ، ويَأْسُنُ "قال الشيخ أبو جعفر: معناه تغيَّر ، عن ابن التَّياني ، وابن طَريف في أفعاله ، وغيرهما ، وزاد صاحب الواعي وأنْتن . وكذا قال أبو عبيد في المصنَّف ، وابن سيده في المخصص . وكُراع في المنظم وهو الذي لا يشربه أحد من نتنه ، وقال المُطرِّز وابن خالويه : معنى أَسَنَ وأَجَنَ واحدٌ ، فلم يُفرِّقا بينهما . ولا قيداه لشيء كما قيده غيرهما ، ويقال في الماضي أيضاً : أَسِنَ بالكسر ، حكاه صاحب الواعي ، وكراع في المجرَّد ، وابن القطاع في أفعاله ، وابن طريف في أفعاله . وصاحب الموعب ، وزاد صاحب الموعب وابن طريف وابن القطاع وقطرب : وآسَنَ بالمد ، فتجيء ثلاث لغات . ويقال في مستقبل مفتوح السين : يأسِنُ ويأسُنُ بالكسر والضم على القياس كما حكاه ثعلب .

(ص : ٤٠٩-٤١٠)

الموازنة :

أولاً : الهروي :

ـــ ضبط الفعل الماضي والمضارع والمصدر .

ـــ أضاف لغتين في الصفة هما : (أسِن بكسر السين وقصر الهمزة) (وآسن بالمد) .

ـــ فسر المعنى الذي ذكره ثعلب ، ونقل رواية عن مطرمان النحوي عن ثعلب عبارة أخرى .

ـــ ذكر المفتوح العين المسند إلى الماء وضبطه ، وضبط مضارعه بالكسر والضم .

ـــ ذكر مصدريه ووضح المعنى الذي ذكره ثعلب ، ونص على أن اسم الفاعل منه بالمد فقط .

ثانياً : الزمخشري :

ـــ اقتصر بالصفة على آسن الممدود ، وفي المفتوح السين .

ـــ فرق بين الأسون والأجون في المعنى واحتج بآية قرآنية وقول .

ـــ نقل عن الفراء لغة في أسَنَ وهي (وَسَنَ) ، ونقل عن الكسائي لغة أخرى في (أسَنَ المفتوح) وهي (أسِن بالكسر) .

ـــ ذكر من المفتوح مصدرين بالقصر والمد .

ـــ استشهد بالقرآءة الشاذة على المصدر المقصور .

ثالثاً : اللبلي :

ـــ نقل المعنى عن ابن خالويه ، وزاد إيضاحاً عن التدميري ، وأضاف الشارح شاهداً شعرياً عليه .

ـــ ذكر أن فيه لغة أخرى وهي (وَسِنَ) عن يعقوب وعبدالحق اللغوي .

ـــ نقل عن التدميري أصل (الأسن والوسن) .

ـــ وفي الفعل المفتوح (أسَن) أضاف لغة أخرى عن ابن التياني وابن طريف وغيرهما ، وذكر زيادة عن صاحب الواعي قيداً آخراً (أنتن) وأكد ذلك بكلام بعض أئمة اللغة .

ـــ نقل الشارح عن المطرز وابن خالويه أن معنى أسن وأجن واحد وهو بذلك ينفي التفرقة بينهما .

ـــ أضاف في الماضي لغة أخرى بالكسر ، نقلاً عن جماعة من أئمة اللغة ، وثالثة بالمد نقلاً عن جماعة من اللغويين أيضاً .

نتيجة الموازنة :

ـــ تفرد أبو سهل عن الشارحين الآخرين في ضبطه للفعلين الماضي والمضارع وكذلك المصدر ، ووافقه الشارحان الآخران على إضافة لغتين في الصفة ، هما : (أسِنٌ بكسر السين ، وقصر الهمزة ، وآسِنٌ بالمد) .

ـــ أجمع الثلاثة على ذكر المعنى تبعاً لثعلب ، إلا أن أبا سهل انفرد بنقله رواية عن ميرمان النحوي عن ثعلب زيادة في توضيح المعنى ، بينما نقل أبو جعفر عبارة أخرى للغرض نفسه عن ابن خالويه ، وزاده إيضاحاً عن التدميري ، وأضاف شاهداً شعرياً عليه

ـــ وقف أبو سهل الهروي على اللغة الفصيحة كما حكاها ثعلب ، بينما أضاف الشارحان الآخران لغتين هما : (أسِنَ ووَسَنَ) .

ـــ اتفق أبو جعفر مع أبي سهل الهروي في ذكرهما لغتين في مستقبل (أَسَنَ الماءُ) هما : يأسِنُ ويأسُنُ ، بكسر السين وضمها ، بينما اقتصر الزمخشري في المستقبل على لغة الكسر وأهمل الأخيرة .

ـــ اعتنى أبو سهل الهروي بالأسانيد كقوله : (وفي نسخة أبي سعيد بن عبدالله السيرافي ... وأصله الذي رواه عن أبي بكر ... عن ثعلب ، وهذا ما نجده عند الشارحين الآخرين .

ـــ فرّق الزمخشري بين الأسون والأجون في المعنى ، واحتج بآية قرآنية وقول ، وقد انفرد بهذا عن الشارحين الآخرين .

ـــ أيضا انفرد الزمخشري عن الشارحين الآخرين في استشهاده بالقراءة الشاذة على المصدر المقصور .

ـــ وافق أبو جعفر الزمخشري في ذكرها ـــ بالإضافة إلى لغة الفصيح ـــ أَسِنَ بكسر السين ، وقد حكاها الزمخشري عن الكسائي ، بينما حكاها أبو جعفر عن صاحب الواعي وكُراع في المجرد وابن القطاع وابن طريف في أفعالهما ، كما أضاف الزمخشري لغة ثالثة عن الفرّاء وهي : (وَسَنَ) ، وحكى أبو جعفر (وَسِنَ) بكسر السين ، حاكياً إيها عن ابن السكيت و عبدالحق اللغوي ، وقد انفرد أيضاً بذكره لغة ثالثة ، وهي (آسَنَ) بالمد ، والتي لا وجود لها عند الشارحين الآخرين .

ـــ تفرد أبو جعفر عن الشارحين الآخرين بنقله عن المطرز وابن خالويه من أن معنى : (أَسَنَ وأَجَنَ) واحد ، وهو بذلك ينفي التفرقة بينهما .

أمثلة الموازنة : ٩

الشرح	باب : فَعَلْتُ وأَفْعَلْتُ باختلاف المعنى (قَبَسْتُ وأَقْبَسْتُ)
شرح الهروي (الإسفار)	(وأَقْبَسْتُ الرَّجُلَ عِلْماً) بالألف: ، أُقْبِسُهُ إقْبَاساً: أي أفدتُه إياه، وعلَّمتُهُ، فأنا مُقبِسٌ بالكسر، والرجل مُقْبَسٌ بالفتح. (وقَبَسْتُهُ ناراً) بغير ألف أَقْبِسُهُ بكسر الباء قَبْسًا ، بسكونها: إذا جئته بِقَبَسٍ منها بفتحها ، أو أعطيته قبسًا منها بفتح الباء وهي شعلة تأخذها من معظمها ، والفاعل قابسٌ ، والرَّجُلُ مَقْبُوسٌ ، والنَّارُ مَقْبُوسَةٌ . (ص : ١٠٠)
شرح الزمخشري	(أَقْبَسْتُ الرَّجُلَ عِلْماً وقَبَسْتُهُ ناراً) ، قال الكسائي : يُقال : قَبَسْتُهُ عِلْماً وقَبَسْتُهُ ناراً، وأَقْبَسْتُهُ بالألف و غير الألف فيهما جميعا، قال أبو زيد : قَبَسْتُهُ ناراً : جئته بها، وأَقْبَسْتُهُ ناراً: طلبتها له. والمصدر من قَبَسْتُ: قَبْسٌ ، ومن أقبست : إقباس . (ص : ١٦٦)
شرح اللبلي (تحفة المجد الصريح)	(وأَقْبَسْتُ الرَّجُلَ عِلْماً) ، قال الشيخ أبو جعفر : معناه أَفَدْتُهُ إياه . ومعنى قَبَسْتُهُ ناراً، أي : أَخَذْتُهَا في عود ودفعتُها إليه، قاله ابن خالويه: وغيره: قال الكراع : وأَقْبَسْتُهَا. وحكى أبو عبيد في المصنف عن الكسائي أنه قال: أَقْبَسْتُهُ عِلْماً، وقَبَسْتُهُ، بألف وبغير ألف. وقوله : (قَبَسْتُهُ ناراً) . قال الشيخ أبو جعفر : إذا طلبت له ناراً، والقابس الطالب ، ومصدره القَبْسُ بتسكين الباء ، والنار تسمى القَبَسَ بفتحها، وهذا كالنَّفْضِ والنَّفَضِ ، ويُقال أيضاً :

أَقْبَسْتُهُ ناراً بالألف ،حكى أبو عبيد في المصنف عن الكسائي أنه يُقال: قَبَسْتُهُ ناراً ، وأَقْبَسْتُهُ ناراً؛ بألف أيضا وبغير ألف. وحكى أبو عبيد أيضا عن ابي زيد أنه قال: قَبَسْتُهُ ناراً: إذا جئته بها ، فإنْ كان طلبها له قال: أَقْبَسْتُهُ نارًا ، قال الشيخ أبو جعفر: قال كُراع في المجرد: والقَبَسُ النَّار، والمِقباسُ: السِّراج) . (ص : ٤٣٨-٤٣٩)	

الموازنة :

أولاً : الهروي :

ـــ نبه على أن الفعل بالألف على (أفعل) ثم ذكر المستقبل على القياس ، وكذلك ذكر المصدر على القياس .

ـــ ذكر المعنى ثم ذكر اسم الفاعل والمفعول على القياس أيضاً .

ثانياً : الزمخشري :

ـــ زاد عن الكسائي في أقْبَسْتُ (قَبَسْتُ) في العلم ، وفي النار (أَقْبَسَ) ؛ أي أنه يقال في العلم أقبس وقبس ، وفي النار قبس وأقبس .

ـــ نقل عن أبي زيد التفرقة بين قبس وأقبس في النار .

ـــ ذكر المصدر القياسي من (قَبَسْ) والمصدر القياسي من أقبست (إقباس) .

ثالثاً : اللبلي :

ـــ فسَّر الفعل (أقبس) و (قبس) عن ابن خالويه وغيره ، وزاد عن كُراع في الفعل الثاني لغة وهي : قبس .

ـــ نقل عن أبي عبيد عن الكسائي لغة أخرى في العلم وهي (قبسته) .

ـــ فسَّر معنى (قبسته ناراً) وذكر مصدره القياسي واسم الفاعل وكذلك الاسم (القبس) ونظر له .

ـــ ذكر فيه لغة أخرى عن الكسائي .

ـــ نقل عن أبي زيد التفرقة بين قبسته ناراً وأقبسته ناراً ، كما نقل عن كُراع في المجرد الفرع بين القبس والمقباس .

نتيجة الموازنة :

ـــ اتفق الزمخشري مع أبي سهل في ذكرهما للمصدرين من الفعلين جميعاً ، هما : (إقْبَاسٌ وقَبْسٌ) بينما اكتفى أبو جعفر بذكر المصدر الثاني وسكت عن الأول .

ـــ لم يتعرض أبو سهل للغة الثانية للفعلين ، كما فعل الشارحان الآخران .

ـــ وافق أبو جعفر ما حكاه الزمخشري عن الكسائي من وجود لغتين في الفعلين جميعاً ، بالألف وبغير ألف .

ـــ نقل أبو جعفر ما ذكره الزمخشري من التفريق من حيث الدلالة بين (قبس النار ، وأقبسها) وذلك بما حكاه الأخير عن أبي زيد وتفريقه بين المعنيين .

ـــ اهتم أبو جعفر بإيراده لأقوال بعض اللغويين ، متفقاً في ذلك مع الزمخشري ، إلا أنه زاد عليه ما حكاه عن أبي عبيد ، وكُراع ، وابن خالويه ، وهذا الاهتمام بأقوال أئمة اللغة قد أغفله أبو سهلٍ الهرويُّ .

ـــ انفرد أبو جعفرٍ بذكره (المقباس) عن أحد اللغويين وعرفه ، وهذا ما لا نجده عند الشارحين الآخرين .

الفصل الثالث

آثار حركة التوسع في الدرس اللغوي

نُذكِّـــر بأننا ـــ وفي مقدمة هذا الباب ـــ بدأنا حديثنا عن مصطلح التوسع اللغـــوي ، فعـــرفناه في اللغة والاصطلاح ، ومن ثَمَّ ضمنَّا كلامنا نقولاً لعلماء التوسع ، اتضح لنا ومن خلالها مذهبهم فيما يتعلق بتوسع العرب في لغاتهم ، مع ذكـــر بعضـــاً من ملامح ذلك التوسع ، وما تخلل ذلك من مؤلفات لأئمة اللغة المـــتقدمين في حقل التوسع ، والمتمثل في (كتب اللغات) ، ومن ثَمَّ عرَّجنا على الحـــديث عن شروح الفصيح الممثلة لهذه الحركة التوسعية في المشرقين ، وقدمنا فكـــرة عامَّـــة حـــول مناهج تلك الشروح ، وما تضمنته من خصائص عامَّة ، بالإضافة إلى ما أبرزته من مظاهر كشفت لنا عن توسع العرب في لغاتهم ، وقمنا بعقـــد موازنة بين الشروح المشرقية والمغربية ، والممثلة لحركة التوسع اللغوي ، وذلك عن طريق اختيار أمثلة لنصوص مختارة من تلك الشروح ، والتي من خلالها توصلنا إلى نتائج لتلك الموازنات اللغوية أثبتت في مواضعها .

وها نحن نختم هذا الباب بهذا المبحث ، والذي نحسب أنَّه يمثل ثمرة هذا الباب كلِّـــه ؛ لكـــونه قـــد عكس نتائج وآثار حركة هذا التوسع بما حوته مصنفات المتوســـعين ومناهج هؤلاء الشرَّاح من خصائص عامَّة توسعية أفرزت من خلالها مظاهـــر وآثار تلك الحركة التوسعية في الدرس اللغوي . وقد رأيت تصنيف آثار هذه الحركة وأثَرُها في الدرس اللغوي إلى أمرين رئيسين :

أولاً ـــ جهود أئمة اللغة المتوسعين من أصحاب التصويب اللغوي ، من أمثال : أبي زيد الأنصاري ، وأبي عبيد القاسم بن سلام ، وأبي عثمان السرقُسطي ، وابن الســـيد البطليوســـي ، وأبي الفتح البعلي ، وشهاب الدين الخفاجي ، بالإضافة لبعض شرَّاح الفصيح أصحاب المذهب التوسعي أمثال : الزمخشري ، وابن هشام اللخمي في كتابه (المدخل إلى تقويم اللســان) ، وأبي جعفر اللبلي .

ثانيـــاً ـــ ومـــن هذه الجهود أيضاً ما أفرزته بعض المعاجم اللغوية ، والتي تأثرت وأثَّـــرت في حركة التوسع اللغوي ، فكوَّنت حقلاً خصيباً في مجال تنمية الدرس اللغوي وازدهاره .

ومن أصحاب حركة التوسع في المعاجم اللغوية ، نذكر :

ـــ ابن سيده في معجمه (المُحكم) .

ـــ الصَّاغاني في (التكملة والذيل والصلة) .

ـــ مرتضى الزَّبيدي في (تاج العروس) .

ولكـــي يتضـــح المقصود وتتجلى حقيقة ما سبق فإنني سأختار مجموعة من هؤلاء الأئمة المتوسعين ، والذين كان لهم الفضل في إثراء حركة التوسع ، الذي انعكـــس بـــدوره على إثراء الدرس اللغوي بشكل عام ، مقدماً الأول فالأول ، مقتصراً على إيراد نماذج يسيرة لبعض الأمثلة ، والتي يتضح من خلالها المقصود ، وقد قصدت الإيجاز لا الحصر .

فأقول : لقد أثْرتْ هذه الحركة التوسعية الدرس اللغوي أيما إثراء وتمثل ذلك بـــتلك الجهـــود اللغوية الخيرة ، والتي نهض بها جماعة من أئمة اللغة المتوسعين ، الـــذين تعقبوا أولئك الأئمة المتشددين ، الذين وقفوا عند حدود اللغة الفصيحة العالـــية وأنكروا ما سواها ، أو منعوها ، أو لحّنوا مستعمليها ، أو صرَّح بعضهم بعدم معرفتها (أي اللغة الثانية) وهم في مذهبهم هذا ـــ أعني المتشددين ـــ لم يقصـــدوا التعسف أو التحامل ، أو تحجير الواسع على غيرهم ، وإنما كان لديهم غيرة شديدة على صفاء العربية ونقائها مما قد يشوبها ، فكانوا حصناً حصيناً للغة المثالـــية الفصحى ، لذا نراهم قد منعوا استعمال كلمات فصيحة لعدم اطلاعهم علـــى مصـــادرها مـــن كلام العرب المشهود لهم بالفصاحة والبيان ، وقد يُعذر لبعضهم تشدُّدِه في هذا الأمر كونه صاحب رواية وسماع ، إذ لم يكن بصاحب

قـياس ولا نظر كما هو الحال بالنسبة للأصمعي ، لذا هبَّ المتوسعون للاستفادة من تلك الثروة اللغوية الواسعة ، والتي هي في نظرهم أفق واسع حجَّرها وضيَّقها غيرُهـم ، فتمـثلت تلك الجهود بتصويبهم لكثير من اللغات التي منعها الفريق المتشدد ، وتخريجها على وجه صحيح في كلام العرب الفصحاء ، لأنهم يرون أن كل ما تكلمت به العربُ أو قيس على كلمها فهو صواب ، لا يخطأ من استعمله مـا دام لـه وجهـه في العربية يجيزه ، كما صوبوا كثيراً من لغات العامة والتي خطأها الفريق الأول ؛ لأنها في نظرهم لغة من لغات العرب الفصحاء أيضا ، لا يمكـن تجاهلها بل إنهم كانوا أكثر توسعاً في هذا الشأن ، عندما نسبوا عدداً من تلك اللغات والتي تُلحَقُ بالعامة إلى قبائل عربية فصيحة وهم بهذا العمل يُقَرِّرون فصاحتها .

وهؤلاء المتوسعون اجتهدوا لجعل اللغة غنية بما تصرَّف العربُ فيه من الألفاظ والاستعمالات ، والاشـتقاقات المختلفة ، حتى يسع استعمالها جميع شؤون النـاطقين بهـا ، فتكون أكثر مرونة وعطاء ، واسعة التعبير ، كثيرة المفردات ، متنوعة الدلالات ، غنية في أصول الكلمات ، **ومن هؤلاء نذكر :**

أولاً / أبو زيد الأنصاري [1] :

يأتي في مقدمة أولئك الأئمة الذين كانوا يتوسعون في اللغات ، حتى ربما جاء بالشيء الضعيف ، فيُجري ذلك مجرى القوي [2] .

وهـــو في نظر أحد الدارسين الغربيين ، كان ينطق كما ينطق الأعرابي ، وقد أدَّى التزامه الفصحى مع العوام في وقت مبكر إلى نكات من المزاح مشتملة على مـــوازنات بـــين صـــوابه المُتخّل المصفى ، وطريقة التعبير الفاحشة المعوجة عند معاصريه [3] .

وقـــد روى ابـــن خالويه في شرح الفصيح عن أبي حاتم أن الأصمعي كان يقول أفصح اللغات ، ويلغي ما سواها ، وأبو زيد يجعل الشاذ والفصيح واحداً فيجيز كل شـــيء قـــيل [4] . والذي يعنينا هنا تعقبه للأصمعي ، وإثبات فصاحة كثير من اللغات التي رفضها ، أو منعها ، أو لم يسمع بها الأول ، فأبان أبو زيد أنها لغات للعرب صحيحة فصيحة ، وقد تمثل هذا التعقب في الآتي :

ــ إثبات فصاحة ما أنكر الأصمعي ، وهو بهذا يضيف إلى اللغة الفصيحة المقدمة لغة فصيحة أخرى رويت عن العرب ، ويتضح ذلك من خلال الأمثلة التالية :

---

(١) هو سعيد بن أوس بن ثابت بن بشير بن قيس بن زيد بن النعمان بن مالك بن كعب بن الخزرج ، أبو زيد الأنصاري ، الإمام المشهور ، ولد سنة ١١٩هـــ كان إماماً في النحو ، صاحب تصانيف أدبية ولغوية ، غلبت عليه اللغة والنوادر والغريب ، قيل عنه أنه كان يحفظ ثلثي اللغة ، له تصانيف كثيرة في اللغة وكان يونس يقول : حدثني الثقة عن العرب ، يعني أبا زيد ، توفي سنة ٢١٥هـــ .

و انظر ترجمته في الأعلام ١٤٤/٣ ، وانباه الرواة ٣٠/٢-٣٥ ، وإشارة التعيين ١٢٨ ، وبغية الوعاة ٥٨٢/١-٥٨٣ ، والبلغة ٨٤ ، والفهرست ٥٤ ، ومعجم الأدباء ٢١٢/١١ —٢١٧ .

(٢) انظر : فعلت وأفعلت لأبي حاتم ٨٢ .

(٣) انظر : العربية (يوهان فك) ٩٣ .

(٤) انظر المزهر ٢٣٣/١ .

ـــ أنكر الأصمعي قولهم : نَهَجَ الثوبُ وخَلُق ، إذا بلي ، إذ إن الصواب عنده أن يقـــال : أنهـــج ، وأخلق ، بالألف ، ليس غير . ويثبت أبو زيد اللغتين جميعاً ، ووافقه فيما ذهب إليه يونس وأبو عبـيدة [1] .

ـــ أبى الأصمعي قولهم : سَمَلَ الثوبُ ، والصواب عنده : أسمل بالألف . فصرَّح أبو زيد بأنه يقال باللغتين جميعاً [2] .

ـــــ أنكر الأصمعي قولهم : أفْتَنْتُ الرَّجُلَ . والصواب عنده : فَتَنْتُهُ بغير ألف . ويُصرِّح أبو زيد باللغتين جميعاً وينسب الأولى إلى تميم [3] .

ـــــ أبى الأصمعي قولهم : أنْسَلَ الوبر ، ويرى أن الصواب : نَسَلَ فهو يَنْسُلُ ، ليس غير . بينما ينصُّ أبو زيد على فصاحة اللغتين جميعاً [4] .

ـــــ منع الأصمعي قولهم : جبرت فلاناً على الأمر ، إذ إنه يرى أنه لا يقال إلا أجبرته بالألف ، فيُصرِّح أبو زيد بفصاحة اللغتين جميعاً [5] .

ـــــ أنكر الأصمعي قولهم : أضَجَّ القوم ، بالألف ، والصواب عنده أن يقال : ضـــجَّ ، بغـــير ألف . قال أبو زيد : " يقال ضجُّوا وأضجوا ولغطوا وألغطوا ، وجَلَبُوا وأجلبوا ، باللغتين جميعاً [6] .

---

(١) انظر : فعلت وأفعلت لأبي حاتم ٨٣ .

(٢) نفسه : ٨٤ .

(٣) نفسه : ٩٠ .

(٤) نفسه : ٩٥ ، ٩٦ .

(٥) نفسه : ١١٥

(٦) نفسه : ١٢٦ .

ــــ يـــرى الأصمعي أن الصواب أن يقال : أَحَدَّت المرأةُ على زوجها وأنكر : حدَّت المرأة بغير ألف . بينما يُصرِّح أبو زيد بفصاحة اللغتين جميعاً [١] .

ومـــا هذه إلا نماذج مختصرة وإلا فالكتاب قد تضمن في ثناياه الكثير من مثل هذه الأمثلة ، والتي يثبت فيها أبو زيد فصاحة ما أنكره الأصمعي من لغات .

وبعـــد هذه الأمثلة المختارة ، والتي تجلى فيها مذهب أبي زيد التوسعي في إجازته وتفصيحه لما منعه المتشددون في تنقية اللغة فإننا نلحظ ذلك الأثر الذي خلّده أبو زيـــد فـــيمن جـــاء بعده من اللغويين الذين تأثروا بمذهبه التوسعي ، فنقلوا عنه تصـــويباته وتفصيحه ، وإجازته لكثير من اللغات التي منعها المتشددون ، فكان لهذا التأثير أثر واضح وجليٌّ انعكس على جماعة من أئمة اللغة ، نذكر منهم :

١ ــــ أبـــو عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤ هـــ)[٢] والذي ضمن كتابه (الغـــريب المصنف) ما يقارب من خمس مئة موضع نقل فيها توسع أبي زيد في اللغات المروية عن العرب نورد منها على سبيل الإيجاز ما يلي :

أولاً / التوسع في الأفعال وهو على ثلاثة أضرب :

١ــ ذكره لغتين في الماضي ، وقد جاء ذلك وافرٌ في ثنايا الكتاب نقتصر فيه على ما يلي :

ــ حكى أبو عبيد عن أبي زيد : حَلَلْتُ من الإحرام وأَحْلَلْتُ [٣] .

---

(١) انظر الصفحات : ٨٥ ، ٩٤ ، ١٢٧ ، ١٣١ ، ١٣٦ ، ١٤٩ ، ١٥٠ ، ١٦٧ ، ١٦٩ .

(٢) انظر ترجمته في بغية الوعاة ٢/٢٥٣-٢٥٤ ، وإشارة التعيين ٢٦١ ، والفهرست ٧١،٧٢ ومعجم الأدباء١٦/٢٥٤-٢٦١ .

(٣) الغريب المصنف : ١/٥٧٢ .

ـ كما حكى المصنف عن أبي زيد أيضاً : زَحَفْتُ في الشيء، وأَزْحَفْتُ : إذا أعْيَيْتُ [(١)]

ـ وحكى عنه أيضاً قوله : " وقد عَقُرَتْ تَعْقُرُ ، وعَقِرَتْ تَعْقَرُ " [(٢)] .

٢) ذكــره لغــتين في المستقبل ، وقد تضمن الكتاب الكثير من هذا النوع [(٣)] ، نشير فيه إلى ثلاثة أمثلة يتجلى فيها المقصود :

ـ حكى المصنف عن أبي زيد : خَفَقَ الفُؤادُ يَخْفِقُ ويَخْفُقُ [(٤)] .

ـ أيضاً نقل عنه : جَنَحَ الرَّجُلُ يَجْنَحُ ويَجْنُحُ [(٥)] .

ـ كما حكى عنه قوله أيضاً : " أَهَلَ الرَّجُلُ يَأْهِلُ ، ويَأْهُلُ : إذا تزوج [(٦)] .

٣) ذكــره ثلاث لغات في الماضي : وهذا النوع من التوسع جاء أيضاً مبثوثا في ثنايا الكتاب ، نلمح فيه إلى مثالين ، ومن خلالهما يتضح المراد :

ـ حكى أبو عبيد عن أبي زيد : شَحَبَ لونهُ ، يَشْحَبُ ويَشْحِبُ ويَشْحُبُ [(٧)] .

ـ كما حكى المصنف أيضاً عن الأخير : نَبَّقْتُ الكتاب ، ونَبَقْتُهُ ونَمَّقْتُهُ ، ونبه إلى أنها بمعنى واحد [(٨)] .

ثانــياً / التوسع في الأسماء ، وقد تضمن الكتاب الكثير من هذا الضرب ، نقتصر فيه على الآتي :

---

(١) الغريب المصنف : ٥٧٣/١ .

(٢) نفسه : ٦٨٦/١ .

(٣) انظر الصفحات : ٦٠١/١ ، ٦٠٢ ، ٦٠٨ ، ٧١٢/٢ ، ٧٧٦ ، ٧٧٩ .

(٤) نفسه : ٦٠١/١ .

(٥) نفسه ٦٠٣/١ .

(٦) نفسه ٦٠٢/١ .

(٧) نفسه ٦٠٤/١ .

(٨) نفسه : ٧٧٩/٢ .

ـــ نقـــل أبو عبيد في مصنفه المذكور ما حكاه أبو زيد من أنَّ أهل تهامة يقولون : العُضُدُ ، والعُضْدُ ، والعُجُزُ والعُجْزُ ، وتميم تقول العَضُدُ ، والعَجُزُ ، ونبه المصنف إلى أن الأخير أجاز فيهما التخفيف أيضاً [1] .

ـــ وحكى المصنف عن أبي زيد أيضاً من أنه يقال للشيء الذي يُدَقُّ به ، هو : المُدُقُّ ، والمِدَقُّ ، والمِدَقَّةُ [2] .

ـــ كما حكى عنه أيضاً أنه يقال : هي رُغْوَةُ اللَّبن ، ورِغْوَةٌ ورِغَاوَةٌ ، ورِغَايَةٌ ، فتلك أربع لغات [3] .

وبعد : فقد اتضح لنا من تلك الأقوال السابقة أثر حركة التوسع والتي خلَّعها أبو زيد على من جاء بعده من اللغويين ، والتي أثْرت بدورها حقل الدرس اللغوي ، ووسعت آفاقه .

٢ـــ أبو عثمان سعيد بن محمد السَّرَقُسْطِي (المتوفى سنة ٤٠٠ هـــ) [4]

وهـــو أحد اللغويين الذين تأثروا أيضاً بتوسع أبي زيد الأنصاري وبغيره من أئمة اللغـــة ، وقد انعكس هذا التأثر في إثراء الساحة اللغوية عن طريق تلك النَّـــزْعة التوسعية والتي ضمنها المصنف كتابه (الأفعال) [5] .

والـــذي نقل في مواضع كثيرة منه توسع أبي زيد في لغات العرب ، وتأصيله لها علـــى أنها لغات صحيحة فصيحة ، وإنكاره على من أنكرها ، فنقل السَّرَقُسْطِي

---

(١) الغريب المصنف ٦٦٠/٢ .

(٢) نفسه : ٦٦٥/٢ .

(٣) نفس المرجع والصفحة .

(٤) انظر ترجمته في : بغية الوعاة ٥٨٩/١ ، وكشف الظنون ١٣٣/١ ، ونفح الطيب .

(٥) حققه حسين محمد محمد شرف ، القاهرة ١٤١٣.

الكثير من تلك اللغات التي حكاها أبو زيد ، وأثبت فصاحتها ، نختار منها على سبيل الإيجاز ما يلي :

ـــ نقـــل السَّرَقُسْطِي عن أبي زيد أنه حكى : جَبَنَ ، يَجْبُنُ ، وجَبُنَ بفتح الباء في الماضي ، وضمها أيضاً لغتان [1] .

ـــ وحكى المصنف أيضاً قولهم : ورَهِصَتِ الدَّابةُ رَهصةً ، ونقل عن أبي زيد أنه روى عن الكلابيين لغة ثانية ، وهي رُهِصَتْ [2] .

ـــ كما نقل المصنف أيضاً عن أبي زيد أنه حكى : شنف له وشفن له : إذا نظر إليه نظرة البَغْضَة [3] .

ـــ حكى السَّرَقُسْطِي عن أبي زيد أنه يقال : بَعيرٌ أُرْطَوِي ، وأَرْطَاوِي ، ومَأْرُوطٌ ، وأَرِطٌ وهو الذي يأكل الأَرْطَى [4] .

ـــ كما حكى المصنف أيضاً عن أبي زيد قوله : " الغُلَّةُ والغَلُّ ، والغَليلُ ، والغَلَلَ " . وذكر أن كل هذه يقال في شدة العطش [5].

ـــ كما حكى المصنف أيضاً عن أبي زيد قوله : " اللُّكَعُ ، واللُّكُوعُ ، والأَلْكَعُ ، واللَّكْعَانُ ، كلُّه بمعنى اللئيم من الأحْرارِ وغيرهم [6] .

كما تأثر المصنِّفُ أيضاً بتوسع أبي زيد فيما يتعلق بالمصادر ، فمن ذلك :

---

(١) الأفعال : ٢٧٠/٢

(٢) نفسه : ٣٣/٣

(٣) نفسه : ٣٤٤/٢

(٤) نفسه : ٧١/١ .

(٥) نفسه : ٧/٢

(٦) نفسه : ٤٦٣/٢

ـــــ يذكر المصنف : شَنِئْتُهُ ، شَنْأً وشُنْأً ، ويَحْكِي أن أبا زيد قد زاد : وشِنْأً ، وشَنْأَةً [1].

ـــ ويذكر السَّرَقُسْطِي في موضع آخر قولهم : لَقِحَتْ الناقةُ لَقَاحاً : إذا حملت ، ويُنبّه إلى أن أبا زيد قد زاد لغة أخرى ، وهي : لَقَحَت بفتح القاف ، لَقَحَاَ ولَقْحاً [2] .

ـــــ وحكى المصنف قولهم : ولاحَ الرجل لُوَاحاً : إذا عطش ونبّه إلى أن أبا زيد قد زاد مصدراً آخر ، وهو : وَلُوحاً [3].

ـــــ أيضاً حكى السَّرَقُسْطِي قولهم : ولَحَظَهُ لَحْظاً : إذا نظر إليه ، وذكر أنَّ أبا زيد زاد مصدراً آخر ، وهو : لَحَظاناً [4] .

ومما سبق اتضح لنا جلياً تأثر أبي عثمان السَّرَقُسْطِي بمذهب المتوسعين وفي مقدمتهم أبي زيد ، والذي أفاد منه المُصنِّف في إثباته لكثير من اللغات والتي يعتقد بأنها من كلام العامة ، وليست من الفصاحة بشيء ، فبرهن السَّرَقُسْطِي على فصاحتها بإسنادها إلى إمام من أئمة اللغة وعلم من أعلامها .

وثمة حقيقة نشير إليها هنا وهي أنَّ السَّرَقُسْطِي المُتأثِرُ بمذهب من سبقه من المتوسعين كأبي زيد وغيره ، قد أثَّرَ هو أيضاً فيمن جاء من بعده من اللغويين ، ولا أدلَّ على ذلك مما نقله أبو الفتح البعلي في زوائده في (ثلاثيات الأفعال) والذي أكثر فيه من النقل عن السَّرَقُسْطِي في أفعاله ، لإثبات التوسع في لغات الأفعال ، وسيأتي الحديث عن ذلك في موضعه إن شاء الله تعالى .

---

(١) الأفعال : ٣٩٣/٢

(٢) نفسه : ٤٣١/٢

(٣) نفسه : ٤٣٥/٢

(٤) نفسه : ٤٤٦/٢

فكانت أقوال السَّرَقُسْطِي في أفعاله أُوْلى مصادر البعلي ، وهذا كله يصب في نهر يُرْوِي ويُثْري حركة التوسع في الدرس اللغوي .

٣ ـــ أيضاً امتدَّ تأثير أبي زيد في مذهبه التوسعي إلى شُرَّاح الفصيح أنفسهم ، والذين تَصَدَّوا لأولئك المتشددين الذين أنكروا أو منعوا بعض اللغات المروية عن العرب ، فأثبت هؤلاء الشُّرَّاح فصاحة ما أُنْكِر من لغات ، بإسناد روايتها إلى أبي زيـــد ، والـــذي لا يختلف على علو شأنه ومكانته اللغوية اثنان ، فكانت الثمرة تنمية وإثراء لحركة التوسع في الدرس اللغوي .

وهـــا نحن نوجز نماذج يتضح من خلالها تأثر بعض شُرَّاح الفصيح بمذهب إمام التوسع أبي زيد ، فمن ذلك :

ـــــ ذكر الزمخشري في شرحه لفصيح ثعلب أنَّ الأصمعي أبى قول من قال : دَمِعَتْ عـــيني ، بكسر الميم ، ووجه الكلام عنده بفتحها ، فيُصرِّحُ الشارح بأن أبا زيد وأبا عبيدة جَوّزا ما أباه الأصمعي [(١)].

ــ أيضاً نقل الزمخشري أن الأصمعي رفض أن يقال : أَرْعَدَ ، وأَبْرَقَ ، بالألف ، مـــن الرَّعْد والبَرْق ، ومن ثَمَّ نَبَّه الزمخشري إلى أن أئمة اللغة أجازوا ذلك ، وفي مقدمتهم أبي زيد [(٢)] .

ـــــ ذكر الزمخشري أيضاً في شرحه للفصيح إنكار الأصمعي لقولهم : نَشَرَ الله الموتى ، والصواب عنده أن يقال ذلك بالألف ، إلا أن الزمخشري صرَّح بأن أبا زيد نصَّ على فصاحة ما أنكره الأصمعي [(٣)] .

---

(١) انظر شرحه للفصيح : ١٧ .

(٢) شرحه للفصيح : ٧٦ .

(٣) نفسه : ٢٢٣ .

كمـا أن مـذهب أبي زيد التوسعي كان له تأثير إيجابي تمثل في إثرائه للغات العرب ، بإضافته لغة أخرى ، أو أكثر وسمها المتشددون بالخطأ ، أو حملوها على لغات العامة ، ومن أمثلة ذلك :

ـ منع المتشددون قول من قال : سَخِرْتُ به [1] ، إذ الصواب عندهم أن يُقال : سَـخِرْتُ منه ، وحكى أبو زيد وغيره اللغة الأولى[2] ، إلى جانب اللغة الفصحية المقدمة .

ـ وإذا كان صاحب الفصيح قد وقف عند اللغة العالية في قوله : " شَغَلَني عنك أمرٌ "[3] فقد حكى ثابت في لحنه أنه يقال : أشْغَلَني بالألف ، وصرَّح بأنه سمعها من أبي زيد .[4]

ـ أيضـاً اقتصر علماء التنقية ، وفي مقدمتهم صاحب الفصيح على لغة العلو والفصـاحة في قـوله : " أُغْمِيَ على المريض " [5] بينما حكى أبو زيد عن بعض الأعراب قولهم : قد غُمِيَ ، فهو هنا يضيف لغة أخرى [6] .

ـ وحكى صاحب الفصيح لغتين هما : جَنَّ عليه اللَّيلُ ، وأجَنَّهُ[7] ، وأضاف أبو زيد وغيره من المتوسعين لغة ثالثة ، هي : جَنَّه [8] .

---

(1) انظر : ما تلحن فيه العامة ١٠٨ ، والإصلاح ٢٨١ ، وأدب الكاتب ٤١٩ ، وتقويم اللسان ١٢٣ ، وتصحيح التصحيف ٣٠٨ .

(2) انظر : شرح الزمخشري للفصيح ٢٣١ ، والصحاح ، واللسان (سخر)

(3) الفصيح : ٢٦٨ .

(4) انظر : تحفة المجد ٢٧٤ ، ٢٧٥ .

(5) الفصيح : ٢٧٠ .

(6) انظر : تحفة المجد : ٣٤١ .

(7) ص : ٢٧٨ .

(8) انظر شرح الزمخشري للفصيح : ٢٣٦ .

ـــــ كما أثبت صاحب الفصيح في موضع من فصيحه لغتين في الماضي أيضاً ، هما : (بَـرِئْتُ من المرض ، وبرأت)[1]. وحكى ابن يونس في مُبرِّزه عن أبي زيد لغة ثالثة ، هي بَرَى ، يَبْرَي ، بكسر الراء في الماضي من غير همز[2] .

ويظهـــر تأثـــر مـــذهب أبي زيد في توسعه اللغوي أكثر وضوحاً في تصويبه وتفصيحه لكثير من لغات العامة ، والتي خطأها من تشدَّد من اللغويين الآخرين ، فيبلغ هذا التأثير والتأثر قمَّته لدى أبي جعفر اللبلي في كتابه (تحفة المجد الصريح) والـــذي يَبْرُزُ فيه التوسع من أوسع أبوابه ، فتأثر بذلك بأئمة اللغة المتوسعين عامة ، وبمـــذهب أبي زيد خاصة ، وذلك بما نقله عنه في تحفته ، والذي برهن في ثناياه عن توسع العرب في لغاتهم ، ومن هذا التوسع تصويبه لكثير من لغات العامة التي وسمت بالخطأ ، وهو في مذهبه هذا يدلل على فصاحتها ، مستشهداً بما ينقله عن أبي زيد ، وقد جاء ذلك وافرٌ في ثنايا كتابه (تحفة المجد) نختار منه ما يلي :

ـــ ذكر أبو جعفر اللبلي إنكار ابن درستويه وتخطئته لقول العامة : بَرَّ حَجَّكَ ، بفتح الباء ، ثم يصرِّحُ أبو جعفر بأنَّ قول العامةِ صحيحٌ فصيحٌ ، وذلك بما حكاه أبو عبيد عن أبي زيد [3] .

ـــــ كما خطأ ابن درستويه أيضاً قول العامة : أجِنَ الماءُ ، بكسر الجيم ، إذ إن الصـــواب عنده فتحها . إلا أن أبا جعفر ينقل عن أبي حاتم في تقويم المفسد ما حكاه الأخير عن أبي زيد من أنَّ لغة العامة صحيحة فصيحة [4] .

---

(١) ص : ٢٦٤

(٢) انظر : تحفة المجد ١٧٦ .

(٣) انظر تحفة المجد : ٣٥٠.

(٤) نفسه : ١٢٣ .

ـــــ وفي موضع آخر من التحفة أيضاً يذكر أبو جعفر تخطئة ابن درستويه لقول العامـــة : نَهَكَهُ المرض وغيرُه ، بفتح الهاء ، حيث يرى ابن درستويه أن الصواب كسرها ، فيُصرِّح أبو جعفر بما نقله عن أئمة اللغة الثقات وفي مقدمتهم أبي زيد بصواب لغة العامة [1] .

ـــــ كما ينقل أبو جعفر أيضاً عن ابن درستويه تخطئته لقول العامة : أَجْهَدَ دَابَّتَهُ ، بالألف ، والصواب عنده بغير ألف ، ومن ثم يُصرِّح أبو جعفر بصواب ما خطأه الأول ، حاكـــياً ذلـــك عن أبي زيد [2]. قلت : وقد نعتها الزمخشري بالجودة والفصاحة ، ووافقه الزجاج وابن القطاع فيما ذهب إليه من تفصيحه للغة العامة [3].

ومن آثار حركة توسع أبي زيد في لغات العرب نجده ـــ وفي بعض المواضع ـــ يجمع بين تفصيحه للغة العامة ، وبين نسبتها إلى إحدى قبائل العرب ، وهو بهذا يُعْلي من فصاحتها فمن ذلك نذكر :

ـــــ أنكر بعض المتشددين قول العامة : عَجِزْت ، بكسر الجيم ، فينقل أبو حاتم في تقويم المُفْسَد عن أبي زيد أنها لغة لبعض قيس [4].

ـــــ أيضاً جاء في فصيح ثعلب قوله : " ونَكَلَ عن الشيء " [5] بالفتح ، وحكى يعقـــوب في الإصلاح عن الأصمعي أنه لا يقال : نَكِلَ ، بكسر الكاف ، بينما يحكي أبو حاتم في تقويم المفسد ، عن أبي زيد اللغتين جميعاً ، ويُصرِّح الأخير بأن الكسر لغة تميمية [6].

---

(١) تحفة المجد : ١٧٣ .

(٢) نفسه : ٢٩٧ .

(٣) انظر شرح الزمخشري للفصيح ١٠٦، وفعلت وأفعلت للزجاج ١٨ وأفعال ابن القطاع ١٤٧/١ .

(٤) انظر تحفة المجد : ٧١ .

(٥) ص : ١٨٨ .

(٦) تحفة المجد : ١٠٤ .

ــ ذكر أبو جعفر اللبلي في تحفته أن ابن درستويه خطأ قول العامة : عَضَضْتُ ، بفـــتح الضاد الأولى ، حيث إنه يرى أن الصواب كسرها ، وينقل أبو جعفر ما حكاه صاحب الموعب عن أبي زيد من أنّ الفتح لغة تميمية أيضاً [1].

(١) تحفة المجد : ١٥٧ .

ثانياً / ابن سيده الأندلسي[1] :

ومن آثار هذه الحركة التوسعية ما أفرزته بعض المعاجم اللغوية ، من تنمية للثروة اللغوية ، تمثل بما اشتملت عليه من لغات ، كونت حقلاً خصباً في مجال تنمية الدرس اللغوي وازدهاره ، فظهرت بعض المؤلفات والتي تأثرت بحركة التوسع اللغوي ، وخاصة في بلاد المغرب العربي ، ممثلة بمعجم ابن سيده (المحكم والمحيط الأعظم) والذي ضمنه المؤلف الكثير من اللغات التي أهملتها المعاجم الأخرى ، فلم تأت بها ، فذكر ابن سيده عدداً من تلك اللغات التي وسمها بعض اللغويين المتشددين بالخطأ ، أو حملوها على لغات العامة ، فأصلها على أنها لغات صحيحة فصيحة ، رُويت عن العرب الفصحاء ، وعليه فلا ينبغي رفضها ، أو تجاهلها ، أو تخطئة مستعمليها ، وأن وقوف المتشددين في التنقية على اللغة الأولى والمقدمة فصاحة لا يُقَلل من شأن تلك اللغات التي رفضوها ، بحجة أنهم لم يقفوا على مصادرها من كلام العرب الفصحاء ، فقد وقف عليها غيرهم ، وبرهن على فصاحتها وهو بصنيعه في معجمه هذا يكسوا الثروة اللغوية حلية تُثري حقلها الخصيب بما حكاه من لغات رويت عن العرب الفصحاء ، وقد أثرى بها الدرس اللغوي ، ووسَّعَ ضَيِّقاً حجره آخرون ، نختار من ذلك ما يخدم هدفنا المنشود وبشيء من الإيجاز :

---

(١) هو علي بن اسماعيل ، وقيل محمد ، وقيل أحمد ، ولد حوالي عام ٣٩٨هـ شرق قرطبة ، كان ضريراً كأبيه ، تلقى العلم على أبيه ، ألف عدة كتب ، توفي سنة ٤٥٨هـ ، وانظر مقدمة محقق الكتاب ص ٥ ، وانظر ترجمته في : إشارة التعيين ٢١٠ ، وبغية الوعاة ٢/١٢٦ ، ومعجم الأدباء ٥/٨٤ ، وانظر : مقدمة محقق الكتاب ص ٥ .

ـــــ اقتصـــر أصحاب التنقية على (أجَنَ الماءُ) بالفتح [1] ، فصرَّح ابن سيده بوجود ثلاث لغات ، هي : أجَنَ العالية المقدمة وأجِن ، بكسر الجيم ، وأجُنَ ، بضم الجيم ، واللغتان الأخيرتان أهملها المنقون كما أشرنا سابقاً [2] .

ـــــ أيضـــاً جاء في فصيح ثعلب قوله : " غاظني الشيء "[3] واقتصر أصحاب مذهب التنقية عليها [4]، بينما يُصرِّح ابن سيده بذكر ثلاث لغات :غاظني ، لغة الفصيح ، وأغاظني بالألف ، وغَيَّظَني [5] .

ـــــ كما حكى ابن سيده ثلاث لغات في (حزن) هما : حَزَنَهُ الأمرُ ، وأَحْزَنَهُ بالألف ، وحَزِنَهُ ، بكسر الزاي[6] ، وقد وقف المنقون على اللغة الأولى [7].

ـــــ جـــاء في فصيح ثعلب قوله : " وعَرِجَ الرجلُ : إذا صار أعرج ، هذه اللغة العالية المقدمة ، والتي وقف عندها المنقون [8] ، إلا أنَّ ابن سيده يضيف إليها لغتين أخريتين ، هما : عَرَج ، وعَرُج ، بفتح الراء وضمها [9] .

ـــــ وإذا كان المنقون[10] أيضاً قد اقتصروا في قولهم : عَيَّ بالأمر ، إذا لم يعرف وجهـــته ، فـــإن ابـــن سيده أضاف إلى ما سبق ثلاث لغات هي : عَيِيَ ، وتَعَايَا ، واستَعْيَا ، كلها بمعنى .

---

(١) انظر : أدب الكاتب ٣٩٩ ، وتصحيح الفصيح ٥٣ . .

(٢) المحكم : ٣٤١/٧ (أجن) .

(٣) ص : ٢٦٨

(٤) انظر : أدب الكاتب ٣٧٥ ، وتثقيف اللسان ١٧٩ ، وتصحيح التصحيف ١١٦ .

(٥) المحكم :٩/٦ (غضض)

(٦) نفسه : ٦٥١/٣ (حزن) .

(٧) انظر : الفصيح ٢٦٨ ، وشرح ابن الجبان ١١٩

(٨) انظر : الإصلاح ٢٨٦ ، وأدب الكاتب ٣٤٧ والفصيح ٢٧٢ .

(٩) المحكم : ١٨١/١ (عرج) .

(١٠) انظر الفصيح : ٢٧٣ ، وتصحيح الفصيح : ١٢٦ ، وشرح ابن الجبان ١٣٤ .

و لم يقتصر توسع ابن سيده في مجال اللغات فحسب ، بل نجد هــذا التوســع ظاهراً بوضوح عند ذكره للمصادر والصفات والجموع ، وهو توسع انفرد بــه المصنف عن غيره من اللغويين الآخرين ، حيث إننا لا نجد لهذا التوسع ذكراً أو أثراً عند أولئك المتشددين في تنقية اللغة ، ويكشف ابن سيده عن توسعه في هذا الجانب من خلال الآتي :

ــ ففي الفعل (رَضع) يورد المصادر التالية : رَضْعٌ ، ورَضِــعٌ ، ورَضَــاعٌ ، ورِضَاعٌ ، ورَضَاعَةٌ ، ورِضَاعَةٌ [1].

ــ ويذكر أن من مصادر (سَخُنَ) : سُخُونَة ، وسَخَانَةٌ ، سُخْنَةٌ ، وسُــخْنَاً ، وسَخَنَاً[2].

ــ وفي قولهم : خَفَرْتُ الرَّجلَ إذا حَفظْتَه ، يذكر ابن سيده : الخَفَارَةَ والخُفَــارَةَ ، والخِفَارَةَ ، باللغات الثلاث [3] ، والتي لا وجود لهن عند المنقين .

ــ وفي قولهم: حَمِدْتُ الرَّجُلَ ، يذكر : حَمْداً ، وحَمْدَةً ، ومَحْمَدَاً ، ومَحْمِــداً ، ومَحْمَدَةً ، ومَحْمِدَةَ ، بكسر الميم وفتحها [4].

ــ وفي (عَضَّ) يَحْكي : عَضٌّ ، وعَضِيضٌ ، وعِضَاضٌ [5] .

كما انه يُصرِّح بذكره لكثير من الصفات ، التي لا وجود لها عند علمــاء التنقيــة ، نقتصر منها على مثالين :

---

(١) المحكم ٢٥٠/١ (رضع) .

(٢) نفسه : ٥٠/٥ (سخن) .

(٣) نفسه : ١٠٦/٥ (خفر) .

(٤) نفسه : ١٩٨/٣ (حمد) .

(٥) نفسه : ٢٧/١ (عضض) .

ـ ففي قولهم : غَدَرْت بالرجل ، يذكر من الصفات : غَادِرٌ ، وغَدَّارٌ ، وغَدُورٌ [١] .

ـ وفي قولهم : رَجُلٌ حَسُودٌ ، يذكر : حُسَّداً ، وحُسَّاداً ، وحَسَدَةً [٢] .

ـ كمــا أنه يُصرِّح بذكره لبعض الجموع والتي سكت عنها علماء التنقية ، كقوله في جمع (الهَدِيَّة) : هدايا ، وهَدَاوَى ، وهَدَوِي ، وهَدَاوٍ [٣].

ونخلــص مما سبق إلى أن ابن سيده من المغاربة المتوسعين في لغات العرب ، وقــد اتضح لنا هذا جلياً من خلال معجمه (المحكم) ، وهذه الحركة التوسعية والتي ضمنها المُصنِّفُ كتابه كانت رافداً قوياً من تلك الروافد التي أثرت الدرس اللغــوي ، وأمدتــه بتلك الثروة اللغوية ، والتي حجرها البعضُ على غيرهم من اللغويين .

وثمــة ملحـــوظة ، وهي : أن ابن سيده لم ينفرد وحده بصنيعه هذا بمعجمه المذكـــور ، وإنما شاركه بعض أصحاب المعاجم الأخرى ، والذين سلكوا ومن خـــلال ما تضمنته معاجمهم مـــلك ابن سيده في إثباتهم لتوسع العرب في لغاتهم وذلك بما نقلوه عن الثقات من اللغويين ، كما هو الحال عند الصاغاني في تكملته على صحاح الجوهري ، وكما فعل الزَّبيدي أيضاً في تاج العروس ، وما تضمنه معجمــه المذكـــور من تصريحه بكثير من اللغات التي رفضها المتشددون ، فأبان المصنِّفُ عن صحتها ، وبرهن على فصاحتها ، مستشهداً بأقوال أئمة اللغة على صحة ما ذهب إليه ، وسيأتي الحديث عن هذين المعجمين في موضعها . إن شاء الله تعالى .

---

(٦) المحكم : ٢٧١/٥ (غدر) .

(٧) نفسه : ١٢٧/٣ (حسد) .

(٨) نفسه : ٢٦٩/٤ (هدي) .

ثالثاً / ابن السِّيْد البطليوسي :

هو أبو محمد عبدالله بن محمد بن السيد البطليوسي توفي سنة ٥٢١ هـ [١] .

وهو أحد أرباب التوسع اللغوي ، وقد تمثل ذلك في كتابه (الاقتضاب في شرح أدب الكُتَّاب)[٢] والذي تعقب فيه ابن قتيبة [٣] في كتابه (أدب الكاتب) وهو كما يُقَرِّرْ (يوهان فك) قد احتضن مذهب الأصمعي في تنقية اللغة ، دون أن يعنى بمذاهب الثقات الآخرين من علماء اللغة [٤].

فأنكر الشارح على ابن قتيبة تشدده ، ومنعه لكثير من اللغات المستعملة في كلام العرب ، والمرويَّة عن أئمة اللغة الثقات ، فنبَّه إلى ما غلط فيه واضع الكتاب ، أو الناقلون عنه ، وما منعه المُصَنِّفُ أو تشدد فيه ، وهو صوابٌ فصيحٌ في نظر الشارح . نختار من ذلك ما يخدم غرضنا المقصود ، وقد عمدنا إلى الإيجاز ما أمكن ذلك ، وهذه بعض الأمثلة والتي يتضح من خلالها تشدد بن قتيبة في منهجه اللغوي ، يقابلها توسع الشارح في لغات العرب ، وذلك من خلال تعقبه للأول ، والردود عليه ، والذي أفاد بدوره حركة التوسع في الدرس اللغوي ، فمن ذلك :

---

(١) ولد في بطليوس في سنة ٤٤٤هـ وإليها ينتسب إمام من أئمة النحو ، وعَلَمٌ من أعلام اللغة والأدب وكان موسوعة علمية ، وصف بغزارة الحفظ وسعة الاطلاع ، وقوة التقصي ، والدقة في البسط والشرح ، والثقة فيما قَيَّدَ وحَفظ ، وضبط وروى ، عرف بوضوح المنهج ، وسلامة المنطق ، واستقامة الحُجَّة ، أخذ في التعليم والتدريس ، كما أخذ في التأليف والتصنيف ، فله مصنفات ومؤلفات كثيرة ، توفي سنة ٥٢١هـ ، انظر ترجمته في : إشارة التعيين ٦٨٠ ، وبغية الوعاة ٢/٥٥ ، ٥٦ ، ومقدمة محقق الكتاب ص ٥ وما بعدها

(٢) حققه : مصطفى السَّقَّا ، وحامد عبدالمجيد .

(٣) سبق الحديث عنه وعن كتابه في مبحث (أعلام التنقية اللغوية) .

(٤) انظر : العربية (يوهان فك) ٩٩ .

ـــــ أنكر ابن قتيبة على من قال : أَخَذَهُ قَصْراً ، فَهو يرى أن الصواب أن تقال بالسـين ، لا بالصاد [1] . فَبَيَّنَ الشارحُ إلى أن ما قاله المُصَنِّفُ هو المشهور ، إلا أن من اللغويين من حكا اللغتين كما فعل ابن السكيت في الإصلاح [2] .

ـــــ أنكر ابن قتيبة على البعض قولهم : بَخَسْتُ عَيْنَهُ ، بالسين ، إذ إنه يرى أن البخس عنده بمعنى النُّقْصان ، ومثلها قولهم : سَنْحَة الميزان ، والسِّمَاخ ، وبَسَقَ الـرجلُ ، فهو يرى أن هذه الألفاظ كلها تقال بالصاد ، ليس غير [3] . قلت : وقـد وافق ابن قتيبة ما قرره يعقوب [4] ، وغيره من علماء التنقية ، بينما يُصرِّح الشارح أنها تقال بالصاد والسين ، حاكياً ذلك عن الخليل وغيره [5] .

ـــ منع ابن قتيبة قولهم : ثِيابٌ جُدَدٌ ، بفتح الدال الأولى ، والصواب عنده ضمها [6]، بيـنما يذكر الشارح أن أبا العباس المبرد وغيره أجازوا في كل ما جمع من المضاعف على (فُعُل) الضم والفتح ، لثقل التضعيف ، ثم يستشهد على مذهبه بقراءة بعض القُرَّاءِ [7] .

ـــــ أنكـر المصـنف على من قال : دَابَّةٌ فيها قُمَاصٌ ؛ والصواب عنده كسر الصـاد[8] ، فيُصرِّح الشارح بأن الضم والكسر جائزان ، حاكياً ذلك عن غير واحد من اللغويين [9] .

---

(١) انظر : أدب الكاتب ٣٨٦ ، وانظر : الإصلاح ١٦٧ .

(٢) انظر : الاقتضاب ١٩٦/٢ ، والإصلاح ٢١٧ .

(٣) أدب الكاتب ٣٨٧ .

(٤) انظر الاصلاح ١٨٤ ، وتقويم اللسان ٨٢ ، وتصحيح التصحيف ١٥١ .

(٥) انظر : الاقتضاب ١٩٧/٢ ، وانظر العين ٢٠٣/٤ (بخس) .

(٦) انظر : أدب الكاتب ٣٩٤ .

(٧) انظر : الاقتضاب ٢١٠/٢ .

(٨) انظر : أدب الكاتب ٣٩٦ .

(٩) انظر : الاقتضاب ٢١٤/٢ .

ـــــ أنكـــر ابن قتيبة قولهم : ماءٌ مالحٌ [1] ، والصواب عنده أن يقال : مِلْحٌ ، فيتعقبه الشارح موضحاً بأن ما حكاه ابن قتيبة وافق ما قاله يعقوب في الإصلاح ، وابن دريد في الجمهـــرة ، ورواه الرواة عن الأصمعي ، ونَبَّهَ إلى أنَّ هذا هو المشهور من كلام العرب ، إلا أنَّ قوله العامة لا يعد خطأً ، وإنما يجب أن يقال : إنها لغةٌ قليلة [2].

ـــــ أنكر ابن قتيبة أيضاً قولهم : هو الرُّسْتَاقُ ، بالسين والتاء ، ويرى أن الصواب : الـــرُّزداق ، بالزاي والدال [3] . فذكر الشارح أن ما قاله ابن قتيبة قد سبقه إليه يعقوب في الإصلاح وأنَّ ما أنكره صحيح ذَكَره غير واحد [4] .

ـــــ رفض المصنف قولهم : عَرَّ الظَّلِيمُ ، إذا صَوَّت ، والصواب عنده أن يقال : عَـــارَّ ، بالألف [5] ، إلا أن الشارح يرى فصاحة ما أنكره المصنف بما حكاه أبو عبيد في الغريب المصنف عن أبي عمرو [6] .

ـــــ خطأ ابن قتيبة قولهم : سكرانٌ مُلْطَخٌ ، والصواب عنده أن يقال : مُلْتَخٌ ، أي لا يفهـــم شيئاً [7] . فيرد عليه الشارح بأن ما خطأه صواب فصيح ، حكاه يعقـــوب في الإصـــلاح [8] كما أضاف الشارح أيضاً لغة ثالثة حاكياً إياها عن اللحياني وهي (مُلْتَبِكٌ) [9] .

---

(١) انظر أدب الكاتب : ٤٠٤ .

(٢) انظر : الاقتضاب ٢/٢٢٣ .

(٣) انظر : أدب الكاتب ٤٠٨

(٤) انظر : الاقتضاب ٢/٢٢٧ .

(٥) انظر : أدب الكاتب ٤٠٨ .

(٦) انظر : الاقتضاب ٢/٢٢٨ ، واللسان (عرر)

(٧) انظر : أدب الكاتب : ٤١٢ .

(٨) ص : ٣١٢ .

(٩) انظر الاقتضاب ٢/٢٣٠ .

ـــــ وأبى ابن قتيبة فتح الكاف في (كِسرى) مُصرِّحاً بأنها بالكسر ليس غير ، ويــرى الشارح أن الفتح والكسر فيه جائزان ، وإنما اختلفوا في المختار منهما ، فنَّبهَ إلى أن أبي حاتم اختار الكسر ، بينما اختار المبرد الفتح [1] .

ولم يقتصر تعقب ابن السيد لا بن قتيبة في تشدده ، وإجازة ما منعه الأخير ، وتفصيحه على أنه لغة من لغات العرب المروية عنهم وإنما تجاوز الشارح ذلك ، فأضاف لُغات عن العرب لم يرد لهن ذِكرٌ عند ابن قتيبة في كتابه المذكور ، ومن ذلك :

ـــــ ينقل الشـارح عن ابن قتيبة أنه ذكر لغات في (الشَّمَال) فأضاف ابن السيد لغـــة سادسة ، هي (الشَّمُول) على وزن (رَسول) ثم يستشهد لفصاحتها ببيت للأخطل[2] .

ـــــ أيضاً نقل الشـارح عن المصنف أنه ذكرَ ثلاث لغات في (الأُبْلُمَة) فأضـاف الأول نقـــلاً عـــن ابن القطاع لغة رابعة ، أهملها الثاني وهي : (إِبْلَمَة) بكسـر الهمزة وفتح اللام [3] .

ـــ وفي موضع آخر من (الاقتضاب) ينقل الشارح عن ابن قتيبة أيضـاً أنه ذكر أربع لغات في (العَضد والعَجز) ، بفتح الأول وكسر الثاني ، ويرى أيضاً جواز التخفيف في هذه اللغة ، ونقل الكسرة إلى الأول [4] .

وهــــذا التوسع لدى ابن السيد أيضـاً كشف عنه مُؤَلَّفَهُ الموسوم (بمثلث ابن السـيد) وللكـــتاب حظ من عنوانه ، حيث أبان العنوان أن المؤلف اعتنى فيه

---

(١) انظر : الاقتضاب ٢/٢٣٧ .

(٢) نفسه ٢/٣٢١ .

(٣) انظر : الاقتضاب ٢/٣١٩ .

(٤) نفسه ٢/٣١٩ ، ٣٢٠ ، وانظر الاصلاح ١٨٨ ، وتثقيف اللسان ١٧٣ ، وأفعال السرقسطي ١/٢٢٠

بالألفـــاظ المثلثة ، وهي أعلى مراتب التوسع ، وفيه تتجلى أعظم صُوَرِه ، نلمح إلى شيء منها :

ــــ حكى ابن السيد تثليث العين في الفعل (رَعُف)[1] .

كمـــا حكــــى ثلاث لغات في الفعل (عَجَزَ) هي : عَجَزَ ، وعَجِزَ ، بفتح الجيم وكسرها ، وصرَّح بلغة ثالثة . هي : تَعَجَّزَ[2].

ــــ أيضاً حكى في مثلثه من أنه يقال : عَمَرْتُ المكان بالفتح ، وعَمِرت بالمكان ، بالكسر : أقمت ، وأضاف لغة ثالثة عن قطرب ، هي : عَمُرَ المكان بالضم[3] .

ــــ كما حكى أيضاً ثلاث لغات مصادر في الفعل (وَدِدَ) هي : وِدَادٌ ، ووَدَادٌ ، ووُدَادٌ ، أي بتثليث الواو[4] .

وتخلــص مما سبق إلى القول بأنَّ هذا العالِم اللغوي المغربي أفاد بتأصيله لكثير مـــن اللغات والتي وقف المتشددون إزائها موقفين : إما التقليل من شأنها ونعتها بالـــرداءة أو الشذوذ ، أو القلة ، أو تصريحهم بتخطئتها ، وتلحين مـــتعمليها ، فهـــذا العــــالِم بصنيعه وتصريحه بفصاحة تلك اللغات وصوابها أضاف إلى هذا المـــوروث اللغـــوي ثروةٌ لُغوية أخرى أفادت منها حركة التوسع ، والذي أفاد بدوره في تنمية وازدهار وإثراء الدرس اللغوي .

---

(١) انظر المثلث ٢/٣٠ ، تحقيق صلاح الفرطوسي ، دار الرشيد للنشر ١٤٠١هــ

(٢) المثلث : ٢/٢٧٨ .

(٣) نفسه :٢/٢٠٠ .

(٤) نفسه : ٢/٤٧١ .

رابعاً / ابن هشام اللخمي (ت ٥٧٧ هـ) [١] .

إذا كان ابن هشام اللخمي في شرحه للفصيح ـ وكما مرَّ بنا [٢] ـ من العلماء اللغويين المُنقين ، فإنه في مؤلفه (المدخل إلى تقويم اللسان) يُغَلِّبُ فيه النَّزْعة التوسعية في إثباته لكثير من اللغات التي رفضها أئمة التنقية اللغوية ، أو خطؤوها ، أو حملوها على لغات العامة ، وكما فعل ابن السِّيد البطليوسي في تعقبه لابن قتيبة ـ وكما مرَّ بنا ـ فعل هذا ابن هشام اللخمي عند تعقّبه لعالمين من علماء التنقية ، هما : الزُّبيدي في كتابه (لحن العامة) [٣] وابن مكي الصِّقلي في كتابه (تثقيف اللسان) [٤] فقام ابن هشام بتعقبهما والرَّد عليهما ، وأنكر تشدُّدهما في اللغة المروية عن العرب ، ويبدأ المؤلف كتابه (المدخل إلى تقويم اللسان) بالرد على الزُّبيدي ، منكراً عليه تشدده في توسع العرب في لغاتهم ، مستشهداً على صواب ما ذهب إليه بما حكاه أئمة اللغة المتوسعين ، فمن ذلك :

ـ أنكر الزبيدي على العامة قولهم : (لَحَسْتُ وغَصَصْتُ) ويرى أن الصواب كسر العين فيهما ، فيرد عليه ابن هشام من أنه حُكِيَ فيها الكسر والفتح ، وإن كان الكسر أفصح ، فإن الفتح ـ وكما يرى ابن هشام ـ لغة أيضاً ، وبما أنها لغة فلا حجة لتلحين العامة فيها [٥] .

---

(١) سبق التعريف به في : ص ٢٩٨ من هذا البحث

(٢) انظر ص ٢٩٧ من هذا البحث .

(٣) سبق التعريف به وبكتابه في مبحث أعلام التنقية ص ٨٦ .

(٤) سبق التعريف به وبكتابه في مبحث أعلام التنقية ص ١٠٧ .

(٥) المدخل إلى تقويم اللسان ٣١ .

ـ كما أنكر الزُّبيدي على العامة قولهم : غَلَقْتُ الباب ، ويرى أنها لغة ضعيفة ، والفصيح عنده أن يُقال ذلك بالألف . فَيُبيِّنُ الرَّادُّ أنها وإن كانت لغة رديئة ، فلا يجب أن تُلَحَّنَ فيها العامة ؛ لأنها من كلام العرب ، وإن قلت وضعفت [1] .

ـ كما أنكر الزُّبيدي على العامة قولهم : سَكْرَانة ، لأنهم يبنونها على (سَكْرَان) ويرى أن الصواب أن يقال : سَكْرَى ، ثم يَحْكِي الزبيدي عن يعقوب أن قوماً من بني أسد يقولون (سَكْرانة) على لغة العامة . ويرى ابن هشام بعدم تلحين العامة في قولهم هذا ؛ لأنهم نطقوا بها كما نطقت بها بعض قبائل العرب ، فلا حجة هنا لتحلين العامة [2] .

ـ ويُنكر الزُّبيدي على العامة أيضاً قولهم : خَيْزَرَان ، والصواب عنده أن يقال : خَيْزُران ، بضم الزاي ، فيُصرِّح الرَّاد بأنّ من اللغويين من حكاه باللغتين ، وعلى هذا لا يرى أن في كلام العامة لحناً[3] .

ـ أيضاً أنكر الزُّبيدي على العامة قولهم : لُطِخ الرَّحْلُ بِشَرٍّ ، حيث إنه يرى أن الصواب أن يقال : لُطِحَ ، بالحاء غير معجمه ، فيأتي رَدُّ ابن هشام بما حكاه ابن سيده وغيره من اللغويين من صواب وفصاحة قول العامة ، ويُنبِّه ابن هشام إلى أن ما حكاه أهل اللغة لا ينبغي أن يتجاهله الزُّبيدي[4] .

وما تلك الأمثلة السابقة إلا غَيْضٌ من فيض أفاضها ابن هشام في كتابه سالف الذكر ، ومن أراد الاستزادة فليرجع إليها في مظانها[5] .

---

(١) المدخل إلى تقويم اللسان ٣٢ .

(٢) نفسه ٣٥ .

(٣) نفسه : ٣٦ .

(٤) نفسه : ٣٧ .

(٥) انظر : ما جاء في الكتاب في الرّد على الزُّبيدي في لحن العامة من ص ١١ — ٤٥ .

ولم يكـــتف ابن هشام في تعقبه للزبيدي فحسب ، وإنما فعل هذا الصنيع مع ابـــن مكي الصقلي أيضاً ، فتعقبه وتولى الرَّد عليه مُبيّناً عدم توفيقه إلى ما ذهب إلـــيه مـــن إنكاره لكثير من لغات العامة ، فأبان ابن هشام في ردوده تلك عن ســـلامة لغة العامة ، والذي يعد من آثار توسع العرب في لغاقم ، فأصلها مثبتاً صحة ما ذهبوا إليه ، ويتضح هذا فيما يلي :

ـــــ يُخطّئ ابن مكي قول العامة للسَّذاب[1] : فَيْجَلٌ ، ويرى أن الصواب : فَيْجَنٌ بالنون ، فيُصرِّح ابن هشام اللخمي بصواب ما خطأه الأول ، وأنه يقال : باللام والنون ، حاكياً ذلك عن المطرز في شرحه[2] .

ـــــ أيضـــاً أنكر ابن مكي على العامة قولهم : مَغْزَل ، بفتح الزاي ، إذ يرى أن الصواب كسـرها ، فيُصرِّح الرَّاد بأن فيها ثلاث لغات ، حاكياً ذلك عن المطرز أيضاً [3] .

ـــ كما يخطئ ابن مكي قول العامة : حَزّة السراويل ، ويرى أن الصواب : حُجْزة ، فيُصرِّح اللخمي بصواب قول العامة ، حاكياً ذلك عن ابن الأعرابي [4] .

ـــ كما أنكر ابن مكي على العامة قولهم : عليه طِلاوَة ، ويرى أنَّ الصوابَ فتح الطاء وضمها ، فيُصرِّح الرَّاد بأن الطاء مثلثة ، فلا معنى لإنكاره على العامة [5] .

---

(١) جنس نباتات طبية ، انظر : المعجم الوسيط ١/٤٢٦ .

(٢) المدخل إلى تقويم اللسان : ٤٦ .

(٣) نفسه : ٤٧ .

(٤) نفسه : ٦٠ .

(٥) نفسه : ٥٣ .

ـ أيضاً أنكر ابن مكي على بعض العامة قولهم : دَيّاج ، بفتح الدال ، ويرى أن الصواب كسرها ، ويُصرِّح الرّاد بأن الفتح في : دِيوان ودِيباج لغة ، حاكياً إياها عن ابن دريد [1].

وإن كنّا قد اقتصرنا على ذكر هذه النماذج على تشدد ابن مكي ، والذي يقابله توسع ابن هشام في لغات العرب ، فإن الكتاب حوى في ثناياه الكثير من مثل ما تقدم [2] .

قلت : هذا فيما يتعلق بتعقب ابن هشام لهذين العالمين والمتشددين فيما يتعلق بتنقية اللغة ، وإلا فإن ابن هشام تراه يُصرِّح بالتوسع ومن أوسع أبوابه ، وذلك عندما يذكر أن في (البَازِي)[3] ثلاث لغات ، ومثلها في (المنديل)[4] وكذلك (السُّمّ)[5] ، و(الأرْبِعَاء)[6] ، اليوم من أيام الأسبوع ، ومثلها في (الجُبُنّ)[7] أيضاً .

وحَكَى أربع لغات في (الفَمِ)[8] ومثلها في (النِّطَعِ)[9] وكذلك في (الأُضْحِيَّة)[10] ومثلها في (المَرْأة)[11] وكذلك في (الصَّدَاق)[12] ومثلها

---

(١) المدخل إلى تقويم اللسان : ٦٩ .

(٢) انظر ما جاء في الكتاب في الرَّد على ابن مكي في لحن العامة ، من ص ٤٦-٧١ .

(٣) المدخل إلى تقويم اللسان : ٧٦ .

(٤) نفسه : ٧٩ .

(٥) نفسه : ٨٠ .

(٦) نفس المرجع والصفحة .

(٧) نفسه : ٨١ .

(٨) نفسه : ٧٥ .

(٩) نفسه : ٧٧ .

(١٠) نفسه : ٧٩ .

(١١) نفس المرجع والصفحة .

(١٢) المدخل إلى تقويم اللسان ٨١ .

أيضـــاً في (اللِّصّ)[1] . كما حَكَى خمس لغات في (الإضبارة)[2] ، وستاً في (الـــرُّغْوَةِ)[3] وكـــذلك في (العَضُدِ والعَجُزِ)[4] ، ومثلها في (الخَاتم)[5] ، وسبعاً في (العَرَبُون)[6] وتسعاً في (الأَصْبَع ، والأَنْمَلَةِ)[7] .

ولم يـــبق لـــنا إلا أن القول : بأن ما قام به ابن هشام اللخمي من فتح لأفاق التوســـع في كـــتابه آنف الذكر ، بتوسعه فيما رواه عن أئمة اللغة الثقات فيما حكـــوه مـــن لغات صحيحة فصيحة عن تلك القبائل العربية ، ما هو إلا إنارة أضاءت آفاق التوسع في الدرس اللغوي ، في شتَّى جوانبه وبرهانٌ على صدق من ذهب إلى القول : بأن كل من يتكلم بلغة من لغات العرب ، أو يقيس عليها ولو كانـــت نـــادرة أو رديئة ، فهو مصيبٌ ولا يخطأ ما دام ما استعمله له وجه في العربية يُجيزه [8] .

---

(١) المدخل إلى تقويم اللسان : ٩٧ .

(٢) نفسه : ١٠٢ .

(٣) نفسه : ٧٥ .

(٤) نفسه : ٩٤ .

(٥) نفسه : ٨٥ .

(٦) نفسه : ٨٣ .

(٧) نفسه : ٨٠ .

(٨) انظر : الخصائص ٢/١٢ .

خامساً / الصَّاغاني [1]

ومـــن آثار حركة التوسع في الدرس اللغوي أيضاً ما نصَّ عليه أحد اللغويين مـــن إثـــباته لكثير من اللغات الفصيحة والتي أهملها أبو نصر إسماعيل بن حمّاد الجوهري (والمتوفى سنة ٣٩٥هــ)[2] فلم يضمنها معجمه الصحاح ؛ والحَقُّ مع الجوهـــري في ذلك ؛ لأنه التزم في معجمه الصحيح واقتصر عليه ، ولهذا سَمَّى كتابه الصحاح [3] .

إلا أن صـــاحب الصـــحاح لم يسلم من تعقب العلماء له ، فهذا الحسن بن محمد بن الحسن الصَّاغاني قد ألَّف كتابه (التكملة والذيل والصلة) والذي تولى مجمع اللغة العربية في القاهرة تحقيقه ، جمع فيه المؤلف ما فات الجوهري في كتابه (الصِّحَاح) ، وذيَّلَ عليه ، وقال : إنه أخذ ذلك من نحو ألف كتاب ، من غريب الحـــديث واللغة والنحو ، وأخبار العرب [4] ، وقد سار في ترتيب المواد اللغوية علـــى حســـب الحرف الأخير من الكلمة على نظام الباب والفصل ، كما فعل صاحب الصحاح نفسه ، وصاحب القاموس ، وتقع التكملة في ست مجلدات ، وفي ذيلها أسماء الكتب التي اعتمد عليها المؤلف في التأليف .

ولـــيس هدفنا هنا توصيف الكتاب وأجزائه ، وإنما نهدف إلى إبراز ما تضمنه الكـــتاب مـــن مئات الألفاظ الفصيحة ، والتي تعد حقلاً خصيباً في مجال إثراء

---

(١) هو الحسن بن علي بن الحسن بن علي بن اسماعيل ، ولد بمدينة لاهور سنة ٥٧٧هــ ، له مصنفات جليلة في اللغة ، طاف البلاد كالحجاز ، والهند واليمن والعراق . توفي ببغداد سنة ٦٠٥ هــ . انظر ترجمته في : إشارة التعيين : ٩٨ ، وبغية الوعاة : ٥١٩/١ ، ومعجم الأدباء ١٨٩/٩ — ١٩١ . ومعجم المؤلفين : ٣ /٢٧٩ / ومقدمة المحقق ٧/١ ،

(٢) سبق الكلام عنه ، وعن كتابه الصحاح ص ١٠٢-١٠٩ من هذا البحث .

(٣) انظر : المزهر ٩٧/١ .

(٤) انظر مقدمة المحقق ٧/١ .

الـــدرس اللغـــوي ، وتوسيع آفاقه من خلال استخدام تلك اللغات التي ضمنها الصَّـــاغاني كـــتابه ، ونصَّ على فصاحتها نقلاً عن أئمة اللغة المتقدمين الثقات . والباحث هنا لن يقدمَ إحصاءً وافياً لما تضمنته تلك المجلدات الست من ألفاظ ، فلـيس هـــذا مجاله ، وإنما سأختار نماذج عشوائية يسيرة جداً من تلك الألفاظ المبـثوثة في مظانهـــا مـــن الكتاب ، والتي أثبت المؤلف فصاحتها بما حكاه عن متقدمي اللغويين ، فمن تلك الألفاظ :

(ل خ ت) : أهملـــه الجوهري كما صرَّح بذلك الصَّاغاني ، وحكى المُصنِّفُ عن اللَّيث أن اللَّخْتَ بالفتح : العظيم الجسم [١] .

(ث ح ح) : نـــبه المؤلف إلى أن الجوهري قد أهمله ، وحكى عن اللَّيْث أيضاً أن الثَّحْثَحَةَ : صوت فيه بحة عند اللهاة [٢] .

(ج ل ا) : نـــبه الصَّـــاغاني إلى أنَّ الجوهري أهمله أيضاً ، وحكى عن أبي زيد جَلأْتُ به الأرض ، أي : ضربت به ، مثل : حَلأْتُ ، بالحاء . وجَلأْتُ به : رَمَيْتُ به [٣].

(ر ت أ) : ذكـــر المؤلـــف أنَّ الجوهري أهمله ، وحكى عن أبي زيد رَتَأْتُ العقْدَتَ ، بالهمز مثل رَتَوْتُها [٤] .

(هـــ ب ز) : صرح المصنف بأن الجوهري أهمله ، وحكى عن ابن زيد أيضا : هَبَزَ الرجل يَهْبِزُ هُبُوزاً : إذا مات [٥] .

---

(١) التكملة والذيل والصلة : ٢٣٨/١ ، تحقيق عبدالعليم الطحاوي .

(٢) نفسه : ١٣/٢ . تحقيق إبراهيم اسماعيل الأبياري .

(٣) نفسه : ١٢/١ .

(٤) نفسه : ٢٢/١ .

(٥) نفسه : ٣١١/٣ ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم .

(ك ر هـ ف) ذكر المؤلف أن الجوهري قد أهمله ، وحكى عن الأصمعي : المُكْرَهِفُّ من السَّحاب : الذي يغلظ ويركب بعضُه بعْضاً ، مثل المُكْفَهِرّ [(١)] .

(ل ث د) : صرَّحَ المُصنِّفُ بإهمال الجوهري له ، وحكى عن الأزهري : لَثَدْتُ القَصْعَةَ بالثَّريد ، مثل : (رَثَدْتُ) إذا جمعت بعضه على بعض وسوَّيْتُهُ [(٢)] .

(و د رَ) : أهمله الجوهري كما صرَّح بذلك الصَّاغاني ، وحكى عن الأزهري أنه يقال : وَدِّرْ وجهك عنّي ، أي : نَحِّه وبَعِّده [(٣)] .

(ق ر ف ع) : ذكر المؤلف بأن الجوهري أهمله ، وحكى عن الأزهري أيضاً أنه يقال : : تَقَرْعَفَ ، وتَقَرْفَعَ : إذا تَقَبَّضَ [(٤)] .

(ز خ ب) : أهملــه الجوهـــري ، كما صرَّحَ بذلك المؤلف ، وحكى عن ابن الأعرابي : أن الزَّخْباءَ الناقة الصَّلْبَة على السَّير [(٥)] .

(ط ع ب) : صرَّح الصاغاني بأنَّ الجوهري قد أهمله ، وحكى عن ابن الأعرابي أنه يقال : ما به من الطَّعْبِ ، أي ما به من اللذة والطِّيْبِ [(٦)] .

(ر م ش) : نــبه المؤلف إلى أن الجوهري قد أهمله ، وحكى عن ابن الأعرابي أيضاً : أرْمَشَ الشَجَرُ وأرْيَشَ ، إذا أورق وتفطر [(٧)] .

---

(١) نفسه : ٥٥٦/٤ . تحقيق عبدالعليم الطحاوي .

(٢) التكملة والذيل والصلة : ٣٣٦/٢ .

(٣) نفسه : ٢٤٣/٣ .

(٤) نفسه ٣٢٧/٤ ..

(٥) نفسه : ١٤٨/١ .

(٦) نفسه : ١٩٤/١ .

(٧) نفسه : ٤٨٢/٣ .

(ح ث ل ب) : ذكر المصنف أنَّ الجوهري أهمله ، وحكى عن ابن دريد أنَّ الحِثْلِبَ ، بالكسر عَكَرُ الدُّهْنِ أو السَّمْن في بعض اللغات [1] .

(ق ن ف خ) : صرح المؤلف بإهمال الجوهري له ، وحكى عن ابن دريد أيضاً أن القَنْفَخَ : ضرب من النبت فيما زَعَمُوا [2] .

(ع د هـ ر) : نبَّه الصاغاني إلى أن الجوهري قد أهمله ، وحكى عن ابن دريد أيضاً أنَّ العَيْدَهُورَ : النَّاقةُ السَّرِيعةُ [3] .

(ع ك ص) : أهمله الجوهري كما صرَّح بذلك المصنف ، وحكى عن ابن دريد أيضاً : عَكَصْتُ الشَّيْءَ أعْكِصُهُ عَكْصاً : إذا رَدَدْتَهُ ، وعَكَصْتُ الرجل عن حاجته : رَدَدْتُه عنها [4] .

وبعد : فما تلك الألفاظ اليسيرة المختارة من مئات الألفاظ التي ضمنها الصاغاني تكملته على الصحاح ، التي صرَّح بفصاحتها ، إلا رافداً خصيباً من تلك الرَّوافد التي كان لها أثرها الإيجابي على الدرس اللغوي ، من خلال إثرائه بتلك اللغات الفصيحة الاستعمال ، وإمدادِه بهذا الإرث العظيم وتوسيع آفاقه أمام اللغويين والدارسين على السواء .

---

(١) نفسه : ١/٩٧ .

(٢) التكملة والذيل والصلة : ٢/١٧٠ .

(٣) نفسه : ٣/٢٠ .

(٤) نفسه : ٤/٢٢

سادساً / أبو الفتح البعلي

(محمد بن أبي الفتح بن أبي الفضل البعلي الحنبلي المتوفى سنة ٧٠٩ هـ)[١]

وهو أحد المتأثرين بحركة التوسع اللغوي ، ومن المؤثّرين فيه أيضاً ، وقد انعكس هذا التأثير بدوره على تنمية وازدهار حركة الدرس اللغوي ، وقد تمثل ذلك في كتابه (زوائد ثلاثيات الأفعال)[٢] والذي صرَّح فيه بأنه استدراك على ما فات شيخه بن مالك من زوائد ثلاثيات الأفعال ، المَقولُ فيها (أَفْعَلَ أو أُفْعِلَ) قد أغفلها شيخُه ، ونَبَّهَ البعلي أنه جمع ذلك بتتبعه كتب اللغة ، لا على وجه الحصر ، وكان ترتيبه لها تبعاً لشيخه ابن مالك [٣] .

وبمطالعتي لتلك الزوائد والإضافات لفت نظري تأثر البعلي بجماعة من أئمة اللغة المتوسعين ، حيث جاءت أكثر زياداته بما نقله عن أبي عثمان السَّرقُسطي ، ـــ والذي سبق الحديث عنه .

فنقل عنه البعلي في مواضع متفرقة من كتابه (الأفعال) وقد صرح المؤلف بهذه الزيادات من كتاب الأفعال ، نذكر منها :

ـــ يذكر البعلي أن : بَلَتَ الشَّيْءَ : قطعه ، ويُصرِّحُ بأنه أخذها عن أبي عثمان السَّرقُسطي [٤] .

ـــ يحكي عن أبي عثمان أيضاً أن : ثَبَنْتُ الشيء ، بمعنى حملته في ثبان بين يديك ، أي في وعاء [٥] .

---

(١) انظر : ترجمته في بغية الوعاة ٢٠٧/١ ، ٢٠٨ ، وكشف الظنون ١٨١٠ ، والأعلام للزركلي ٢١٨/٧ .

(٢) حققه الأستاذ الدكتور سليمان العايد ، جامعة أم القرى ، كلية اللغة العربية .

(٣) انظر : ثلاثيات الأفعال ٩٥ .

(٤) نفسه : ٩٨ .

(٥) نفسه : ١٠٠ .

ـــــ ويذكر أنَّ جَهَدَهُ المرضُ ، إذا بلغ به المشقَّة ، والفرس استخرجتَ جُهْدَه ، ويُصرِّح بأن ذلك عن أبي عثمان [1] .

ـــــ ويحكي أيضاً أن : جَزَى الشيء عنك : إذا قام مقامك ، وقد يهمز عن أبي عثمان [2].

ـ وينقل عن أبي عثمان أيضاً قوله : ودَهَقْتُ الماء : إذا أفْرَغْتُهُ إفراغاً شديداً [3] .

ـــــ كما يحكي عن أبي عثمان قوله : سَنَوْتُ الماء سَنْواً ، وسِنَايَة ، وسِنَاوَةً ، إذا استخرجته من البئر [4] .

ـ أيضاً ينقل عن أبي عثمان قوله : فَرَعَ الشيء فَراعَةً ، بمعنى طال [5] .

ـــــ نقل عن ابن سيده قوله تَعَّ تَعًّا ، بمعنى : قاء . ويُنَبِّه إلى أنها بالمعجمه (الغين) عن أبي عثمان[6] .

وما هذه إلا نماذج مختصرة ، وإلا فالكتاب تضمن الكثير من مثل هذه النقول عن أبي عثمان السَّرقُسْطِي [7] .

وكما تأثر أبو الفتح البعلي بتوسعه في زوائده بأبي عثمان السَّرقُسطي ، فإنه قـــد تأثر أيضاً بأبي جعفر اللبلي ، صاحب كتاب (تحفة المجد الصريح في شرح

---

(١) ثلاثيات الأفعال : ١٠٢ .

(٢) نفسه : ١٠٣ .

(٣) نفسه : ١٠٩ .

(٤) نفسه : ١١٧ .

(٥) نفسه : ١٣٠ .

(٦) نفسه : ١٠٠ .

(٧) انظر الصفحات : ٩٧ ، ٩٩ ، ١٠١ ، ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٠٨ ، ١١١ ، ١١٣ ، ١٢٠ ، ١٢٢ ، ١٢٤ ، ١٢٦ – ١٤٦ .

كــتاب الفصيح) فضمن العلي زوائده نقولاً كثيرة عن صاحب التحفة ، نذكر منها :

ـ يذكر البعلي أن : أَثَرْتُ فلاناً عليك لغة في آثرْتُهُ ، حاكياً إياها عن اللبلي في شرحه لكتاب الفصيح [1].

ـــ وفي موضــع آخر من كتابه يذكر البعلي أن اللبلي نقل عن مكي قوله ذَهَبْتُ بالرجُلِ [2] .

ـ أيضاً ذكر البعلي أن اللبلي حكى في شرحه عن اليزيدي قولهم: شَمِلَهُمُ الأمرُ [3].

قلت : وهذه اللغة لا ذكر لها عند أصحاب التنقية [4] .

ـــ كما نقل المؤلف عن اللبلي قوله : وَصَفَدْتُهُ : أعطيته ، وينبه إلى أن الأخير قد حكاها عن غير واحد [5] .

ـــ ونقــل أيضــاً عن اللبلي في شرحه للفصيح ، قوله : ظمِيء الفَرَسُ : إذا ذبل وتضمر [6] .

ـــ وينبه المؤلف أيضاً أن : عقدت العسل لغة في أعْقَدْته ، ويُصرِّح بأن اللبلي حكاها في شرحه للفصيح عن غير واحد من أئمة اللغة [7] .

---

(١) ثلاثيات الأفعال : ٩٧ .

(٢) نفسه : ١١١ .

(٣) نفسه : ١١٩ ، وانظر الإصلاح ٢١١ ، وأدب الكاتب ٤٢١ ، وأفعال السَّرقُسطي ٣٤٥/٢ .

(٤) انظر : الإصلاح : ٢٥٥ ، ٢٥٦ ، وفعلت وأفعل للزجاج : ٩٤ ، وتثقيف اللسان ٤٢٠ .

(٥) ثلاثيات الأفعال : ١٢١ .

(٦) نفسه : ١٢٥ .

(٧) نفسه : ١٢٦ .

وينقل المؤلف عن اللبلي أيضاً قوله : عَامَ إلى اللَّبَنِ ، إذا اشتهاه ، ويُنَبِّه إلى أن الأخير حكاها في شرحه للفصيح عن ابن خالويه وابن طلحة [1] .

وثمة نقول أخرى جاءت مبثوثة في ثنايا الكتاب [2] .

بقي أن أقول : إن تأثر أبي الفتح البعلي في مذهبه في التوسع لم يكن محصوراً على هذين العالمين (السَّرَقُسطي واللبلي) فحسب ، وإنما وجدناه في زوائده أيضاً ينقل عن لغويين آخرين فقد أكثر النقل عن ابن سيده في كتابيه (المحكم والمخصص)[3] كما أكثر النقل أيضاً عن أبي القاسم بن القطاع في (أفعاله) [4] .

وخلاصة القول : أن أبا الفتح خَرَّج بهذه الحصيلة اللُّغوية ، والتي تتبعها في كتب اللغويين ، فكانت استدراكاً على ما فات شيخه في كتابه (ثلاثيات الأفعال) وهذه الزوائد البعلية كانت حقلاً خصباً ورافداً معيناً من روافد زيادة الثروة اللغوية وتنميتها ، وبالتالي أفاد منها الدرس اللغوي على مختلف مستوياته اللغوية .

---

(١) ثلاثيات الأفعال : ١٢٨ .

(٢) انظر الصفحات : ١٣٢ ، ١٣٤ ، ١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٤٥ .

(٣) انظر الصفحات : ٩٧- ١١٠ ، ١١٣- ١١٥ ، ١١٦ ، ١١٨ – ١٣١ ، ١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٣٦ – ١٤٣ .

(٤) انظر الصفحات : ٩٧ ، ٩٨ ، ١٠٠ ، ١٠٩ ، ١١٣ ، ١١٥ ، ١١٨ ، ١١٩ ، ١٢٤ ، ١٢٧ ، ١٣٣ ، ١٤٥ .

سابعاً / شهاب الدين الخفاجي

أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي المصري المتوفى سنة ١٠٦٩ هـ[١] .

وضع هذا العالم شرحاً على كتاب (دُرَّةُ الغواص)[٢] للحريري نبه من خلاله إلى الكثير من الألفاظ والاستعمالات التي أنكرها أو خطأها صاحب الدرة ، وعدَّها من الأوهام ، فأبان الشارح في تعقبه للحريري إلى أن الكثير مما خطأه المصنف فصيح صحيح لا خطأ فيه . وليس المقام هنا مقام إحصاء لكل ما منعه الحريري ، وأجازه الخفاجي ، وإنما سأكتفي بذكر إيجازٍ لأمثلة مختارة يتضح من خلالها المقصود ، فمن ذلك :

ـ أنكر الحريري على من قال للمريض : مسح الله ما بك ، بالسين ، ويرى أن الصواب أن يقال : مصح بالصاد ، فيرد عليه الشارح مبيناً أن ما أنكره الأول ليس بمنكر ، بل قال به غير واحد من اللغوين ، فينقل صواب ذلك عن ابن برِّي ، ويعزز ما ذهب إليه بما حكاه الهروي في (الغريبين) وموافقة ابن برِّي له فيما ذهب إليه ، كما حكى الصاغاني اللغتين جميعاً ، مع تصريحه بأن الصاد أعلى[٣] .

ـ كما خطأ الحريري قولهم : المَشْوَرَة ، على بناء مَفْعَلَة ، إذ إن الصواب عنده أن يقال : مَشُورَة على زنة : مَثُوبة ومَعُونة ، ويُخطيء الشارح ما قرره المُصنِّفُ ، مُنبِّها إلى أنَّ ضم الشين في مَشُورة ومَثُوبة هو القياس ، إلا أنه قد حكى أهل اللغة فيهما الإسكان تنبيها على الأصل وإن شذ ، وإن العرب نطقت بها[٤] .

---

(١) انظر ترجمته في : دائرة المعارف للبستاني ٤١١/٧ ، وبلاقة العصر ٤٢٠ — ٤٢٧ ، وانظر : تاريخ آداب اللغة العربية لجرجي زيدان ٢٨٧/٣ .

(٢) حققه عبدالحفيظ فرغلي القرني ، مكتبة التراث الإسلامي القاهر .

(٣) شرح دُرَّة الغواص : ١٠٢ .

(٤) نفسه : ١٣١ .

قلـــت : وجاء في العين ٢٨١/٦ " والمَشْوَرَةُ مَفْعَلَة أُشْتِقَّ من الإشارة . ويقال : مَشُوَرَةٌ " واللغتان في اللسان والتاج [1] .

ـــ كما أنكر المُصنِّف أيضاً قولهم : فلان أَشَرُّ من فلان ، إذ يرى أن الصواب أن يقال بغير ألف . فيرد عليه الشارح بأنَّ ما أنكره ورد في الكلام الفصيح كثيراً ، وإن كان بغير الألف أكثر ، ويُصَرِّح الخفاجي إلى أنه ورد نثراً في أحاديث وقع بعضـــها في (صحيح البخاري) ويَعْضِدُ ما ذهب إليه بما نقله عن أحد اللغويين من أن ما أنكره الحريري صحيح فصيح [2] .

ـــ أيضاً أنكر الحريري على من قال : هو قرابتي ، والصواب عنده أن يقال : هو ذو قـــرابتي ، مستشهداً على ما ذهب إليه بيت من الشعر . بينما يُصرِّح الشارح أن مـــا أنكره المصنف صحيح فصيح ، وشائع نظماً ونثراً مستدلاً بأن ذلك جاء في كلام أفصح الخلق صلى الله عليه وسلم ، وذكر الشاهد من الحديث ، وعَضَّد صـــحة ما ذهب إليه بما حكاه الزمخشري في (الأساس) : هو قريبـــي وقرابتي ..." [3] .

ـــ وفي موضوع آخر من الكتاب يُلَحِّنُ الحريري من قال : هو سَدَادٌ من عَوْز ، بفـــتح السين ، إذ الصواب عنده كسرها ، فيرد عليه الشارح بما نقله عن بعض أئمـــة اللغـــة ، كابن السكيت في الإصلاح والذي ذكر اللغتين مساوياً بينهما ، ومثله ابن قتيبة في أدب الكاتب ، والجوهري في الصحاح [4].

---

(١) اللسان ، والتاج (شور)

(٢) شرح درة الغواص : ١٨٧ .

(٣) نفسه : ٢٤٩ ، وانظر الأساس (قرب) .

(٤) نفسه : ٤٠٧ ، وانظر : الإصلاح ١٠٤ ، وأدب الكاتب ٤٢٣ ، والصحاح (سدد) .

ـــــ ويَعُدُّ الحريري من الأوهام قولهم لمن أصابته الجنابة : قد جُنِبَ ، والصواب عنده أن يقال : أُجْنِبَ . فَيُبَيِّنُ الشارح أنه يقال باللغتين جميعاً ، مستدلا على ما ذهب إليه بما ذكره الزمخشري في كتابه (الفائق في غريب الحديث) وقد حكاه عن أبي حاتم السجستاني (١) .

ـ وفي موضع آخر من الكتاب ينكر الحريري على من قال : طُرَّ شَارِبُهُ ، بضم الطاء ، لمن نبت شَارِبُهُ ، فالصواب عنده أن يقال : طَرَّ ، بفتح الطاء ، بينما يرى الشارحُ أن ما أنكره الأول غيرُ مُنْكَرٍ ، مستدلاً على ذلك بما حكاه الصاغاني في كتابه (العُبابُ الزاخر في اللغة) من أنه يقال : طُرَّ بالضم ، في طَرَّ الشارب ، لغة فيه أيضاً (٢) .

ـ وفي موضع آخر أيضاً يرفض الحريري قول بعضهم : دابة لا تُرْدِف ، ووجه الصواب عنده أن يقال : لا ترادف ، أي : لا تقبل المرادفة ، ويرى الشارحُ أن هذا مما أساء فيه المُصَنِّفُ ؛ لأن ما أنكره أثبته غيره وسمع ، وينقل عن الزمخشري في (الأساس) ذكره للغتين جميعاً ، ومثله فعل صاحب القاموس ، وإن قلل الأخير من شأن اللغة الأولى (تُرْدِف)(٣) . قلت : ذكر اللغتين صاحب العين (٢٣/٨(ردف) ، كما حكى اللغتين أيضاً ابن هشام اللخمي في شرحه للفصيح ، ومثله فعل السَّرَقُسطي في الأفعال (٤) .

ـــــ وخطأ الحريري من قال : قد كَثُرَتْ عَيْلَةُ فلانٍ ، بمعنى : عياله ، ذاهباً في ذلك إلى أن العَيْلة بمعنى الفقر ، مستشهداً على ذلك بآية من الذكر الحكيم ،

---

(١) شرح درة الغواص : ٤٤٧ .

(٢) شرح درة الغواص : ٤٧١ .

(٣) نفسه : ٥٥٨ ، وانظر : الأساس ٢٢٨ ، والقاموس (ردف) .

(٤) انظر شرح ابن هشام اللخمي ٢٨٨ ، وأفعال السرقسطي ١٥/٣ .

والصواب عنده أن يقال : عِيَاله جمع (عَيِّل) فيتعقبه الخفاجي بقوله : " والمُخَطِّي هو المُخْطِيء " مصرحاً بأنه ورد في هذا المعنى في الكلام الفصيح ، فهو — في نظره — عربي صحيح ، مستشهداً على ما ذهب إليه بحديث رواه بن الأثير في (أسد الغابة) ، وبما حكاه الأزهري في (التهذيب) : " طالت عَيلتي إياك ، أي طالما عِلْتُك " [1] .

— ونختم — هنا — بما عَدَّه الحريري من الأوهام ، وهو قولهم في جمع مِرْآة : مرايا ، حيث إنه يرى أن الصواب : مرَاءٍ ، على وزن مراعٍ ، وينبه إلى أن مرايا جمع ناقة مَرِيٍّ وهي التي تدر إذا مُرِيَ ضَرْعُها . فيتعقبه الشارح مصرحاً بأنَّ ما ذكره المصنف غير صحيح رواية ودرايةً مستشهداً بما حكاه ابنُ بري عن ثعلب في الفصيح من أنه يقال : هذه ثلاث مراءٍ فإذا كثرت فهي المرايا ، ويعضد ذلك بما حكاه جماعة من أئمة اللغة الثقات كابن السكيت وابن قتيبة وغيرهم . [2]

---

(١) شرح درة الغواص : ٥٦٨ .

(٢) نفسه : ٥٩٥ .

ثامناً / الزَّبِيدي(١) :

ومن الآثار التوسعية في الدرس اللغوي أيضاً ، ما تضمنته تلك المعاجم اللغوية من إثباتها لكثير من الألفاظ الصحيحة الفصيحة ، التي منعها المتشددون والذين صرحوا بخطئها ، أو رداءتها ، أو حملها على لغة العامة ، كما هو الحال عند ابن سيده الأندلسي وتوسعه في معجمه وقد مرَّ بنا ذلك . وهذا السيد محمد مرتضى الزَّبِيدي في معجمه (تاج العروس)(٢) أيضاً يُفَصِّحُ كثيراً من الألفاظ التي منعها آخرون ، حاكياً ذلك عن أئمة اللغات الثقات . ويُمثِّل مصنفه المذكور توسع العرب في كلامها ، نَتَخيَّرُ منه ما نحسبه موضحاً للمقصود :

ـــ ينقل الزبيدي عن أبي جعفر اللبلي في شرحه للفصيح أنه حكى : تثأَّبَ ، بتشديد الهمزة ، على تفعَّل نقلاً عن صاحب المُبَرِّز (٣) ، بينما اقتصر أصحاب التنقية على لغة العلو والفصاحة : تثاءبَ (٤) .

ـــ وفي قولهم : رَدُؤَ فلانٌ : إذا صار رديئاً ، حكى الزبيدي فيه تثليث الدال عن ثعلب (٥) .

---

(١) هو محمد بن محمد بن محمد بن عبدالرزاق الشهير بمرتضى الحسيني الحنفي الواسطي الزَّبِيدي ، نزيل مصر ، ولد سنة ١١٤٥ هـ . تلقى العلم على أكثر من ثلاث مئة شيخ حسبما ذكر ، اشتغل بطلب العلم على علماء الهند ، دخل اليمن وأقام بزبيد مدة طويلة ، حتى قيل له الزَّبِيدي ، واشتهر بذلك ، وأجازه مشائخ المذاهب الأربعة ، توفي سنة ١٢٠٥هـ . ترجمته في : كشف الظنون ٣٤٨/٦ ، تاريخ الجبرتي ١٩٦/٢ — ٢١٠ ، الأعلام للزركلي : ٧٠/٧ ، وانظر مقدمة المحقق ٢٨/١ .

(٢) حققه علي شيري ، دار الفكر ، بيروت .

(٣) التاج (ثأب) .

(٤) انظر : الإصلاح ١٤٨ ، وتقويم اللسان ٨٥ ، وتصحيح التصحيف ١٨٠ .

(٥) التاج (ردأ) .

ــ وفي قولهم : قَدَرْتُ على الشَّيء : إذا قويت عليه ، يذكر الزبيدي إلى جانب اللغة الفصيحة المقدمة من أنه يقال : قَدِرْتُ ، بكسر الدال ، ونبَّه إلى أن ابن القطاع نسبها لبني مُرَّة من غطفان ، وأنَّ الصَّاغاني قد نقلها عن ثعلب أيضاً [1] . قلت : وهذه اللغة قد ذكرها ابن السكيت في الإصلاح أيضاً [2] .

ــ وفي قولهم : وَجَدْتُ على الرجل مَوْجَدَةً ، إذا غَضِبْتُ عليه ،نجد أن الزبيدي ينقل عن القَزاز في الجامع وابن التياني في الموعب أنها حكى عن الفرَّاء قوله : " سمعت بعضهم يقول : قد وَجِدَ ، بكسر الجيم ، إذا غضب ، والأكثر فتحها [3] .

ــ وفي قولهم : غَارَ الرَّجُلُ يَغُورُ غَوْراً : إذا أخذ نحو الغور ، يذكر الزبيدي ــ بالإضافة إلى اللغة الفصيحة المقدمة ــ لغة أخرى ، هي : أغار بالألف ، حاكياً ذلك عن الفرَّاء [4] .

ــ وفي قولهم : زَرِدْتُ اللُّقْمَةَ أَزْرِدُها ، حكى الزبيدي : ازْدَرَدَها ، وتَزَرَّدَها ، وزَرَدَها ، وصرَّح بأنه نقل عن شراح الفصيح قولهم : ازْدَارَهَا ، بمعنى : ازْدَرَدَ ، ونبه إلى غرابتها [5] .

قلت : ولم أجد في شروح الفصيح هذه اللغة ، إلا ما تفرَّد به أبو جعفر اللبلي بما نقله عن أبي عمر المطرِّز [6] .

---

(١) التاج (قدر) .

(٢) انظر الإصلاح ٢١٢ ، وأفعال ابن القطاع ٤٠/٣ .

(٣) التاج (وجد) .

(٤) التاج (غور) وانظر الإصلاح ٢٤٠ .

(٥) التاج (زرد) وانظر : تحفة المجد الصريح ١٤٦ .

(٦) انظر : تحفة المجد الصريح ١٤٧ .

ـــــ وجـــاء في الفصيح : ولي في بني فلان بِغْيَةٌ [1] ، وأضاف الزبيدي إلى لغة الفصيح لغة أخرى ، هي بُغْيَةٌ بضم الباء [2] .

وكمـــا توسع الزبيدي في الأفعال ، فقد توسع في الأسماء أيضاً نورد من ذلك ما يلي :

ذكـــر المُصنِّف أن (القُرّ) بالضم ، البرد عامة ، وقد يخصص بالشتاء خاصة ، ونقـــل عن بعضهم أن ابن قتيبة حكى فيه تثليث القاف ، ونبه إلى أن الفتح حكاه اللّحياني في نوادره[3] .

ـــــ اقتصر أصحاب التنقية اللغوية على : (الكَوْسَجُ)[4] ، بفتح القاف ، فهذه اللغة العالية الفصيحة [5] ، بينما أضاف الزبيدي لغة أخرى ، هي : (كُوسَج) بضـــم الكاف ، حاكياً ذلك عن الفرَّاء ، وصرَّح بأن ابن هشام اللخمي زاد لغة ثالثة ، هي : كُوسُجٌ ، بضم السين أيضاً ، وقد نبه المصنف إلى غرابتها [6].

ـــــ كما صرَّح المصنف أيضاً بأنَّ (الفِكرَ) بكسر الفاء وفتحها : أعمال النظر[7] ، فهو يثبت هنا لغتين .

---

(١) ص : ٢٩٤ .

(٢) التاج (بغى) .

(٣) التاج (قرر) .

(٤) فارسيٌّ مُعرَّب ، وهو الرجل السَّناط ، أي صغير اللحية ، انظر : اللسان (كسج) .

(٥) انظر ما تلحن فيه العامة ١٢٢ ، والإصلاح : ١٦٢ ، وأدب الكاتب : ٣٩٣ ، وتثقيف اللسان : ١٢٩ ، وتصحيح التصحيف : ٤٤٦ .

(٦) التاج (كسج) .

(٧) التاج (فكر) .

ـــــ ونقل الزبيدي عن أبي جعفر اللبلي ما حكاه الأخير عن أبي طلحة من أن : الكُلُّـــوب ، بضـــم الكاف ، لغة في (الكَلُّوب)[1] ، فحكى ــ بالإضافة إلى لغة الفصيح ــ لغة أخرى .

ــ وحكى الزَّبيدي أيضاً أنَّ : الأبُّ بالتشديد لغة في الأبِ بالتخفيف[2] ، وأنَّ : الأخَّ والأخَّة ، لغة في الأخ ، والأخت ، حاكياً ذلك عن ابن الكلبي [3] .

ـــــ ولم يقتصر توسع الزبيدي على الأفعال والأسماء فحسب ، بل نجده يتوسع أيضـــاً بذكـــره لكثير من المصادر ، والصفات. نلمح إلى شيء منها فيما نقله في معجمه التاج .

ــ يذكر المصنف أنَّ : الوُقُود ، يقال بلغتين : بضم الواو وفتحها ، ونبَّه إلى أنَّ الأخيرة عن سيبويه ، ويضيف : وهو مصدر وَقَدَت النارُ : إذا اشتعلت ، ويذكر أنَّ مـــن مصـــادره أيضاً : قِدَةً ، ووُقُوداً ، ووُقْدَةً ، بضم الواو فيها ، ووَقَدَاناً ، ووَقِيداً ، وَوَقَداً [4].

ـــــ وفي قـــولهم : سَحَّت الشاةُ والبقرةُ تَسِحُّ : إذا سمنت ، يذكر الزَّبيدي : سَحاً وسُحُوحاً ، وسُحُوحَةً ، وينبه إلى أن هذه المصادر الثلاث حكاها أبو حنيفة عن أبي زيد [5] .

ـــــ وحكى الزبيدي أنه يقال : جاء أَخَرَةً وبأَخَرَةً ، مُحرَّكتين ، وقد يُضم أولهما ، وصـــرَّح بـــأنَّ لغة الضم عن اللحياني ، وأضاف : ويقال : لقِيتُهُ أَخيراً ، وجاء أُخُراً

---

(١) التاج (كلب) .

(٢) انظر : التاج (أبب) .

(٣) التاج (أخخ)

(٤) التاج (وقد) .

(٥) التاج (سحح) .

بضمتين ، وأَخِيراً ، وإِخِرِياً بكسرتين ، وإِخْرِيّاً ، بكسر فسكون ، وآخِرِياً ، وبآخِرَةٍ بالمد فيها ، أي آخر كل شيء (١) .

كما توسع المصنف في ذكره لكثير من الصفات ، نختار منها على سبيل الإيجاز :

ــ ففي قولهم : استَعْذَيْتُ المكان ، وقد عَذِي : أي بَعُدَ ، يذكر الزبيدي من هذه الصفات : عَذِيًّا ، وعِذْيًا ، وعَذِياً ، وعَذاةً (٢) .

ــ وفي موضع آخر من للعجم وفي قولهم : صَبَرَ الرَّجُلُ يَصْبُرُ ، يحكي المصنف : صَابِراً وصَبَّاراً وصَبِيْراً وصَبُوراً ، وينبه أنه يقال للأنثى صَبُور أيضاً بغير هاء (٣) .

ومما سبق اتضح لنا بجلاء توسع الزَّبيدي في مصنفه المذكور وذلك عن طريق إثباته لكثير من الألفاظ التي حجرها أو منعها آخرون ، بحجة عدم فصاحتها ، فبرهن على فصاحتها بإسنادها إلى أئمة اللغة الثقات ، وهو بعمله هذا قد أضاف إلى الدرس اللغوي ثروة لغوية فصيحة أخرى أكسبته تعبيرات جديدة ، ومفردات كثيرة ، ودلالات متنوعة .

---

(١) التاج (أخر) .

(٢) التاج (عذا) .

(٣) التاج (صبر) .

تاسعاً / ومن آثار حركة التوسع على الدرس اللغوي ـــ أيضاً ـــ تقليل الفروق بـــين اللهجات العامية والعربية الفصحى ، وذلك بمحاولة تأصيل تلك اللهجات وردهـــا إلى الفصـــحى ، لتقويم الانحرافات التي لحقتها على مرِّ الزمن ، فتقابلنا العديـــد مـــن الكلمات ، والتي نظن لأول وهلة أنها دخيلة على لغتنا أو أنها من لغات العامة الخاطئة ، أو أنها مما يَلْحَنُ به البعض ، فمثلاً : نسمع كلمة (أيْوَه) والـــتي تكـــون بمعنى : نعم ، معتقدين أنها عامية أو دخيلة ، بينما هي في الواقع عبارة عن كلمة (أي) بفتح الهمزة أو كسرها ، وهي عربية أصيلة معناها : نعم ، ألصقت بها واو القسم ، ثم سُكِتَ عن المقسم به اختصاراً ، وكان أصلها : أي والله ، ثم سكت عن لفظ الجلالة [1] .

وذكـــر شـــهاب الـــدين الخفاجي في (شفاء الغليل) أن الزمخشري قال في كشـــافه : " سمعتهم في التصديق يقولون : (أيْوَّ) فيفصلونه بواو القسم ، ولا ينطقون به وحده ، ثم قال الخفاجي : " والناس تزيد عليه (هاء السكت) فليس غلطاً كما يتوهم " [2] .

وكلمـــة أخرى يظن الكثيرون أنها من التراكم اللغوي الغريب في اللهجات العامـــية ، وهي الفعل (خَشَّ) بمعنى : دخل ، فاللفظ فصيح لا غبار عليه ، يقال : خَشَّ في الشيء أي : دخل فيه ، وخَشَّ الرَّجُلُ في القوم ، وانْخَشَّ فيهم ، أي : دخل بينهم ، كما جاء ذلك في اللسان [3] .

---

(١) انظر : من كلام العرب ، حسن ظاظا ص ٦٠ .

(٢) شفاء الغليل : ١٨ .

(٣) انظر : من كلام العرب ٦١ ، واللسان (خشش) .

ومما يعتقد البعض أنها من رواسب اللهجات العامية أيضاً ، بينهما هي فصيحة صحيحة الاستعمال ، الكلمات التالية :

ـــ دعس : يستعمل العامة الدَّعس بمعنى : الوطْء ، بشدة ، قلت وهو استعمال فصيح ، ففي اللسان (1) الدَّعْسُ : شدة الوطْء .

ـــ رَعَبَهُ : تقول العامة : رَعَبَني فلانٌ ، أي خَوَّفني وأفْزَعني ، قلت : يقال : رَعَبَهُ ، وأرْعَبَهُ ، إذا خوَّفَهُ ، كما في المصباح والقاموس (2) .

ـــ زاط : يقول بعض العامة : زَاطَ النَاسُ : إذا صاحوا واختلطت أصواتُهم ، وعلا ضجيجهم . قلت : هذا استعمال صحيح ، جاء في اللسان : زَاطَ الناسُ زياطاً ، اختلطت أصواتهم (3) .

ـــ زَفَّتَ الطريق : يقول العامة : زَفَّتْ البلديةُ الطريق ، إذا فرشتها بالزِّفت ، قلت : جاء في اللغة : زَفَّتَ فلانٌ الشيء : طلاه بالزِّفت ، فقول العامة صحيح (4) .

ـ الشَّطُّ : يستعمله العامة بمعنى الشاطئ ، ويجمعونه على شُطوط . قلت : وهذا استعمال صحيح فصيح ، ففي اللغة : الشَّطُّ : شاطئ النهر وجانبه ، وجمعه شُطُوط ، كما في (اللسان) (5) .

ـ تَصَالَح القومُ : يقول العامة : تصالح فلانٌ وفلان : إذا نبذا العداوة وتصافيا . قلت : وفي اللغة تصالح القوم أقاموا صلحاً بينهم ، كما جاء في (القاموس) (6) .

---

(1) اللسان (دعس)

(2) المصباح ، والقاموس (رعب) .

(3) اللسان (زيط) ولا زال هذا الاستعمال شائعاً عند إخواننا المصريين .

(4) انظر : اللسان والقاموس (زفت) .

(5) (شطط) .

(6) (صلح) وانظر أساس البلاغة (صلح) .

ـــــ تَفَل : يقول العامة : تَفَلَ فلانٌ في وجه فلان : إذا بَصَقَ في وجهه . قلت : وفي اللغـــة : تفـــل فلانٌ في عينيه : قذف عليه التِّفال ، وهو البصاقُ كما جاء في (أساس البلاغة)[1] . فقول العامة صحيح فصيح .

ــــــ شَــرَّعَ الـــباب : تقول العامة : شرَّع فلانٌ بابه ، بمعنى : فتحه . قلت : وفي القاموس[2] : أشرع فلانٌ بابه إلى الطريق ، وشرَّعه فتحه ، فالعامة على الصواب .

ـــ سلَّفَهُ : يقول القائل من العامة : سلَّفْتُ فلاناً مبلغاً من المال إذا أقرضته إياه ، قلـــت : وهو قول فصيح صحيح ، جاء في (اللسان): (سلف) سَلَّفَه المال : أقرضه ، وفي (القاموس)[3] : السَّلَفُ : القَرضُ . وكل عمل صالح قدمته .

ـــ الكُلْوَةُ : جاء في المصباح أنَّ : الكُلْوَةَ لغة لأهل اليمن في الكُلْيَة . قلت والعامة يستعملونها بهذا المعنى ، إلا أنهم يكسرون الكاف ، والصواب ضمها[4] .

ــــــ يَخِسُّ : يستعمله العامة بمعنى : يَخِفُّ ويَنْقُصُ . قلت : وهو قول فصيح أيضاً ، جاء في اللغة : خسَّ الشيء يَخِسُّ بمعنى : خفَّ وزنُه[5] .

وبعــــد : فإن هناك الكثير من مئات الألفاظ ، والتي تضمنتها المعاجم اللغوية ، وغيرها من كتب اللغة ، ووسمتها بالفصاحة ، مما يغني الباحث عن الإسهاب في ذلك ، فاكتفيت بما تقدم ذكره ، ومن أراد الاستزادة فليراجع ذلك في مظانه .

---

(١) انظر : تثقيف اللسان ٤٨ ، وتقويم اللسان ٨٧ ، والأساس (تفل) .

(٢) انظر : القاموس والأساس (شرع) .

(٣) (سلف) وانظر : الأساس (سلف) .

(٤) المصباح (كلا) .

(٥) انظر المصباح (خس) .

الخاتمة

تضمنت هذه الخاتمة أهم النتائج التي أبان عنها البحث وقد رأيت تصنيفها في الآتي :

أولاً ـــ فيما يتعلق بثعلب وكتابه الفصيح :

أ / أبان البحث أن منهج ثعلب المتشدد في كتابه (الفصيح) قد فرضته عليه الظروف التي ألّف الكتاب لأجلها .

ب / اتضح من البحث أن هذا المنهج الذي سلكه ثعلب في فصيحه لا يمثل منهجه في الأعم الأغلب ، حيث إننا وجدناه متوسعا في بعض مؤلفاته الأخرى ، مما نقله عنه أئمة اللغة الثقات .

ج/ اتضح من البحث الأهمية العظمى التي تبوأها الفصيح في تعليم العربية عدة قرون ، حيث لقي من الشهرة وذيوع الصيت مالم يلقه إي كتاب آخر في التصويب اللغوي .

د/ أبان البحث الأثر الذي خلده الفصيح وما صاحب ذلك من حملة تأليف واسعة ما بين شرح ونظم ، ونقد واستدراك لعلماء المشرقين ، كما انه أثر على حركة التأليف المعجمي ؛ حيث ضمن أكثر أصحاب المعاجم اللغوية مصنفاتهم نقولاً عنه .

هـــ / أظهر البحث تأثير الفصيح على معاصريه ، كما امتد هذا التأثير أيضاً إلى شرّاح الفصيح أنفسهم والذين اعتنوا به عناية فائقة في مصنفاتهم .

و/ اتضح من البحث أن ثعلباً زعيم المدرسة الكوفية ـــ في عصره ـــ لم يكن متعصباً مذهبياً في نقله لأقوال أئمة اللغة الذين سبقوه بل يشهد له الفصيح بموقف العالم المحايد .

ز/ أبان البحث أن ثعلباً لم يهتم ببيان نطق العامة والنص عليه إلا نادراً .

ثانياً / فيما يتعلق بالتنقية اللغوية :

أ / اتضح من البحث أن اللحن يعد السبب الرئيس الذي من أجله قامت جماعة من العلماء هدفها الاتصال باللغة في أنقى صورها وتنقيتها وتخليصها مما يشوبها .

ب / أبان البحث أن علماء التنقية اللغوية اعتمدوا معايير تُبين الضعيف والرديء ، والقليل من اللغات .

ج / أوضح البحث أن علماء التنقية اللغوية اختطوا لأنفسهم مناهج كان لها أثر في توجيه مذاهبهم و مواقفهم ، فكان الأصمعي لا يقبل إلا الأفصح وما سمع عن العرب المشهود لهم بالفصاحة ، ولم يكن ينشط للقياس ؛ لكونه صاحب رواية وسماع ، ولم يكن بصاحب قياس ولا نظر .

د / بمقارنة منهج الكسائي في مصنفه (ما تلحن فيه العامَّة) ، وما نقله عنه الأئمة الثقات ، اتضح من البحث أن هذا المصنف مشكوكٌ في نسبته للكسائي .

ثالثاً ـــ فيما يتعلق بمقياس الصواب اللغوي :

أ / كشف البحث أن علماء اللغة لم يتفقوا على مقياس الصواب اللغوي ، فكانوا فريقين على طرفي نقيض ؛ فريق متشدد لا يقبل إلا الأفصح ، ويعد ما دونه لحناً

أو خطأً ، وآخر متساهل يقبل كل ما ورد عن العرب ، فكله عنده حجة ، لذا كان خلافهم يدور حول الأساس الذي لم يتفقوا عليه .

- ولإيضاح زعمنا حول اختلاف مقياس الصَّواب اللُّغوي عند علماء التَّنقية والتَّوسُّع على حد سواء ، فسوف نتناول مثالاً على ذلك لمادة واحدة ، ولنستمع لأقوال أعلام التَّنقية ـــ وعلى رأسهم ثعلب ـــ ، وقبله أئمة اللغة المتقدمين ، ومن بعده شُرَّاح الفصيح على اختلاف مذاهبهم ومناهجهم في التَّنقية والتَّوسُّع اللُّغوي ، ولتكن موازنتنا عن (نَكَلَ)

- قال ثعلبٌ : " ونَكَلَ عن الشَّيء يَنْكُلُ "

- يمثل اختيار ثعلب اللُّغة الأعلى والأشهر ، وهو مذهب أئمة أعلام التَّنقية اللُّغوية : (الأصمعي ، والكسائي ، وابن السكيت ، وابن قتيبة) ، إلا أنه وُجِدَ من اللُّغويين من يضيف لُغة ثانية ، وهي (نَكِلَ) بكسر الكاف ، وهذه الأخيرة قد أنكرها الأئمة الثقات ، وبعضهم لا يعرفها ، ومنهم مَنْ خطَّأها :

- فمن الذين وقفوا على لُغة الفتح ، واقتصروا عليها ، أو خطَّأوا لُغة الكسر ، نَذْكر :

- وقف الكسائي عند اللُّغة العالية الفصيحة ، ولم يذكر غيرها ، كما في قوله : " ويُقال : نَكَلْتُ عنه ، بفتح الكاف " .

- نَقَلَ ابْنُ السكيت عن الأصمعي قوله : " ولا يُقال : نَكِلْتُ " .

- اقتصر عليها ابن قتيبة ـــ أيضاً ـــ وأنكر ما عداها .

- اقتصر عليها بعض شُراح الفصيح : كابن الجبَّان ، والمرزوقي والهروي .

- جاء في تثقيف اللِّسان ، قول ابن مكي الصقلي : " يقولونه : (نَكِلَ) ، والصَّواب : (نَكَلَ) " .

– ومن الذين ذكروا اللُّغتين معاً ، نَذْكر :

– قال الخليل : " ونَكِلَ يَنْكَلُ : تميمية ، ونَكَلَ يَنْكَلُ : حجازية " .

– نسبها ابن دُرُسْتويه للعامَّة ، ولكنه لم يخطئها فمن ذلك قوله : " والعامَّة تقول : نَكِلَ بكسر الثاني من الماضي ، وهي لُغة أيضاً غير خطأ " .

– قال التدميري : " ونَكِلْتُ أنْكَل : بكسر الماضي ، وفتح المضارع ــ أيضاً ــ لُغة .

– أما ابن هشام اللخمي ، فقد ذكر اللُّغتين ــ أيضاً ــ ، وقال : " وقالوا : نَكِلَ ، وقالوا في المستقبل يَنْكُلُ على وزن يَفْعُلُ ، بضم العين ، ولم يأت فعل يفعل بكسر العين في الماضي ، وضمها في المستقبل إلا في سبعة أفعال شذَّت ، وهي : نَكَلَ يَنْكُلُ ، ... " .

– نَقَلَ اللَّبليُّ في تحفته ما حكاه يعقوب في إصلاحه من أنَّ الأصمعي أنكر على من قال : نَكِلْتُ بالكسر . وصرَّح اللبلي بأنه قد حكى فيه الكسر جماعة من اللُّغويين . ثم أخذ في تفصيله للمسألة أكثر عندما قال : " قال صاحبُ الواعي : يُقال : نَكَلْتُ بالفتح ، ونَكِلْتُ بالكسر ، قال : والكسر لُغة تميمية " . وحَكَاها أيضاً : ابن القطَّاع في أفعاله ، ويعقوب في كتابه ــ فَعَلْتُ وأَفْعَلْتُ ــ ، وثابت في لحنه ، ويونس في نوادره ، والمطرِّز في شرحه ، والحامض في نوادره ، كلاهما عن ثعلب . وحكاها أيضاً أبو حاتم في تقويم المفسد عن أبي زيد ، قال : ولم يعرفها الأصمعي .

ونخلص من هذه الموازنة إلى القول : بأنَّ اللغتين صحيحتان فصيحتان ، رويتا عن قبيلتين فصيحتين أيضاً ، فالفتح لغة الحجاز ، بينما الكسر لغة تميم . واللُّغتان في تهذيب اللُّغة ، والمحكم ، والمخصص ، وشرح الشافية ، وأفعال السرقسطي ،

وذكر صاحب اللّسان اللُّغتين أيضاً ، وأضاف صاحب القاموس لُغة ثالثة ، هي : نَكُل بالضم ، وقد حكاها أبو عبيدة ، وأباها الأصمعي .

رابعاً ــ فيما يتعلق بلحن العامَّة :

أ / أظهر البحث أن هناك اختلافاً بين اللغويين في أسباب تلحينهم للألفاظ .

ب / أبان البحث أن ثمة عيوباً في كتب اللحن التي تضمنها البحث .

خامساً ــ فيما يتعلق بشروح الفصيح الممثلة لحركة التنقية اللغوية :

أ / أبان البحث تشدد ابن درستويه في التنقية اللغوية وتخطئته لكثير من اللغات ، ناسباً إياها للعامة ، بينما هي لغات صحيحة لقبائل فصيحة .

ب / كشف البحث عن تعصب ابن درستويه المذهبي في معارضته لصاحب الفصيح وتحامله تجاه ثعلب وفصيحه .

ج/ اتضح من البحث أن ابن الجبان أحياناً يخالف ثعلباً وأئمة اللغة المتقدمين ، منفرداً برأيه عنهم .

د / كشف البحث عن مذهب المرزوقي البصري من خلال معالجته للمسائل اللغوية وانفراده عن غيره من شراح الفصيح بما ضمنه شرحه من مظاهر توسع العرب في الأساليب الحقيقة والمجازية ، كما تضح من البحث أيضاً أسلوب المرزوقي المهذب والملتمس العذر لصاحب الفصيح عند مخالفته إياه في مسألة (ما) .

هـ / أبان البحث انفراد التدميري من بين شراح الفصيح بشرحه للغريب ، الذي لم يشرح من قبل ، وشرحه لأبيات الفصيح والعناية بإعرابها مع التنبيه على

البحور والزحاف والعلل ، وتحديد الشواهد ووجه الاستشهاد ، إضافة إلى تضمين التدميري شرح بعض المواد التي لا وجود لها في الفصيح الذي بين أيدينا .

و / كشف البحث إغفال التدميري لمؤلفات أهل بلده (المغاربة) حول الفصيح ، بينما نقل عن شرَّاح الفصيح المشارقة . كما أبان البحث أيضاً اهتمام التدميري بتفسيره بعض المصطلحات الطبية منفرداً بهذا عن غيره من الشرَّاح الآخرين ، مع العناية بذكره لأصول الألفاظ الفارسية وهذا لا وجود له عند بقية الشرَّاح .

ز / أظهر البحث عناية المغاربة (التدميري ـــ وابن هشام اللخمي) في ذكرهما لسندهما في قراءة الفصيح ، ولعل هذه الطريقة كانت شائعة عند المغاربة ، وهذا ما لا نجده عند الشرَّاح المشارقة .

سادساً ـــ فيما يتعلق بالموازنة بين شروح الفصيح الممثلة لحركة التنقية اللغوية :

أ / أظهرت الموازنة بين شرَّاح الفصيح المنقيين مدى اهتمام العلماء باللغة العالية المقدمة الأفصح مع الإشارة إلى اللغة الثانية إن وجدت .

ب / تفرد الشارحان المغربيان (التدميري ـــ ابن هشام اللخمي) في ذكرهما للغة ثانية مع تقديم لغة الفصيح عليها ، وهذا لا وجود له عند الشرَّاح المشارقة الذين وقفوا عند لغة الفصيح .

سابعاً ـــ فيما يتعلق بشروح الفصيح الممثلة لحركة التوسع اللغوي :

أ / اتضح من البحث تميز الزمخشري في شرحه بغزارة المادة العلمية وتنوعها مما أظهر سعة اطلاع مؤلفه وعمق ثقافته . مع عنايته بذكر أقوال أئمة اللغة المتقدمين وتصريحه بذكر أسمائهم .

ب / أبان البحث أنَّ شرح أبو جعفر اللبلي يعد من أعلى وأعظم تلك الشروح التي وصلت إلينا والممثلة لحركة التوسع اللغوي من حيث مادته اللغوية . فقد كشف المصنف في هذا الشرح عن بعض شروح الفصيح المفقودة . كما أظهر البحث تضمين أبو جعفر اللبلي في شرحه كثيراً من النقول عن مصادر لغوية عالية الجودة لا يزال بعضها مفقوداً .

ج / أبان أبو جعفر اللبلي عن فصاحة كم هائل من اللغات التي خطأها المتشددون ، أو حملوها على لغة العامة وذلك بما حكاه عن أئمة اللغة الثقات ، وكشف البحث انتصار اللبلي لصاحب الفصيح في أغلب ما ذهب إليه ، ودفاعه عنه والردود على من عارضه أو انتقده .

ح / أبان البحث توسع المغاربة في إيرادهم كثيراً من اللغات الفصيحة ، أكثر من إخوانهم المشارقة ، وقد تمثل ذلك بما نقله أبو جعفر اللبلي في تفصيحه وإعلائه لكثير من اللغات التي نسبت للعامة ، أو وسمت بالخطأ .

ثامناً ـــ فيما يتعلق بآثار حركة التوسع في الدرس اللغوي :

أ / أظهر البحث أنَّ أبا زيد الأنصاري كان له تأثير عظيم وواضح في حركة التوسع ، بل يُعدُّ رائداً من رواد هذه الحركة التوسعية ، التي أثْرَتْ بدورها الدرس اللغوي ووسعت آفاقه أمام الباحثين والدارسين .

ب / اتضح من البحث تأثر عدد من أئمة اللغة بمذهب أبي زيد التوسعي ، وذلك بما نقلوه عنه من تفصيحه لكثير من اللغات التي برهن على فصاحتها ودلل على صوابها بنسبتها إلى قبائل عربية فصيحة اللسان .

ج / أبان البحث أن هؤلاء الأئمة اللغويين والذين تأثروا بمذهب أبي زيد التوسعي كان لهم تأثير بدورهم على من جاء بعدهم .

د/ كشف البحث أن من آثار حركة التوسع في الدرس اللغوي ما تضمنته بعض المعاجم اللغوية ، والتي تأثر أصحابها بأئمة المتوسعين وأثْرَتْ بدورها حركة التوسع اللغوي وازدهاره .

هـ / أبان البحث أن من آثار حركة التوسع في الدرس اللغوي التقليل من الفروق بين اللهجات العامية والعربية الفصحى .

فهرس الفهارس

فهرس الآيات القرآنية الكريمة والقراءات

﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ ﴾	٣٧	٢٨٧	
سورة النساء			
﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَئًا ﴾	٩٢	١٢٥	
﴿ وَمَن يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ﴾	١١٢	١٩٥	
﴿ الْمُحْصَنَاتُ ﴾	٢٤	٢٥٥	
سورة الأنعام			
﴿ وَآتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ ﴾	١٤١	٣٧٥	
سورة الأعراف			
﴿ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴾	١٧٥	١٩٤	
﴿ أَرْجِهْ وَأَخَاهُ ﴾	١١١	٣٠٧	
﴿ فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا ﴾	١٤٣	٣٥٦	
سورة هود			
﴿ إِن تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴾	٣٨	٢١٩	
سورة يوسف			
﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾	٢	١	
﴿ وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ ﴾	٤٥	٢٢٠ ٢٢٨	
﴿ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَأً ﴾	٣١	٢٩٠ ٣٠٨	على قراءة (متكا) وهي شاذة
سورة الحجر			
﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ	٩	١	

لَحَافِظُونَ ﴾			
سورة النحل			
﴿ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ ﴾	١٠٣	٢	
﴿ إِن تَحْرِصْ عَلَى هُدَاهُمْ ﴾	٣٧	١٤٧	
﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ ﴾	١٠٣	١٦٤	
﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً ﴾	١٢٠	٢٨٩	
سورة الكهف			
﴿ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴾	١٦	١٩٤ ٢٥٥	قُرِئت (مَرْفَقا) بفتح الراء وهي قراءة سبعية
سورة مريم			
﴿ هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا ﴾	٩٨	١٧٤	
سورة طه			
﴿ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ﴾	١٢١	١٩٤	
﴿ وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى ﴾	٨٤	٢٥٢	
سورة النور			
﴿ أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ ﴾	٣١	٢٨٩	
سورة الفرقان			
﴿ وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾	٥	١٧٥	
﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ ﴾	٢٧	١٩٥	

﴿ وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ﴾	٤٨	٢٥٢	
سورة الشعراء			
﴿ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾	١٩٥	٢	
﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ () عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ () بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴾	١٩٣/ ١٩٥	١٦٤	
﴿ وَتَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ ﴾	١٤٩	٢٢٠	قرأ الحسنُ البصري بفتح الحاء ، وهي شاذة
سورة القصص			
﴿ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً ﴾	٢٣	٢٨٨	
سورة لقمان			
﴿ وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَاغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ﴾	١٩	٣٥٥	
سورة الأحزاب			
﴿ تُرْجِي مَن تَشَاءُ مِنْهُنَّ ﴾	٥١	٢٥٥	على قراءة (ترجي)
سورة يس			
﴿ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ ﴾	١٤	١٤٥	
سورة الصافات			
﴿ فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴾	١٤٥	١٥٢	
﴿ إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴾	١٠	٢٥١	
﴿ إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ ﴾	١١	٢٨٧	
﴿ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴾	٩٥	٢٨٨	
سورة الزمر			
﴿ وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا ﴾	٦٩	١٩٥	

﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾	٣٠	٢١٩	
﴿ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ﴾	٢٣	٢٨٨	
سورة فصلت			
﴿ حم () تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ () كِتَابٌ فُصِّلَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾	١-٣	٢	
سورة الشورى			
﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾	٧	٢	
سورة الزخرف			
﴿ إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ﴾	٢٢	٢٨٩	
سورة محمد			
﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ﴾	٢٢	٢١٩ ٤٣٥	قُرئت (عَسِيتم) بكسر السين وهي قراءة سبعية
﴿ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّن مَّاءٍ غَيْرِ آسِنٍ﴾	١٥	٢٨٨	
سورة الرحمن			
﴿ أَيُّهَا الثَّقَلَانِ﴾	٣١	٢٨٩	
سورة الواقعة			
﴿ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ﴾	٣٤	١٤٥	
﴿ عَلَى سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ﴾	١٥	٣٠٨	قُرئت (سُرَر) بفتح الراء وهي سبعية
سورة الحاقة			
﴿ يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ﴾	٢٧	١٤٣ ١٤٥	

﴿ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴾	٢١	٢٨٩	
سورة المعارج			
﴿ تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ ﴾	٤	٢١٨	
سورة الجن			
﴿ وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴾	١٥	٢١٨	
سورة عبس			
﴿ كِرَامٍ بَرَرَةٍ ﴾	١٦	٣٠٧	
سورة البروج			
﴿ وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ ﴾	٨	٩١،٢١٨	
سورة الضحى			
﴿ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ ﴾	٣	١٩٦ ٢٩٠	قُرئت (وَدَعَك) بالتخفيف وهي قراءة سبعية
سورة العلق			
﴿ اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴾	١	١٤٤	
سورة العاديات			
﴿ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ ﴾	١١	١٤٣	

ـــ فهرس الأحاديث النبوية الشريفة .

فهرس الأقوال والأمثال المأثورة .

فهرس الشعر .

فيما يتعلق بهذه الشواهد الشعرية — والتي يلحظ القارئ الكريم ندرتها هنا — أنبه إلى أنني ألفيتها في شروح الفصيح غزيرةً جداً ، ولم يكن عملي هنا تحقيقاً كي ألتزم بالمتن المحقق ؛ وإنما عمدت إلى التصرف بها فيما يخدم الغرض المنشود من تلك الشواهد ، وأحلت إلى ذلك في مواضعه ، قاصداً الإيجاز ما استطعت وما هذه الشواهد المذكورة هنا إلا غيض من فيض وقليل من كثير ، أثبتت في مظانها

القافية	القائل	الصفحة
	(الباء)	
نجيا	بلا عزو	٤٥٥
قرهب	بلا عزو	٤٦٧
	(الحاء)	
مليح	أحمد بن كليب النحوي	١٩
فالمضيح	بلا عزو	٢٤٤
	(الدال)	
ليزودا	حتروش	٥١
معبد	دريد بن الصمه	٥٢
وارعد	المتلمس	٣٢٣
اليد	بلا عزو	٤٥٥
البعد	بلا عزو	٤٦٢
	(الراء)	
الأباعر	مروان بن أبي حفصة	١١٧
القطر	ذو الرمة	٢٩٣

فهرس الأعلام .

	٣٩٢ ، ٣٩٨ ، ٣٩٩ ، ٤٠٠ ، ٤٠١ ، ٤٠٣ ، ٤٠٤ ، ٤٠٥ ، ٤١٠ ، ٤١٣ ، ٤١٤ ، ٤١٥ ، ٤٢١ ، ٤٢٣ ، ٤٢٤ ، ٤٢٥ ، ٤٢٦ ، ٤٢٧ ، ٤٢٩ ، ٤٣٠ ، ٤٣١ ، ٤٣٢ ، ٤٣٣ ، ٤٣٤ ، ٤٣٥ ، ٤٣٦ ، ٤٣٧ ، ٤٤١ ، ٤٤٣ ، ٤٤٩ ، ٤٥١ ، ٤٥٦ ، ٤٥٧ ، ٤٥٨ ، ٤٥٩ ، ٤٦٠ ، ٤٦١ ، ٤٦٣ ، ٤٦٤ ، ٤٦٦ ، ٤٧٣ ، ٤٧٥ ، ٤٧٨ ، ٤٧٩ ، ٤٨١ ، ٤٨٣ ، ٤٨٤ ، ٤٨٦ ، ٤٨٧ ، ٤٨٨ ، ٤٨٩ ، ٤٩٠ ، ٥٠٥ ، ٥٠٨ ، ٥١١ ، ٥٣٥ ، ٥٣٦ ، ٥٣٧ ، ٥٤٤ ، ٥٤٥ ، ٥٤٦ ، ٥٤٧ ، ٥٤٨ .
- الجاحظ (عمرو بن بحر)	٢٩ ، ٤٤ ، ١٤١ ، ١٤٢ ، ١٤٥
- الجواليقي (موهوب بن أحمد)	٤٨ ، ١٩٩ ، ٢٢٥
- الجوهري (إسماعيل بن حماد)	٢٧ ، ٥٩ ، ٦٦ ، ٩١ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١٠٧ ، ١٣٣ ، ١٣٨ ، ١٥٢ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ، ٤٠٧ ، ٤١٣ ، ٤٢٤ ، ٤٤٨ ، ٤٥٦ ، ٤٥٨ ، ٥١٣ ، ٥٢٤ ، ٥٢٥ ، ٥٢٦ ، ٥٢٧ ، ٥٣٣
- الحجاج بن يوسف	٣١ ، ١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٤٥
- الحريري (القاسم بن علي)	٤١ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٢٩ ، ١٣١ ، ١٣٢ ، ١٣٣ ، ١٣٤ ، ٣٥٠ ، ٥٣٢

فهرس القبائل والجماعات

فهرس المصادر والمراجع

ـــ الإبدال ، لابن السكيت ، تقديم وتحقيق حسين محمد شرف ، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية ١٣٩٨ هـــ .

ـــ الاتقان في علوم القرآن للسيوطي ، دار المعرفة بيروت .

ـــ أدب الكاتب ، لابن قتيبة ـــ تحقيق محمد الدالي ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤١٧هـــ .

ـــ أسرار العربية ، لابن الأنباري ، تحقيق وتعليق بركات يوسف هبود ، شركة الأرقم بن الأرقم للطباعة والنشر ، بيروت الطبعة الأولى ١٤٢٠هـــ .

ـــ أساس البلاغة للزمخشري ، دار صادر ، بيروت .

ـــ إسفار الفصيح لأبي سهل الهروي ، تحقيق أحمد سعيد قشاش ، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ١٤١٦هـــ .

ـــ إشارة التعيين في تراجم النحاة واللغويين ، لعبدالباقي بن عبدالمجيد اليماني ، تحقيق عبدالمجيد دياب ، مركز الملك فيصل للبحوث والداراسات الإسلامية ، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـــ .

ـــ إصلاح المنطق ، لابن السكيت ، شرح وتحقيق أحمد محمد شاكر ، وعبدالسلام هارون ، دار المعارف الطبعة الرابعة .

ـــ الأصمعيات ، تحقيق أحمد محمد شاكر وعبدالسلام هارون ، دار المعارف الطبعة الخامسة .

ـــ الأضداد ، لابن الأنباري ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية ١٤١١هـــ

ـــ إعراب القرآن الكريم ، لأبي جعفر النحاس ، تحقيق زهير غازي زاهد ، عالم الكتب بيروت الطبعة الثالثة ١٤٠٩هـــ .

ـــ الأعراب الرواة ، لعبدالحميد الشلقاني ، طرابلس ليبيا الطبعة الأولى ١٣٩٥هـــ .

ـ الأعلام ، للزركلي ، دار العلم للملايين بيروت الطبعة السابعة ١٤٠٦هـ .
ـ الأفعال ، لابن القطاع ، عالم الكتب بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ .
ـ الأفعال ، للسراقسطي ، تحقيق حسين محمد شرف ، مراجعة محمد مهدي علام ، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية القاهرة ١٤١٣هـ .
ـ الإقتضاب في شرح أدب الكُتَّاب ، لابن السيد البطليوسي ، تحقيق مصطفى السقا ، وحامد عبدالحميد ، مطبعة دار الكتب المصرية ، القاهرة ١٤١٦هـ .
ـ الألفاظ ، لابن السكيت ، تحقيق فخر الدين قباوة ، مكتبة لبنان الطبعة الأولى ١٤١٨هـ .
ـ الأمالي ، لأبي العلي القالي ، مراجعة لجنة إحياء التراث العربي ، دار الآفاق الجديدة بيروت الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ .
ـ إنباه الرواة على أنباه النحاة ، للقفطي ، تحقيق حمد أبو الفضل إبراهيم ، مطبعة دار الكتب المصرية ١٣٧١هـ .
ـ الإنصاف في مسائل الخلاف ، لانب الأنباري ، تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد ، دار الفكر بيروت .
ـ أضواء البيان ، للشيخ محمد أمين الشنقيطي ، دار الفكر للطباعة والنشر بيروت ١٤١٥هـ .
ـ البحر المحيط ، لأبي حيان الدنلسي الغرناطي ، طبعة جديد ة بعناية صدقي محمد جميل ، المكتبة التجارية ، مصطفى أحمد الباز مكة المكرمة .
ـ البداية والنهاية ، لابن كثير ، دار الكتب العلمية ، بيروت الطبعة الخامسة ١٤٠٩ هـ ـ بغية الآمال في معرفة النطق بجميع مستقبلات الأفعال ، لأبي جعفر اللبلي ، تحقيق سليمان العايد ، جامعة أم القرى بمكة المكرمة ١٤١١هـ .
ـ بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، للسيوطي ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، المكتبة العصرية بيروت ١٤١٩هـ .

ـــ البلغة في أصول اللغة ، لمحمد صديق خان القنوجي ، تحقيق نذير محمد مكتبي ، دار البشائر الإسلامية الطبعة الأولى ١٤٠٨هـــ .
ـــ البلغة في تاريخ أئمة اللغة ، للفيروز أبادي تحقيق محمد المصري ، منشورات وزارة الثقافة دمشق ١٣٩٢هـــ .
ـــ البيان والتبيين ، للجاحظ ، تحقيق عبدالسلام هارون ، مكتبة الخانجي القاهرة الطبعة السابعة ١٤١٨هـــ .
ـــ تاج العروس لجواهر القاموس ، للزَّبيدي ، تحقيق علي شيري ، دار الفكر بيروت ١٤١٤هـــ .
ـــ تاريخ آداب العربية ، لجرجي زيدان ، مراجعة شوقي ضيف ، دار الهلال .
ـــ تاريخ الأدب العربي ، لبروكلمان ، ترجمة عبدالحليم النجار وآخرين ، دار المعارف مصر الطبعة الخامسة ١٤٠٣هـــ .
ـــ تاريخ التراث العربي ، لفؤاد سزكين ، إدارة الثقافة والنشر ، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية الرياض ١٤٠٨هـــ .
ـــ تاريخ النحو العربي ، لسعيد الأفغاني ، الكويت مكتبة الفلاح ١٤٢٠هـــ .
ـــ تثقيف اللسان وتلقيح الجنان ، لابن مكي الصقلي ، تحقيق عبدالعزيز مطر ، القاهرة ١٤١٥هـــ .
ـــ تحفة المجد الصريح لشرح كتاب الفصيح ، لأبي جعفر اللبلي ، تحقيق عبدالملك بن عيضة السبيتي ، مكتبة الآداب القاهرة ١٤١٨هـــ .
ـــ تصحيح التصحيف وتحرير التحريف ، لصلاح الدين الصفدي ، تحقيق السيد الشرقاوي ، مراجعة رمضان عبدالتواب ، مكتبة الخانجي القاهرة الطبعة الأولى ١٤٠٧ هـــ
ـــ تصحيح الفصيح ، لابن درستويه ، تحقيق محمد بدوي المختون ، مراجعة رمضان عبدالتواب ، القاهرة ١٤١٩هـــ .
ـــ التطريز اللغوي ، لمحمد خليفة الدماع ، ليبيا ، الطبعة الأولى ١٤١٧هـــ .

ـــ تفسير الطبري (جامع البيان عن تأويل آي القرآن) بيروت ١٤٠٨هـــ .
ـــ تفسير القرطبي (الجامع لأحكام القرآن) ، دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٨هـــ .
ـــ تفسير ابن كثير ، دار المعرفة بيروت ١٣٨٨هـــ .
ـــ تقويم اللسان، لابن الجوزي ، تحقيق عبدالعزيز مطر ، دار المعارف القاهرة الطبعة الثانية .
ـــ التكملة والزين والصلة لكتاب تاج اللغة وصحاح العربية ، تحقيق عبدالعليم الطحاوي وآخرين ، مطبعة دار الكتب القاهرة ١٣٩٤هـــ .
ـــ التلويح في شرح الفصيح ، جمع وتعليق محمد عبدالمنعم خفاجي ، دار الصحابة للتراث مصر طنطا .
ـــ التنبيهات على أغاليط الرواة ، لعلي بن حمزة ، تحقيق عبدالعزيز الميمني ، دار المعارف القاهرة .
ـــ التنبيه على حدوث التصحيف ، لحمزة الأصفهاني ، تحقيق محمد أسعد أطلس ، دار صادر بيروت الطبعة الثانية ١٤١٢هـــ .
ـــ تلخيص التحبير ، لابن حجر العسقلاني ، تحقيق السيد عبدالله هاشم اليماني ، المدينة المنورة ١٣٨٤هـــ
ـــ تهذيب اللغة ، للأزهري ، تحقيق عبدالسلام هارون وآخرين ، دار القومية العربية للطباعة ١٣٨٤هـــ .
ـــ ثلاثيات الأفعال المقول فيها أَفْعَلَ أو أَفْعِلَ بمعنى واحد وزوائده ، لأبي عبدالله بن محمد بن مالك ، ولأبي الفتح محمد البعلي ، تحقيق سليمان العايد ، دار الطباعة والنشر الإسلامية القاهرة ١٤١٠هـــ .
ـــ جذوة الاقتباس في ذكر من حل من الأعلام في مدينة فاس ، لأبي القاضي المكناسي ، دار المنصور للطباعة والوراقة الرباط ١٣٩٣هـــ .

ـ جمهرة الأمثال ، لأبي هلال العسكري ، تحقيق عبدالسلام هارون ، دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ .

ـ جمهرة اللغة ، لابن دريد ، تحقيق رمزي منير بعلبكي ، دار العلم للملايين ، بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ .

ـ جهود اللغويين الأندلسيين في التصويب اللغوي مع دراسة وتحقيق كتاب التصريح بشرح غريب الفصيح ، للتدميري ، تحقيق عبدالرحمن بن عيسى الحازمي ، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة ١٤٢٢هـ .

ـ الحيوان ، للجاحظ ، تحقيق عبدالسلام هارون ، دار إحياء التراث العربي بيروت .

ـ خزانة الأدب ولب لباب العرب ، لعبدالقادر البغدادي ، قدم له ووضع هوامشه وفهارسه محمد نبيل طريفي إشراف أمين بديع يعقوب ، دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى ١٤١٨هـ .

ـ الخصائص لابن جني ، تحقيق محمد علي النجار ، الجزءان الأول والثاني دار الكتاب العربي بيروت ، والجزء الثالث الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٨هـ .

ـ خلاصة البدر المنير ، لابن المُلقن ـ تحقيق حمدي عبدالمجيد السلفي ، مكتبة الرشد الرياض .

ـ الدراسات اللغوية عند العرب ، لمحمد حسين آل ياسين ، دار مكتبة الحياة بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٠هـ .

ـ دراسات في فقه اللغة ، لصبحي الصالح ، دار العلم للملايين ، بيروت الطبعة الحادية عشرة ١٤٠٦هـ .

ـ دُرة الغواص في أوهام الخواص ، للحريري ، دراسة وتحقيق الشريف عبدالله بن علي الحسيني ، مكتبة الفيصلية مكة المكرمة الطبعة الأولى ١٤١٧هـ .

ـــ ديوان الأدب ، للفارابي ، تحقيق أحمد مختار عمر ، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية ، القاهرة ١٣٩٤هـــ .
ـــ سنن الترمذي (الجامع الصحيح) تحقيق أحمد محمد شاكرو آخرين ، مطبعة مصطفى الحلبي ، القاهرة الطبعة الثانية ١٣٩٨هـــ .
ـــ شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، لابن عماد الحنبلي ، تحقيق عبدالقادر الأرناؤوط ورفيقه ، دار ابن كثير دمشق الطبعة الأولى ١٤١٢هـــ .
ـــ شرح درة الغواص للخفاجي ، تحقيق عبدالحفيظ فرغلي علي ، دار الجيل بيروت الطبعة الأولى ١٤١٧هـــ .
ـــ شرح غريب الفصيح للتدميري ، تحقيق عبدالرحمن عيسى الحازمي ، الجامعة الإسلامية بالمدين المنورة ١٤٢٢هـــ .
ـــ شرح فصيح ثعلب ، لابن الجبان ، تحقيق عبدالجبار القزاز ، المكتبة العلمية لاهور باكستان الطبعة الأولى ١٤٠٦هـــ .
شرح الفصيح ، لابن هشام اللخمي ، تحقيق مهدي عبيد جاسم ، دار الآثار والتراث العراق الطبعة الولى ١٤٠٩هـــ .
ـــ شرح الفصيح ، للزمخشري ، تحقيق ابراهيم عبدالله الغامدي ، جامعة أم القرى بمكة المكرمة الطبعة الأولى ١٤١٦هـــ .
ـــ شرح فصيح ثعلب ، للمرزوقي ، تحقيق سليمان العايد ، جامعة أم القرى مكة المكرمة ١٤٢٢هـــ .
ـــ شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل ، تصحيح متعليق ومراجعة محمد عبدالمنعم خفاجي ، المكتبة الأزهرية للتراث بمصر الطبعة الأولى .
ـــ شواهد التوضيح والتصريح لمشكلات الجامع الصحيح ، لجمال الدين محمد بن عبدالله الطائي ، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي ، مطبعة لجنة البيان العربي .
الصاحبي في فقه اللغة ، لأحمد بن فارس ، تحقيق عمر فاروق الطباع ، مكتبة المعارف بيروت الطبعة الأولى ١٤١٤هـــ .

ـ الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية للجوهري) اعتنى به مكتب التحقيق بدار إحياء التراث العربي بيروت الطبعة الأولى ١٤١٩هـ .

ـ صحيح البخاري ، تحقيق مصطفى ديب البغا ، دار ابن كثير بيروت الطبعة الثالثة .

ـ صحيح مسلم ، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي ، إحياء التراث العربي .

ـ ضحى الإسلام ، لأحمد أمين ، دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ .

ـ طبقات النحويين واللغويين ، للزُّبيدي ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار المعارف القاهرة الطبعة الثانية ١٤٠٤هـ .

ـ العربية ، ليوهان فيك ، ترجمة وتقديم وتعليق رمضان عبدالتواب ، مكتبة الخانجي ١٤٠٠هـ .

ـ العقد الفريد ، لابن عبدربه ، تقديم خليل شرف الدين ، دار مكتبة الهلال بيروت الطبعة الولى ١٤٠٦هـ .

ـ العين للخليل بن أحمد ، تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامراي ، دار مكتبة الهلال بيروت .

ـ عيون الأخبار ، لابن قتيبة ، شرحه وضبطه وعلق عليه وقدم له يوسف علي طويل ، مكتبة الباز مكة المكرمة ١٤١٨هـ .

ـ الغرز المثلثة والدرر المبثة ، للفيروز أبادي ، تحقيق سليمان العايد ، مكتبة نزار مصطفى الباز ، مكة المكرمة .

ـ غريب الحديث لابن قتيبة تحقيق عبدالله الجبوري الطبعة الأولى ، مطبعة العاني بغداد ١٣٩٧هـ .

ـ الغريب المصنف ، لأبي عبيد القاسم بن سلام ، تحقيق محمد المختار العبيدي ، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون ، الطبعة الأولى ١٤١٦هـ .

ـ الغريبين ، لأبي عبدالله بن أحمد الهروي ، تحقيق محمود محمد الطناحي ، القاهرة ١٣٩٠هـ .
ـ فصول في فقه اللغة ، لرمضان عبدالتواب ، مكتبة الخانجي القاهرة الطبة السادسة ١٤٢٠هـ .
ـ الفصيح لأبي العباس ثعلب ، تحقيق عاطف مذكور ، دار المعارف القاهرة .
ـ فعلت وأفعلت ، لأبي حاتم السجستاني ، تحقيق خليل ابراهيم العطية ، دار صادر بيروت الطبعة الثانية ١٤١٦هـ .
ـ فعلت وأفعلت ، للزجاج ، تحقيق رمضان عبدالتواب ورفيقه ، مكتبة الثقافة الدينية ١٤١٥هـ .
ـ فقه اللغة ، لابن فارس (الصاحبي في فقه اللغة) تحقيق عمر فاروق الطباع ، مكتبة المعارف بيروت الطبعة الأولى .
ـ فقه اللغة وسر العربية ، للثعالبي ، تحقيق فائز محمد وأمين يعقوب ، دار الكتاب العربي ، بيروت الطبعة الثانية ١٤١٦هـ .
ـ الفهرست لابن النديم ، تحقيق رضا ، دار المسيرة ، الطبعة الثالثة ١٤٠٨هـ .
ـ الاقتراح ، للسيوطي ، تحقيق محمد الشافعي ، دار الكتب العلمية بيروت ١٤١٨هـ .
ـ القراءات القرآنية في البحر المحيط ، لمحمد خاطر ، مكتبة الباز مكة المكرمة .
ـ القاموس المحيط ، للفيروز أبادي ، موسسة الرسالة بيروت الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ .
ـ القلب والإبدال ، لابن السكيت (ضمن مجموعة الكنز اللغوي) نشره وعلق على حواشيه أُغست هفنر ، المطبعة الكاثوليكية بيروت ١٩٠٣م .
ـ الكامل في اللغة والأدب ، للمبرد ، تحقيق محمد أحمد الدالي ، مؤسسة الرسالة بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ .
ـ الكتاب ، لسيبويه ، تحقيق عبدالسلام هارون ، دار الجيل بيروت الطبعة الأولى .

ـــ كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، لحاجي خليفة ، دار الفكر بيروت
.
ـــ اللحن في اللغة مظاهره ومقاييسه ، لعبدالفتاح سليم ، دار المعارف القاهرة الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ .
ـــ لحن العامة ، لأبي بكر الزُّبيدي ، تحقيق عبدالعزيز مطر ، مكتبة الأمل الكويت ١٩٦٨م .
ـــ لحن العامة في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة ، لعبدالعزيز مطر ، الدار القومية للطباعة والنشر ١٣٨٦هـ . .
ـــ لحن العامة والتطور اللغوي ، لرمضان عبدالتواب ، دار المعرف القاهرة الطبيعة الأولى ١٩٦٧م .
ـــ لحن العوام ، لأبي بكر الزبيدي ، تحقيق رمضان عبدالتواب ، مكتبة الخانجي القاهرة ، الطبعة الثانية ١٤٢٠هـ .
ـــ لسان العرب ، لابن منظور الإفريقي المصري ، دار صادر بيروت الطبعة الأولى ١٤١٠هـ .
ـــ اللغة بين المعيارية والوصفية ، لتمام حسان ، دار الثقافة القاهرة ١٤١٢هـ .
ـــ لغة تميم ، لضاحي عبدالباقي ، مطبوعات مجمع اللغة العربية القاهرة ١٤٠٥هـ .
ـــ اللهجات العربية في التراث ، لأحمد علم الدين الجندي ، الدار العربية للكتاب طرابلس ١٤٠٣هـ .
ـــ المثلث ذو المعنى الواحد ، للبعلي ، تحقيق سليمان العايد ، مكتبة الطالب الجامعي مكة المكرمة ، ١٤٠٧هـ .
ـــ المثلث لابن السيد البطليوسي ، تحقيق صلاح الفرطوسي ، دار الرشد بغداد ١٤٠١هـ .
ـــ ما تلحن فيه العامة ، للكسائي ، تحقيق رمضان عبدالتوات ، مكتبة الخانجي القاهرة الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ .

ـ مجالس ثعلب ، تحقيق عبدالسلام هارون ، دار المعارف القاهرة الطبعة الخامسة .
ـ المجرد في غريب كلام العرب ولغاتها ، لكراع النمل ـ تحقيق محمد أحمد العمري ، الجزء الأول دار المعرف بمصر ، الطبعة الأولى ١٤١٣هـ .
ـ مجمع الأمثال ، للميداني ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، دار الجيل بيروت الطبعة الثانية .
ـ مجمل اللغة ، لأحمد بن فارس ، دراسة وتحقيق زهير عبدالمحسن سلطان ، مؤسسة الرسالة الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ .
ـ المجمع المغيث في غريبي القرآن والحديث للإمام الحافظ أبي موسى ابن أبي بكر الأصفهاني ، تحقيق عبدالكريم العزباوي ، دار المدني للطباعة والنشر والتوزيع جدة الطبعة الأولى ١٤١٦هـ .
ـ المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها ، لابن جني ، تحقيق علي النجدي ناصف وآخرين ، دار سزكين للطباعة والنشر الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ .
ـ المحكم والمحيط الأعظم لابن سيده ، تحقيق مصطفى السقا وآخرين ، معهد المخطوطات لجامعة اللغة العربية الطبعة الأولى ١٣٧٧هـ .
ـ المخصص لابن سيده ، دار الفكر ، بيروت ١٣٩٨هـ .
ـ المدخل إلى تقويم اللسان ، لابن هشام اللخمي ، تحقيق مأمون بن محي الدين الجنّان ، دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الولى ١٤١٥هـ .
ـ المذكر والمؤنث لابن الأنباري ، تحقيق طارق الجنابي ، بيروت الطبعة الثانية ١٤٠٦هـ .
ـ المزهر في علوم اللغة وأنواعها ، للسيوطي ، شرح وتعليق محمد جاد المولى وآخرين ، المكتبة العصرية بيروت ١٤٠٦هـ .
ـ مسند الإمام أحمد بن حنبل ، المكتب الإسلامي ، بيروت الطبعة الثانية ١٣٩٨ هـ .

ـــ المشوف المعلم ، للعُكبري ، تحقيق ياسين محمد السواس ، دار الفكر دمشق ١٤٠٣هـــ .

ـــ مصادر الشعر الجاهلي ، لناصر الدين الأسد ، دار المعارف القاهرة ١٤١٤هـــ .

ـــ المصباح المنير ، للفيومي ، المكتبة العصرية ، بيروت الطبعة الأولى ١٤١٧هـــ .

ـــ معاني القرآن ، للأخفش ، تحقيق عبدالأمير محمد أمين ، عالم الكتب بيروت ، الطبعة الأولى ١٤٠٥هـــ .

ـــ معاني القرآن للزجاج ، تحقيق عبدالجليل عبده شلبي ، طبعة دار الحديث القاهرة ، الطبعة الأولى ١٤١٤هـــ .

ـــ معاني القرآن ، للفراء ، تحقيق محمد علي النجار وآخرين ، عالم الكتب بيروت الطبعة الثالثة ١٤٠٣هـــ .

ـــ معجم الأوزان الصرفية ، لأمين بديع يعقوب ، عالم الكتب بيروت الطبعة الأولى ١٤١٣هـــ .

ـــ معجم الأدباء ، لياقوت الحموي ، دار الفكر بيروت الطبعة الثالثة ١٤٠٤هـــ .

ـــ المعجم العربي ، لحسن نصار ، مكتبة مصر القاهرة ، الطبعة الرابعة ١٤٠٨هـــ .

ـــ معجم المؤلفين ، لعمر رضا كحالة ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت .

ـــ المعجم الوسيط ، تأليف ابراهيم أنيس وآخرين ، دار الفكر بيروت .

ـــ المُعرَّب من الكلام الأعجمي ، للجواليقي ، تحقيق ف ـــ عبدالرحيم ، دار العلم دمشق الطبعة الأولى ١٤١٠هـــ .

ـــ معجم مقاييس اللغة ، لأحمد بن فارس ، تحقيق عبدالسلام هارون ، القاهرة الطبعة الثانية ١٣٨٩هـــ .

ـــ المنتخب من غريب كلام العرب ، لكراع النمل ، تحقيق محمد أحمد العمري ، مركز إحياء التراث بجامعة أم القرى مكة المكرمة الطبعة الأولى ١٤٠٩هـــ .

ـــ من أسرار اللغة ، لإبراهيم أنيس ، مكتبة الجلو المصرية القاهرة .

ـــ من كلام العرب ، لحسن ظاظا ، دار لنهضة العربية للطباعة والنشر ، بيروت .

ـ الموشح ، للمرزباني ، تحقيق حسين شمس الدين ، مكتبة دار الباز مكة المكرمة ، الطبعة الأولى ١٤١٥هـ .
ـ النشر في القراءات العشر ، لابن الجوزي ، أشرف على الطبعة علي محمد الطباع ، دار الفكر بيروت .
ـ نشأة النحو ، للشيخ محمد الطنطاوي . عالم الكتب بيروت الطبعة الأولى ١٤١٧هـ
ـ نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، للمقري ، تحقيق يوسف الشيخ محمد البقاعي ، دار الفكر بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ .
ـ النهاية في غريب الحديث والأثر ، للإمام أبي السعادات المبارك ابن الجزري ، خرج أحاديثه وعلق عليه صلاح بن محمد بن عويضة ، دار الكتب العلمية بيروت ١٤١٨هـ .
ـ النوادر في اللغة ، لأبي زيد الأنصاري ، تحقيق محمد عبدالقادر أحمد ، دار الشروق ، بيروت الطبعة الأولى ١٤٠١هـ .
ـ وفيات الأعيان وأبناء أبناء الزمان ، لابن خلكان ، تحقيق إحسان عباس ، دار صادر بيروت ١٣٩٨هـ .
ـ يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر ، لأبي منصور الثعالبي ، تحقيق مفيد قميحه ، دار الكتب العلمية بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٣هـ .

فهرس الموضوعات العامة